مناقب
١
١٩٧

في هذا المجلد من السور اكثر
سورة النساء واول
سورة المائدة





MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM H. Alipaşa
ESKİ KAYIT 111
YENİ KAYIT NO.
TASNİF NO.

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

تفسير قول الله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة قال

المفسرون نظم الكلام وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة اى لا ينقص احدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة بل يجازيهم بها ويثيبهم عليها والمراد من الكلام ان الله تعالى لا يظلم قليلا ولا كثيرا كما قال تعالى في اية اخرى ان الله لا يظلم الناس شيا فخرج الكلام على اصغر شي يعرفه الناس وقال بعضهم هذه الاية مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشيا يقول تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة مثلا فكيف باكثر منها والمراد انه تعالى لا يظلم قليلا ولا كثيرا لان الظلم بمثقال ذرة لا ينتفع به الظالم ولا يتبين ضرره في المظلوم واختلف العلما في الذرة فقال ابن عباس رضي الله عنهما الذرة راس نملة حمرا وقيل هي النملة الحمرا الصغيرة التي لا تكاد تتبين في رويه العين وقال يزيد بن هرون زعموا ان الذرة ليس لها وزن ويحكى ان رجلا وضع خبزا حتى علاه الذر مقدار ما ستره ثم وزنه فلم يزد على وزن الخبز شيا ودليل هذا التاويل ما روى عن عبد الله انه قال ان الله لا يظلم مثقال نملة ورووى عن ابن عباس رضي الله عنه انه ادخل يده في التراب ثم رفعها ثم نفخ فيه وقال كل واحد من هو لا ذرة وقال بعضهم الذرة كل جزو من اجزا الهبا الذي يكون في الكوة اذا كان فيها ضو الشمس لا وزن لها وقيل الذرة هي الخردلة كما قال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وقيل في تفسيرها غير هذا والله اعلم وبالجملة فهي عبارة عن اقل الاشيا واصغرها وان تك حسنة يضاعفها يعني الحسنة بعشر امثالها وقيل هذا عند الحساب فمن تقبل له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له الى سبعماية والى اجر عظيم قال قتاده رحمه الله لان نفضل حسناتي على سياتي بمثقال ذرة احب الي من الدنيا وما فيها وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك رضي الله عنه في قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مومنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الاخرة

مطلب

واما الكافر فيطعم حسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم تكن له حسنة يجزى بها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعا

مطلب

يخلص جلا من امتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل
مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب
يقول لك عذر فيقول لا يارب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم
فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر
وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شي اخرجه
الترمذي رحمه الله وروى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم
قيل يا رسول الله وما الجسر قال مدحضة مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد
فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير
وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا
خلص المؤمنون من النار فوالذي نفس محمد بيده ما من احد منكم بناشدة لله في استيفاء الحق
من المؤمنين يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار وفي رواية فما انتم بناشدة
في الحق لكم من المؤمنين يومئذ للجبار اذا رأوا انهم قد نجوا في اخوانهم فيقولون
ربنا انهم كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم
على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون
ربنا ما بقي فيها احد مما امرتنا به فيقال ارجعوا من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير
فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول
ارجعوا من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون
ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان
شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول
الله تبارك وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة
من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في

مطلب
الصك

مطلب
بشارة

افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل الا ترونها الى الحجر
او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض فقالوا
يا رسول الله كانك كنت ترعى بالباديه قال فيخرجون كاللؤلؤ وفي رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل
الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم
ادخلوا الجنة فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيت احدا من العالمين فيقال
لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شيء افضل من ذلك فيقول رضاي فلا اسخط
عليكم ابدا لفظ مسلم وهو بعض حديث وقد تقدم قال بعض العلماء هذه الآية
واردة في الخصوم ويدل عليه ما روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال القاضي
يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين ثم ينادي مناد من كان له عند احد من الناس
فليجئ الى حقه فليأخذه قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده او ولده او زوجته
او اخيه فيأخذ منه وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله عز وجل فلا انساب
فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد ويناديه على رؤوس الاولين
والآخرين هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت الى حقه ثم يقال للملائكة آتوا مولا
حقوقهم فيقول اي رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة
انظروا في اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي منها مثقال ذرة ضعفت الملائكة
يا ربنا وهو اعلم بذلك اعطينا كل ذي حق حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول الله للملائكة
ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله عز وجل ان الله
لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما اي الجنة ٥
وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول الله
تبارك وتعالى خذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم اكتبوا له كتابا الى النار ٥
اخرجه البغوي عن ابن مسعود موقوفا عليه بغير سند ورواه ابن جرير مسندا عن ابن مسعود
رضي الله عنه فمعنى الآية على هذا التاويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه بل ياخذها
له منه ولا يظلم مثقال ذرة بقي له بل شيبه عليها ويضاعفها له فذلك قوله تعالى وان تك

مطلب

مطلب

حسنة يضاعفها اى يجعلها اضعافا كثيرة وقيل يضاعفها اى يكثر ثوابها وقرا
اهل الحجاز وان تك حسنة بالرفع وقرا عامة القرا بالنصب فعلى قراة الرفع يكون معناه
وان تحدث حسنة فتكون تامة وعلى قراة النصب تكون ناقصة اى تكون فعلته حسنة
وقرا الحسن يضاعفها بنون العظمة وقرا الباقون يضاعفها بالياء وهو الصحيح لقوله تعالى
ويؤت الى آخره وقرا ابو رجا يضعفها وقرا الباقون يضاعفها وهما لغتان معناهما
التكثير وقال ابو عبيدة معنى يضاعفها اى يجعلها اضعافا كثيرة كما قدمناه ويضعفها
بالتشديد اى يجعلها ضعفين وقوله ويؤت من لدنه يعنى من عنده اجرا عظيما
يعنى الجنة والمعنى ويعط من عنده اجرا عظيما يعنى عوضا من حسنته وذلك العوض هو الجنة
وقال ابو هريرة رضى الله عنه اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن يقدر قدره وروى عن ابى
عثمان النهدى رحمة الله عليه انه قال بلغنى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال ان الله عز وجل يعطى
عبده المومن بالحسنة الواحدة الف الف حسنة قال فقضى انى انطلقت حاجا او معتمرا فلقيته
فقلت بلغنى عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه وتعالى يعطى
عبده المومن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله تعالى يعطيه الفى الف حسنة ثم تلى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما ثم قال فاذا قال الله اجرا عظيما فمن يقدر قدره
قوله عز وجل فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد يعنى فكيف يكون حال هولاء
المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جينا من كل امة شهيدا قال ابن عباس يريد سبحانه
نبيها والمعنى انه يوتى بنبى كل امة تشهد عليها ولها وجينا بك يا محمد على هولاء شهيدا
يعنى تشهد على هولاء الذين سمعوا القران وخوطبوا به بما عملوا وروى السمرقندى
قال حدثنى الخليل بن احمد قال حدثنا منيع قال حدثنا ابو كامل فضيل بن حسين الجحدرى
عن يونس بن محمد بن فضالة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم فى بنى ظفر فجلس على
الصخرة التى فى بنى ظفر ومعه ابن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من اصحابه فامر قاريا
يقرا حتى اذا اتى على هذه الآية فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولاء شهيدا

بكى صلى الله عليه وسلم حتى اخضلت وجنتاه فقال يا رب هذا على من انا بين ظهرانيهم فكيف
من لم ارهم وروى البخارى وغيره عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقرأ على القرآن فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل قال انى احب
ان اسمعه من غيرى قال فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من
كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان
وفى رواية فالتفت فرأيت دموعه تسيل زاد مسلم شهيدا ما دمت فيهم او قال ما كنت
فيهم شك احد رواته قال العلماء رضى الله عنهم بكاء النبى صلى الله عليه وسلم انما كان لعظم ما
تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر اذ يوتى بالانبياء شهداء على اممهم بالتصديق
والتكذيب وبه صلى الله عليه وسلم شهيدا والاشارة بقوله تعالى وجئنا بك على هؤلاء
الى كفار قريش وغيرهم من الكفرة وانما خص سبحانه كفار قريش بالذكر لان وظيفة
العذاب اشد عليهم منها على غيرهم لعنادهم عند رؤية المعجزات ومما اظهره الله على يديه
من خوارق العادات والمعنى فكيف يكون حال هؤلاء الكفار يوم القيامة اذا جئنا من كل
امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا امعدن ام معاقبين وهذا استفهام معناه
التوبيخ وقيل الاشارة الى جميع امته وروى عبد الله بن المبارك قال اخبرنا رجل من
الانصار عن المنهال بن عمرو انه حدثه انه سمع سعيد بن المسيب يقول ليس من يوم الا
يعرض على النبى صلى الله عليه وسلم امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم واعمالهم فلذلك
شهد عليهم يقول الله تبارك وتعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا قال العلماء وفى هذا الحديث الشريف من الفقه جواز قراءة الطالب على الشيخ والعرض
عليه ويجوز عكسه على ما سنبينه ان شاء الله تعالى فى حديث ابى بن كعب فى تفسير سورة
البينة وقوله تعالى يومئذ يعنى يوم القيامة يود اى يتمنى الذين كفروا يعنى
جحدوا وحدانية الله تعالى وعصوا الرسول يعنى فيما امرهم به من توحيد الله عز وجل
لو تسوى بهم الارض يعنى لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل انهم ودوا ان سعثوا
لانهم انما كانوا فى الارض وهى مستوية عليهم وقال الكلبى يقول الله تبارك وتعالى للبهائم

والوحوش والطيور والسباع كونى ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو
كان ترابا وقوله وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا قال ابن عباس فى رواية عطا ودوا لو
تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به وَلَا
نافقوه فعلى هذا القول يكون الكتمان ما كتموا فى الدنيا من صفة النبى صلى الله عليه وسلم
ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستانف ومعناه ولا يكتمون الله حديثا
لان ما عملوه لا يخفى على الله فلا يقدرون على كتمانه وقال بعضهم ولا يكتمون الله حديثا
لان جوارحهم تشهد عليهم وقال سعيد بن جبير سال رجل ابن عباس فقال انى اجد
فى القران اشياء تختلف علىّ قال هات ما تختلف عليك قال منها قوله تعالى ولا يكتمون
الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال ابن عباس اما
قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فانهم لما راوا يوم القيامة ان الله يغفر لاهل الاسلام
ولا يغفر شركا قالوا تعالوا فلنجحد ولنقل ما كنا مشركين فيقولون والله ربنا ما كنا
مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم وتنطق ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند
ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض
فلا تختلف عليك القران فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففى موطن لا يكلمون
ولا تسمع الا همسا وفى موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما
كنا نعمل من سوء وفى موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنبهم وفى
موطن لا يتساءلون وفى موطن يسالون الرجعة وآخر تلك المواطن ان يختم على افواههم
وتكلم جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى جمع سكران مثل كسلان وكسالى
وقرا النخعى لا تقربوا الصلاة وانتم سَكرى بفتح السين على بنا فعلى وهو تكسير سكران
وانما كسر على سكرى لان السكر آفة تلحق العقل فجرى مجرى صرعى ومرضى وقرا الاعمش
وانتم سُكرى بضم السين كحبلى فتكون صفة مفردة وجاز الاخبار بالصفة المفردة عن
الجماعة على ما يستعملونه من الاخبار عن الجماعة بالواحد والسكر نقيض الصحو

يقال سَكِرَ يسكر سُكرا من باب حَمِدَ يحمد حمدا ويقال سكرت عينه تسكرا اذا تحيرت
ومنه قوله تعالى انما سكرت ابصارنا وتقول سَكَرتُ السِّدَّ اذا سددته فالسكران
قد انقطع عما كان عليه من العقل والله تعالى اعلم قال العلماء في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
انما خص الله المومنين بهذا الخطاب لانهم كانوا يقيمون الصلاة وقد اخذوا من الخمر والتفت
عليهم اذهانهم فخصوا بهذا الخطاب اذ كان الكفار لا يفعلونها صحاة ولا سكارى على ما
بينه ان شاء الله واما سبب نزول هذه الآية فهو ما روى عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا فاكلنا وسقانا خمرا قبل ان تحرم
الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرات قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون
ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما
تقولون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح واخرجه ابو داود ولفظه
ان رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة
فاموهم علي رضي الله عنه في المغرب فقرا قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان رجالا كانوا
ياتون الصلاة وهم سكارى قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلاة وانتم سكارى الآية فعلى هذا المراد بالصلاة قولان احدهما انه نفس الصلاة
ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى لا تصلوا وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
والقول الثاني ان المراد بالصلاة موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد
محتمل فيكون من باب حذف المضاف والمعنى لا تقربوا مواضع الصلاة وانتم سكارى وحذف
المضاف سايغ ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات
مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جايز وهذا قول الامام ابي
حنيفة والامام الشافعي رحمهما الله واعلم ان هذا النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر
انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها في غير اوقات الصلوات ثم نزل تحريم الخمر فاجتنبوا
بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة

[illegible] روى عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لا
يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه اخرجاه فى الصحيحين وقال عبيدة السلمانى
فى قوله وانتم سكارى هى سكر النوم قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يصلى احدكم وهو
ناعس وفى رواية لا يصلى احدكم وهو ناعس حتى يفهم ما يقرأ قال بعض العلماء قول الضحاك
وعبيدة صحيح فان النائم يذهب عقله فى النوم ويقبل الله تعالى بقلبه ويترك الالتفات الى غيره
والنوم عن كل ما يشغله عنه من نوم واحتقان بول وجوع وعطش وعن كل ما يشغل البال وغير
الحال ويدل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشاء واقيمت الصلاة فابدءوا
بالعشاء اخرجاه فى الصحيحين وقال صلى الله عليه وسلم لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو
يدافعه الاخبثان يعنى يشوش عليه الخاطر حتى يقبل المصلى على عبادة ربه
بفراغ قلبه وهذا يدل على ان الخشوع فى الصلاة ودخل فى جملة الذين مدحهم الله بقوله قد افلح
المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون على ما سنبينه ان شاء الله تعالى وقال ابن عباس
رضى الله عنهما ان معنى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى خصوص اية
فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا الى اخرها فامروا على هذا القول ان لا
يصلوا سكارى ثم امروا ان يصلوا فى كل حال وهذا انما كان قبل التحريم وقال مجاهد
معنى قربوا الصلاة اى لا تقربوا مواضعها وهى المساجد وهذا القول هو الصحيح فى الباب لتحدث على المذكور
والله اعلم وروى ان عمر رضى الله عنه قال اقيمت الصلاة فنادى منادى رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يقربن الصلاة سكران وعلى قول الضحاك وعبيدة الآية
محكمة لا نسخ فيها والله اعلم وقيل معنى قوله تعالى فى اول الاية لا تقربوا قال العلماء اذا قيل
لا تقرب بفتح الراء كان معناه لا تلبس بالفعل واذا قيل لا تقرب بضم الراء كان معناه
لا تدن منه وهذا الخطاب فى قول ما ايها الذين امنوا لجماعة الامة الصالحين واما
السكران اذا عدم التمييز لسكره فليس مخاطبا فى ذلك الوقت لذهاب عقله وانما هو
مخاطب ما قبل السكر عليه ويتكفر ما ضيع فى وقت سكره من الاحكام التى تقرر
تكليفه اياها قبل السكر والله اعلم قال العلماء وفى هذه الآية دليل بل نص على ان الشرب

كان مباحا في اول الاسلام حتى ينتهي بصاحبه السكر وذلك قبل ان يحرم الخمر
وما ابيح في شئ من الاديان وحملوا السكر في هذه الاية على النوم وقال ابن عباس رضي الله عنه
يحتمل انه كان ابيح لهم من الشراب ما حرم عليهم بعد العشاء والشاعرة والنبيذ قلت
وهذا المعنى موجود في اشعارهم كقول عمرو بن هند رضي الله عنه ألا
ونشرب فنكتر كاملوكا الى اخره وقد تقدم لك في سورة البقرة مستوفى هذا
القفال فاما ما يزيل العقل حتى يصير صاحبه في حد الجنون والاغماء فانه ايضا قبل
بل لو اتفق من غير قصد فكونه مرفوعا عن صاحبه وقول القفال هذا صحيح ويأتي
في سورة المايدة ان شاء الله تعالى في قصة حمزة رضي الله عنه وقال السلف ان الاية
هذه الاية تجتنبون الشرب في اوقات الصلوات فاذا صحا الانسان شربوا ما شاؤا الى ان
حتى ينزل تحريمها في سورة المايدة في قوله تعالى انما الخمر الى قوله فهل انتم
منتهون وقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون قال بعض المفسرين معنى قوله تعالى
حتى تعلموا اي متى تعلموا من غير غلط والسكران لا يعلم ما يقول وقد لك قال عثمان بن
عفان رضي الله عنه ان السكران لا نكرم مطلقته وهذا القول مروي عن ابن عباس وابن
وعطا والقاسم وربيعة وهو قول اللث بن سعد واسحق وابي ثور والمزني واحد واحد
وقال اجمع العلماء على ان طلاق المعتوه لا يجوز والسكران معتوه كالموسوس
بالوسواس ولم يختلفوا في ان من شرب البنج فذهب عقله ان طلاقه غير جايز فكذلك
من سكر من الشراب واجاز طايفة من العلماء طلاق السكران وهذا القول مروي عن عمر
ابن الخطاب ومعاوية وجماعة من التابعين وهو قول الامام ابي حنيفة وسفين الثوري
والاوزاعي واختلف قول الامام الشافعي فيه واما الامام مالك فالزمه الطلاق والقود
من الجراح والقتل ولم يلزمه النكاح والبيع وقال الامام ابو حنيفة افعال السكران وعقوده
بانه كلها كافعال الصاحي الا في حال الردة فانه اذا ارتد لا تبين منه امراته الا استحسانا
وقال ابو يوسف يكون مرتدا في حال سكره وهو قول الامام الشافعي الا انه لا يقتله في حال
سكره ولا يستتيبه وقال الامام ابو عبد الله الماوردي وقد روت عندنا رواية شاذة

انه لا يلزم طلاق السكران • وقال ابن عبد الحكم من اصحاب الامام مالك لا يلزمه طلاق ولا عتاق • وقال ابن شاس ايضا ونزل الشيخ ابو الوليد الخلاف على المخلط الذي معه بقية من عقله الا انه لا يملك الاختلاط من نفسه فيخطي ويصيب • قال فاما السكران الذي لا يعرف الارض من السما ولا الرجل من المراة فلا خلاف في انه كالمجنون في جميع افعاله واحواله فيما بينه وبين الناس • وفيما بينه وبين الله تعالى ايضا الا فيما ذهب وقته من الصلوات • فقيل انها لا تسقط عنه بخلاف عنه • وذلك بخلاف المجنون من اجل انه ما دخاله السكر على نفسه كالمتعمد لتركها حتى خرج وقتها • وقال سفين الثوري حد السكر اختلال العقل • فاذا استقرئ السكران فخلط في قراته وتكلم بما لا يعرف جلد • وقال الامام احمد بن حنبل اذا تغير عقل السكران عن حال الصحة فهو سكران • وحكي نحوه عن الامام مالك • وقال ابن المنذر اذا خلط في قراته فهو سكران • واستدل بقول الله تعالى حتى يعلموا ما يقولون • فاذا كان بحيث لا يعلم ما يقول فانه يجنب المسجد مخافة التلويث • ولا تصح صلاته • وان صلى مضى وان كان بحيث يعلم ما يقول واتى بالصلاة فان حكمه حكم الصاحي • والله تعالى اعلم • وقوله تعالى ولا جنبا قال العلما هذا عطف على موضع الجملة المنصوبة في قوله حتى يعلموا يعني لا تصلوا وقد اجنبتم • ويقال تجنبتم واجنبتم • وجنبتم بمعنى واحد • والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لانه اسم جري مجرى المصدر الذي هو الاجناب • واصل الجنابة البعد سمي الذي اصابه الجنابة جنبا لانه يجتنب الصلاة والمسجد • وقيل سمي جنبا لمجانبته الناس حتى يغتسل • وقال بعض المفسرين ايضا ان لفظ الجنب لا يونث ولا يثنى ولا يجمع لانه على وزن المصدر كالبعد والقرب • قال وربما خففوه فقالوا جنب • وقد قراه قوم كذلك • وقال الفرا يقال جنب الرجل • واجنب من الجنابة • وقيل يجمع الجنب في لغة على اجناب مثل عنق واعناق • وطنب واطناب • ومن قال للواحد جانب قال في الجمع جنابا كقولك راكب وركاب • والاصل فيه البعد كان الجنب بعد بخروج المما الدافق عن حال الصلاه • قال الشاعر ٥

فلا تحرمني نايلا عن جنابة • فاني امرو وسط الخيام غريب • ٥

ورجل جُنب اى غريب والجَنابة مخالطة الرجل المراة واجمع الجمهور من الامة على ان
الجنب هو غير الطاهر من انزال او مجاوزة ختان وقوله تعالى الّا عابرى سبيل
قال العلما العابر ههنا فاعل من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب الى الجانب
الآخر واختلف العلما فى معنى قوله تعالى الا عابرى سبيل على قولين احدهما ان المراد
بالعبور هو العبور فى المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة
ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا فى المسجد فرخص لهم العبور فيه فعلى هذا القول يكون
المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وانتم جنب الا مجتازين فيه اما
للخروج منه او للدخول فيه مثل ان يكون قد نام فى المسجد فاجنب فيجب الخروج منه
او يكون الما فى المسجد فدخل اليه او يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا
قول ابن مسعود وانس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطا الخراسانى
والنخعى والزهرى واليه ذهب الامام الشافعى والامام احمد القول الثانى ان المراد بقوله
تعالى الا عابرى سبيل المسافرين والمعنى ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين
ولم تجدوا الما فتيمموا فمنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا ان يكون فى سفر ولا ما معه
فانه يتيمم ويصلى حتى يجد الما فيغتسل وهذا قول على بن ابى طالب وابن عباس وسعيد
ابن جبير ومجاهد وقتادة فمن جعل عابرى سبيل المسافر منع الجنب من العبور فى المسجد
وهو مذهب الامام ابى حنيفه والله اعلم واختلف العلما رضى الله عنهم فى العبور فى المسجد للجنب
فاباحه قوم على الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال الامام مالك والامام الشافعى ومنعه
بعضهم على الاطلاق وهو قول الامام ابى حنيفه واصحابه وقال بعضهم يتيمم للعبور فى المسجد
واختلفوا فى المكث فى المسجد ايضا للجنب فمنعه اكثر اهل العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث
فى المسجد بحال لما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت جا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه
بيوت اصحابه شارعة فى المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيا رجا ان ينزل لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا
هذه البيوت عن المسجد فانى لا احل المسجد لحايض ولا جنب اخرجه ابو داود وجوز

الامام احمد بن حنبل المكث في المسجد شرط الوضوء وبه قال المزني من اصحاب الامام الشافعي
واجاب الامام احمد عن حديث عائشة بانه في بعض رواته مجهول وقال عبد الحق لا
يثبت من قبل اسناده واستدل الامام احمد لمذهبه بما روى عن عطاء بن يسار قال رأيت
رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون اذا توضوا وضوء
الصلاة اخرجه سعيد بن منصور في سننه واجيب لمذهب الجمهور بعموم الآية وبما
روى عن ام سلمة رضي الله عنها قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى
باعلا صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض اخرجه ابن ماجة وفي صحيح مسلم لا تبقين
في المسجد خوخة الا خوخة ابي بكر فامر صلى الله عليه وسلم سد الابواب لما كان ذلك
مؤديا الى اتخاذ المسجد ممرا والعبور فيه واستثنى صلى الله عليه وسلم خوخة ابي بكر اكراما
له وخصوصية لانها كانت لا يلتزق غالبا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه لم يكن اذن لاحد ان يمر في المسجد ولا يجلس فيه الا علي بن ابي طالب رضي الله عنه رواه
عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ينبغي لمسلم ولا يصلح ان يجنب في المسجد الا انا وعلي قال العلماء وهذا محمول ان يكون
ذلك لان بيت علي رضي الله عنه كان في المسجد كما كان بيت النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد وان
كان البيتان لم يكونا في المسجد ولكن كانا متصلين بالمسجد وابوابهما كانت في المسجد فجعلهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد فقال ما ينبغي لمسلم الحديث والذي يدل على ان
بيت علي كان في المسجد ما رواه ابن شهاب عن سالم بن عبد الله قال سأل رجل عن علي
وعثمان رضي الله عنهما ايهما كان خيرا فقال له عبد الله بن عمر هذا بيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم واشار الى بيت علي الجنب لم يكن في المسجد غيرهما وذكر الحديث فلم يكونا
يجنبان في المسجد وانما كانا يجنبان في بيوتهما من المسجد اذ كان ابوابهما فيه وكانا
يستطرقانه في حال الجنابة اذا خرجا من بيوتهما ويجوز ان يكون له صلى الله عليه وسلم تخصيصا لهما
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خص اشياء فكون هذا مما خص به ثم خص صلى
الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فرخص له فيما لم يرخص فيه لغيره وان كانت ابواب بيوتهم

فى المسجد فلمه كانت فى المسجد ابواب بيوت غير بيته ما حتى سد صلى الله عليه وسلم سدها
الا بيت على • وروى عمرو بن ميمون عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سدوا الابواب الا باب على فحصته صلى الله عليه وسلم بان ترك بابه فى
المسجد • فكان يجنب فى بيته وبيته فى المسجد • واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يبقين فى المسجد
خوخة الا خوخة ابى بكر فان ذلك كان والله اعلم ابوابا تطلع الى المسجد خوخات وابواب
البيوت خارجة من المسجد • فامر صلى الله عليه وسلم بسد تلك الخوخات وترك خوخة ابى
بكر اكراما له • والخوخات كالكوى والطاقة • وباب على رضى الله عنه كان باب البيت الذى
كان يدخل منه ويخرج • وقد فسر ابن عمر ذلك بقوله ولم يكن فى المسجد غيرها • وما قيل
قد شذ عن عطا ابن يسار انه قال كان رجال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تصيبهم الجنابة
فيتوضون وما توا المسجد فيخدثون فيه وهذا يدل على ان المكث فى المسجد للجنب جايز اذا
توضا وهو مذهب الامام احمد واسحق كما ذكرنا • قيل له ان الوضو لا يرفع حدث الجنابة •
وكل موضع وضع للعبادة واكرم عن النجاسة الظاهرة ينبغى ان لا يدخله من لا يؤمن فى تلك
العبادة ولا يصح له ان يتلبس بها والغالب من احوالهم المتقدمة انهم كانوا يختلون فى
بيوتهم • فان قيل ان هذا يبطل بالحديث قيل له ذلك يكثر وقوعه فشق الاحتراز منه
وفى قوله تعالى ولا جنبا الا عابرى سبيل ما يغنى ويكفى لان اذا كان لا يجوز له البث فى
المسجد فاحرى ان لا يجوز له حبس المحدث ولا الجنابة اعظم حرمة • وسيأتى لهذا
مزيد بيان فى سورة الواقعة ان شاء الله تعالى • واعلم انه يكره ان يطاف على الجنب الطواف
وقراءة القران كما يكره له فعل الصلاة • ويدل لذلك ما روى عن ام سلمة وقد تقدم
حديثها • وما روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقضى حاجته ثم يخرج فيقرا القران ويا كل معنا اللحم ولا يحجبه • وبما قال • ولا يحجزه
من القران شى ليس الجنابة • اخرجه ابو داود والنساى والترمذى • ولفظه كان يقرئنا
القران على كل حال ما لم يكن جنبا • وقال حديث حسن صحيح • وروى موسى بن عقبة عن نافع عن ابن
عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرا الحايض والجنب شيا من القران

اخرجه ابن ماجة وعن ابن عباس عن عبد الله بن رواحة رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى ان يقرا احدنا القران وهو جنب اخرجه الدار قطنى وروى عن عكرمة
قال كان عبد الله بن رواحة رضى الله عنه مضطجعا الى جنب امراته فقام الى جارية له
فى ناحية الحجرة فوقع عليها وفرغت امراته فلم تجده فى مضجعه فقامت فخرجت فرأته
على جارية فرجعت الى البيت فاخذت الشفرة يعنى السكين ثم خرجت وفرغ عبد الله
فعام فلقيها تحمل الشفرة فقال مهيم قالت مهيم لو ادركك حيث ادركك لوجأت بين
كتفيك بهذه الشفرة قال واين رايتنى قالت راكبا على الجارية فقال ما رايتنى قال لها
عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يقرا احدنا القران وهو جنب قالت فاقرا
فقال ٥

اتانا رسول الله يتلوا كتابه ٭ كما لاح مشهور من الفجر ساطع ٭
اتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا ٭ به موقنات ان ما قال واقع ٭
يبيت بجافى جنبه عن فراشه ٭ اذا استثقلت بالمشركين المضاجع ٭

فقالت امنت بالله وكذبت البصر ٥ ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فضحك
صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه والله اعلم وقوله تعالى حتى يغتسلوا قال العلما
نهى الله سبحانه عن الصلاة الا بعد الاغتسال والاغتسال معنى معقول ولفظه عند العرب معلوم
تعبر به عن امرار اليد مع الما على المغسول ولذلك فرقت العرب بين قولهم غسلت الثوب
وبين قولهم افضت عليه الما وغمسته فى الما اذا تقرر هذا فاعلم ان العلما رضى الله عنهم ٥
اختلفوا فى الجنب يصب على جسده الما او ينغمس فيه ولا تدلك فهل يصح غسله ام لا فذهب
فالمشهور من مذهب الامام مالك انه لا يجزيه حتى يتدلك لان الله سبحانه امر الجنب بالاغتسال
كما امر المتوضى بغسل وجهه ويديه ولم يكن للمتوضى بد من امرار يديه مع الما على وجهه
ويديه فكذلك جميع جسد الجنب وراسه فى حكم المتوضى ويديه وهذا قول المزنى ايضا
واختاره قال بعض اصحاب الامام مالك وهذا هو المعقول من لفظ الغسل لان الاغتسال
فى اللغة هو الافتعال ومن لم يمرر يده فلم يفعل غير صب الما لا يسميه اهل اللغة غاسلا

وانما يسمونه صابا باللما ومنغمسا فيه • قال وعلى نحو ذلك جاءت الآثار عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال تحت كل شعرة جنابة • الا فبلوا الشعر وانقوا البشرة • قال وانقاوه
والله اعلم لا يكون الا بتشبعه على ما ذكرنا • قال بعض اصحاب الامام مالك لا حجة فيما استدل
به من الحديث • وذلك لوجهين احدهما انه قد خولف في تاويله • قال سفين بن عيينه المراد
بقوله صلى الله عليه وسلم وانقوا البشرة غسل الفرج وتنظيفه • وانه كنى بالبشرة عن الفرج ۞
قال ابن وهب ما رايت اعلم بتفسير الاحاديث من ابن عيينه • الوجه الثاني ان الحديث اخرجه
ابو داود في سننه وقال فيه وهذا حديث ضعيف • فسقط الاستدلال بالحديث وبقي المعول
على اللغة كما ذكرنا • ويعضده ما ثبت في صحيح الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم ابى بصبي فبال
عليه فدعا بما فاتبعه بوله ولم يغسله • رواه عائشة رضي الله عنها • ونحوه عن ام قيس بنت محصن •
اخرجهما مسلم رحمه الله • وقال الجمهور من العلما وجماعة الفقها يجزي الجنب صب الما
والانغماس فيه اذا اسبغ وعمم وان لم يتدلك • وذلك على مقتضى حديث ميمونه وعائشة في غسل
النبي صلى الله عليه وسلم • رواهما الائمة • وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفيض الما على جسده •
وبه قال ابن عبد الحكم من اصحاب الامام مالك • ورواه بعضهم عن الامام مالك • وقال انما
امر اليدين في الغسل لانه لا يكاد من لم يمرر يده عليه يسلم من تنكب الما عن بعض ما يجب
عليه من جسمه • وانكر بعضهم هذا عن الامام مالك • وقال بعضهم انه مروي عنه نصا • قال
مروان بن محمد وهو ثقه من ثقات الشاميين سالت الامام مالك بن انس عن رجل انغمس في ما
وهو جنب ولم يتوضا قال مضت صلاته • قال ابن عبد البر فهذه الرواية فيها لم يتدلك وله
يتوضا وقد اجزاه عند الامام مالك • والمشهور من مذهبه انه لا يجزيه حتى يتدلك قياسا
على غسل الوجه واليدين • وحجة الجماعة في جواز صحة الغسل ان كل من صب عليه الما فقد
اغتسل • والعرب تقول غسلتني السما • وقد حكت عائشه وميمونه صفة غسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يذكرا تدلكا • ولو كان واجبا ما تركه • لانه المبين عن الله مراده •
ولو فعله لنقل عنه كما نقل تخليل اصول شعره بالما وغرفه على راسه وغير ذلك من صفة
غسله ووضوه صلى الله عليه وسلم • قال ابن عبد البر وغير نكير ان يكون الغسل في لسان

الشافعي [illegible] واحمد واسحق وابو ثور واصحاب الرأي في قوله تعالى حتى يغتسلوا وذلك
يقتضي انه وكذلك الوضوء والتيمم [illegible] وقوله انما قوله تعالى
وكلام مالك يجب ذلك [illegible] والاخلاص والنية في القربات لله تعالى
والقصد له ما قاما افترض على عباده [illegible] انما الاعمال
بالنيات والوضوء والغسل عمل [illegible] الوضوء والتيمم خفيفة
وقال الامام ابو حنيفة كل [illegible] غير الطهارة بالماء فانه اجزى الا
بالنية قياسا على ازالة النجاسة بالاجماع من الابدان والثياب طاهرة غير نجسة وروى الليث
ابن سعد عن الامام مالك رضي الله عنهما وأحب اليه ان [illegible] وروى الامام مالك
عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة ام المؤمنين [illegible] ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة [illegible] شريكان لا يكفيهما من
خشبة خشبة قال ابن بطال بنحو [illegible] الغرق فقال لا باس به وقد [illegible]
مد امد النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم ان الغرق ثلاثة آصع وعن انس بن
مالك رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع الى خمسة امداد
وفي رواية كان يغتسل بثلاثة مكاكيك وتوضأ بمكوك رواه الحاكم رضي الله عنه وفي هذه
الاحاديث الشريفة دليل على استحباب تقليل الماء في الوضوء والغسل وان لا ينقص منه الا بمقدار
ما يكفي ولا يكثر منه فان الاكثار منه سرف والسرف مذموم والاكثار من الماء في الوضوء
والغسل انما هو مذهب الامامية من الشيعة [illegible] قلت وفي ان
الماء اذا كان قليلا في الوضوء والغسل فانه يوزن ويوضع تحت العرش وفي رواية ان الوضوء
والغسل اذا كان بماء قليل على حد السواء فان الملائكة تلتقطه قبل ان يصل الى الارض فيصعد
به الى السماء ويوزن لصاحبه ويوضع تحت العرش حتى يوافي به يوم القيامة واما اذا كان
على وجه الاسراف والتعدي فان الملائكة لا يلتفتان اليه ولا ترفعه فاحذر رحمك الله ان
يكون وضوءك واغتسالك على وجه الاسراف ومخالفة السنة فيضعك هذا الخط العظيم والله اعلم

وله

قوله تعالى وان كنتم مرضى الى اخر الايه قال العلماء رضى الله عنهم هذه اية التيمم نزلت
فى شان عائشه رضى الله عنها وقيل نزلت فى شان عبد الرحمن بن عوف على ما سنبينه ان شاء الله تعالى
والمرضى جمع مريض والمرض عبارة عن خروج البدن عن حد الاعتدال والاعتيادِ
الى الاعوجاج والشذوذ وهو على ضربين كثير ويسير فان كان المرض كثيرا بحيث يخاف
صاحبه الموت لبرد الماء او للعلة التى به او يخاف فوات بعض الاعضاء فانه يتيمم بالاجماع الا ما
روى عن الحسن وعطا انه يغتسل وان مات وهذا القول مردود بقول الله عز وجل وما جعل
عليكم فى الدين من حرج وبقوله ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما وروى الدارقطنى عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله عز وجل وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
قال اذا كانت بالرجل الجراحة فى سبيل الله او القروح او الجدرى فيجنب فيخاف ان مات
ان اغتسل تيمم وروى سعيد بن جبير ايضا عن ابن عباس قال رخص للمرض التيمم بالصعيد
وتيمم عمرو بن العاص لما خاف ان يهلك من شدة البرد ولم يامره النبى صلى الله عليه وسلم بغسل
ولا اعادة وان كان المرض يسيرا الا انه يخاف معه حدوث علة او زيادتها او بطء
برؤه فان هو لا يتيمم باجماع من مذهب الامام مالك وقال بعضهم بخلاف فيه قال
ابو الحسن مثل ان يخاف الصحيح نزلة او حمى وكذلك ان كان المريض يخاف زيادة مرض ونحو
ذلك قال الامام ابو حنيفه وقال الامام الشافعى لا يجوز له التيمم مع وجود الماء الا ان
يخاف التلف لان زيادة المرض غير متحققه لانها قد تكون وقد لا تكون ولا يجوز ترك
الفرض المتيقن للمخوف المشكوك والصحيح من قول الامام الشافعى كمذهب الامام مالك وغيره
وذكر عبد الرحيم القشيرى فى تفسيره ان المرض الذى يباح فيه التيمم هو الذى فيه خوف الروح
او فوات بعض الاعضاء لو استعمل الماء فان خاف طول المرض فالقول الصحيح للامام الشافعى
جواز التيمم وروى ابو داود والدارقطنى عن يحيى بن ايوب عن يزيد بن ابى حبيب عن عمران بن
ابى انس عن عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال احتلمت فى ليلة باردة فى
غزوة ذات السلاسل فاشفقت ان اغتسل ان اهلك فتيممت ثم صليت باصحابى الصبح فذكروا
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب فاخبرته الذى

منعنی من الاغتسال وقلت انی سمعت الله عز وجل یقول ولا تقتلوا انفسکم ان الله کان بکم رحیما
فضحک نبی الله صلی الله علیه وسلم ولم یقل شیا فدل هذا الحدیث علی اباحة التیمم مع
الخوف لا مع الیقین وفیه اطلاق اسم الجنب علی المتیمم وجواز صلاة المتیمم بالمتوضیین وهو
احد القولین عند الامام مالک وهو الصحیح وهو الذی اقرأه الامام مالک فی موطاه وقری علیه
الی ان مات والقول الثانی انه لا یصلی لان المتیمم انقص فضیله من المتوضی ومن حکم الامام
ان یکون اعلا رتبه وقد روی الدارقطنی من حدیث جابر بن عبد الله رضی الله عنهما قال
قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لا یوم المتیمم المتوضیین وقال اسناده ضعیف وروی ابو
داود والدارقطنی عن جابر رضی الله عنه قال خرجنا فی سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه فی
راسه ثم احتلم فسال اصحابه هل تجدون لی رخصة فی التیمم فقالوا ما نجد لک رخصة وانت
تقدر علی الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا علی النبی صلی الله علیه وسلم اخبر بذلک فقال قتلوه
قتلهم الله الا سالوا اذ لم یعلموا فانما شفاء العی السوال انما کان یکفیه ان یتیمم ویعصر
او یعصب شک موسی علی جرحه خرقه ثم یمسح علیها ویغسل سایر جسده وقال داود
کل من انطلق علیه اسم المریض فجایز له التیمم لقوله تعالی وان کنتم مرضی قال ابن عطیه هذا
قول خلف وانما هو عند علمائنا لمن خاف من استعمال الماء وتاذیه به کالمجدور
والمحصوب والعلل المخوف علیها من الماء کما تقدم عن ابن عباس رضی الله عنه وقوله تعالی
او علی سفر یعنی او کنتم مسافرین واراد به السفر الطویل والقصیر وعدم الماء فانه یتیمم
ویصلی ولا اعاده علیه لما روی عن ابی ذر رضی الله عنه قال اجتمعت غنیمة عند رسول الله
صلی الله علیه وسلم فقال یا اباذر ابدو فیها فبدوت الی الربذة فکانت تصیبنی الجنابة
فامکث الخمس والست فاتیت رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال ابوذر فسکت فقال ثکلتک
اباذر امک الویل فدعا لجاریة سوداء فجاءت بعس فیه ماء فستترتنی بثوب واستترت بالراحله
فاغتسلت فکانی القیت عنی جبلا فقال الصعید الطیب وضوء المسلم ولو الی عشر سنین فاذا
وجدت الماء فامسسه جلدک فان ذلک خیر اخرجه ابو داود العس قدح من خشب یجعل
فیه الماء للوضوء والاغتسال واختلف العلماء فی التیمم فی الحضر فذهب الامام مالک واصحابه

الى ان التيمم فى الحضر والسفر جايز وهو قول الامام ابى حنيفه ومحمد بن الحسن وقال الامام
الشافعى لا يجوز للحاضر الصحيح ان يتيمم الا ان يخاف التلف وهو قول الطبرى وقال الامام
الشافعى ايضا والليث بن سعد والطبرى اذا عدم الما فى الحضر مع خوف الوقت فان الصحيح
والسقيم يتيمم ويصلى ثم يعيد وقال ابو يوسف وزفر لا يجوز التيمم فى الحضر الا لمرض او
لخوف ذهاب الوقت وقال الحسن وعطا لا يتيمم المريض ولا غير المريض اذا وجد الما ٥
وسبب هذا الخلاف اختلافهم فى مفهوم الآية فقال الامام مالك ومن وافقه ان الله تعالى
ذكر المرضى والمسافرين فى شرط التيمم فخرج على الاغلب فيمن لا يجد الما والحاضرون الاغلب
فيهم وجوده فلذلك لم ينص سبحانه عليهم فكل من لم يجد الما او منعه منه مانع او خاف
فوت وقت الصلاه تيمم المسافر بالنص والحاضر بالمعنى وكذلك المريض سمى بالنص والصحيح
بالمعنى واما من منع التيمم فى الحضر فقالوا ان الله سبحانه جعل التيمم رخصة للمريض
والمسافر كالافطار فى شهر رمضان وقصر الصلاه للمسافر ولم يبح التيمم الا بشرطين
احدهما المرض والثانى السفر فلا دخول للحاضر الصحيح فى ذلك لخروجه من شرط الله سبحانه
واما قول الحسن وعطا الذى منعه جملة مع وجود الما فقال انما شرطه الله تعالى مع عدم
الما لقوله تعالى فلم تجدوا ما فلم يبح التيمم لاحد الا عند فقد الما قال ابن عبد البر
ولولا قول الجمهور وما روى من الاثر لكان قول الحسن وعطا صحيحا والله اعلم وقد
اجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم التيمم لعمرو بن العاص وهو مسافر لما خاف الهلاك
ان اغتسل بالما فالمريض احرى بذلك ومن الدليل على جواز التيمم فى الحضر اذا خاف
فوات الصلاه ان ذهب الى الما الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى او جا احد منكم
من الغايط يعنى المقيم اذا عدم الما هكذا نص عليه القشيرى قال ثم يقع النظر فى وجوب
القضا لان عدم الما فى الحضر عذر نادر وفى القضا قولان وهكذا نص اصحاب
الامام مالك فيمن تيمم فى الحضر هل يعيد اذا وجد الما ام لا فالمشهور من مذهب امامهم
انه لا اعادة عليه وهو الصحيح وبه قال الاوزاعى وقال منهم ابن حبيب وابن عبد الحكم
يعيد ابدا ورواه ابن المنذر عن الامام مالك وقال الوليد عنه يغتسل وان طلعت عليه

الشمس واما دليل السنة فما روى البخاري عن ابي الجهم بن الحارث بن الصمة الانصاري
رضي الله عنهما قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد
النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام واخرجه
مسلم وليس فيه لفظ بئر واخرجه الدارقطني من حديث ابن عمر وفيه ثم رد على الرجل
السلام وقال انه لم يمنعني ان ارد عليك الا اني لم اكن على طهر وقال الامام الشافعي اذا
لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلي
ثم يعيد اذا وجد الماء وقد رعليه وقال الامام ابو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء ٥
وقوله تعالى او جاء احد منكم من الغائط قال العلماء الغائط هو المكان المطمئن
من الارض وجمعه الغيطان والاغواط وبه سمي غوطة دمشق وكان من عاده العرب
اتيان الغائط للحدث تستترا عن اعين الناس فكنوا به عن الحدث وذلك ان الرجل منهم
كان اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه
عن اعين الناس فسمي الحدث بهذا الاسم فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه وقرا
الزهري او جاء احد منكم من الغيط فيحتمل ان يكون اصله الغيط فخفف كهين وميت
ويحتمل ان يكون من الغوط بدلالة قولهم تغوط اذا اتى الغائط فقلب واو الغوط ياء
كما في لاحول لاحيل والله اعلم وقوله تعالى او لامستم النساء قرا نافع وابن كثير وابو
عمرو وعاصم وابن عامر او لامستم وقرا حمزه والكسائي او لمستم وفي معناه ثلاثة اقوال
الاول ان يكون لمستم جامعتم الثاني لمستم باشرتم الثالث لجمع الامرين جميعا ولامستم
معناه عند اكثر العلماء وقال بعض المفسرين ايضا اختلف العلماء في معنى الملامسة على
قولين احدهما انه الجماع وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتاده رضي الله عنهم
ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لان باللمس يوصل اليه قال ابن
عباس ان الله تعالى حيي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني ان المراد باللمس
هنا التقاء البشرتين سواء كان بجماع او بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي
والنخعي رضي الله عنهم ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة في اللمس باليد فما حمله على

الجماع

الجماع فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقه لا المجاز واما قرآة من قرا اولامستم
والملامسة مفاعلة من اللمس لا يدل على المجامعة ايضا على الاطلاق لانه قد ورد في
الحديث النهى عن بيع الملامسة قال ابو عبيد في معناها هي ان تقول اذا لمست ثوبي او
لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة في الحديث بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعمله
في غير المجامعة لم يدل قوله تعالى اولامستم النسآء على صريح الجماع بل حمل على الاصل
الموضوع له وهو اللمس باليد **فصل** في احكام تتعلق بالاية وفيه مسايل **المسئلة**
الاولى اذا افضى الرجل بشئ من بدنه الى شئ من بدن المراة ولا حايل بينهما انتقض وضوءهما
وهو قول ابن مسعود وابن عمر رضى الله عنهما وبه قال الزهرى والاوزاعي والامام الشافعي
ويدل عليه ما روى الامام الشافعي بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال قبلة الرجل امراته
وجسها بيده من الملامسة فمن قبل امراته او جسها بيده فعليه الوضوء واخرجه الامام
مالك في الموطا قال الامام الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال الامام مالك والليث
ابن سعد والامام احمد بن حنبل واسحق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا
ويدل عليه ما روى عن عايشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امراته
من نسايه ثم خرج الى الصلاه ولم يتوضا قال عروة ومن هي الا انت فضحكت اخرجه
ابو داود وقال الامام ابو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس الا ان يحدث الانتشار
وقال قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج من لم
يوجب الوضوء باللمس بما روى عن عايشة رضى الله عنها انها قالت كنت انام بين يدى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورجلاى في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي فاذا قام
بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح اخرجاه في الصحيحين **المسئلة** الثانية
اختلف قول الامام الشافعي في لمس المحرم كالام والبنت والاخت او اجنبية صغيرة
فاصح القولين عنه انه لا ينتقض الوضوء به والثاني انه ينتقض الوضوء به ومما خذ
القولين عند اصحاب الامام الشافعي التردد بين التعلق بعموم الاية في قوله او لامستم النسآء
او النظر الى المعنى في النقض باللمس وهو تحرك الشهوة قالوا فان اخذنا بعموم الاية فينتقض

الوضو بلمس المحارم • وان اخذ ما بالمعنى فلا ينتقض • وفى الملموس قولان • والملموس
هو الذى لا فعل منه فى المباشرة • رجلا كان او امراة • واللامس هو الفاعل للمس وان لم يقصد
المباشرة • فاحد القولين انه ينتقض وضو اللامس والملموس لعموم الاية • لانه لمس وقع بين
الرجل والمراة فينتقض وضوهما معًا • والقول الثانى انه ينتقض وضو اللامس دون
الملموس • لما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليله
من الفراش فالتمسته فوقعت يدى على اخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو
يقول اللهم انى اعوذ برضاك من سخطك • وبمعافاتك من عقوبتك • واعوذ بك منك لا
احصى ثنآ عليك • انت كما اثنيت على نفسك • اخرجه مسلم رحمه الله • قالوا فلو انتقض وضوء
صلى الله عليه وسلم بوضع يدها على قدميه لقطع الصلاة • واما اذا لمس شعر امراة او
سنها او ظفرها فلا وضو عليه • المسالة الثالثة فى الحدث • وهو الخارج من السبيلين
عينًا كان كالبول والغايط • او اثرًا كالريح ونحوها • فاذا حصل شى من ذلك فلا تصح صلاته
ما لم يتوضا او يتيمم عند عدم الماء • لما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضا • فقال رجل من اهل حضرموت
ما الحدث يا ابا هريرة • قال فسا او ضراط • اخرجاه فى الصحيحين • اما خروج النجاسة
من غير السبيلين كالفصد والحجامة والرعاف والقى ونحوها • فذهب قوم الى انه لا وضو
من خروج هذه الاشيا • يروى ذلك عن ابن عمر • وابن عباس • وبه قال عطا وطاوس • والحسن •
وابن المسيب • واليه ذهب الامام مالك • والامام الشافعى • لما روى عن انس رضى الله عنه قال
احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضا ولم يزد على غسل محاجمه • اخرجه
الدارقطنى رحمه الله • وذهب قوم الى ايجاب الوضو من ذلك • منهم سفين الثورى • وابن المبارك •
والامام ابو حنيفة • واهل الكوفه • والامام احمد • واسحق • واتفقوا هولا على ان خروج القليل
منه لا ينقض الوضو • المسالة الرابعة من نواقض الوضو زوال العقل بجنون او اغما
او نوم • لما روى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين
وكا السه فمن نام فليتوضا • اخرجه ابو داود وابن ماجة • ويستثنى من ذلك النوم اليسير

ووضعت

لا عد شيئا بحدث الا الارض ويدل على ذلك ما روى عن انس رضى الله عنه قال
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون هذه الآية الآخرة حتى يخفق رؤسهم ثم
يصلون ولا يتوضؤن اخرجه ابو داود وذهب قوم الى ان النوم لا ينقض الوضوء بكل
حال وهو قول ابن عمر وعائشة رضى الله عنهما وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والبه
ذهب الاوزاعى والامام الشافعى والامام احمد واسحق غير ان الامام الشافعى قال ينقض
النوم اليسير من الكل والرجل والمراة فى ذلك سواء ويدل على ذلك ما روى عن بسرة
بنت صفوان رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصلى حتى
يتوضا اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح وعن ام حبيبة رضى الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضا اخرجه ابن ماجة وصححه
الامام احمد وابو زرعة وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من افضى بيده الى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء اخرجه الامام احمد بن حنبل
رحمه الله وذهب قوم الى ان مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول على بن ابى طالب وابن
مسعود وابى الدرداء وحذيفة من الصحابة رضى الله عنهم وبه قال الحسن والبه ذهب الثورى
وابن المبارك والامام ابو حنيفة واصحابه واحتجوا بما روى عن طلق بن على رضى الله عنه قال
قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل كانه بدوى فقال يا نبى الله ما ترى فى مس
الرجل ذكره بعد ما توضا قال صلى الله عليه وسلم هل هو الا مضغة او قال بضعة منه ۝
اخرجه ابو داود وللترمذى والنسائى نحوه بمعناه والله تعالى اعلم وقوله تعالى
فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا قال العلماء هذا معطوف على ما قبله والمعنى اوجبنا

في آخر الوقت المختار عند بعضهم فلو علم وجود الماء في آخر الوقت قتيمم في اوله وصلى
وقال بعضهم كذلك فان وجد الماء اعاد في الوقت خاصة وقال بعضهم ان وجد الماء
قبل صلوة اعاد ابدا والله اعلم وقال العلماء والذي يراعى من وجود الماء ان يجد منه
ما يكفيه لطهارته فان وجد اقل من الكفاية تيمم ولم يستعمل ما وجده منه وهذا
قول الامام ابي حنيفة والامام مالك وهو احد قولي الامام الشافعي واكثر العلماء لان
الله تعالى جعل فرضه احد شيئين اما الماء واما التراب فاذا لم يكن الماء مغنيا عن التيمم
كان غير موجود شرعا لان المطلوب منه وجود الكفاية وقال الامام الشافعي في القول
الآخر يستعمل ما وجده من الماء ويتيمم لانه واجد ماء فلا يتحقق شرط التيمم فاذا استعمله
وفقد الماء تيمم اذا لم يجد واختلف قول الامام الشافعي ايضا فيما اذا نسي الماء في
رحله فتيمم وصلى انه يعيد لانه اذا كان الماء عنده فهو واجد وانما هو الذي فرط والقول
الآخر لا يعيد وهو قول الامام مالك والامام ابي حنيفة لانه اذا لم يطلبه فلم يجده
واجاز الامام ابو حنيفة الوضوء بالماء المتغير لقول الله تعالى ماء فقال هذا نكرة في سياق النفي
وهو يعم لغة فيكون مفيدا جواز الوضوء بالماء المتغير وغير المتغير لانطلاق اسم الماء
عليه والله اعلم واجمعوا على ان الوضوء والاغتسال لا يجوز بشيء من الاشربة سوى النبيذ
عند عدم الماء والله اعلم والماء الذي يبيح عدمه التيمم هو الطاهر المطهر الباقي على
اصل خلقته وقال بعض من الف في احكام القرآن لما قال الله تعالى فلم تجدوا ماء
فتيمموا فانما اباح التيمم عند عدم كل جزء من ماء لانه لفظ منكر يتناول كل جزء
منه سواء كان مخالطا لغيره او منفردا بنفسه ولا يمتنع احد ان يقول في شذ التمر
ماء فلما كان كذلك لم يجز التيمم مع وجوده وهذا مذهب الامام ابي حنيفة واصحابه
واهل الكوفة واستدلوا على ذلك باحاديث كثيرة والله اعلم واما قوله تعالى فتيمموا
فالتيمم مما خصت به هذه الامة خصها الله تعالى به توسعة عليها وليسهل لها اسباب
العبادة ويدل على ذلك ما روى عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض

تؤمتها طهورا وذكر الحديث وكان سبب [illegible] ما روى عن عائشة رضي الله
عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء
بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس
معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس ابا بكر فقالوا الا ترى الى ما صنعت عائشة
اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى ابو
بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول
الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبني ابو
بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء فانزل الله عز وجل آية التيمم
فقال اسيد بن حضير وهو احد النقباء ما هي باول بركتكم يا آل ابي بكر قالت عائشة فبعثنا
فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته اخرجاه في الصحيحين وفي لفظ
اذاكنا بالبيداء البيداء المفازة والقفر وكل بحر فهي بيداء وجمعها بيد وذات الجيش
اسم موضع وهو على بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير اي اثرناه ورواه بعضهم من
طريق اخر عن عائشة رضي الله عنها قالت كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالابواء حتى
اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي وكانت استعارته من اسماء فضل فاخبر
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالتماسه فالتمس فلم يوجد فاناخ رسول الله
صلى الله عليه وسلم واناخ الناس فبانوا ليلتهم تلك واقاموا على التماسه وليسوا على ماء
وليس عندهم ماء فاتى الناس ابا بكر رضي الله عنه فقالوا الا ترى الى عائشة حبست الناس
على غير ماء فجاء ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام
فعاتبني وقال ما شاء الله وقال فبحها الله من قلادة حبست الناس على غير ماء وقد
حضرت الصلاة ثم طعن في خاصرتي فما منعني من التحرك الا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان واضعا راسه على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ماء
فانزل الله عز وجل آية التيمم قالت فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته

فقال اسيد بن حضير ما هذا باول بركتكم يا آل ابى بكر • جزاك الله خيرا • فوالله ما نزل بك امر قط تكرهينه الا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيرا ٥ واعلم ان اصل التيمم فى اللغة هو القصد • يقال تيممت فلانا • اذا قصدته • وتقول تيممت الصعيد • اذا تعمدته ٥ وانشد الخليل بن احمد • ٥

تيممته الرمح شزرا ثم قلت له • هاذى البسالة لا لعب الزحاليق •

وقال امرو القيس ٥

تيممتها من اذرعاتٍ واهلها • بيثرب ادنى دارها فطرعال •

وقال ايضا ٥

تيممت العين التى عند صارخ • يفيء عليها الظل عرمضها طامِ •

وقال آخر ٥

انى كذلك اذ مالت بى بلد • تيممت بعيرى غيره بلدا •

وقال الاعشى ٥

تيممت قيسا وكم دونه • من الارض من مهمهٍ ذى شزن •

وقال حميد بن ثور ٥

سل الربع انى يممت ام طارقٍ • وهل عادة للربع ان يتكلما •

وقال الامام الشافعى ٥ •

علمى معى حيث ما يممت احمله • بطنى وعاءٌ له لا بطن صندوقِ •

وقال ابن السكيت قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اى اقصدوا • ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه واليدين بالتراب • وقال ابن الانبارى فى قولهم قد تيمم الرجل معناه قد مسح التراب على وجهه ويديه • قلنا وهذا هو التيمم الشرعى اذا كان المقصود به القربة • ويقال يممت المريض فتيمم للصلاة • ويقال رجل ميمم البيت • اى رفيع المجد • وقال بعضهم ايضا هو فى الشرع عبارة عن افعال مخصوصة عند عدم الماء لتادية الصلاة • والله اعلم ٥ واعلم ان لفظ التيمم قد ذكره الله عز وجل فى كتابه •

العزيز فى سورة البقرة وفى هذه السورة وسورة المآيده • والتى فى هذه السوره هى آية
التيمم • والله اعلم • وقال ابو بكر بن العربى هذه معضله ما وجدت لدآيها من دوا عند احد •
هما ايتان فيهما ذكر التيمم احدهما فى النسآ والاخرى فى المايده • فلا نعلم اية آية عنت عاشه
بقولها فانزلت اية التيمم • ثم قال وحديثها يدل على ان التيمم كان قبل ذلك لم يكن معلوما
ولا مفعولا لهم • قال بعضهم اما قول ابن العربى فلا نعلم اية اية عنت عاشه فهى هذه
الآية والله اعلم • وقوله وحديثها يدل على ان التيمم قبل ذلك لم يكن معلوما ولا مفعولا لهم فصحيح
ولا خلاف فيه بين اهل السير • فانه معلوم ان غسل الجنابة لم يفرض قبل الوضو • كما انه
معلوم عند جميع اهل السير ان النبى صلى الله عليه وسلم منذ افترضت عليه الصلاه بمكه لم
يصل الا بوضو مثل وضونا اليوم • فدل ذلك على ان اية الوضو انما نزلت ليكون فرضها
المتقدم متلوا فى التنزيل • وقولها فنزلت اية التيمم • ولم تقل اية الوضو ما يبين ان
الذى طرا لهم من العلم فى ذلك الوقت انما هو حكم التيمم لا حكم الوضو • وهذا بين لا اشكال
فيه • والله اعلم • واعلم ان التيمم يلزم كل مكلف لزمته الصلاه اذا عدم الما ودخل وقت
الصلاه عند الامام مالك والامام الشافعى وجماعة • وقال الامام ابو حنيفة وصاحباه
والمزنى صاحب الامام الشافعى يجوز التيمم قبل دخول الوقت • وذلك لان طلب الما عندهم
ليس بشرط • قياسا على النافله • فلما جاز التيمم للنافله دون طلب الما جاز ايضا للفريضة •
ودليلهم من السنة قول النبى صلى الله عليه وسلم لابى ذر رضى الله عنه الصعيد الطيب وضو
المسلم ولو الى عشر حجج • فسمى صلى الله عليه وسلم الصعيد وضوا • كما سمى الما • فيكون حكمه اذا
حكم الما • والله اعلم • ودليل الاولين قول الله تعالى فلم تجدوا ما • ولا تقال لم يجد الا لمن
طلب ولم يجده • وايضا لانها ظهارة ضرورة كالمستحاضة • ولان النبى صلى الله عليه وسلم قال
فانما ادركتك الصلاه بيممت وصليت • وبه قال الامام احمد ايضا • وهو مروى عن على
ابن ابى طالب وابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم • والله اعلم • واجمع العلما على ان التيمم لا يرفع الجابة
ولا الحدث • وان المتيمم لهما اذا وجد الما عاد جنبا كما كان او محدثا • لقول النبى صلى الله
عليه وسلم لابى ذر فاذا وجدت الما فامسسه جلدك • والله اعلم • واجمعوا ايضا على ان من

تيمم ثم وجد الماء قبل الدخول فى الصلاة بطل بيممه وعليه استعمال الماء والجمهور
على ان من تيمم وصلى وفرغ من صلاته وقد كان اجتهد فى طلبه الماء ولم يكن فى رحله ان
صلاته تامة لانه ادى فرضه كما امر فغير جايز ان يوجب عليه الاعادة بغير حجة ومنهم
من استحب له ان يعيد فى الوقت اذا توضا واغتسل وهذا مروى عن طاوس وعطاء والقاسم
ابن محمد ومكحول وابن سيرين والزهرى ورسعة كلهم يقول يعيد الصلاة واستحب الاوزاعى
ذلك وقال ليس بواجب لما رواه ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال خرج رجلان فى سفر فحضرت
الصلاة وليس معهما ماء فتيمما صعيدا طيبا ثم وجدا الماء فى الوقت فاعاد احدهما الصلاة
والوضو ولم يعد الآخر ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال للذى
لم يعد اصبت السنة واجزاتك صلاتك وقال للذى توضا واعاد لك الاجر مرتين
اخرجه ابو داود واختلف العلماء فيما اذا وجد المتيمم الماء بعد دخوله فى الصلاة
فقال الامام مالك ليس عليه قطع الصلاة واستعمال الماء وليتم صلاته ولتوضا لما استقبل
وبه قال الامام الشافعى واختاره ابن المنذر وقال الامام ابو حنيفه وجماعة منهم
الامام احمد بن حنبل والمزنى انه يقطع الصلاة ويتوضا ثم يستانف الصلاة لوجود الماء
واحتجوا بان المتيمم لما بطل بوجود الماء قبل الصلاة فكذلك سبطل ما بقى منها واذا بطل
بعضها بطل كلها لاجماع العلماء رضى الله عنهم على ان المعتده بالشهور لا يبقى عليها الا اقلها
ثم تحيض انها ستقبل عدتها بالحيض قالوا والذى يطرا عليه الماء وهو فى الصلاة كذلك
قياسا ونظرا واستدل الاولون بقول الله تعالى ولا تبطلوا اعمالكم ولم تثبت سنه
بقطعها ولا اجماع واستدلوا ايضا بان من وجب عليه الصوم فى ظهارا وقتل فصام منه
اكثر ثم وجد الرقبه فانه لا يلغى صومه ولا يعود الى الرقبه فكذلك من دخل فى الصلاة
بالتيمم لا تقطعها ولا يعود الى الوضو بالماء والله اعلم واختلفوا ايضا هل يصلى المتيمم
بتيممه صلوات ام يلزمه التيمم لكل صلاة فرضه ونفل فقال شريك بن عبد الله يتيمم لكل
صلاة فرضه ونافلة وقال الامام مالك يتيمم لكل فرضه لان عليه ان يبتغى الماء لكل
صلاة فمن ابتغى الماء فلم يجده فانه يتيمم وقال الامام ابو حنيفة وسفين الثورى والليث

ابن سعد وجماعة يصلى بتيممه ما شاء من الفرايض والنوافل ما لم يحدث • لانه طاهر ما
لم يجد الماء • وليس عليه طلب الماء اذا يبس منه • والله اعلم • واما قوله تعالى صعيدا
طيبا فقد اختلف العلماء رضى الله عنهم فى الصعيد الطيب ما هو • فقال قتادة الصعيد
الارض التى ليس فيها شجر ولا نبات • قال الله تعالى فتصبح صعيدا زلقا • وقال ذو الرمة
كانه بالضحى ترمى الصعيد به • دبابة فى عظام الراس خرطوم •
وانما سمى صعيدا لانه نهاية ما يصعد اليه من الارض • وقال ابن زيد الصعيد المستوى
من الارض • وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التى لا شئ فيها • وقال الفراء الصعيد
هو التراب • وكذلك قال ابو عبيد فى قول النبى صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات
قال الصعدات الطرق • ما خوذ من الصعيد • وهو التراب • وقيل الصعيد وجه الارض • ولا
تبالى اكان فى الموضع تراب ام لا • لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض • ونقل
الربيع عن الامام الشافعى فى الصعيد • فقال لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذى غبار قاما
البطحاء الغليظه والرقعه فلا يقع عليها اسم الصعيد • فان خالطه تراب او مدر يكون
له غبار كان الذى خالطه هو الصعيد ثم قال ولا سمم بنورة ولا كحل ولا زرنيخ كل هذا
حجاره هذا كلام الامام الشافعى فى تفسير الصعيد • والله اعلم • واختلف اهل العلم رضى الله
عنهم فيما يجوز به التيمم • فذهب الامام الشافعى الى انه يختص بما يقع عليه اسم التراب مما
له غبار يعلق بالوجه واليدين • لان النبى صلى الله عليه وسلم قال جعلت لى الارض مسجدا وترابها
طهورا • فخص التراب بالطهور • ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب • والطيب من الارض
هو الذى ينبت فيها بدليل قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته • فعلى هذا ما لا ينبت فليس
بطيب • وايضا قوله تعالى فى سورة المايده فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه • ومن
للتبعيض هنا • ولا تتاتى ذلك فى الصخر الذى لا تراب عليه • وايضا فانه يقال للغبار صعيد
لانه ما خوذ من الصعود • وهو الارتفاع • ولا يكون ذلك فى الصخر وما اشبهه • والله اعلم
وذهب الامام ابو حنيفة والامام مالك الى انه يجوز التيمم بكل ما كان من جنس الارض
كالرمل والجص والنوره والكحل والزرنيخ ويمنع عند الجميع التيمم على الذهب والفضه والياقوت

تفسير ص

والزمرد والاطعمة كالخبز واللحم وغيرها او على النجاسات وعند الامام ابي حنيفه والامام
مالك لو ضرب يده على صخرة ملسا لاغبار عليها صح تيممه واحتجوا بظاهر الآية قالوا الان
التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض فقوله تعالى فتيمموا صعيدا
طيبا معناه عندهم اقصدوا ارضا فوجب ان يكون هذا القدر كافيا وجوز بعضهم
التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد
يقع على ما تصاعد على الارض والله اعلم وقوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم
قال العلما الوجه المحدود الممسوح في التيمم هو المحدود في الوضو واختلفوا فيما
يجب مسحه من اليد فذهب اكثر اهل العلم منهم عبد الله بن عمر وابنه سالم والحسن وهو
مذهب الامام ابي حنيفة والامام الشافعي الى انه يمسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين
وصورة ذلك ان يضرب كفيه على التراب ويمسح بهما وجهه ولا يجب ايصال التراب الى منابت
الشعور ثم يضرب ضربة اخرى ويفرق اصابعه فيمسح يديه الى المرفقين ويدل
عليه ما روى عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال التيمم ضربتان ضربة
للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه البيهقي ولم يضعفه وروى الامام الشافعي
عن ابرهيم بن محمد عن ابي الكويرث عن الاعرج عن ابن الصمة رضي الله عنه قال مررت على النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه
ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي وهذا حديث منقطع
لان الاعرج لم يسمع هذا من ابن الصمة انما سمعه من عمير
مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال
دخلنا على ابي جهم بن الحارث فقال ابو الجهم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بير
جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فوضع
يده على الحايط فمسح بوجهه ويديه ثم رد عليه السلام وروى ابو داود عن نافع
قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته وكان من حديثه
يومئذ ان قال مر رجل في سكة من سكك المدينه فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد

خرج من غايط او بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه • حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى في
السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على حايط ومسح بها وجهه • ثم ضرب ضربة
اخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام • وقال لم يمنعني ان ارد عليك اولاً الا اني لم
اكن على طهر • وفي رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين • فهذا اجود ما في هذا الباب • فان
البيهقي اشار الى صحة اسناده • وفيه دليل على الحكمين • يعني مسح الوجه واليدين بضربتين
وايصال المسح الى المرفقين • وفيه ايضا دليل على ان التيمم لا يصح ما لم يعلق بالوجه واليدين
غبار التراب • وهو قول الامام الشافعي • وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار بالعصى •
ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته • والله اعلم • وذهب الزهري الى انه يمسح اليدين
الى المنكبين • ويدل عليه ما روى عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال تمسحوا وهم مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا باكفهم الصعيد • ثم مسحوا بوجوههم مسحة
واحدة • ثم عادوا فضربوا باكفهم الصعيد مرة اخرى فمسحوا بايديهم كلها الى المناكب والآباط
ثم بطون ايديهم • اخرجه ابو داود • وذهب جماعة الى ان التيمم ضربه واحدة
للوجه والكفين • وهو قول علي بن ابي طالب • وابن عباس • وبه قال الشعبي • وعطا • واليه
ذهب الاوزاعي • والامام مالك • والامام احمد • واسحق • وداود الظاهري • واحتجوا بما روى
عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت فلم اجد
الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة • ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له
فقال انما كان يكفيك ان تقول بيديك هكذا • ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة • ثم مسح الشمال
على اليمين • وظاهر كفيه وباطنهما ووجهه • وفي رواية ان تقول هكذا • وضرب بيديه الارض
فنفض يديه فمسح وجهه وكفيه اخرجاه في الصحيحين • وجملة القول في هذا ان اليد
اسم لهذه الجارحة • وحدها عند بعض اهل اللغة من اطراف الانامل الى الكوع • وهذا
هو المقطوع في حد السرقة • وقال ابو اسحق الزجاج حدها من اطراف الانامل الى الكتف •
فمن ذهب الى ان الممسوح في التيمم هو الكف قال ان حد اليد هو المقطوع في حد السرقة •
ومن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى المناكب والآباط نظر الى ان مسمى اليد يطلق على جميعها •

ومن ذهب الى ان المسح فى التيمم الى المرفقين قال ان التيمم يدل عن الوضوء واليد
المغسولة فى الوضوء هى الممسوحة فى التيمم فيحمل المطلق الذى فى قوله تعالى فامسحوا على
بوجوهكم وايديكم منه على المقيد الذى فى قوله تعالى فى اية الوضوء فاغسلوا وجوهكم
وايديكم الى المرافق واجاب من ذهب الى هذا عن حديث عمار بان منه بيان صورة
الضرب وليس المراد منه جميع ما حصل به التيمم والله اعلم رجعنا الى التفسير قوله
تعالى ان الله كان عفوا غفورا اى لم يزل سبحانه كذلك يقبل العفو وهو السهل وستر
الذنب اى ستر عقوبة عبده المؤمن بترك معاقبته وقيل عفوا اى متجاوزا عن ذنوب عباده
وصفوح عنهم غفورا اى ساترا على عباده بغفران الذنوب وسترها وفى هذا تنبيه
على ان الله تعالى رخص لعباده امر العباده ويسرها عليهم لان من كان عادته انه يعفو
الذنوب ويصفو عنها لم يرخص العاجز من امر العبادة كان اولى قوله
عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الى اخرها قال المفسرون نزلت هذه
الاية فى يهود المدينة وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى رفاعة بن زيد ومالك بن الدخشم
اليهوديين كانا اذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا السنتهما وعابا ه وقال ابن اسحق
كان رفاعة بن زيد بن التابوت من علمائهم يهود وكان اذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لوى لسانه وقال ارعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ثم طعن فى الاسلام وعابه فانزل الله
عز وجل الم تر يعنى الم تنته علمك يا محمد الى هؤلاء الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى اعطوا
حظا من علم التوراة وذلك انهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وانكروا نبوة سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم فانزل الله تعالى فيهم الآية التى هى للتبعيض وقيل انهم علموا التوراة
ولم يوتوا العمل بها وقوله تعالى يشترون الضلالة يعنى يؤثرون تكذيب نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشى ويحصل لهم الرياسة قال العلماء انما
ذكره الله بلفظ الشرى لانه استبدال شئ بشئ وقيل فيه اضمار يعنى يستبدلون الضلالة
بالهدى ويريدون يعنى اليهود ان تضلوا السبيل يعنى عن السبيل والمعنى انهم يتوصلوا
الى اضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكى يحبنوا عن الاسلام والله اعلم باعدائكم يعنى الله

سبحانه وتعالى اعلم بكنه ما في قلوب اليهود من العداوة والحسد لكم يا معشر المؤمنين فلا
تنصحوهم فانهم اعداؤكم وكفى بالله وليا اى متوليا امركم والقائم بمصالحكم وكفى بالله
وليه لم يضره عداوة احد وكفى بالله نصيرا اى مانعا لكم من شرورهم فتقوا بولايته
قوله تعالى من الذين هادوا قال بعض المفسرين هذا ابتداء كلام للذين اوتوا نصيبا من
الكتاب والتقدير الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقال بعضهم
هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا وقال بعضهم هو ابتداء
كلام وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يزيلونه عن وضعه
ويبدلونه عن مواضعه يعنى يغيرون صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة
وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه
عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم يأخذون بقوله فاذا خرجوا من عنده حرفوا الكلام وبدلوا
المراد بالتحريف الشبهة الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو تحريف اللفظ عن وجهه
الحق الى معنى باطل وقرأ السلمى والنخعى من الذين هادوا يحرفون الكلام عن مواضعه
قال بعض اهل اللغة والكلم فى هذا الموضع اسم لا جمع لانهم انما يحرفون كلم النبى صلى الله عليه وسلم او احكامهم
فى التوريه وليس يحرفون جميع الكلام وقيل معنى يحرفون الكلم اى يتأولونه على غير تأويله
فذمهم الله عز وجل بذلك لانهم يفعلونه متعمدين ويقولون سمعنا وعصينا يعنى سمعنا
قولك وعصينا امرك وذلك انهم كانوا اذا امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ قالوا
فى الظاهر سمعنا وقالوا فى الباطن عصينا وقيل انهم كانوا يظهرون ذلك القول عنادا
واستخفافا واسمع غير مسمع قال العلماء هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما معناها
فى المدح اسمع غير مسمع مكروها واما معناها فى الذم فانهم كانوا يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اسمع منا ولا اسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه
وسلم اسمع ثم يقولون فى انفسهم ولا اسمعت هذا مرادهم لعنهم الله وهم يظهرون انهم انما يريدون
اسمع غير مسمع مكروها ولا اذى وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعوا اليه وقيل
معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ساترا تحبه وراعنا اى ويقولون راعنا يريدون

ذلك نسبته الى الرعونه وقيل معناه ارعنا سمعك اى اصرف سمعك الى كلامنا وانصت
الي قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الانبيا عليهم السلام بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم
والتفخيم والتبجيل وقوله تعالى ليا بالسنتهم وطعنا في الدين قال العلما اصل
ليا لويا لانه من لويت الشي اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان
راعنا من المراعاة فيجعلونه من الرعونه وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا
يعرف ولو كان بنا لدرى انا نسبته فاظهر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم على خبث
ضمايرهم ومافي قلوبهم من العداوة والبغضا وكان ذلك من علامات نبوته فقال
عز من قايل ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا يعني ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا
سمعنا واطعنا واسمع يعني بدل قولهم لاسمعت وانظرنا يعني بدل قولهم راعنا اي
انظر الينا لكان خيرا لهم يعني عند الله واقوم يعني واعدل واصوب ولكن لعنهم الله بكفرهم
يعني سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فلا يومنون الا قليلا يعني فلا يومن الا نفر قليل
مثل عبد الله بن سلام واصحابه رضي الله عنهم وقيل اراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله
خلقهم ورزقهم قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب هذا خطاب لليهود
آمنوا بما نزلنا يعني القران مصدقا لما معكم يعني التوريه قال العلما وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف وكعب بن اسد
فقال لهم يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جيتكم به الحق
فقالوا ما نعرف ذلك يا محمد وانكروا واصروا على الكفر فانزل الله عز وجل هذه الآيه
وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى من قبل ان نطمس وجوها
قال المفسرون اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو ومنه قوله تعالى واذا النجوم طمست
ويقال طمس الاثر وطمس اى امحى كله ومنه قوله ربنا اطمس على اموالهم اى اهلكها
ونطمس ونطمس بكسر الميم وضمها في المستقبل لغتان ومنه قوله ولو نشا لطمسنا
على اعينهم اى اعميناهم وذكروا في المراد بالطمس ها هنا وجهين احدهما ان نحمل على
حقيقته والثاني ان يحمل على مجازه اما من حمله على الحقيقة فقال هو محو وتخطيط

صور الوجوه. قال ابن عباس نجعلها كخف البعير. وقيل نعميها فنكون المراد بالوجه العين فنردها على ادبارها يعني فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفا وقيل نديرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفا الى قدام. وقال قتاده ايضا من قبل ان نجعل الوجوه اقفا اي نذهب بالانف والشفاه والاعين والحواجب. وهذا معناه عند اهل اللغة. وانما جعل الله ذلك عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة. وعند هذا تحصل لهم الغم وتكثر الحسرات. فعلى هذا الوعيد مختص بيوم القيامة. واما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها. وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة. فنردها على ادبارها يعني بتغيير احوالهم فنسلبهم الصغار والذلة بعد العز. وقيل المراد بالطمس محو اثارهم من المدينة. ورددهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام من حيث جاءوا. وهو اجلاء بني النضير. فان قيل قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا فلم يفعل بهم ذلك. قيل له هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على حقيقته. والجواب عنه ان هذا مشروط بعدم الايمان. وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقين. وروي ان عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما سمع هذه الآية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم. وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى تحول وجهي الى قفاي. وكذلك روي عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه الآية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم. وقال يا رب اسلمت مخافة ان تصيبني وعيد هذه الاية. فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يؤمن احد منهم. وهذا الشرط لم يوجد. لانه آمن منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه. فقد فات الشرط لفوات المشروط. وقيل ان الطمس باق في اليهود. فكون فيهم طمس ومسخ قبل يوم القيامة. وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس او باللعنة. وهو قوله او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نجعلهم قرده كما فعلنا بهم. وقيل المراد من لعنهم الطرد والابعاد من الرحمة. والكناية في نلعنهم تعود الى المخاطبين في قوله

يآيها الذين اوتوا الكتاب وهذا على طريقة الالتفات كما فى قوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين
بهم وقيل يحتمل ان يكون معناه من قبل ان نطمس وجوها ونلعن اصحاب الوجوه فتجعل
الكناية فى قوله او نلعنهم من ذكر اصحاب الوجوه اذ كان فى الكلام دلالة عليه والله اعلم
وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا يعنى لابد وان يقع بهم ذلك ان لم يومنوا فلا راد
لحكمه ولا ناقض لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شئ يريد ان يفعله وقيل معناه
وكان مامور الله مفعولا والامر هنا فى موضع المامور سمى امرا لانه عن امره كان
والمعنى وكان امر الله مفعولا قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشآء قال ابن جرير الطبرى معناه يآيها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما
نزلنا فان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآء وعلى هذا يكون فى الآية
دلالة على ان اليهودى يسمى مشركا فى عرف الشرع وقيل ان الآية نزلت فى وحشى واصحابه
وذلك انه لما قتل حمزة رضى الله عنه ورجع الى مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا
انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله
الا بالحق ولا يزنون وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التى حرم الله وزنينا
فلولا هذه الايات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل
الله سيئاتهم حسنات الاية فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قراوها
كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف ان لا نكون من اهل المشية
فنزلت قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم فبعث بها اليهم فدخلوا فى الاسلام ورجعوا الى النبى صلى الله
عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشى اخبرنى كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك
غيب وجهك عنى فلحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادى الذين
اسرفوا على انفسهم الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين

اولا ما فرلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما
دون ذلك لمن يشآ يعنى ويغفر ما دون الشرك لمن يشآ من اصحاب الذنوب والآثام ففى الاية
دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه فى خطر المشيئة ان شآ عفا عنه
وادخله الجنه بفضله وكرمه وان شآ عذبه بالنار ثم يدخله الجنة برحمته واحسانه
لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو مخلد فى النار لقوله
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآ وفى الاية رد على المعتزله
والقدرية حيث قالوا لا يجوز فى الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة وعند اهل السنة ان الله
تعالى يفعل ما يشآ لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك ايضا ما روى عن ابن عمر
رضى الله عنهما قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيره شهدنا
انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآ
فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المومنين الرجل يعمل من
الصالحات لم يدع من الخير شيا الا عمله غير انه مشرك قال عمر رضى الله عنه هو فى النار
فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيا من الشر الا عمله غير انه لم يشرك بالله شيا قال
عمر الله اعلم فقال ابن عباس انى لارجو له كما انه لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا
يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر رضى الله عنه وعن على ابن ابى طالب رضى الله عنه
قال ما فى القران احب الى من هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشآ اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تنزال المغفرة تحل بالعبد ما لم يقع الحجاب قيل
يا رسول الله وما وقع الحجاب قال الاشراك بالله عز وجل ثم قرا ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآ وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لقى الله عز وجل ولا يشرك به شيا دخل الجنة ولم تضره معه خطية
كما لو لقيه وهو يشرك به شيا دخل النار ولم تنفعه حسنة وعن جابر رضى الله عنه
قال جآ اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك

ما لم يشأ دخل الجنة ومن يشرك به دخل النار وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله يغفر الذنوب جميعا فقال له رجل ما رسول الله والشرك فنزلت ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهذا من المحكم المتفق عليه الذي لا
اختلاف فيه بين الامة ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من المتشابه الذي قد تكلم العلماء
فيه فقال محمد بن جرير الطبري قد دلت هذه الآية ان كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله
عز وجل ان شاء عفا عنه بفضله وان شاء عاقبه عليه ما لم تكن الكبيرة شركا بالله عز وجل
وقال بعضهم قد بين الله عز وجل ذلك بقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر
عنكم سيئاتكم وادخلكم مدخلا كريما فاخبر انه ان يغفر الصغائر لو اجتنبت الكبائر ولا يغفر ما
دون ذلك من الكبائر وذهب بعض اهل التاويل الى ان هذه الآية ناسخة للتي في آخر الفرقان
قال زيد بن ثابت رضي الله عنه نزلت سورة النساء بعد الفرقان بستة اشهر والصحيح
انه لا نسخ لان النسخ في الاخبار محال وسيأتي بيان الجمع بين الآيين في هذه السورة
وفي الفرقان ان شاء الله تعالى قوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم قال
بعض المفسرين نزلت هذه الآية في رجال من اليهود اتوا بأطفالهم الى النبي صلى الله عليه
وسلم فيهم بحري بن عمرو ونعمان بن اوفى ومرحب بن زيد فقالوا يا محمد هل على هؤلاء
من ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملناه
بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال الحسن والضحاك ومقاتل
والسدي نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى قال العلماء والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان
نفسه بالصلاح والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله عز وجل فلا
تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى لان التزكية متعلقه بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا
يعلم حقيقتها الا الله تعالى ولا تصلح التزكية الا من عند الله عز وجل فلهذا قال الله
تعالى جل الله تزكي من يشاء ويدخل في هذا المعنى كل من زكى نفسه بصلاح او وصفها بزكاء
العمل وبزيادة الطاعة والتقوى وبزيادة الزلفى عند الله تعالى وهذه الاشياء

لا يعلمها الا الله عز وجل فلهذا قال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وسمى قوله
تزكون انفسهم يزعمون انهم ازكيا لانهم برؤوا انفسهم من الذنوب فقال الله بل الله
عليهم بل الله يزكي من يشا فيجعله زاكيا قال العلما معنى الآية وقوله فلا تزكوا
انفسكم يقتضي الغض من المزكي لغضه بلسانه والاعلام بان المزكا من حسنت افعاله
وزكاه الله عز وجل فلا عبرة بتزكية الانسان نفسه وانما العبرة بتزكية الله تعالى
وفي صحيح مسلم عن محمد بن عمرو بن عطا رضي الله عنه قال سميت ابنتي برة فقالت لي
زينب بنت ابي سلمة رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم وسميت
برة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزكوا انفسكم الله اعلم باهل البر منكم فقالوا
بم نسميها قال سموها زينب فقد دل الكتاب والسنة على المنع من تزكية الانسان
نفسه قال بعض العارفين ويجري هذا المجرى ما قد كثر في اقطار البلاد
كبلاد الشام ومصر والحجاز والعجم من تعظيم الصوت التي يقتضي التزكية كزكي
الدين ومحيي الدين وشرف الدين وولي الدين وتاج الدين وشمس الدين وبهاء الدين وفخر الدين
وما اشبه ذلك لكن لما ظهرت فضايح المسلمين بهذه الاسما ظهر تخلف هذه الصوت عن
اصلها فصارت لا تفيد شيا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ان الرجل ليجيء
من ربه ومعه دينه فيأتي الرجل لا ملك له ولا لنفسه ضرا ولا نفعا فيقول والله انك
لذيت وذيت طعمة لا تخلوا منه بشي ثم يرجع الى ربه وما معه من دينه شي ثم قرا
عبد الله الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشا اي يطهر من الذنوب ويبرئ
ويصلح من يشا ممن كان اهلا لذلك قال العلما واما تزكية الغير ومدحه له ففي
صحيح البخاري من حديث ابي بكرة رضي الله عنه ان رجلا ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم
فاثنى عليه رجل خيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك قطعت عنق صاحبك يقوله
مرارا ان كان احدكم مادحا اخاه لا محالة فليقل احسب كذا وكذا ان كان يرى انه
كذلك وحسيبه الله ولا يزكي على الله احدا فنهى صلى الله عليه وسلم ان يعتاد في مدح
الرجل بما ليس فيه فيحمله ذلك على تضييع العمل وترك الازدياد من الفضل ويدخله

في ذلك الاعجاب والكبر ويظن انه في الحقيقة بتلك المنزلة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
وحك قطعت عنق صاحبك وفي الحديث الاخر قطعتم ظهر الرجل حين وصفوه بما ليس
فيه وعلى هذا تاول العلما قول النبي صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين
بان المراد بالمداحين هم الذين يمدحون الناس في وجوههم بالباطل وبما ليس فيهم حتى يحملوا
ذلك خداعة ستناكلون به الممدوح ويفتنونه والعياذ بالله فاما مدح الرجل بما
فيه من الفعل الحسن والامر المحمود ليكون منه ترغيبا له في امثاله وتحريضا للناس على
الاقتداء به في اشباهه فليس بمداح وان كان قد صار مادحا بما تكلم به من جميل
القول فيه وهذا انما يكون راجعا الى النيات والله يعلم المفسد من المصلح وقد مدح
النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر والخطب والمخاطبة ولم يحث في وجوه المادحين التراب
ولا امر بذلك كقول ابي طالب ن

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

وكمدح العباس وحسان في شعرهما ومدحه كعب بن زهير ومدح هوانضا اصحابه
رضي الله عنهم انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع واما قوله صلى الله عليه
وسلم في صحيح الحديث لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله
فمعناه لا تصفوني بما ليس في من الصفات ملتمسون بذلك مدحي كما وصفت النصارى
عيسى بما لم يكن فيه فنسبوه الى انه ابن الله فكفروا بذلك وضلوا قال العلما وهذا يقتضي
ان من رفع امرا فوق حده وتجاوز مقداره مما ليس فيه فهو متعد آثم لان ذلك لو جاز
في احد لكان اولى الخلق بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك قوله تعالى بل الله يزكي
من يشآء ولا يظلمون فتيلا يعني ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على سلك التزكية من غير
ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيا والفتيل المفتول
فسمي ما يكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقال ابن عباس وعطا ومجاهد الفتيل
هو الخط الذي في شق نواة التمرة وقيل هو القشرة التي حول النواة بينها وبين الشمرة
وقيل هو ما يفتله بين اصابعك من وسخ وغيره وهذا كله يرجع الى الكناية عن تحقير

الشيء وصغيره وان الله تعالى لا يظلمه شيا ومثل هذا ايضا في التحقير قوله تعالى ولا
يظلمون نقيرا والنقير هو النكتة اى النقطة التي في ظهر النواة ومنه تنبت النخلة
وسيأتي ذكره قال الشاعر يذم بعض الملوك ٥
تجمع الجيش ذا الالوف وتغزوا ثم لا تترزا العدو فتيلا ٥
ثم ان الله تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال عز من قائل انظر اى يا محمد الى
هولاء اليهود كيف يفترون على الله الكذب يعني قولهم لا ذنوب لهم وتزكيتهم انفسهم وقيل
افتراوهم على الله الكذب هو قولهم نحن ابناء الله واحباؤه قال العلماء والافتراء الاختلاق ٥
ومنه يقال فلان افترى على فلان اى رماه بما ليس فيه وتقول فريت الشيء اى قطعته
ثم قال عز وجل وكفى به اثما مبينا اى كفى بذلك الكذب اثما مبينا ومبينا منصوب على
البيان والله اعلم قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يومنون
بالجبت والطاغوت قال المفسرون انزل الله عز وجل هذه الاية في كعب بن الاشرف وسبعين
راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف
على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزل باقي اليهود على قريش في دورهم فقال لهم اهل مكة انتم
اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم
الى قتال محمد فاسجدوا لهذين الصنمين فسجدوا لهما فذلك قول الله تعالى يومنون بالجبت
والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجيء منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق
اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب
ابن الاشرف انكم امرو تقرا الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى سبيلا نحن ام
محمد فقال كعب اعرض على دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري
الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد
فارق دين ابايه وقطع الرحم وفارق الحرم ودينا القديم ودين محمد الحديث فقال
كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله عز وجل هذه الاية الم تر يعني يا محمد

الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن الاشرف واصحابه اليهود يؤمنون بالجبت
والطاغوت يعني به سجودهم للصنمين واختلف العلماء في تفسير الجبت والطاغوت
فقال عكرمة هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد لهما اهل مكة وقال
وقيل هما كل معبود دون الله من حجر او مدر او صورة او شيطان وقال ابن عباس
الجبت الاصنام والطاغوت تراجمة الاصنام الذين يكونون بين ايديهم يعبرون عنهما
الكذب ليضلوا الناس وقيل الجبت الاوثان والطاغوت شياطين الاوثان وكل صنم
شيطان يعبر عنه وقيل الجبت الحيات والطاغوت الكاهن وقال الضحاك الجبت حيي
ابن اخطب اليهودي والطاغوت كعب بن الاشرف اليهودي بدليل قوله تعالى يريدون ان
يتحاكموا الى الطاغوت وقيل الجبت ابليس والطاغوت اولياؤه وقيل الجبت والطاغوت
كل معبود سوى الله او مطاع في معصية الله وهذا قول حسن وعن قطن بن قبيصة
عن ابيه رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة
والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل
العيافة هو زجر الطير وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج لامر زجر طيرا
فان اخذ ذات اليمين مضى في حاجته وان اخذ ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك
والطرق هو ضرب الحصا والخط على طريق الكهانة فنهوا عنه والطيرة هو ان يتطير
بالشيء فيرى الشوم فيه والشؤم منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطائر والخط هو
ضرب الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما حرم الله تعالى والطاغوت كل ما
يطغي الانسان وقال مجاهد الجبت حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف كما قدمنا وكانا لصنما الله
طاغية اليهود وقال الله عز وجل ويقولون يعني كعب بن الاشرف واصحابه للذين كفروا
يعني لكفار قريش هؤلاء يعني انتم يا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم واصحابه يعني انتم اهدى منهم طريقا قال الله عز وجل اولئك الذين لعنهم
الله يعني كعب بن الاشرف واصحابه ومن يلعن الله يعني يطرده من رحمته فلن تجد له
نصيرا يعني ينصره من دون الله ثم قال عز وجل ام لهم نصيب من الملك ومعنى

وهكذا استفهام انكار نعم ليس لهم من الملك شيء البتة وذلك انهم كانوا يقولون
نحن اولى بالملك والنبوة ونحن اولاد الانبياء والملوك ومن اين لمحمد النبوة فكذبهم
الله تعالى بهذا عن دعواهم الباطلة بقوله فاذا لا يؤتون الناس نقيرا وهذا
جواب الجزاء وهو مضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس
منه نقيرا وصفهم سبحانه بالبخل في هذه الآية ووصفهم بالجهل في الآية المتقدمة
ووصفهم بالحسد في الآية الآتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يكون الملك
وهي حاصلة فيهم وقال بعضهم في قوله تعالى ام لهم نصيب من الملك اي الكفر والبخل
وهذا على وجه الانكار يعني ليس لهم من الملك شيء واذا كان لا يؤتون الناس
شيئا لبخلهم وحسدهم والنقير هي النقطة التي تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة
ويضرب به المثل في الشيء الحقير التافه الذي لا قيمة له وقيل النقير ما انتقر الرجل
باصبعه كالبئر ونحوها وقال ابو العالية سالت ابن عباس عن النقير فوضع طرف
الابهام على باطن السبابة ثم رفعهما كهيئة هذا النقير والقطمير هو القشر
الذي يكون على النواة وفيه جاء النهي عن نقش المساجد وقيل للانسان كريم النقير اي كريم الاصل وانما
قوله عز وجل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله قال ابن عباس الحسد هنا
الحسد هنا زوال النعمة عن من هو مستحق لها وربما كون ذلك مع تمني ان تكون له
واعلم ان الله تعالى وصف اليهود بشر خصاله وهي الحسد والمراد بالناس سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لانه صلى
الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة ومن
هذا القبيل قولك فلان استه وحده اي انه يقوم مقام امة وقيل المراد بالناس النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله على الجمع اولى والمراد
بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب وقيل حسدوه على ما احل الله له
من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله امر النبوة عن
الاهتمام بامر النساء فاكذبهم الله عز وجل ورد عليهم بقوله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب

والحكمة يعني انه قد حسد فاولاد ابرهيم عليه السلام جماعة كثيرون حصر ايد
الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة والمعنى
كيف تحسدون نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا
آل ابرهيم الكتاب والحكمة وانتم لا تحسدون غيره والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة
النبوة وآتيناهم ملكا عظيما يعني ولم يشغلهم عن النبوة ومن فسر الفضل بكثرة النساء
فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النساء فانه كان لداود مائة امرأة ولسليمان
الف امرأة ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين نسوة ولم يكن ذلك مستبعدا في حقهم ولا نقصا في نبوتهم والكون
مستبعدا في حق سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصا في نبوته والله اعلم مراده
وقال الخواص حسدت اليهود قريشا لكون النبوة خرجت فيهم والحسد مذموم
وصاحبه مغموم وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب رواه انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقال الحسن ما رأيت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد نفس دائم وحزن لازم
وعبرة لا تنفد وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ايها الناس لا تحاسدوا نعم الله قيل
له ومن يجاري نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله يقول الله
جل جلاله في بعض كتبه المنزلة الحسود عدو نعمتي مسخط لقضائي غير راض بقسمي
وانشد منصور الفقيه

الا قل لمن ظل لي حاسدا ... اتدري على من اسأت الادب
اسأت على الله في حكمه ... اذ انت لم ترض لي ما وهب

وقال الحسد اول ذنب عصي الله به في السما وأول ذنب عصي به في الارض فاما
في السما فحسد ابليس لآدم واما في الارض فحسد قابيل لهابيل وانشد
ابو الحتامية في الناس

يا رب ان الناس لا ينصفوني ... فكيف ولو انصفتهم ظلموني
وان كان لي شيء تصدقوا لاخذه ... وان جئت ابغي نعمة منعوني

وان نالهم بذلی فلا شکر عندهم ۞ وان انا لم ابذل لهم شتمونی ۞
وان طرقتنی نکبة فرحوا بها ۞ وان صحبتنی نعمة حسدونی ۞
تمنع قلبی ان یحل الیهم ۞ واحجب عنهم ناظری وجفونی ۞
وقال بعضهم اذا سرک ان تسلم من الحاسد فمت علیه امرک ۞ وانشد رجل من قریش ۞
حسدوا النعمة لما ظهرت ۞ فرموها بالسهام الکلم ۞
واذا ما الله اسدی نعمة ۞ لم یضرها قول اعدا النعم ۞
ولقد احسن من قال ۞
اصبر علی حسد الحسود فان صبرک قاتله ۞ فالنار تاکل بعضها ان لم تجد ما تاکله ۞
یکفیک منه بانه ۞ حی یذوب حشا صدره ۞
وقال بعض اهل التفسیر فی معنی قول الله عز وجل ربنا ارنا الذین اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا لیکونا من الاسفلین انه اراد بالذی من الجن ابلیس وبالذی من الانس قابیل وذلک ان ابلیس اول من سن الکفر وقابیل اول من سن القتل وانما کان اصل ذلک کله الحسد وقال الشاعر ۞
ان العذاب وکان شیئا ۞ فیما مضی من سالف الاحوال ۞
حسد الغطاة فراعهم شیئا ۞ فاصابه ضرب من الاهمال ۞

فصل فی احادیث وردت فی ذم الحسد وفضل سلامة الصدر

عن ابی هریرة رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ایاکم والظن فان الظن اکذب الحدیث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وکونوا عباد الله اخوانا کما امرکم الله المسلم اخو المسلم لا یظلمه ولا یخذله ولا یحقره التقوی ها هنا التقوی ها هنا ویشیر الی صدره بحسب امرئ من الشر ان یحقر اخاه المسلم کل المسلم علی المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه البخاری ومسلم وعنه رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ایاکم والحسد فان الحسد یاکل الحسنات کما تاکل النار الحطب الحدیث رواه الترمذی وغیره وعن ضمرة بن ثعلبة رضی الله عنه قال

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال الناس بخير مالم يتحاسدوا • رواه الطبرانى
وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس منى ذو حسد
ولا نميمة ولا كهانة ولا انا منه • ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية والذين
يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا • رواه الطبرانى
وفيه ايضا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا اخاف على امتى الا ثلاث خلال • ان تكثر
لهم الدنيا فيتحاسدون الحديث • وعن عبد الله بن كعب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما ذيبان جايعان ارسلا فى زريبة غنم بافسد لها من الحرص على المال
والحسد فى دين المسلم • وان الحسد ليا كل الحسنات كما تا كل النار الحطب • وفى روايه
اياكم والحسد فانه ما كل الحسنات كما تا كل النار العشب • وعن الزبير رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء • هى الحالقة
اما انى لا اقول تحلق الشعر • ولكن تحلق الدين • رواه البزار وغيره • وعن انس بن مالك رضى
الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى ان قدرت على ان تصبح وتمسى وليس فى
قلبك غش لاحد فافعل • رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب • وعن انس بن مالك رضى الله
عنه قال كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع الان عليكم رجل من اهل
الجنة فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوه • قد علق نعليه بيده الشمال • فلما
كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك • فطلع ذلك الرجل مثل المرة الاولى •
فلما كان اليوم الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقالته ايضا فطلع ذلك الرجل
على مثل حاله الاولى • فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو فقال
انى لاحيتت ابى فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلاثا فان رايت تؤوينى اليك حتى تمضى فعلت •
قال نعم • قال انس رضى الله عنه وكان عبد الله يحدث انه بات معه تلك الثلاث
الليالى فلم يره يقوم من الليل شيأ غير انه اذا تعار يقلب على فراشه ذكر الله وكبر
حتى لصلاة الفجر • قال عبد الله غير انى لم اسمعه يقول الا خيرا • فلما مضت الثلاث الليالى
وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بينى وبين ابى غضب ولا هجرة ولكن سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات يطلع عليكم الآن رجل من اهل الجنة
فطلعت اثنتَ الثلاثَ المرات فاردت ان آوىَ اليك فانظر ما عملك واقتدى بك فلم ارك
عملت كبير عمل فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما هو الا ما رايت
فلما ولت دعانى فقال ما هو الا ما رايت غير انى لا اجد فى نفسى لاحد من المسلمين غشا
ولا احسد احدا على خير اعطاه الله اياه فقال عبد الله هذه التى بلغت بك رواه الامام احمد
ورواه ايضا البزار وقال فى اخره الا انى لم ابت ضاغنا على مسلم او كلمة نحوها فقال عبد الله
هذه التى بلغت بك وهى التى لا نطيق ورواه ايضا البيهقى وقال فيه فقال عبد الله بن عمرو ما
انا بالذى انتهى حتى ابايت هذا الرجل فانظر عمله فذكر الحديث فى دخوله عليه قال
فبتنا ولنى عباءة فاضطجعت عليها قريبا منه فجعلت ارمقه بعينى ليلة كلما تعار سبح
وكبر وهلل وحمد الله تعالى حتى اذا كان فى وجه السحر قام فتوضا ثم دخل المسجد فصلى اثنتى
عشرة ركعة باثنتى عشرة سورة من المفصل ليس من طوال هن ولا قصارهن يدعو فى كل ركعتين
بعد التشهد ثلاث دعوات نقول اللهم اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا
عذاب النار اللهم اكفنا ما اهمنا من آخرتنا ودنيانا اللهم انا نسالك من الخير كله ونعوذ
بك من الشر كله حتى اذا فرغ قال فذكر الحديث فى استقلاله عمله وعوده اليه ثلاثا الى
ان قال فقال آخذ مضجعى وليس فى قلبى غمر على احد والغمر هو الحقد وعن
عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قيل يا رسول الله اى الناس افضل قال كل مخموم القلب
صدوق اللسان قالوا صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب قال هو التقى النقى لا اثم فيه
ولا بغى ولا غل ولا حسد رواه ابن ماجه وغيره وروى عن الحسن رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان بكل آمتى لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكن
دخلوها برحمة الله تعالى وسخاوة الانفس وسلامة الصدور رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب
الاولياء وعن ابى ذر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اخلص
قلبه للايمان وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة
رواه البيهقى رحمه الله وعن ابن ثم قال عز من قايل حاكيا عن اليهود فمنهم من آمن به

ای النبی صلی اللہ علیہ وسلم وما انزل الیہ کعبد اللہ بن سلام واصحابہ او ان النبی صلی اللہ علیہ
وسلم الذی یقدم ذکرہ فی الحدیث ومنہم من صد عنہ ای اعرض عنہ ولم یؤمن بہ
وقیل الضمیر فی بہ وما بعدہ لابراہیم علیہ السلام والمعنی فمن آل ابراہیم من آمن بہ ومنہم
من صد عنہ وقیل یرجع الضمیر الی الکتاب او الی اسماعیل وکفی بجہنم سعیرا ای کفی فی عذاب
من اعرض عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم او عن الکتاب قولہ تعالی ان الذین کفروا بآیاتنا سوف
نصلیہم نارا قال الحسن ومن عبد من دون اللہ تعالی الذین اقاموا علی الکفر وکذبوا بما
انزل اللہ علی عبدہ محمد صلی اللہ علیہ وسلم من بعد ما عرفوہ وغیرہم ممن مات کافرا والمعنی
ان الذین جحدوا ما انزلت علی محمد صلی اللہ علیہ وسلم من ایات الملۃ علی نبوۃ
محمد صلی اللہ علیہ وسلم سوف نصلیہم نارا ای ندخلہم نارا تشوی وجوہہم
وقرا احمد بن فلیح فی کتابہ نصیہم بالنون ومعناہ فشویہم وقال شاۃ مصلیۃ ای
مشویۃ وقولہ کلما نضجت جلودہم ای احترقت بدلناہم جلودا غیرہا یعنی
غیر الجلود المحترقۃ قال ابن عباس رضی اللہ عنہ یعیدون جلودا بیضا کاشد القراطیس
وروی ان عمر رضی اللہ عنہ قرأ ہذہ الآیۃ فقال یا رسول اللہ فاین جلودنا یومئذ
فقال عمر القاری اعدہا فاعادہا وکان عند معاذ بن جبل رضی اللہ عنہ فقال معاذ عندی غیر ہا تبدل فی کل
ساعۃ سبعین مرۃ فقال عمر کذبت یا عدو نفسک سمعت رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم یقول ذلک
وروی البغوی بسنادہ عن ابی ہریرۃ رضی اللہ عنہ ما بین منکبی الکافر فی النار مسیرۃ ثلاثۃ ایام
للراکب المسرع وروی مسلم عن ابی ہریرۃ ایضا قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم
ضرس الکافر او قال ناب الکافر مثل احد وغلظ جلدہ مسیرۃ ثلاثۃ فان قیل
کیف تعذب جلود لم تکن فی الدنیا ولم تعص قیل لہ یعاد الجلد الاول وکل مرۃ
وانما قال تعالی جلودا غیرہا لتبدیل صفتہا کما تقول صنعت من خاتمی خاتما غیرہ
فالثانی ہو الاول غیر ان الصیاغۃ بدلت الصفۃ وقیل ان العذاب لیس لہا لحاسۃ
ہی النفس التی عصت واذا کان ذلک فغیر مستحیل ان یخلق اللہ للکافر فی کل ساعۃ من
الجلود ما لا یحصی لتحترق ویصل الما الیہ وقیل المراد بالجلود السرابیل وہو قولہ تعر

ثم قالت رحم الله لبيدا فكيف لو ادرك زماننا هذا • فقال ابن عباس لئن كانت عائشة ذمت
دهرها لقد ذمت عادا بضا دهرها • وذلك انه وجد في خزانه عاد بعد ما هلكت سهم
كاطول ما يكون من رماحكم عليه مكتوب ٥

وليس الي اجبال طيٍّ بذي اللوي ۞ لدى الرمل من قبل الممات معاد ۞
بلاد بها كنا ونحن نحبها ۞ اذا الناس ناس والبلاد بلاد ۞
فالبلاد باقية كما هي الا ان احوالها واحوال اهلها تنكرت وتغيرت ٥

وقيل المراد بالجلود سرابيلهم • كما قال تعالى سرابيلهم من قطران • سمت جلود اللزومها
جلودهم على المجاورة • كما يقال للشئ الخاص بالانسان هو جلدة ما بين عينيه • وانشد عمر بن الخطاب لما مات
يلومونني في سالم والومهم ۞ وجلدة ما بين العين والانف سالم ۞ ولد ولد عبد الله بن عمر وهو
فكلما احترقت السرابيل اعيدت ٥ قال الشاعر سالم بن عبد الله بن عمر وكان
كسى اللوم تيما خضرة في جلودها ۞ فويل لتيم من سرابيلها الخضر ۞ فرد وجد عليه حتى لامه الناس في
فكنى عن الجلود بالسرابيل ٥ والله تعالى اعلم وقوله تعالى ليذوقوا العذاب اي انما بكاء فقال
فعلنا بهم ذلك ليجدوا الم العذاب وكربه وشدته • وانما اتى بلفظ الذوق مع ما
نالهم من عظم العذاب الذي نالوه اخبارا بان احساسهم به في كل حال كاحساس الذائق
في تجديد وجدان الذوق من غير نقصان في الاحساس ان الله كان عزيزا يعني في
انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شئ ولا يمتنع عليه احد حكيما يعني في تدبيره
وقضايه • وانه تعالى لا يفعل الا ما هو الصواب والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
يعني سوف ندخلهم يوم القيامة جنات تجري من تحتها الانهار اي تجري من تحت دورهم
وقصورهم • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهار الجنة
تخرج من تحت تلال المسك • او قال جبال المسك • وعن سماك انه لقي عبد الله بن عباس بالمدينة
بعد ما كف بصره • فقال يا ابن عباس ما ارض الجنة • قال مرمرة بيضاء من فضة كانها مرآة •
قلت ما نورها • قال اما رايت الساعة التي يكون فيها طلوع الشمس • فذلك نورها • الا انه
قال ليس فيها شمس ولا زمهرير • قال قلت فما انهارها افي اخدود • قال لا • ولكنها تجري

على ارض الجنة مسكفه لا نفض ها هنا ولا ها هنا • قال الله لها كوني فكانت • قلت فما حلل الجنة • قال فيها شجرة فيها ثمر كانه الرمان • فاذا اراد ولي الله منها كسوة اخذت اليه من غضنها فانفلقت له عن سبعين حلة الوانا بعد الوان • ثم تنطبق فترجع كما كانت • رواه ابن ابي الدنيا • وعن حكيم بن معاوية القشيري عن ابيه رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الجنة بحر للماء وبحر للبن وبحر للعسل وبحر للخمر • ثم تشقق الانهار منها بعد • رواه البيهقي • وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال لعلكم تظنون ان انهار الجنة اخدود في الارض • لا والله انها لسائحة على وجه الارض • احدى حافتيها اللولو والاخرى الياقوت وطينه المسك الاذفر • قال قلت ما الاذفر • قال الذي لا خلط له • رواه ابن ابي الدنيا • وعن انس ايضا نضاختان بالمسك والعنبر تنضخان على دور الجنة كما تنضح المطر على دور اهل الدنيا • رواه ابن ابي شيبة موقوفا • وقوله تعالى لهم فيها ازواج مطهرة يعني مطهرات من الحيض والنفاس والبصاق والمخاط وسائر اقذار الدنيا • عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المراة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها • وذلك ان الله عز وجل يقول كانهن الياقوت والمرجان • وعن سعيد بن عامر بن حذيم رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو ان امراة من نساء اهل الجنة اشرفت لملات الارض ريح مسك • ولاذهبت ضوء الشمس والقمر • رواه الطبراني وغيره • وقال ابن عباس رضي الله عنه ان في الجنة حورا لقال لها العينا لو بزقت في البحر لعذب مما البحر كله • مكتوب على نحرها من احب ان يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربي • وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار يا ابا يحيى شوقنا • قال يا عطاء ان في الجنة حورا ينبغي ان يتباهى بها اهل الجنة من حسنها لولا ان كتب على اهل الجنة ان لا يموتوا لماتوا عن اخرهم من حسنها • قال فلم يزل عطاء كمدا من قول مالك اربعين يوما • وقوله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا يعني كنينا ذلك الظل لا تنسخه الشمس • ولا يوذيهم فيه حر ولا برد • وذلك الظل هو ظل الجنة • فان قيل اذا لم يكن في الجنة شمس يتوذى حرها فما فايدة وصفها بالظل الظليل • قيل له انما خاطب الله تعالى العرب بما يعقلون ويعرفون • وذلك لان بلادهم في غاية

خالدين فيها ابدا اي باقين فيها يعني ان ذلك الخلود يبقى فيها ولا انتقال عنها

الحراره

الحرارة وكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقال الحسن وصف الله تعالى ظل الجنة بانه ظليل لانه لا يدخله ما يدخل ظل الدنيا من الحر والسموم ونحو ذلك وقال الضحاك يعني ظل الاشجار وظلال القصور وقال الكلبي ظلا ظليلا اي دائما عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما او قال مائة سنة وهي شجرة الخلد وعن زياد مولى بني مخزوم انه سمع ابا هريرة رضي الله عنه يقول في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذي انزل التوراة على موسى لو ان رجلا ركب حقة او جذعة ثم دار في اصل تلك الشجرة ما بلغها حتى تسقط هرما ان الله تعالى غرسها بيده اي بقدرته ونفخ فيها من روحه وان اغصانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من اصل تلك الشجرة وفي حديث مالك بن صعصعة قال النبي صلى الله عليه وسلم رفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر وورقها كانه آذان الفيول في اصلها اربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان اما الباطنان ففي الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات قوله عز وجل ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قال العلماء رضي الله عنهم هذه الآية العظيمة من امهات الاحكام تضمنت جميع الدين والشرع واختلفوا في المخاطب بها فقال علي بن ابي طالب وزيد بن اسلم وشهر بن حوشب وابن زيد هذا خطاب لولاة المسلمين خاصة فهي للنبي صلى الله عليه وسلم وامرائه ثم تتناول من بعدهم الى يوم القيامة وقال ابن جريج وغيره ذلك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة في امر مفتاح الكعبة حين اخذه من عثمان بن طلحة ومن ابن عمه شيبة بن عثمان بن ابي طلحة وكانا كافرين وذلك يوم فتح مكة فطلبه العباس بن عبد المطلب لتضاف له السدانة الى السقاية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فكسر ما فيها من الاوثان واخرج مقام ابرهيم ونزل عليه جبريل بهذه الآية قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية وما كنت سمعتها قبل منه فدعا عثمان وشيبة فقال خذاها خالدة تالدة

لاينزعها منكم الاظالم. وحكى مكى ان شيبه اراد ان لا يدفع المفتاح ثم دفعه وقال
للنبى صلى الله عليه وسلم خذه يا مانة الله ٥ ومن طريق آخر رواه البغوى قال نزلت
هذه الاية فى عثمان بن طلحة الحجبى من بنى عبد الدار. وكان سادن الكعبة. فلما دخل النبى
صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح. فطلب رسول الله صلى
الله عليه وسلم المفتاح. فقيل له مع عثمان. فطلب منه فابى. وقال لو علمت انه رسول الله لم
امنعه المفتاح. فلوى على بن ابى طالب رضى الله عنه يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب
ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين. فلما خرج سأله العباس ان
يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانه. فانزل الله عز وجل هذه الاية ان الله
يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها. فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح
الى عثمان ويعتذر اليه. ففعل ذلك. فقال له عثمان اكرهت ثم جيت ترفق. فقال على رضى الله
عنه ان الله قد انزل فى شانك قرانا وقرا عليه الآيه. فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله. فاسلم. فكان المفتاح معه الى ان مات. فدفعه الى اخيه شيبه. فالمفتاح
والسدانه فى اولادهم الى يوم القيامة. قلنا وفيما ذكره البغوى رحمه الله من اسلام
عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه المفتاح نظر
والصحيح ما حكاه ابو عمر بن عبد البر. وابن مندة. وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى
المدينه فى هدنه الحديبيه سنة ثمان مع خالد بن الوليد. ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا
من عند النجاشى من الحبشه فرافقهما وهاجر معهما. فلما راهم النبى صلى الله عليه وسلم قال
رمتكم مكة بافلاذ كبدها. يعنى انهم وجوه اهل مكه. فاسلموا رضى الله عنهم. وسلم عثمان
ابن طلحة المفتاح الى النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح. فرده النبى صلى الله عليه وسلم اليه
وقال خذوها يا بنى طلحة خالدة مخلدة لاينزعها منكم الا ظالم. ولم يذكر واسوا آل
العباس السدانة والله اعلم. وذكر اهل التاريخ قصة عمرو بن العاص واسلامه على يدى
النجاشى وخروجه متوجها من الحبشه الى النبى صلى الله عليه وسلم. قال عمرو ثم خرجت
عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسلم. فلقيت خالد بن الوليد. وذلك قبيل الفتح وهو

خص بعد الاول

مقبل من مكة فقلت له يا أبا سليمان قال والله لقد استقام الميسم وان الرجل لنبي أذهب
والله فأسلم حتى متى قال فما جئت والله الا لاسلم قال فقدمنا المدينة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتقدم خالد بن الوليد فاسلم ثم بايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فاسلم وبايع ثم
على ان الفضل له ما تقدم من ذنبه فلما ذكر خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا
عمرو بايع فلقد رأيتني الاسلام يعرض علي فما كان في الارض شيء احب الي منه وما كان قبلها قال فجئت
واسرعت وذكر ابن اسحق ان عثمان بن طلحة كان قد اسلم قبل اسلامه وذكر عن ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اجمع المسير الى مكة بعث اليه فقال له ما قال وعرض عليه ما عرض
فاستجاب له قال وقال عثمان لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قبل الهجرة
خل عني الى الاسلام فقال له عثمان ما كنت لتفعل ان الله بعثك ونحن على ما نحن عليه
وبيت بدل من حركة فتحت لالتقاء الساكنين واذهبت الالف ثم انه في الفتح صلى الله
عليه وسلم اخذ مفتاح الكعبة في يوم الاثنين والخميس فاقبل
صلى الله عليه وسلم فيها يدخل الكعبة مع الناس فغلظ عليه وسبه واتهمه
وحلم عني وقال لي يوما ان لك مستقرا هذا المفتاح بيدك فاعلم حيث شئت
فقلت لقد هلك عثمان وخسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل عمرت
وعمرت يومئذ قال ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا
ظننت ان الامر سيصير الى ما قال فقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
وبيت بدل من حركة فتحت لالتقاء الساكنين واذهبت الالف ثم انه في الفتح صلى الله
عليه وسلم اخذ مفتاح الكعبة في يوم الاثنين والخميس فاقبل
صلى الله عليه وسلم فيها يدخل الكعبة مع الناس فغلظ عليه وسبه واتهمه
وحلم عني وقال لي يوما ان لك مستقرا هذا المفتاح بيدك فاعلم حيث شئت
فقلت لقد هلك عثمان وخسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل عمرت
وعمرت يومئذ قال ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا
ظننت ان الامر سيصير الى ما قال فقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
ويزدوز بدل من حركة فتحت لالتقاء الساكنين واذهبت الالف ثم انه في الفتح صلى الله
عليه وسلم اخذ مفتاح الكعبة في يوم الاثنين والخميس فاقبل
صلى الله عليه وسلم فيها يدخل الكعبة مع الناس فغلظ عليه وسبه واتهمه
وحلم عني وقال لي يوما ان لك مستقرا هذا المفتاح بيدك فاعلم حيث شئت
فقلت لقد هلك عثمان وخسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل عمرت
وعمرت يومئذ قال ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا
ظننت ان الامر سيصير الى ما قال فقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
وبيت بدل من حركة فتحت لالتقاء الساكنين واذهبت الالف ثم انه في الفتح صلى الله
عليه وسلم اخذ مفتاح الكعبة في يوم الاثنين والخميس فاقبل
صلى الله عليه وسلم فيها يدخل الكعبة مع الناس فغلظ عليه وسبه واتهمه
وحلم عني وقال لي يوما ان لك مستقرا هذا المفتاح بيدك فاعلم حيث شئت
فقلت لقد هلك عثمان وخسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل عمرت
وعمرت يومئذ قال ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا
ظننت ان الامر سيصير الى ما قال فقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
ويزدوز

اهب النظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان رايته خارجا من باب بني شيبة يريد
منزله بالابطح فاردت ان آتيه فآخذ بيده واسأله فلما عزم لي على ذلك انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المسجد فرجعت معه فخرج اليه فاوجف
الرجل يا رسول الله فالتقى الرجلان اصلحنا على غنائنا الغنوة فاشفعنا الاقرع
ابن الحابس فاقتضاه وانتضح منا فقال الرجل يا رسول الله فاخبرناه فقال وانا
اريد الذي تريدان فاصلحنا حتى فاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم
فباعته على الاسلام واقمت حتى خرج حنينا فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عثمان اذهب فاتني بمفتاح البيت فاتيته بالمفتاح فاخذه منى فدفعه الى وقال خذوها
تالدة خالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استعملكم على ما ستم فكلوا
بالمعروف قال عثمان فلما ان وليت ناداني فرجعت اليه فقال
الم يكن الذي قلت لك فذكرت قوله لي قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح يوما
بيدي اضعه حيث شئت فقلت بلى اشهد انك رسول الله وهذا اثبت الوجوه في اسلام
عثمان بن طلحة الحجبي رضي الله عنه واسلامه وشيخه فيه من حديث ابن عمر رضي الله
عنهما قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وفصر فاسلم قال الشيبي ومعه
بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتني بالمفتاح فجاء بالمفتاح ففتح الباب
وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه الآية من رواية ابي صالح عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب منه مفتاح البيت من عثمان بن طلحة
فذهب ليعطيه اياه فقال العباس يا بني انما سقاية الحاج فلم يعطه عثمان يده
مخافة ان تعطيه العباس فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله
واليوم الآخر فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح البيت ونزل جبريل
عند الآية ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فدعى عثمان ودفعه اليه فمن
هذه الرواية ايضا يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه
وسلم لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر يدل على ذلك فعلى هذه الاقوال يكون الخطاب

فى قوله ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها للنبى صلى الله عليه وسلم وهو ان الله عز وجل
امره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة • وقيل الخطاب فى قوله تعالى ان الله يامركم
ان تودوا الامانات الى اهلها لولاة امور المسلمين من الامرا والحكام وغيرهم • ويدل عليه
سياق الاية • وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل • ومعنى الآية ان الله يامركم
يا ولاة الامور ان تودوا ما ائتمنكم عليه من امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا
بينهم • وقيل ان الآية عامة فى جميع الامانات • ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم •
فيدخل فى ذلك جميع الامانات التى يحملها الانسان • وينقسم ذلك الى ثلاثة اقسام •
القسم الاول رعاية الامانة فى عبادة الله عز وجل • وهو فعل المامورات • وترك المنهيات •
قال ابن مسعود رضى الله عنه الامانة لازمة فى كل شى حتى فى الوضو • والغسل من الجنابة والصلاة •
والزكاة • والصوم • وسائر انواع العبادات • القسم الثانى وهو رعاية الامانة مع نفسه •
وهو ما انعم الله به عليه من سائر اعضايه • فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة •
والنميمة والبهتان وغير ذلك • وامانة العين غضها عن المحارم • وامانه السمع
ان لا تشغله سماع شى من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه • ثم سائر الاعضا على نحو ذلك •
القسم الثالث هو رعايه امانه العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودايع
والعوارى الى اربابها الذى ائتمنوه عليها • ولا يخونهم فيها • بدليل ما روى عن ابى هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادّ الامانه الى من ائتمنك • ولا تخن من خانك •
اخرجه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن غريب • ويدخل فى ذلك ايضا وفا الكيل
والميزان • ولا تطفف فيهما • ويدخل فى ذلك ايضا عدل الامرا والملوك فى الرعيه • ونصح العلما
للعامة • فكل هذه الاشيا من الامانات التى امر الله عز وجل بادايها الى اهلها • وروى البغوى
بسنده عن انس رضى الله عنه قال قلّ ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان
لمن لا امانة له • ولا دين لمن لا عهد له • وروى ابو امامة رضى الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبته عام حجة الوداع العارية مودّاة • والمنحة مردودة •
والدين مقضى • والزعيم غارم • اخرجه الترمذى • وزاد الدارقطنى فقال رجل فعهد الله •

قال عهد الله احق ما اُدّی ۞ وقوله تعالی واذا حکمتم بین الناس ان تحکموا بالعدل
یعنی ان الله تعالی یامرکم ان تحکموا بین الناس بالعدل ۞ فیجب علی الحاکم ان یاخذ الحق ممن وجب
علیه لمن وجب له ۞ وقال الضحاک فی معنی قوله ان تحکموا بالعدل ای بالبینة علی المدعی والیمین
علی من انکر ۞ وهذا خطاب للولاة والامرا والحکام ۞ ویدخل فی ذلک بالمعنی جمیع الخلق ۞ کما
ذکرنا فی ادا الامانات ۞ واصل العدل المساواة فی الاشیا ۞ فکل ما خرج عن الظلم والاعتدا
سمی عدلا ۞ قال بعض العلما ینبغی للقاضی ان یسوی بین الخصمین فی خمسة اشیا ۞ فی الدخول علیه
والجلوس بین یدیه ۞ والاقبال علیهما والاستماع منهما ۞ والحکم بالحق فیما لهما وعلیهما ۞ ٥
وحاصل الامر فیه ان یکون مقصود الحاکم بحکمه ایصال الحق الی مستحقه ۞ وان لا یمتزج
ذلک بغرض آخر فصل فی احادیث وردت فی الترغیب فی العدل والنهی عن الظلم والجور
وما یجب علی الحکام عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضی الله عنهما قال قال رسول الله صلی الله
علیه وسلم ان المقسطین عند الله علی منابر من نور عن یمین الرحمن ۞ وکلتا یدیه یمین ۞ الذین یعدلون
فی حکمهم واهلیهم وما ولوا ۞ رواه مسلم ۞ وعن ابی سعید الخدری رضی الله عنه قال قال رسول
الله صلی الله علیه وسلم احب الناس الی الله یوم القیامة وادناهم منه مجلسا امام عادل ٥
وابغض الناس الی الله وابعدهم منه مجلسا امام جائر ۞ رواه الترمذی ۞ وعن عیاض بن حمار
رضی الله عنه قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول اهل الجنة ثلاثة ۞ ذو سلطان مقسط
موفق ۞ ورجل رحیم رقیق القلب لکل ذی قربی ومسلم ۞ وعفیف متعفف ذو عیال ۞ رواه مسلم ۞
والمقسط هو العادل ۞ وعن ابن عباس رضی الله عنهما قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم
یوم من امام عادل افضل من عبادة ستین سنة ۞ وحد یقام فی الارض بحقه ازکی فیها
من مطر اربعین صباحا ۞ رواه الطبرانی ۞ وعن ابی هریرة رضی الله عنه قال قال رسول الله
صلی الله علیه وسلم یا ابا هریره عدل ساعة خیر من عبادة ستین سنة قیام لیلها وصیام نهارها ۞
یا ابا هریره جور ساعة فی حکم اشد واعظم عند الله من معاصی ستین سنة ۞ وفی روایة
عدل یوم واحد افضل من عبادة ستین سنة ۞ رواه الاصبهانی ۞ وعن انس بن مالک رضی الله عنه
قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم تجا با الامام الجائر یوم القیامه فتخاصمه الرعیه ۞

اى سمروا وظهروا عليه بالحجة والبرهان وتقهروه حال المخاصمة

فيفلجوا عليه فيقال له سد ركنا من اركان جهنم وعن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا ايها الناس لا تقبل الله تعالى صلاة امام جاير رواه الحاكم وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا تقبل الله لهم شهادة ان لا اله الا الله فذكر منهم الامام الجاير رواه الطبرانى وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال السلطان ظل الله فى الارض ياوى اليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الاجر وكان على الرعية الشكر وان جار او خان او ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر واذا جارت الولاة قحطت السما واذا منعت الزكوة هلكت المواشى واذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة واذا اخفرت الذمة اديل الكفار وكلمة نحوها رواه ابن ماجة وعن بكير بن وهب قال قال لى انس رضى الله عنه احدثك حديثا ما احدثه كل احد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب البيت ونحن فيه فقال الايمة من قريش ان لى عليكم حقا ولهم عليكم حقا مثل ذلك ما ان استرحموا رحموا وان عاهدوا اوفوا وان حكموا عدلوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين رواه الامام احمد وعن سيار بن سلامة ابى المنهال قال دخلت مع ابى على ابى برزة رضى الله عنه وانا فى اذنى لفرطين وانا غلام فسمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامرا من قريش بلانا ما فعلوا بلانا ما حكموا فعدلوا واسترحموا فرحموا وعاهدوا فوفوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين رواه الامام احمد ايضا وعن ابى موسى رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب البيت فنحن نفر من قريش واخذ بعضادتى الباب فقال هل فى البيت الا قرشى قال فقلنا يا رسول الله غير فلان ابن اختنا فقال ابن اخت القوم منهم ثم قال ان هذا الامر فى قريش ما اذا استرحموا رحموا واذا حكموا عدلوا واذا قسموا اقسطوا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين لا يقبل منهم صرف ولا عدل رواه البزار وغيره وعن معاوية رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقدس الله امة لا يقضى فيها بالحق ويا خذ للضعيف حقه من القوى غير متعتع رواه الطبرانى وعن ابن بريده

مطلب اوصاف قضاة

عن ابیه رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم قال القضاة ثلاثة قاضیان فی النار وقاض فی الجنه رجل قضی بغیر الحق فعلم بذلک فذلک فی النار وقاض لا یعلم فاهلک حقوق الناس فهو فی النار وقاض قضی بالحق فذلک فی الجنه رواه ابوداود وعن ابن ابی اوفی رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ان الله مع القاضی مالم یجر فاذا جار تخلی عنه ولزمه الشیطان رواه الترمذی وغیره وعن سعید بن المسیب رضی الله عنه ان مسلما ویهودیا اختصما الی عمر بن الخطاب رضی الله عنه فرای الحق لله یهودی فقضی له عمر به فقال له الیهودی والله لقد قضیت بالحق فضربه عمر بالدرة وقال وما یدریک فقال الیهودی انا نجد فی التوریه لیس قاض یقضی بالحق الا کان عن یمینه ملک وعن شماله ملک یسدده ویوفقانه للحق مادام مع الحق فاذا ترک الحق عرجا وترکاه رواه الامام مالک وروی عن ابی هریرة عن بشر بن عاصم الجشمی حدث عمر رضی الله عنه انه سمع رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول لا یلی احد من امر الناس شیا الا اوقفه الله علی جسر جهنم فتزل به الجسر زلزلة فتاخ او غیر ناج لا یبقی منه عظم الا فارق صاحبه فان هو لم یتخ ذهب به فی جب مظلم کالقبر فی جهنم لا یبلغ قعره سبعین خریفا وان عمر سال سلمان وابا ذر هل سمعتما ذلک من رسول الله صلی الله علیه وسلم قالا نعم رواه ابن ابی الدنیا وعن ابی هریرة رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال ما من امیر عشیره الا یوتی به یوم القیامة مغلولا حتی یفکه العدل او یوبقه الجور رواه البزار وغیره وعن ابن عباس رضی الله عنهما یرفعه قال ما من رجل ولی عشرة الا اتی به یوم القیامة مغلولة یده الی عنقه حتی یفضی بیمنه وسیئه رواه الطبرانی وعن ابی الدرداء رضی الله عنه قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول ما والی ولایة الا لقی الله مغلولة یمنه فکه عدله او غله جوره رواه ابن حبان فی صحیحه وعن ابی هریرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم عرض علی اول ثلاثة یدخلون النار امیر مسلط وذو ثروة من مال لا یودی حق الله فیه وفقیر فخور رواه ابن خزیمة وعن عمرو بن عوف رضی الله عنه قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول انی اخاف علی امتی من اعمال ثلاثة قالوا یا رسول الله وما هی قال زلة

مطلب اوصاف قضاة

مطلب اهوال ولاة

مطلب خوف رسول الله صلی الله علیه

عالم • وحكم جاير • وهوًى متبع • رواه البزار وغيره • وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بيتى هذا اللهم من ولي من امر امتى شيا فشق عليهم فاشقق عليه •
ومن ولى من امر امتى شيا فرفق بهم فارفق به • رواه مسلم والنساى • وروى عن ابن عباس رضى
الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امتى احد ولى من امر الناس شيا لم يحفظهم
بما يحفظ به نفسه الا لم يجد رايحة الجنة • رواه الطبرانى • وعن ابن عباس رضى الله عنهما
ايضا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من ولي شيا من امر المسلمين لم ينظر الله فى حاجته
حتى ينظر فى حاجتهم • رواه الطبرانى ايضا • وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله تعالى رعية يموت يوم يموت وهو
غاش رعيته الا حرم الله تعالى عليه الجنه • وفى رواية فلم يحطها بنصيحة لم يرح رايحة
الجنه • رواه البخارى ومسلم • وعنه ايضا رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما
من امير يلي امر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح لهم الا لم يدخل معهم الجنة • رواه مسلم وغيره •
وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولى من امر المسلمين
شيا فغشهم فهو فى النار • رواه الطبرانى • وعن عبد الله بن مغفل المزنى رضى الله عنه قال اشهد
لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امام ولا وال بات ليلة سودا غاشا لرعيته
الا حرم الله تعالى عليه الجنه • رواه الطبرانى ايضا • وعن ابى مريم عمرو بن مرة الجهنى رضى الله
عنه انه قال لمعاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولاه الله تعالى شيا من امور
المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره
يوم القيامة • فجعل معاوية رجلا على حوايج المسلمين • رواه ابو داود • واللفظ له • والترمذى •
ولفظه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امام يغلق بابه دون ذوى
الحاجة والخلة والمسكنة الا اغلق الله تعالى ابواب السما دون حاجته وخلته ومسكنته •
رواه الحاكم • وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولى
من امر المسلمين شيا فاحتجب عن اولى الضعف والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة • رواه
الامام احمد وغيره • وعن ابى السماح الازدى عن ابن عم له من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

على الله صلى
مطلب دعاء رسول
مطلب
غير حافظ

انه اتى معاويه فدخل عليه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولى من امر المسلمين شيئا ثم اغلق بابه دون المسكين والمظلوم وذوى الحاجة اغلق الله تعالى ابواب رحمته دون حاجته وفقره افقر ما يكون اليها. رواه الامام احمد وغيره. وعن ابى حنيفة رضى الله عنه ان معاوية بن ابى سفيان ضرب على الناس بعثا فخرجوا. فرجع ابو الدرداء رضى الله عنه فقال له معاوية الم يكن خرجت. قال بلى. ولكن سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا احببت ان اصنعه عندك مخافة ان لا القاك سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايها الناس من ولى عليكم عملا فحجب بابه عن ذى حاجة المسلمين حجبه الله تعالى ان يلج باب الجنه. ومن كانت همته الدنيا حرم الله عليه جواري. فانى بعثت لخراب الدنيا ولم ابعث لعمارتها. رواه الطبرانى رحمه الله ورجاله ثقات. والله تعالى اعلم. فذلك قوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به اى نعم الشئ الذى يعظكم به. وهو ادآء الامانات والحكم بالعدل ان الله كان سميعا بصيرا يعنى انه تعالى سميع لما تقولون. وبصير لما تفعلون. فاذا حكمتم فهو سمع حكمكم. واذا ادتم الامانه فهو بصر فعلكم. قوله تعالى يآيها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم قال المفسرون لما تقدم الله تعالى الى الولاة فى الآية المتقدمة وبدا بهم فامرهم باداء الامانات وان يحكموا بين الناس بالعدل تقدم سبحانه فى هذه الآية الى الرعيه. فامر بطاعته اولا. وهى امتثال اوامره. واجتناب نواهيه. ثم بطاعة رسوله ثانيا فيما امر به ونهى عنه. ثم بطاعة الامرا ثالثا وهذا قول ابى هريرة وابن عباس وجماهير العلما رضى الله عنهم. وقال سهل بن عبد الله التسترى اطيعوا السلطان فى سبعة ضرب الدراهم والدنانير. والمكاييل والاوزان. والاحكام والجمعة. والعيدين. والحج والجهاد. وقال سهل اذا نهى السلطان العالم ان يفتى فليس له ان يفتى فان افتى فهو عاص. وان كان سلطانا جايرا. وقالت بعضهم واما طاعة السلطان فتجب فيما كان فيه طاعة. ولا تجب فيما كان لله فيه معصية. قال ولذلك قلنا ان ولاة زماننا هذا لا تجوز طاعتهم. ولا معاونتهم. ولا تعظيمهم. ويجب الغزو معهم متى غزوا. وتولية الامامة والحسبة واقامة ذلك على وجه الشريعة. وان صلوا لنا وكانوا فسقة من جهة المعاصى جازت

ان يقيموا

وطاعته واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا
لقوله تعالى واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف
العلماء في اولي الامر الذين اوجب الله تعالى طاعتهم بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فقال ابن عباس وجابر والحسن البصري ومجاهد وابو هريرة وابن زيد
ابن اسلم هم العلماء واهل الفقه والدين الذين يعرفون الناس معالم دينهم ويأمرونهم
بالمعروف وينهونهم عن المنكر فاوجب الله طاعتهم على العباد ودليل هذا القول
قوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم قال
ابو العالية هم اهل العلم والدليل على ان المراد بالآية العلماء قوله تعالى
وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال عطاء هم الامراء والعلماء
وروي ذلك عن ابن عباس ايضا قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه حق على الامام ان يحكم بما انزل الله وان يؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على
الرعية ان يسمعوا ويطيعوا وروى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد
اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني وروى البخاري ومسلم ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فان
امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وروى البخاري عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة كما اقام فيكم
كتاب الله وقال عمرو بن ميمون ومقاتل والسدي والكلبي هم امراء السرايا والبعوث
وهي رواية عن ابن عباس ايضا ووجه هذا القول ان الآية نازلة فيهم وقال عكرمة
اراد بها ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وروي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا ادري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من
بعدي ابي بكر وعمر اخرجه الترمذي وعن ابي شريح الكعبي رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وان بني وزيران في الارض ووزيران
في السماء اما في السماء فجبريل وميكائيل واما في الارض فابو بكر وعمر رضي الله عنهما

الراس من الجسد ومثلهما في الانبيا بالراقد ومثل ابي بكر كمثل ابرهيم وعيسى ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثل عمر كمثل موسى ونوح رب لا
تذر على الارض من الكافرين دياراً وقال ابو بكر الله راقبوا الامير صلى الخلفا الراشدون
ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لما روى ابن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم
ومن سبق منهم ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدر
جاء ابو بكر فوضع فمه بين عينيه ثم جاء عمر فوضع فمه بين عينيه ثم جاء عثمان فوضع فمه بين عينيه فقال صلى الله
عليه وسلم صلاة الامر من بعدي وقال ابو حكام الصحابة رضي الله عنهم الاسلام والشاهد
لهما حسان وقال بكر بن عبد الله المزني وجميع الصحابة رضي الله عنهم روى عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم اخرجه رزين في كتابه وروى البغوي باسناده عن الحسن عن انس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي في امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام
الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح وقال ابن عباس رضي الله عنهما العقل
والرأي اشرف صبر ودام الناس وقال ابن عباس رضي الله عنهما الدين مبني على العقل
وقد جعل الفرائض على العقل وربما يعرف بالعقل ويتوصل اليه بالعقل والعاقل اقرب
الى الله من جميع المتعبدين غير عقل والمثقال ذرة من بر العاقل افضل من جهاد الجاهل
الف عام وقال علي الدوري اوحى الله عز وجل الى نبي من الانبيا اذا رايت عاقلا فكن له
خادما قال ابو جعفر الطبري واولى الاقوال بالصواب قول من قال امر الامة والولاة
لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بجماعة الامة والولاة فيما كان لله
عز وجل طاعة والعمل بما فيه مصلحة وقال الزجاج وجملة اولي الامر من يقوم بشان
المسلمين في امر دينهم وجميع ما ادى اليه صلاحهم قال العلما طاعة الامام واجبة على
الرعية ما دام على الطاعة فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له واجب خلعه
خلعا وافق الحق وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي

الامانة • فاذا فعل ذلك حق على الرعيه ان يسمعوا له ويطيعوا ويجيبوا اذا دعوا • قال
الامام الشافعي رحمه الله ان من تاول حول الحكم من الحرب لم يكن خروجا من الامارة • وكان عليه
ان يتلو بعض الحق طاعة الامارة • لما دامت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالطاعة الا
تكن ترى ذلك بصلح لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ان تطيعوا اولى الامر •
وقال عكرمة سالت الا الاحوار بالقرآن فقال له اي القولين قال اعتق عن رجل
الخطاب رضي الله عنه الوتسمع قول الله عز وجل واولى الامر منكم [illegible] من اولى الامر وانه
قال اعتقها ولدها والا كان مسلما • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن يطع الامير فقد اطاعني
ومن يعص الامير فقد عصاني ومقدم • وعنه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان بني اسرآءيل كانت تسوسهم الانبيآء • كلما مات نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدي فقال
رجل فما تكون بعدك يا رسول الله قال تكون خلفآء وتكثرون قالوا فما تامرنا قال فوا
ببيعة الاول فالاول • واعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استرعاهم • وعن ابي امامة
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حجة الوداع وهو على الجلد بيا
ناقته ورجلاه في الركاب يتطاول ليسمع الناس فقال الا تسمعون فقال له ابن [illegible]
فقال فاقبل بعض اصحابه على بعض فقالوا نرى ان يريد الشام فقال صلى الله عليه وسلم ها
ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم واطيعوا ذا امركم تدخلوا جنة
ربكم • وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني ابو
كل امير وصل خلف كل امام • ولا تسبن احدا من اصحابي • وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيليكم بعدي ولاة فيليكم البر ببره • والفاجر بفجوره
فاسمعوا لهم واطيعوا في كل ما وافق الحق • فصلوا وراءهم • فان احسنوا فلهم • وان اساءوا فلكم
وعليهم • وقوله تعالى فان تنازعتم في شيء اي اختلفتم في شيء من امر دينكم • والمنازع
الاختلاف الآراء فيما على كل واحد منهما ما يرى خلاف رأي صاحبه • واصله من انتزاع الحجة •
وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه • وقوله فردوه الى الله والرسول اي

مطلب فان تنازعتم في شيء

ردوا ذلك الامر الذى تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسول الله صلى الله عليه وسلم مادام حيا ويجدونه فانه ردوه الى سنته ۝ قال العلما والرد الى كتاب الله وسنة رسول الله واجب ۝ فان وجد ذلك الحكم فى كتاب الله اخذ به ۝ فان لم يوجد فى كتاب الله ففى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ۝ فان لم يوجد فى السنة فسبيله الاجتهاد ۝ وقيل الرد الى الله ورسوله ان نقول لما لا يعلم الله اعلم ۝ وهذا كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل ۝ قال العلما وفى قوله تعالى والى الرسول دليل على ان سنته صلى الله عليه وسلم يعمل بها وبمثل ما فيها ۝ قال صلى الله عليه وسلم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ۝ وما امرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم ۝ فانما اهلك من كان قبلكم كثرة مسايلهم ۝ واختلافهم على انبيايهم ۝ اخرجه مسلم ۝ وروى ابو داود عن ابى رافع رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امرى مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ندرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه ۝ وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه انه حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس وهو يقول الحسب احدكم متكئا على اريكته فيانيه الامر من امرى مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ندرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه الا واننى والله قد امرت ووعظت ونهيت عن اشيا انها لمثل القران او اكثر ۝ واخرجه الترمذى من حديث المقدام بن معدى كرب بمعناه ۝ وقال حديث حسن غريب ۝ والقاطع هو قول الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ۝ والله الموفق ۝ وقوله عز وجل ان كنتم تومنون بالله واليوم الآخر يعنى افعلوا ذلك الذى امرتكم به ان كنتم تومنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتومنون بالمعاد الذى فيه جزا الاعمال ۝ قال العلما وفى الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون مومنا بالله واليوم الآخر ۝ ثم قال عز من قايل ذلك خير يعنى رد الحكم الى الله ورسوله خير واحسن تاويلا يعنى واحمد عاقبة ۝ وقيل معناه ذلك ان ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تاويلا منكم له واعظم اجرا ۝ والتاويل ما يؤول اليه الامر اى يصير ۝ وقيل من الت الشى اى جمعته واصلحته ۝ فالتاويل جمع معانى الفاظ اشكلت بلفظ لا اشكال فيه ۝ ومنه يقال

لا ندرى ما يقول ولا يعقل ما

أولى لك امرك اى جمعه ويجوز ان يكون المعنى واحسن تا ويلا من تا ويلكم والله اعلم بمراده
عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعملوا بالقران احلوا
حلاله وحرموا حرامه وامنوا به ولا تكفروا شئ منه وما اشتبه عليكم فردوه الى الله والى اولى
العلم من بعدى كيما يخبروكم به وآمنوا بالتورية والانجيل والزبور وما انزل اليكم من ربكم
وليسعكم القران وما فيه من البيان فانه شافع مشفع وماحل مصدق وانه بكل حرف نور
يوم القيامة قوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من
قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به قال ابن عباس رضى الله
عنهما نزلت هذه الاية فى رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودى خصومة فقال
اليهودى انطلق بنا الى محمد وقال المنافق بل نطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذى سماه الله
الطاغوت فابى اليهودى ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى المنافق ذلك
اتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا
من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فاتيا عمر رضى الله عنه فقال اليهودى انى
اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضايه وزعم انه مخاصمنى اليك فقال عمر
للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت واخذ السيف
واشتمل عليه ثم خرج اليهما فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى بين من لم يرض بقضاء
الله وقضاء رسوله وانزل الله عز وجل هذه الاية وقال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم ان عمر
فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وقال السدى سبب نزول الايه ان ناسا من
اليهود كانوا قد اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير فى الجاهليه وكانت قريظة
حلفا الخزرج والنضير حلفا الاوس وكان اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلا من بنى النضير
قتل به او اخذ منه مايه وسق من تمر واذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة
لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الله بالاسلام وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم
الى المدينة فقتل رجل من النضير رجلا من قريظه فاختصموا فى ذلك فقال بنو النضير
كنا وانتم قد اصطلحنا فى الجاهليه على ان نقتل منكم ولا تقتلون منا ودينا مايه وسق

وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك. فقالت الخزرج هذا شئ كنا فعلناه في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا وقهرتمونا على ذلك. فاليوم نحن اخوة في الدين فلا فضل لكم علينا. فقال المنافقون منهم ننطلق الى ابي بردة الكاهن الاسلمي. وقال المسلمون من الفريقين بل ننطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فابى المنافقون وانطلقوا الى ابي برده الكاهن ليحكم بينهم. فقال اطعموا اللقمة يعني الخطر. فقالوا لك عشرة اوسق. فقال لا بل مائة وسق ديتي. فابوا ان يعطوه الا عشرة اوسق. وابى ان يحكم بينهم. وانزل الله عز وجل آية القصاص. وانزل هذه الآية الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك. وقال الحسن في سبب نزولها انه انطلق رجل يحاكم آخر الى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال الآخر بل انطلق نتحاكم الى صنم بني فلان. فانزل الله عز وجل الآية فيهما. وقال الشعبي كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة. فقال اليهودي انا احاكم الى محمد. وقال المنافق لا. فجعل اليهودي يدعوا الى المسلمين لانه علم انهم لا يقبلون الرشوة ولا يجورون في الحكم. وجعل المنافق يدعوا الى اليهود لانه علم انهم يقبلون الرشوة ويميلون في الحكم. فاختلفا ثم اتفقا على ان يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما اليه. فانزل الله عز وجل هذه الآية الم تر الى الذين يزعمون الآية. والزُّعم والزَّعم بضم الزاي وفتحها لغتان. واكثر ما يستعمل الزُّعم بمعنى القول الذي يُتحقق. وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب. ولهذا قيل ان زَعَم مطيّة الكذب. والمراد به في هذه الآية الكذب. لان الآية في المنافقين. وظاهر الآية يدل على انها نازلة في الذين نافقوا من مؤمني اهل الكتاب. ويدل عليه قوله تعالى آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك. يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت. يعني كعب بن الاشرف في قول ابن عباس. سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان. وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل هو ابو برده الكاهن في قول السدي. وقد امروا ان يكفروا به. يعني بالطاغوت. لان الكفر بالطاغوت ايمان بالله عز وجل. ويريد الشيطان ان يضلهم. يعني عن طريق الهدى والحق. ضلالا بعيدا. واذا قيل لهم. يعني للمنافقين. تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول. يعني هلموا الى حكم الله الذي

انزله فی کتابه والی الرسول لیحکم سنکم به رایت المنافقین یصدون عنک صدودا یعنی یعرضون عنک وعن حکمک اعراضا وای اعراض • قال العلماء انما اعرض المنافقون عن حکم رسول الله صلی الله علیه وسلم لانهم علموا انه صلی الله علیه وسلم یحکم سنهم بالحق الصریح ولا یقبل الرشی • قوله عز وجل فکیف اذا اصابتهم مصیبة یعنی فکیف حال هولاء المنافقین وکیف یصنعون اذا اصابتهم مصیبه یحجزون عنها بما قدمت ایدیهم یعنی یصیبهم عقوبة بسبب ما قدمت ایدیهم • وهو التحاکم الی غیر رسول الله صلی الله علیه وسلم • وهذا وعید لهم علی سوء صنیعهم ورضاهم بحکم الطاغوت دون حکم رسول الله صلی الله علیه وسلم • وقیل المصیبة هی قتل عمر رضی الله عنه لذلک المنافق • وقیل هی کل مصیبه تصیب المنافقین فی الدنیا والاخرة ثم جاوک یعنی المنافقین حین تصیبهم المصایب یعتذرون الیک یحلفون بالله ان اردنا ای ما اردنا بتحاکمنا الی غیرک الا احسانا یعنی فی التحاکم الی غیرک الا اساءة • وتوفیقا یعنی بین الخصمین • لا مخالفة لک فی حکمک • وقیل ان اولیاء المنافق الذی قتله عمر جاءوا یطلبون دیته • وقالوا ما اردنا بالتحاکم الی عمر الا ان یحسن الی صاحبنا فی حکمه • ویوفق بینه وبین خصمه • وما خطر ببالنا انه یحکم بما حکم به من قتل صاحبنا • فاهدر الله عز وجل دم ذلک المنافق • ثم قال عز وجل اولئک الذین یعلم الله ما فی قلوبهم یعنی من النفاق فاعرض عنهم یعنی عن عقوبتهم • وقیل عن قبول عذرهم وعظهم یعنی باللسان • والمراد به زجرهم بالوعظ عن النفاق والکفر والکذب • وتخویفهم بعذاب الاخرة • وقل لهم فی انفسهم قولا بلیغا یعنی بلیغا یوثر فی قلوبهم موقعه • وهو التخویف بالله عز وجل • وقیل هو ان یوعدهم بالقتل ان لم یتوبوا من النفاق • وقیل هو ان یقول لهم ان اظهرتم ما فی قلوبکم من النفاق قتلتم • لان هذا القول یبلغ فی نفوسهم کل مبلغ • وقیل معناه فاعرض عنهم فی الملاء • وقل لهم فی انفسهم اذا خلوت بهم قولا بلیغا • ای اغلظ لهم فی القول خالیا بهم لیس معهم غیرهم مسارا لهم بالنصیحة • لانها فی السر انجح • وقیل ان هذا الاعراض منسوخ بایة السیف • وقد تکلم العلماء رضی الله عنهم فی حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ایصال المعنی الی الفهم فی احسن صورة من اللفظ • وقیل البلاغة حسن العبارة

مع صحة المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من عسر اضجار
وقيل احسن الكلام ما قلّت الفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوّق اوله
الى سماع آخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا سابق لفظه معناه ومعناه
لفظه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل المراد بالقول البليغ في
الآية ان يكون حسن الالفاظ وحسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب والاعذار
والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه
في القلوب واثر في النفوس والله اعلم قوله تعالى **وما ارسلنا من رسول الا ليطاع
باذن الله** قال الزجاج لفظة من هنا صلة موكدة والمعنى وما ارسلنا رسولا الا ليطاع
باذن الله يعني بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول باذن الله لان الله تعالى اذن في ذلك
وامر به وقيل معنى الآية باذن الله اي بعلم الله وقضايه اي طاعته تكون باذن الله لانه
اذن فيه فتكون طاعة الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما ارسلنا
من رسول الا فرضت طاعته على من ارسلته اليهم وانت يا محمد من الرسل الذين فرضت
طاعته على من ارسلتك اليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت **ولو انهم اذ ظلموا انفسهم** يعني الذين
تحاكموا الى الطاغوت ظلموا انفسهم بالتحاكم اليها **جاءوك** يعني جاءوك تائبين من النفاق
والتحاكم الى الطاغوت متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة **فاستغفروا الله** يعني من ذلك
الذنب بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك والتحاكم الى غيرك
واستغفر لهم الرسول يعني من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قال تعالى واستغفر
لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيما له
وتعظيما لاستغفاره وانهم اذا جاءوه فقد جاء من خصّه الله برسالته وجعله سفيرا
بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا السبب عدل
الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة **لوجدوا الله توابا رحيما** يعني ولو
انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله تتوب عليهم وتتجاوز عنهم

ونرحمهم • وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال قدم علينا اعرابي بعد ما دفنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام • فرمى بنفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحثى
على راسه من تراب • وقال قلت يا رسول الله سمعنا قولك • ووعيت عن الله فوعينا
عنك • وكان فيما انزل الله عليك ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما • وقد ظلمت نفسي وجيتك تستغفر لي • فنودي من القبر
انه قد غفر لك • وحكى العتبي رحمه الله • قال كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجا اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله • سمعت الله يقول ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما • وقد جيتك مستغفرا
من ذنبي مستشفعا بك الى ربي • ثم انشا يقول ٥

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه • فطاب من طيبهن القاع والاكم •
نفسي الفداء لقبر انت ساكنه • فيه العفاف وفيه الجود والكرم •

في زيارة النبي وطلب قبول زائره

ثم استغفر وانصرف • فغلبتني عيناي • فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام • فقال يا
عتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله قد غفر له • قال بعض العلما يقول الزاير للنبي صلى
الله عليه وسلم بعد السلام والصلاة عليه • اللهم انك قلت وقولك الحق ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما • اللهم انا
قد سمعنا قولك • واطعنا امرك • وقصدنا نبيك هذا صلى الله عليه وسلم مستشفعين به
اليك من ذنوبنا وما اثقل ظهورنا من اوزارنا • تائبين اليك من زللنا معترفين بخطايانا •
ونقصيرنا • اللهم فتب علينا • وشفع نبيك هذا صلى الله عليه وسلم فينا وارفعنا منزلته
عندك وحقه عليك • اللهم اغفر للمهاجرين والانصار • ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان •
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم ٥ ولله در هذا الاعرابي حيث
استنبط من هذه الآية الكريمة المجي الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مستغفرا •
فان ذلك اظهر في قصد التعظيم • وصدق الايمان • واستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم
بعد الموت حاصل لانه الشفيع الاكبر يوم القيامة • وله الوسيلة العظمى في طلب الغفران •

ورفع الدرجات من بين سائر ولد آدم ۞ والمحيّ اليه بعد موته تجديد لتاكيد التوسل
به الى الله تعالى وقت الحاجه ۞ وقد خص بعض العلماء هذين البيتين ۞ فقال

خير المزار لدينا نرتجي عظمه ۞
وخير من ستر عرش الرب قدمه ۞
نادته مقبول وصافوته ۞

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه ۞ فطاب من طيبهن القاع والاكم ۞
طوبى لجار بكم طابت مساكنه ۞
جار بجار وجار الربح آمنه ۞
قول اذا قلت تشفيني محاسنه ۞

نفسي الفداء لقبر انت ساكنه ۞ فيه العفاف وفيه الجود والكرم ۞

قال بعض العلماء وشتان والله بين هذا الاعرابي وبين من اضله الله فحرم السفر الى زيارته صلى الله عليه وسلم وهي من اعظم القربات ۞ وانشد بعض زوار النبي صلى الله عليه وسلم ۞

انيتك زائرا ووددت اني ۞ جعلت سواد عيني مطيه ۞
وسعي لا اسير على جفوني ۞ الى قبر رسول الله فيه ۞

قال القاضي عياض رحمه الله وجد بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل ۞ وتردد بها جبريل وميكائيل ۞ وعرجت منها الملائكة والروح ۞ ضمنت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت ترابها على جسد سيد البشر ۞ وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر ۞ مدارس آيات ۞ ومساجد وصلوات ۞ ومشاهد الملائكة والخيرات ۞ ومعاهد البراهين والمعجزات ۞ ومناسك الدين ۞ ومشاعر المسلمين ۞ وموقف سيد المرسلين ۞ ومتبوأ خاتم النبيين ۞ حيث انفجرت النبوة وفاض عبابها ۞ ومواطن هبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ۞ ان تعظم عرصاتها ۞ وتنسم نفحاتها ۞ وتقبل ربوعها وجدراتها ۞

وانشد رحمه الله ۞

يا دار خير المرسلين ومنزل ۞ هدى الانام وخصّ بالآيات ۞

عندى لاجلك لوعة وصبابة ٭ وتشوق متوقد الجمراتِ
وعلىَّ عهدان ملاتُ محاجرى ٭ من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبى سفحها ٭ من كثرة التقبيل والرشفات
ف زرتها لولا العوادى والاعادى زرتكم أبدا ٭ ولو تحبا على الوجنات
لكن سأهدى من حفيل تحيتى ٭ لفنائكم تلك الديار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة ٭ تغشاه ما الآصال والبكرات
وتخصه بزواكى الصلوات ٭ ونوامى التسليم والبركات

قال بعض العلماء جرى الرسم ان الحاج اذا فرغوا من مناسكهم وقفلوا عن المسجد الحرام قصدوا المدينة الشريفة لايرين قبر النبى صلى الله عليه وسلم اذ هى من افضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة الواجب فانه صلى الله عليه وسلم حرض عليها وبالغ فى الندب اليها وقال بعضهم انها قريبة من الواجب فى حق من كان له سعة ومن صرح باستحبابها وكونها سنة من اصحاب الامام الشافعى الامام الغزالى والبغوى فى التهذيب وابو عمرو ابن الصلاح وابو زكريا النووى رحمهم الله وكذلك من اصحابه الشيخ موفق الدين والامام ابو الفرج البغدادى وغيرهما واما المالكية فقد حكى القاضى عياض عنهم الاجماع على ذلك وفى نفح الطالبين لعبد الحق عن الشيخ ابى عمران المالكى ان زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم واجبة قال عبد الحق يعنى من افضل الواجبه وفى كلام العبدرى المالكى فى شرح الرسالة ان المشى الى المدينه لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم افضل من الكعبة ومن بيت المقدس واكثر عبارات الفقها اصحاب المذاهب تقتضى استحباب السفر للزيارة لانهم استحبوا للحاج بعد الفراغ من الحج الزيارة ومن ضرورتها السفر واما نفس الزياره فالادلة عليها كثيرة منها هذه الاية التى نحن فى تفسيرها وهى قول الله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الى اخرها ولاشك انه صلى الله عليه وسلم حى وان اعمال امته معروضة عليه ٥
ومنها حديث ابن عمر المرفوع من زار قبرى وجبت له شفاعتى رواه الدارقطنى وابن ابى الدنيا وابن خزيمة والبيهقى فى شعب الايمان وفى لفظ من جاءنى زائرا لم تنزعه حاجة

الازارتی کان حقا علیّ ان اکون له شفیعا یوم القیامة ۰ وفی روایة ابی یعلی من زارنی بعد وفاتی عند قبری فکانما زارنی فی حیاتی ۰ وفی لفظ للدارقطنی کان کمن زارنی فی حیاتی وصحبنی ۰ وفی لفظ من زارنی محتسبا الی المدینه کان فی جوارک یوم القیامة ۰ وعن ابن مسعود برفعه من حج حجة الاسلام وزار قبری وغزی غزوة وصلی علیّ فی بیت المقدس لم یسأله الله عزوجل فیما افترض علیه ۰ وعن انس برفعه ما من احد من امتی له سعة ثم لم یزرنی فلیس له عذر ۰ وقوله فی الحدیث وجبت له شفاعتی بمعناه حققت وبتت ولزمت ۰ وانه لابد منها بوعده صلی الله علیه وسلم تفضلا منه ۰ قال الشیخ ولی الدین الشیشی ۰ وقوله کنت له اما ان یکون المراد له بخصوصیة بمعنی ان الزایرین یحظون بشفاعة لا تحصل لغیرهم عموما ولا خصوصا ۰ واما ان یکون المراد انهم یفردون بشفاعة مما تحصل لغیرهم ۰ ویکون افرادهم بذلک تشریفا وتنویها بهم بسبب الزیارة ۰ واما ان یکون المراد انه ببرکة الزیارة یجب دخوله فی عموم من تنالهم الشفاعة ۰ وفائدة ذلک البشری بانه یموت مسلما ۰ وعلی هذا التقدیر الثالث یجب اجراء اللفظ علی عمومه ۰ لانا لو اضمرنا فیه شرط الوفاة علی الاسلام لم یکن لذکر الزیارة معنی ۰ لان الاسلام وجد کاف فی نیل هذه الشفاعة ۰ وعلی التقدیرین الاولین یصح هذا الاضمار ۰ فالحاصل ان اثر الزیارة اما الوفاة علی الاسلام مطلقا لکل زایر وکفی بها نعمة ۰ واما شفاعة خاصة بالزایر اخص من الشفاعة العامة ۰ وقوله صلی الله علیه وسلم شفاعتی ۰ قال العلما فی اضافة الشفاعة الیه تشریف لها ۰ فان الملایکة والانبیا والمومنین یشفعون ۰ والزایر لقبر النبی صلی الله علیه وسلم له نسبة خاصة منه یشفع هو فیه بنفسه ۰ والشفاعة تعظم بعظم الشافع ۰ فلما کان النبی صلی الله علیه وسلم افضل من غیره ۰ کذلک شفاعته افضل من شفاعة غیره ۰ ومنها ان نبینا صلی الله علیه وسلم احیاه الله بعد موته حیاة تامة ۰ واستمرت تلک الحیاة الی الآن ۰ وهی مستمرة الی یوم القیامة ان شاء الله ۰ وشارکه فی ذلک جمیع الانبیا علیهم السلام ۰ والدلیل علی ذلک امور ۰ احدها قول الله تعالی ولا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله امواتا بل احیا عند ربهم یرزقون ۰ والشهادة حاصلة له ۰

مطلب من آداب زیارة قبر النبی صلی الله علیه وسلم

مطلب حیاة النبی صلی الله علیه وسلم

صلى الله عليه وسلم على اتم الوجوه لانه شهيد الشهدا قال الله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا
وان توهم ان ذلك من خصايص القتل فقد حصل له ذلك ايضا من اكلة خيبر صرح ابن
عباس وابن مسعود بانه صلى الله عليه وسلم مات شهيدا ثانيها حديث انس يرفعه
الانبيا احيا في قبورهم يصلون وفي لفظ عند البيهقي الانبيا لا يتركون في قبورهم بعد اربعين
ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله عز وجل حتى ينفخ في الصور ثالثها حديث انس عند
مسلم انت على موسى ليلة اسرى بي وهو قايم يصلي في قبره رابعها حديث الاسرا ورويته
الانبيا وذكره لكل احد انه على صورة كذا وبهيئة كذا ومستند الى البيت المعمور واشال
ذلك دلايل قاطعة على انهم احيا باجسادهم خامسها حديث اوس بن اوس ان الله تعالى
حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا وفيه دليل واضح وقد ذهب الى ما ذكرنا دليله
واوضحنا حجته جماعة من اهل العلم وصرح بوابه منهم الامام البيهقي والاستاذ ابو القاسم
القشيري وابو حاتم بن حبان وابو طاهر الحسين بن علي الازدستاني وصرح به ابو عمرو بن
الصلاح والشيخ محيي الدين النواوي والحافظ محب الدين الطبري وغيرهم واما حديث
لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد فلا دلالة فيه على النهي عن الزيارة بل هو حجة في ذلك
ومن جعله دليلا على حرمة الزيارة فقد اعظم الجراة على الله ورسوله وفيه برهان قاطع
على غباوة قايله وقصوره عن ذوق ما في العلم وقصوره عن درجة كيفية الاستنباط
والاستدلال والحديث فيه دليل على استحباب الزيارة من وجهين الاول ان موضع
قبره صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض وهو صلى الله عليه وسلم افضل الخلق واكرمهم على
الله تعالى لانه سبحانه لم يقسم بحياة احد غيره واخذ الميثاق من الانبيا بالايمان به ونصره
كما في قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول مصدق
لما معكم لتومنن به ولتنصرنه الآية وشرفه بفضله على سايرالمرسلين وكرمه بان ختم
به النبين ورفع درجته في عليين فاذا تقرر انه افضل المخلوقين وان تربته افضل
بقاع الارض استحب شد الرحال اليه والى تربته بطريق الاولى الوجه الثاني انه
استحب شد الرحال الى مسجد المدينة ولا يتصور من المومنين المخلصين انفكاك قصده عنه

مطلب شهادة رسول الله ﷺ

صلى

صلى الله عليه وسلم • وكيف يتصور ان المومن المعظم قدر النبى صلى الله عليه وسلم يدخل مسجده
ويشاهد حجرته ويحقق انه يسمع كلامه ثم بعد ذلك يسعه ان لا يقصد الحجره الشريفة
والقبر المقدس ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم • هذا مما لا يخفا به على احد • وكذلك
لو قصد زيارة قبره لم يسغ له قصده عن المسجد • ومن الدليل على الزيارة • الاحاديث
الكثيره الصحيحة فى فضل زيارة الاخوان فى الله • فزيارة سيد الاولين والاخرين اولى واولى •
ومنها ان حرمته صلى الله عليه وسلم واجبة حيا وميتا • ولا شك ان الهجرة اليه كانت
فى حياته من اهم الاشيا • فكذلك بعد موته • ومنها الاحاديث الدالة على استحباب زيارة
القبور • وهذا فى حق الرجال مجمع عليه • وفى حق النسا فيه خلاف • هذا فى غير قبر النبى صلى
الله عليه وسلم • واما زيارة قبره صلى الله عليه وسلم فالاجماع منعقد على استحبابها
للرجال والنسا • ومنها ان الاجماع منعقد على جواز شد الرحال للتجارة وتحصيل المصالح
الدنيوية فهذا اولى لانه من اعظم المصالح الاخرويه • ومنها اجماع الناس العملى على زيارته
صلى الله عليه وسلم وشد الرحال اليه بعد الحج من بعد وفاته الى زماننا هذا • ومنها
الاجماع القولى • قال القاضى عياض رحمة الله عليه زياره قبره صلى الله عليه وسلم سنة من
المسلمين مجمع عليها • واما الآثار فى الباب فكثيرة جدا • منها ما روى عن يزيد المهرى •
انه قال لما ودعت عمر بن عبد العزيز قال ان لى اليك حاجة • قلت يا امير المومنين كيف ترى حاجتك
عندى • قال انى اراك اذا اتيت المدينه سترى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فاقرئه منه السلام •
ومنها ما روى عن حاتم بن وردان قال كان عمر بن عبد العزيز يوجه البريد قاصدا من
الشام الى المدينه ليقرى عنه النبى صلى الله عليه وسلم السلام • وقال الامام ابو القاسم لما
اردت الخروج الى مكة قال لى القاسم بن عثمان ان لى اليك حاجة اذا اتيت قبر النبى صلى الله عليه
وسلم فاقرئه منى السلام • فلما وضعت رحلى فى مسجد المدينه ذكرت وصيته • قال السمرقندى
فى هذا دليل على ان من لم يقدر على الخروج فامر غيره يسلم عنه فانه ينال فضيلة السلام
ان شا الله • وفى مسند الدارمى انه لما كان ايام الحرة لم يوذن فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم
بلالا ولم يقم • ولم يبرح سعيد بن المسيب فى المسجد • وكان لا يعرف وقت الصلاه الا بهمهمة

سمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم • وعن ام الدرداء قالت لما دخل عمر بن الخطاب
رضي الله عنه من فتح بيت المقدس فصار الى الجابية فسأله بلال ان يقره بالشام ففعل ذلك • فقال
واخي ابو روحة يعني عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي الذي آخى بيني وبينه رسول الله صلى الله عليه
وسلم • فنزل داريا • في قبيلة حولان • فاقبل هو واخوه الى قوم من حولان • فقال لهم قد اتيناكم
خاطبين • وقد كنا كافرين فهدانا الله • ومملوكين فاعتقنا الله • وفقيرين فاغنانا الله • فان
تزوجونا فالحمد لله • وان ترد ونا فلا حول ولا قوة الا بالله • فزوجوهما • ثم ان بلالا رضي الله
عنه راى في منامه النبي صلى الله عليه وسلم • وهو يقول له ما هذه الجفوة يا بلال • اما آن لك
ان تزورني يا بلال • فانتبه رضي الله عنه حزينا وجلا خائفا باكيا فركب راحلته وقصد المدينة •
فاتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم • فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه • فاقبل الحسن والحسين
رضي الله عنهما فجعل يضمهما ويقبلهما • فقالا له يا بلال نشتهي نسمع اذانك الذي كنت تؤذن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ففعل • فعلا سطح المسجد فوقف موقفه الذي كان
يقف فيه • فلما قال الله اكبر الله اكبر ارتجت المدينة • فلما قال اشهد ان لا اله الا الله ازدادت
رجتها • فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله • خرجت العواتق من خدورهن • وقالوا بعث رسول
الله • صلى الله عليه وسلم • فما رؤي يوم اكثر باكيا ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ذلك اليوم • ذكره ابن عساكر في ترجمة بلال • وليس الاعتماد في الاستدلال بهذا
الحديث على رؤيا المنام فقط • بل على فعل بلال وهو صحابي • لا سيما في خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه والصحابة متوافرون لا تخفى عنهم هذه القضية • فسفر بلال في زمن صدر
الصحابة لم يكن الا للزيارة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم • وكذلك ايراد عمر بن عبد العزيز
البريد من الشام في زمن صدر التابعين • فلا يقول من لا علم له ان السفر مجرد الزيارة
ليس بسنة • وانشد بعضهم ۝

تمام الحج ان تقف المطايا ۞ على ليلى وتقربها السلاما ۞

رجعنا الى التفسير قوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
• قال المفسرون نزلت هذه الآية في الزبير بن العوام ورجل من الانصار بدليل ما روى البخاري

وسلم عن عروة بن الزبير عن ابيه رضي الله عنهما ان رجلا من الانصار خاصم الزبير عند النبي
صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصاري سرح الماء يمر
فابى عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري فقال يا رسول الله أن كان
ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس
الماء حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله اني لاحسب هذه الآية نزلت في ذلك فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم رواه البخاري فاستوعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد اشار على الزبير
برأي اراد فيه سعة له وللانصاري فلما احفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم
استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما
احسب هذه الآية نزلت الا في ذلك فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية ٥
قوله اختصما في شراج الحرة الشراج مسايل الماء التي تكون من الجبل وتنزل الى السهل
الواحدة شرجة بسكون الراء والحرة الارض الحمراء المتلبسة بالحجارة السود وقوله
فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي تغير وهو قوله فلما احفظه اي اغضب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله حتى يرجع الى الجدر هو بفتح الجيم بعدها دال مهملة
وقوله فاستوعى له اي استوفى له حقه في صريح الحكم وهو ان من كان ارضه اقرب
الى فم الوادي فهو اولى بالماء الوادي وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله عليه وسلم
اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة لاجله امر الزبير باستيفاء حقه على التمام
وحمل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول تكون الآية مستانفة لا تعلق لها بما قبلها
والله اعلم وقال البغوي وروى انهما لما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء
قال الانصاري لابن عمته ولوى شدقه فغضب له مقدادي كان مع المقداد فقال قاتل
الله هو لا يشهدون انه رسول الله ثم يحكمونه في قضاء يقضي بينهم والله لقد اوتينا

ذنبا مرة فى حياة موسى فدعا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ
قتلانا سبعين الفا فى طاعة ربنا فقال ثابت بن قيس بن شماس رضى الله عنه اما واسمان الله
ليعلم منى الصدق ولو امرنى رسول الله ان اقتل نفسى لفعلت وقال مجاهد والشعبى
نزلت هذه الآية فى بشر المنافق واليهودى اللذين اختصما الى الطاغوت وعلى هذا
القول تكون الآية متصلة بما قبلها فقوله تعالى فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا
تكون لا مزيدة لتاكيد معنى القسم وقيل لا رد لكلام سبق كانه قال ليس الامر كما يقولون
انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استانف القسم فقال تعالى وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم يعنى فيما اختلفوا فيه من الامور واشكل عليهم حكمه وقيل
فيما التبس عليهم وقال شاجره فى الامر اذا نازعه فيه واصله التداخل والاختلاط
وشجر الكلام اذا دخل بعضه فى بعض واختلط والله اعلم وقال مكى وغيره نزلت فى
حاطب بن ابى بلتعة وقيل فى ثعلبة بن حاطب واختلف العلماء فى الجبل الانصارى فقال بعضهم
هو رجل من الانصار من اهل بدر وقيل هو حاطب بن ابى بلتعة وقيل ثعلبة بن حاطب
وقيل غيره والصحيح القول الاول وانه غير معين ولا مسمى وكذا فى صحيح البخارى وسلم انه
رجل من الانصار واختار الطبرى ان يكون نزول الآية فى المنافق واليهودى كما قال
مجاهد ثم تنازعا واحتكما فقصة الزبير قال ابن العربى وهو الصحيح فكل من انهر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى الحكم فهو كافر لكن الانصارى زل زلة فاعرض عنه النبى صلى الله
عليه وسلم واقال عثرته لعلمه بصحة يقينه وانما كانت فلتة وليست لاحد بعد
النبى صلى الله عليه وسلم وكل من لم يرض بحكم الحاكم وطعن فيه ورده فهى ردة يستتاب
منها واما اذا طعن فى الحاكم نفسه لا فى الحكم فله تعزيره وله ان يصفح عنه وسياتى
بيان هذا فى آخر الاعراف ان شاء الله هذه عبارة بعض المفسرين وقال بعضهم ايضا
واذا كان سبب نزول هذه الآية ما ذكرناه من الحديث ففيها من الفقه انه صلى الله عليه
وسلم سلك مع الزبير وخصمه مسلك الصلح فقال اسق يا زبير لقريبك من الماء ثم ارسل
الماء الى جارك اى تساهل فى حقك ولا تستوفه وتعجل فى ارسال الماء الى جارك تحضه

على المسامحة والتيسير • فلما سمع الانصارى هذا لم يرض بذلك وغضب • لانه كان يريد
ان لا يمسك الماء اصلا • وعند ذلك بالكلمة الجايرة • المهلكة الفاقرة • فقال آن كان ابن تكلم ء
عمتك • بمد همزة أن المفتوحة على جهة الانكار • اى اتحكم له علىّ لاجل انه قرابتك •
فعند ذلك تلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم • وحكم للزبير باستيفاء حقه من
غير مسامحة له وعليه • لانقال كيف حكم صلى الله عليه وسلم فى حال غضبه • وقد قال
لا يقضى القاضى وهو غضبان • فانا نقول انه صلوات الله وسلامه عليه معصوم من الخطا
فى التبليغ والاحكام • بدليل العقل الدال على صدقه فيما سلغه عن الله تعالى فليس هو مثل
غيره من الحكام • وفى هذا الحديث ارشاد الحاكم الى الاصلاح بين الخصوم • وان ظهر
الحق • ومنع هذا الامام مالك • واختلف فيه قول الامام الشافعى • قالوا وهذا الحديث
حجة واضحة على الجواز • فان اصطلحوا والا استوفى لذى الحق حقه وبت الحكم • والله اعلم •
وقوله تعالى ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت • يعنى ضيقا مما قضيت • وقيل
شكا مما قضيت • بل يرضوا بقضايك ويسلموا تسليما • يعنى وينقادوا لامرك انقيادا •
ولا يعارضونك فى شئ من امرك • وقيل معناه يسلموا ما تنازعوا فيه لحكمك • قوله
تعالى ولو انا كتبنا عليهم • يعنى فرضنا واوجبنا عليهم • والضمير فى عليهم يعود الى المنافقين •
وقيل يعود الضمير على الكافة • فيدخل فيه المنافق وغيره • وقوله ان اقتلوا
انفسكم او اخرجوا من دياركم • يعنى كما كتبنا على بنى اسرآيل القتل والخروج من مصر • ما
فعلوه الا قليل منهم • معناه لم يفعله الا القليل منهم • وسبب نزول هذه الآية
ما روى ان ثابت بن قيس بن شماس تفاخر هو ورجل من اليهود فقال اليهودى والله لقد
كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا • فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا •
وهو من القتل الذى استثنى الله عز وجل • قال ابو اسحق السبيعى لما نزلت ولو انا كتبنا
عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الى اخرها • قال عمر بن الخطاب وعمار
ابن ياسر وابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين
ذكرهم الله عز وجل والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذى عافانا • فبلغ ذلك رسول الله صلى

الله صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتي لرجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ومن
قال ان الضمير في عليهم يعود الى المنافقين قال معنى ما فعلوه الا قليل منهم يعني رياء وسمعة
والمعنى انا ما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه ولو انا كتبنا عليهم
القتل والخروج عن الديار والوطن ما كان فعله الا نفر يسير منهم وقرا ابن عامر وعيسى
ابن عمر الا قليلا منهم على الاستثناء وكذلك هو في مصاحف اهل الشام ويقدره الا قلبلا منهم
وقرا الباقون بالرفع وقراءة الرفع اجود عند جميع النحويين وانما صار الرفع اجود لان
اللفظ اولى من المعنى وهو ايضا اشتمل على المعنى وذكر السمرقندي ان القليل منهم عمار بن ياسر
وابن مسعود وثابت بن قيس رضي الله عنهم قالوا لو امرنا الله ان نقتل انفسنا او نخرج من ديارنا
لفعلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان اشد في قلوب الرجال من الجبال الرواسي ٥
فاخبر الله سبحانه انه لم يكتب ذلك علينا رفقا بنا ليلا تظهر معصيتنا فكم من امر قصرنا عنه
مع خفته فكيف بهذا الامر مع ثقله لكن امنا والله لقد ترك المهاجرون مساكنهم خاوية
وخرجوا يطلبون بها عيشة راضية وقال بعضهم كان من القليل ابو بكر وعمر وبابت بن
قيس كما ذكرنا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به يعني ولو انهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول
صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه لكان خيرا لهم يعني في الدنيا والاخرة قال العلما وانما سمى
ذلك التكليف وعظا لان اوامر الله تعالى ونواهيه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب والعقاب
وما كان كذلك يسمى وعظا وقوله واشد تثبيتا يعني تحققا وتصديقا لايمانهم والمعنى
ان ذلك اقرب الى ثبات ايمانهم وتصديقهم واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما يعني ثوابا
وافرا جزيلا واذا جواب لسوآل مقدر كانه قيل ما اذا يكون من هذا الخير والتثبت قال
هو اذ يؤتيهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما قال ابن عباس معناه ولارشدناهم
الى دين مستقيم يعني دين الاسلام وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التي تؤدي
الى الصراط المستقيم وهو الصراط الذي يمر عليه المومنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر
العظيم اولا ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لانه هو المودي الى الجنة والله تعالى اعلم قوله
عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية لما ان كر الله عز وجل

ان يكونوا هم

الامر الذي لو فعله المنافقون حين [illegible] وتابوا اليه لأنعم عليهم ذكر بعد ذلك ثواب
من فعله وذلك في الآيات بعد هذه الآيات فقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم هو المراد في قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الرؤيا الا صلاة بعد صلاة
المعلوم من عائشة رضي الله عنها قالت كنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين ذي يزن
الاخير بين الدعاء والاخذ الا ما ذكر في ذلك والذي نفسي بيده ما اخذ [illegible]
[illegible] والله لا اكلمك ابدا فانزل الله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم
ثمنا قليلا الآية وفي رواية ابي اسامة عن هشام الى قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا
الله صلى الله عليه وسلم قال ذكر الحجاج [illegible] فقال ابن مسعود
ما بال احدكم يحدث احاديث لا يقيم حدودها [illegible] الزبير
او نحو ذلك فقال ما سألوا [illegible] فيما انزل الله [illegible]
حتى الكاك ثم انا ذكرنا الآخرة فانا لا اكلمك [illegible] وانزل
[illegible] وفي حديث آخر كان رجل من اهل النبي صلى الله عليه وسلم يخطر له
بطرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اراك فقال يا بني انت وامي يا رسول الله اتمتع من النظر اليك
فاذا كان يوم القيامة رفعك الله بفضيلة فانزل الله عز وجل الآية وفي حديث اشرف قال
النبي صلى الله عليه وسلم من احبني فان معي في الجنة وذكر ان بعض اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانك يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف
نراك فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال بعضهم انما نزلت الآية فيما قال عبد الله بن
ابن عبد ربه الانصاري وهو الذي اري الاذان يا رسول الله انك اذا مت ومتنا كنت في
عليين فلا نراك ولا نجتمع بك وذكر حزنه على ذلك فانزل الله هذه الآية وذكر مكي عن عبد الله

والشهود والصديقون والشهداء والصالحون وقد سبق معنى النجيب كأنه قال وما أعز
الكرامة التي في الجنة والرفيق هو الصاحب سمي رفيقا لارتفاق كل به وصحبته
والمكان واحد الأنبياء وصفة الجمع لأن العرب تخبر به عن الواحد والجمع وقل
شاهده وحسن كل واحد منهما أولئك رفقاء رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه
أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم من الأعراب فقال متى الساعة قال وما أعددت لها
قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت قال أنس فما فرحنا
بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت قال أنس فأنا أحب الله
ورسوله وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بأعمالهم وقال العلماء
في هذه الآية دليل على فضل أبي بكر رضي الله عنه وذلك أن الله تعالى ذكر مراتب الأولياء
في كتابه العزيز بدأ بالصالحين ثم ثنى بالشهداء ثم ثلث بالصديقين وأعلاها درجة
وأجلها منزلة الصديقية وقد أجمعت الأمة على أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعد نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وأفضل هذه الأمة وهذا واضح إن شاء الله تعالى ويدخل الله
الجنة بفضله ورحمته ثم بقدر أعمال العباد في منازل الجنة كما جاء في الحديث
وتفاوت الدرجات في الجنة على قدر تفاوت الأعمال ذكر الحكاوي ذكر الشيخ أبو محمد
الثواب وقال الفضل من الله أعلى وأجل من الثواب الذي هو جزاء العمل وقال الله تعالى
ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما يعلم من يستحق الفضل ومن لا يستحقه
وقيل عليما بمقادير الأعمال وقيل عليما بمقادير الجزاء عليها وكفى بالله عليما
كما قدمنا على أنهم لم ينالوا تلك الدرجة بأعمالهم بل إنما نالوها بفضل الله تعالى ورحمته
ويدل لذلك ما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لن يدخل أحدا عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني
الله منه بفضل ورحمة رواه البخاري وهذا لفظه وروى مسلم نحوه والله أعلم بمراده

قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا الى آخره
الخطاب هذا خطاب للموحدين المخلصين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وامرهم بالجهاد
بجهاد الكفار والخروج في سبيل الله وحاصل الوجه في هذه الآية والله اعلم
بما قبلها انه تعالى لما ذكر طاعة ومعاذير له اشرافه الطاعة على غيرها بالقيام بما هي
وظيفة واعلاه دعوته واخبر ان لا يقتدى الى ايمانهم على ما جاء به الى ان يقتدوا به
ويعلموا كيف يقيمون ذكره بين ظهرانيهم فقال لهم مخاطبا آمرا لهم خذوا حذركم اي آلة
حربكم التي يحترز بها من العدو وقيل الحذر ما يحذر به من العدو
والمعنى احترزوا من عدوكم ولا تكونوا غفلة فيغتنم العدو غفلتكم وقيل المراد
بالحذر الاستعداد للقتال بحيث يحذر العدو منكم وقيل معناه احذروا عدوكم
ان يجتاحكم وقيل معناه احذروا عدوكم
الآية ينسخ الحذر الجواب عنه ان الكلام
الامر بالحذر لا يمنع القدر وقالت المعتزلة والقدرية ان الحذر يدفع القدر من
الاعداء ولم يكن كذلك لانا نامر بالحذر حتى
على ان الحذر ينفع من القدر شاء او كره ثم بين ان
الحذر شاء او تركه واذا كان القدر جاريا على ما يشاء
ما ينفعه النفس لان ينفع في القدر وكذلك الحذر من العدو
اثنى على اصحاب نبيه بقوله قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا
عليهم لم يكن لهذا الكلام معنى والله اعلم بمراده وقوله فانفروا ثبات قال الحلبي يقال
نفر ينفر بكسر الفاء نفيرا وينفر بضم الفاء نفورا ومعنى قوله فانفروا
اي انهضوا للقتال العدو وينفال استنفر الامام الناس اي دعاهم الى النفر وهو الخروج
الى قتال العدو والنفير اسم للقوم الذين ينفرون واصله من النفار والنفور وهو الفزع

ومنه

ومنه قوله تعالى ولوا على ادبارهم نفورا اى نافرين وتقال نفر الجلد اذا ورم وتقال
تخلد فلان بالغضب فنفر فمه اى ورم قال ابو عبيد انما هو من نفار الشئ من الشئ
وهو تجافيه عنه وتباعده منه وقال بعضهم النفر عدة رجال من ثلاثة الى عشرة
والنفير النفر ايضا وكذلك النفر والنفرة حكاها الفراء الفا ومنه ايضا يوم النفر
اذا نفر الناس عن منى والله اعلم وقوله ثبات معناه فانفروا جماعات متفرقات
وتقال ان ثبين تجمع جمع السلامة فى التانيث والتذكير وانشد عمرو بن كلثوم
فانا يوم جيشنا عليهم فنصبح خيلنا عصبا ثبينا
فقوله تعالى ثبات كناية عن السرايا الواحدة ثبة وهى العصابة من الناس
ومعنى ثبات اى اخرجوا جماعات متفرقين سرية بعد سرية او انفروا جميعا
يعنى اواخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم وقال ابن عباس وغيره
معنى قوله تعالى او انفروا جميعا الجيش الكثيف مع الرسول صلوات الله عليه قال العلما
ولا تخرج السرايا الا باذن الامام ليكون متحسسا لهم عضدا من ورايهم وربما احتاجوا
الى ذريه وسياتى حكم السرايا وغنايمهم واحكام الجيوش ووجوب النفير فى سوره
الانفال وبراءة ان شاء الله وقال بعض العلما ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى انفروا
خفافا وثقالا وبقوله الا تنفروا يعذبكم ولان يكون قوله انفروا خفافا وثقالا
منسوخا بقوله انفروا ثبات او انفروا جميعا وبقوله ﷻ وما كان المومنون لينفروا
كافة اولى لان فرض الجهاد تقرر على الكفاية فمتى سد الثغور ببعض المسلمين
اسقطوا الفرض عن الباقين والصحيح ان الآيتين جميعا محكمتان احدهما فى الوقت
المحتاج فيه الى تعيين الجميع والآخر عند الاكتفا بطائفة دون غيرها والله اعلم بمراده
وقوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن نزلت فى المنافقين وانما قال تعالى منكم لاجتماعهم
مع اهل الايمان فى الحسبة والنسب واظهار كلمة الاسلام لا فى حقيقة الايمان والمعنى
وان منكم لمن ليتاخرن وليثاقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن ابى ابن سلول وكان راس المنافقين
والتبطية والابطا التاخر تقول ما ابطا بك عنا وقال بعضهم ايضا كان المنافقون

يقعدون عن الخروج وتثبطون غيرهم ۝ والمعنى ان من دخلائكم وجنسكم ومن اظهر
ايمانه لكم لمن ليبطئين ۝ فالمنافقون في ظاهر الحال من عداد المسلمين باجراء احكام المسلمين
عليهم ۝ واللام في قوله تعالى لمن لام توكيد ۝ والثانية لام قسم ۝ وقرا مجاهد والنخعي
والكلبي وان منكم لمن ليبطئن بعض المومنين ۝ لان الله تعالى خاطبهم بقوله وان منكم ۝ وقد
فرق الله بين المومنين والمنافقين بقوله ما هم منكم ولا منهم ۝ وهذا يا باه مساق الكلام
وظاهره ۝ وانما جمع بينهم في الخطاب من جهة الجنس والنسب كما بينا لا من جهة الايمان ۝
وهذا قول الجمهور ۝ وهو الصحيح ان شاء الله ۝ وقوله تعالى فان اصابتكم يعني يا معشر المومنين
مصيبة اي قتل او هزيمة قال يعني هذا المنافق قد انعم الله علي يعني بالقعود عن الغزو
اذ لم اكن معهم يعني مع المومنين شهيدا يعني حاضرا الوقعة فيصيبني ما اصابهم ولئن
اصابكم فضل من الله اي فتح وغنيمة ليقولن يعني هذا المنافق كان لم يكن بينكم وبينه
مودة اي فتح وغنيمة معرفة ومودة في الدين ۝ والمعنى كانه ليس من اهل دينكم ۝ وذلك
ان المنافقين كانوا يوادون المومنين في الظاهر يا ليتني كنت معهم في تلك الغزوة التي
غنم فيها المومنون فافوز فوزا عظيما اي فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة ۝ وهذا لا
يصدر الا من منافق ۝ لاسيما في ذلك الزمان الكريم ۝ بعيد ان يقوله مومن ۝ وينظر
الى هذه الآية ما رواه الائمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اخبارا
عن المنافقين ان اثقل صلاة عليهم العشا والفجر ۝ ولو يعلمون ما فيهما لاتوهما ولو حبوا ۝
وفي رواية ولو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلاة العشا ۝ يعني لو
لاح شيء من الدنيا لاخذوه وكانوا على بقعة منه لبادروا اليه ۝ وهو معنى قوله ولئن
اصابكم فضل من الله ۝ اي غنيمة وفتح ليقولن هذا المنافق قول نادم حاسد ۝ يا ليتني كنت معهم
فافوز فوزا عظيما كان لم يكن بينكم وبينه مودة ۝ فيكون في الكلام تقديم وتاخير وقرا
ابن كثير وحفص عن عاصم كان لم تكن بالتا على لفظ المودة ۝ ومن قرا بالياء جعل مودة
بمعنى الود ۝ وقول المنافق يا ليتني كنت معهم على وجه الحسد والاسف على فوت الغنيمة
مع الشك في الجزاء من الله تعالى ۝ قوله عز وجل فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون

الحياة الدنيا بالاخرة ... هذا خطاب للمنافقين اى فليخلص الايمان والقتال في سبيل الله ...
وقيل هو خطاب للمؤمنين اى ... في سبيل الله الذين يشرون ...
... والمعنى والقتال ... فمن ... نفسه نحياتهم في الدنيا بثواب الاخرة ...
وعداه بنفسه لان ... وقيل معناه ... في سبيل الله ... وقوله
بسبيل الله فيقتل ... ويغلب ... من ظفر بعدو ومن الكفار فسوف ...
نؤتيه ... من ثلاثة اقسام الشهادة او الكفر نوتم فيهما اجرا عظيما ... من ثوابا وافرا ...
قال ... الآية الترغيب ... عن قتل شهيدا او رجع ... في الصحيحين عن ابي هريرة ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج
في سبيله لا يخرجه الا ... في سبيله وايمان به وتصديق برسله فهو علي ضامن ان ادخله
الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة وذكر الحديث ...
وفيهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من
غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة الا تعجلوا ثلثي اجرهم من الآخرة ويبقى
لهم الثلث ... ما من سرية تغزو فتغنم وتسلم الا تعجلوا ثلثي اجرهم ... فتوله في الحديث الاول نائلا ما نال
من اجر او غنيمة يقتضي ان من لم يستشهد في الجهاد لم يحصل له اجر ... واما الاجر
دون غنيمة ... واما الغنيمة دون الاجر بخلاف مفاد الحديث الثاني ... وحديث عبد الله
ابن عمرو ... ولما كان هذا مما لزم حديث عبد الله ليس بشيء لان في اسناده حيي بن عبد الله
وليس بمشهور ... ورجحوا الاول على الثاني لشهرته ... وقال قوم ليس من الحديثين تعارض ولا
اختلاف ... وأو في حديث ابي هريرة بمعنى الواو كما يقوله الكوفيون ... وقد دل عليه حديث
ابي داود فانه قال فله من اجر او غنيمة بالواو الجامعة ... وقد رواه بعض رواة مسلم
بالواو الجامعة ايضا ... وحيد بن هانئ البصري سمع ابا عبد الله الجبلي ... وعمرو بن مالك
روى عنه حيوة بن شريح وابن وهب ... فالحديث الاول محمول على مجرد الفضل والاخلاص ...

يقاتلون فى سبيل الله و فى خلاص المستضعفين ۝ وقال ابن عباس محناه وعن المستضعفين ۝ لان المراد صرف الاذى عنهم ۝ وروى البخارى عن ابن عباس فى قوله ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين الاية ۝ قال كنت انا وامى من المستضعفين ۝ وفى رواية ابن ابى مليكه قال تلا ابن عباس هذه الاية الا المستضعفين من الرجال والنسا والولدان فانهم ممن عذر الله فى ترك القتال ۝ والولدان جمع وليد ۝ وهو الصبى الصغير ۝ قال العلما وانما ذكر الله عز وجل الولدان تشجيلا على المشركين ما افراط ظلمهم ۝ حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما للذين لم يذنبوا لا بانهم وامهاتهم ۝ او لان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعايهم استنزالا لرحمة الله تعالى بدعا صغارهم الذين لم يذنبوا ۝ كما فعل قوم يونس عليه السلام ۝ وكما وردت السنة باخراج الصبيان فى الاستسقا ۝ هذا اذا قلنا ان المراد بالولدان الاطفال ۝ ويجوز ان يراد بهم العبيد والاما ۝ لان العبد يقال له وليد ۝ تغليبا للذكور على الاناث ۝ والله اعلم ۝ وقوله الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها والمراد بالقريه هنا مكة باجماع المفسرين ۝ وقوله الظالم اهلها يعنى الظالم اهلها انفسهم بالشرك ۝ لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ۝ وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجره من مكة الى المدينه دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا اخرجنا من هذه القرية يعنى مكة الظالم اهلها بالشرك واجعل لنا من لدنك وليا يعنى وليا يلى امرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا يعنى ينصرنا ويمنعنا من العدو ۝ فاستجاب الله دعاهم وجعل لهم من لدنه خير ولى وخير ناصر ۝ وهو نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم ۝ ونصرهم ۝ واستنقذهم من ايدى المشركين يوم فتح مكه ۝ واستعمل عليهم عتاب بن اسيد ۝ وكان ابن ثمان عشره سنة ۝ فكان ينصر المظلومين من الظالمين ۝ ويا خذ للضعيف من القوى ۝ رضى الله عنه ۝ قوله عز وجل الذين امنوا يقاتلون فى سبيل الله يعنى فى طاعة الله واعلا كلمته وابتغا مرضاته والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت يعنى فى طاعة الشيطان ۝ فقاتلوا اولياء الشيطان اى فقاتلوا ايها المومنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار ۝ ان كيد الشيطان كان ضعيفا قال العلما الكيد هو السعى فى الفساد على جهة الاحتيال ۝

ويعني بكيده ما كاد المومنين به من تحزبه اوليآه الكفار يوم بدر • وكونه ضعيفا لانه
خذل اوليآه لما راى الملايكة قد نزلت يوم بدر • وكان النصر لاوليآ الله وحزبه على اولآ
الشيطان وحزبه • قال العلمآ وادخال كان في قوله كان ضعيفا لتاكيد ضعف كيد الشيطان •
وفي هذه الاية دليل وترغيب من الله لعباده المومنين وتشجيع لهم حيث اخبرهم انهم انما
يقاتلون في سبيله • فهو وليهم وناصرهم • وان اعداهم انما يقاتلون في سبيل الشيطان • فلا
ولي لهم سواه • وكيد الشيطان للمومنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه •
قوله تعالى الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاه وآتوا الزكوة قال
الكلبي رحمه الله نزلت هذه الاية في عبد الرحمن بن عوف الزهري • والمقداد بن الاسود الكندي •
وقدامة بن مظعون الجمحي • وسعد بن ابي وقاص • وجماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم •
كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة قبل ان يهاجروا • فكانوا يقولون يا رسول الله ايذن
لنا في قتالهم فانهم قد آذونا • فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فاني لم
اومر بقتالهم • واقيموا الصلاه وآتوا الزكاة يعني قيل لهم كفوا ايديكم عن قتالهم وادوا
ما افترض من الصلاه والزكوة • وفيه دليل على ان فرض الصلاه والزكاة كان قبل فرض الجهاد •
وفي رواية ان عبد الرحمن واصحابا له اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا نبي الله كنا
في عز ونحن مشركون • فلما آمنا صرنا اذلة • فقال اني امرت بالعفو • فلا تقاتلوا القوم •
فلما حوله الله تعالى الى المدينة امره بالقتال • فكفوا فنزلت الآية • اخرجه النسائي في سننه
من رواية عكرمة عن ابن عباس • قال الله عز وجل فلما كتب عليهم القتال اي فرض عليهم
جهاد المشركين وامروا بالخروج الى بدر اذا فريق منهم يعني اذا جماعة من الذين سالوا
ان يفرض عليهم الجهاد يخشون الناس يعني يخافون مشركي مكة كخشية الله او اشد خشية
واو بمعنى الواو يعني واشد خشية • وقال مجاهد نزلت في اليهود • وقال الحسن نزلت
في المومنين • وقال السدي هم قوم اسلموا قبل فرض القتال • فلما فرض كرهوه • وقيل
هو وصف للمنافقين • والمعنى يخشون القتل من المشركين كما يخشون الموت من الله او اشد
خشية اي عندهم وفي اعتقادهم • قلنا وهذا القول اشبه بسياق الاية لقوله تعالى

وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب اى قالوا ربنا لم فرضت
علينا القتال والجهاد فى سبيلك لولا اخرتنا الى اجل قريب يعنى هلا تركتنا ولم تفرض
علينا القتال حتى نموت بآجالنا والقائلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول
لا يليق بالمومنين ومحال ان يصدر هذا القول من صحابى كريم يعلم ان الآجال محدودة
والارزاق مقسومة بل كانوا لاوامر الله ممتثلين سامعين طايعين يرون ان الوصول
الى الدار الآجلة خير من المقام فى الدار العاجلة على ما هو معروف من سيرتهم رضى الله
عنهم اللهم الا ان يكون قايله ممن لم ترسخ فى الايمان قدميه ولا انشرح بالاسلام
جنانه فان اهل الايمان متفاضلون فمنهم الكامل ومنهم الناقص وهو الذى تنفر
نفسه عما يومر به فيما يلحقه فيه المشقه وتدركه فيه الشده وقد قاله
بعض المومنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا من هذا القول والله اعلم
قل متاع الدنيا قليل اى قل لهم يا محمد متاع الدنيا قليل اى منفعتها والاستمتاع
بها قليل لانه فانٍ زايل وسماه سبحانه قليلا لانه لا بقا له وقال النبى صلى الله عليه
وسلم مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب قال قيلولة تحت شجرة ثم راح وتركها وقد تقدم
هذا المعنى مستوفى فى سورة البقرة فاغنى عن اعادته والآخرة خير لمن اتقى اى وثواب
الاخرة خير لمن اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تظلمون فتيلا اى
ولا تنقصون من اجوركم قدر فتيل عن المستورد بن شداد رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه هذه
واشار يحيى بالسبابة فى اليم فلينظر بم ترجع رواه مسلم وعن الضحاك بن سفيان
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضحاك ما طعامك قال ما رسول الله اللحم
والبن قال ثم يصير الى ماذا قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال فان الله تعالى ضرب
ما يخرج من ابن ادم مثلا للدنيا رواه الامام احمد وعن ابى بن كعب رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مطعم ابن ادم جعل مثلا للدنيا وان قرحه وملحه
فانظر الى ما يصير رواه ابن حبان وقوله قرحه بتشديد الزاى من القرح وهو التابل

تقال قوحت القدر اذا طرحت فيها الابزار • وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه • وعالم او متعلم • رواه
ابن ماجة وغيره • وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مَنْ أُشرِبَ حُبَّ الدنيا التاط منها بثلاث شقاً لا يفده عناه • وحرص لا يبلغ غناه • وامل
لا يبلغ منتهاه • والدنيا طالبة ومطلوبة • فمن طلب الدنيا طلبته الاخرة حتى يدركه الموت
فياخذه • ومن طلب الاخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه • رواه الطبرانى • وعن
عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لا دار له • ولها يجمع
من لا عقل له • رواه الامام احمد والبيهقى وزاد ومال من لا مال له • وعن عبد الرحمن بن عوف
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشيطان لعنه الله لن يسلم منى صاحب المال من
احدى ثلاث اغدو عليه لعلى واروح • آخذه من غير حله • وانفاقه فى غير حقه • واحبسه
اليه فمنعه من حقه • رواه الطبرانى • رحمه الله • قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم
الموت نزلت هذه الاية فى المنافقين الذين قالوا فى قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما
قتلوا فرد الله عليهم بهذه الاية • وقيل نزلت فى الذين قالوا فيما لم كتب علينا القتال • فرد
الله عليهم بقوله اينما تكونوا يدرككم الموت يعنى ينزل بكم الموت • فبين الله تعالى انه لا خلاص
لهم من الموت • واذا كان لا بد لهم من الموت كان القتل فى سبيل الله وجهادا عدائه افضل
من الموت على الفراش • لان الجهاد موت تحصل به سعادة الاخرة • ثم بين سبحانه انه لا
بد لهم من الموت • وانه لا ينجى منه شئ بقوله ولو كنتم فى بروج مشيدة والبروج فى كلام العرب
هى الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة • وانشد طرفه يصف ناقة
كانها برج رومى تكنفها باذ بشيد وآجر واحجار
وقيل البروج المشيدة هى المطلية بالشيد وهو الجص • وقيل مشيدة اى محصنة • والمشيد
والمسيد سواء • ومنه قوله تعالى وقصر مشيد • والتشديد للتكثير • وقيل المشيد
بالتشديد هو المطول • والمشيد بالتخفيف هو المطلى بالشيد • يقال شاد البنيان • واشاد بذكره •
وقال السدى المراد بالبروج بروج فى السما الدنيا مبنية • وحكى هذا القول عن الامام مالك •

وقال

وقال الا ترى الى قوله تعالى والسماء ذات البروج وقوله تبارك الذى جعل فى السماء بروجا
وقوله ولقد جعلنا فى السماء بروجا وحكى النقاش عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال فى
بروج مشيدة معناه فى قصور من حديد فاسأل عالم وهذه الآية ترد على القدرية
فى الآجال لقوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة فاخبر سبحانه
بذلك ان الآجال متى انقضت فلا بد من مفارقة الروح الجسد سواء كان ذلك بقتل او موت
او غير ذلك على ما اجرى الله العادة بخروج الروح وقالت المعتزلة ان المقتول لو لم يقتل
القاتل لعاش وقد تقدم الرد عليهم فى سورة آل عمران وهذه الآية ترد على الكفار
والمنافقين قالوا لعلنا باتخاذ البلاد وبنائها نمتنع بها فى هذه الاموال والقوى
هى سنة الله فى عباده وفى هذه الآية دليل على رد قول من يقول انا نتوكل فنترك الاسباب
فان اتخاذ البلاد من اكبر الاسباب واعظمها وقد امرنا بها وقد اتخذها الانبياء
عليهم السلام وحفروا حولها الخنادق عدة وزيادة فى التمنع وقد قيل للاخنس رضى
الله عنه ما حكمة السور قال ليروح السفيه حتى يأتى الحليم فيصيبه واذا تأملت ما قال
الامام مالك والسدى فى انها بروج فى السما فبروج الفلك انما عدها بروجا لظهورها من
الكواكب العظام وانما قيل لها بروج لظهورها من قوله تبرج المرأة اذا ظهر ومنه
قوله تعالى فى حق النساء ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وخلق الله تعالى هذه البروج منازل
للشمس والقمر وقدره فيها وترتب الازمنة عليها وجعلها جنوبية وشمالية دلالة على
على مصالح الخلق وعلما على المقبلة وطريقا الى تحصيل انا الليل وآنا النهار لمعرفة اوقات
التهجد وغير ذلك من احوال المعاش سبحانه ما اعظم شانه قوله تعالى ما كما عن
المنافقين وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله قال المفسرون انزل الله تعالى هذه
الآية فى المنافقين واليهود وذلك ان المدينة اذا كانت ذات خير ورزق ونعم عند
مقدم النبى صلى الله عليه وسلم اليها فلما ظهر نفاق المنافقين وعناد اليهود امسك الله عنهم
بعض الامساك فقال المنافقون واليهود والله ما زلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا
منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعنى للمنافقين واليهود حسنة

اى خصب الثمار ورخص الاسعار يقولوا هذه من عند الله يعنى من فضل الله وان تصبهم
سيئة اى جدب فى الثمار وغلا فى الاسعار يقولوا هذه من عندك يعنى يقولوا هذه من
شومك واصحابك وشؤم قدومهم علينا وقيل الحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر
والسيئة القتل والهزيمة يوم احد وقيل الحسنة السلامة والامن والسيئة الامراض
والخوف وقيل الحسنة الغنى والسيئة الفقر وقيل الحسنة النعمة والفتح والغنيمة
والسيئة البلية والشدة وقيل الحسنة السنة والسيئة القحط ومعنى قولهم من عندك
اى انا انما حصلت لنا على يدك فعلى هذا القول ذكر هذا اخبارا عن المنافقين
وقيل هو امر من عندك اى بتقديرك كما قال النبى صلى الله عليه وسلم
قل اى قل يا محمد كل من عند الله اى بخلقه وقدره يعنى الحسنة والسيئة والخصب
والجدب والخيبة والغنيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيئة
فابتلاء من الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا اى فما شان هؤلاء المنافقين
والصد الذين قالوا ما قالوا لا يفقهون معانى القرآن وادلة الاشياء كلها من الله عز وجل
خيرها وشرها وقوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك قال العلماء معناه ما اصابك من خير وخصب ورخاء وصحة وسلامة فمن فضل
الله عليك تتفضل به احسانا منه اليك وما اصابك من سيئة يعنى من شدة ومكروه
وشقة واذى فمن نفسك يعنى فمن قبل نفسك وبذنبك اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به
قال العلماء وفى المخاطب بهذا الكلام قولان احدهما انه عام ومعناه ما اصابك ايها
الانسان الى اخره والثانى انه خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة
والنبى صلى الله عليه وسلم برئ لان الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد
عصمه من حين ابتعثه فهو معصوم فيما استقبل حتى موته ويدل على ان المراد بهذا الخطاب
غيره قوله عز وجل يا ايها النبى اذا طلقتم النساء خاطبه تعالى وحده ثم جمع الكل بقوله اذا
طلقتم النساء ومعنى قوله فمن نفسك اى عقوبة لذنبك يا ابن ادم كذا قاله قتادة وقال
الكلبى ما اصابك من خير فالله هداك له واعانك عليه وما اصابك من امر تكرهه فبذنبك

عقوبة لذلك الذنب • وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدريه • وقالوا بقى الله تعالى
السيئة عن نفسه وسببها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك • ولا
متعلق لهم بها • لانه ليس المراد من الاية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة المكتسبه من فعل
المعاصى • بل المراد من الحسنة والسيئة فى هذه الايه ما نصيب الانسان من النعم والمحن • وذلك
ليس من فعل العبد • لانه لا يقال فى الطاعة والمعصية اصابنى • انما يقال اصبتها • ويقال
فى النعم والمحن اصابنى • بدليل انه تعالى لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا • فهو كقوله تعالى فيما
حكاه عن فرعون وقومه ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون •
فاذا جاتهم الحسنة قالوا لنا هذه • وان تصبهم سيئه يطيروا بموسى ومن معه • اى تتشاءمون
بهم • ويقولون هذا من اجل اتباعنا لك وطاعتنا اياك • فرد الله عليهم بقوله الا انما طايرهم
عند الله • يعنى ان طآير البركة وطاير الشوم من الخير والشر والنفع والضر من الله • لا صنع
فيه للمخلوق • فكذلك قوله تعالى فيما اخبر عن المنافقين واليهود انهم يضيفونه الى شيء سوى
محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك • قل كل من عند الله •
كما قال الا انما طايرهم عند الله • وكما قال وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله • اى بقضآء
الله وقدره وعلمه • وآيات الكتاب يشهد بعضها لبعض • قال علمآء السنة ومن كان
يومن بالله واليوم الآخر فلا شك ان كل شيء بقضآء الله وقدره وارادته ومشيته • كما قال تعالى
ونبلوكم بالشر والخير فتنة • وكما قال تعالى واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من
دونه من وال • ولما ذكر الله عز وجل حسنات الكسب وسيآته وعد عليها بالثواب
والعقاب • فقال تعالى من جآء بالحسنة فله عشر امثالها • ومن جآء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها •
فبطل بهذا كله قول القدريه • وقال بعضهم لو كانت الآية على معنى ما تقول اهل القدر
لقال ما اصبت من حسنة ومآ اصبت من سيئة • ولم يقل مآ اصابك • لان العادة جرت ان
يقول الانسان اصابنى خير او مكروه • واصبت حسنة او سيئة • فان قيل كيف
وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله • وبين قوله ومآ اصابك من سيئة فمن نفسك •
فاضاف السيئة الى فعل العبد فى هذه الاية • قيل له اما اضافة الاشيآء كلها الى الله تعالى

فی قوله قل کل من عند الله فعلی الحقیقة لان الله تعالی هو خالقها وموجدها واما اضافة
المشیة الی فعل العبد فعلی المجاز بتقدیره وما اصابک من سیئة فمن الله بذنب نفسک عقوبة
لک وقیل اضافة السیئة الی فعل العبد علی سبیل الادب فهو کقوله تعالی واذا مرضت فهو
یشفین فاضاف المرض الی نفسه علی طریق الادب ولا شک عاقل ان المرض هو الله تعالی
وقیل هذه الآیة متصلة بما قبلها وفی الکلام اضمار وتقدیم وتاخیر تقدیره فما لهؤلاء
القوم لا یکادون یفقهون حدیثا ویقولون ما اصابک من حسنة فمن الله وما اصابک من
سیئة فمن نفسک قل کل من عند الله وقال ابن الانباری فی معنی الایة ما اصابک الله به
من حسنة وما اصابک به من سیئة فالفعلان راجعان الی الله تعالی والله هو الموفق والملهم للخیر
قوله تعالی لنبیه صلی الله علیه وسلم وارسلناک للناس رسولا یعنی وارسلناک یا محمد
الی کافة الناس رسولا لتبلغهم رسالاتی ومما ارسلتک به ولستَ رسولا الی العرب خاصة
کما قاله بعض الیهود وغیرهم بل انت رسول الی الخلق کافة العرب والعجم والاحمر والاسود
والجن والانس وکفی بالله شهیدا یعنی علی ارسالک للناس کافة فما ینبغی لاحد ان یخرج عن
طاعتک واتباعک وقیل معناه وکفی بالله شهیدا علی بلیغک مما ارسلتَ به الی الناس ۵
وقیل معناه وکفی بالله شهیدا علی ان الحسنة والسیئة من الله قوله عز وجل من
یطع الرسول فقد اطاع الله قال المفسرون سبب نزول هذه الآیة ان النبی صلی الله علیه
وسلم قال من اطاعنی فقد اطاع الله ومن احبنی فقد احب الله فقال بعض المنافقین ما یرید هذا
الرجل الا ان نتخذه ربا کما اتخذت النصاری عیسی بن مریم ربا فانزل الله عز وجل هذه الآیة
من یطع الرسول یعنی فیما امر به ونهی عنه فقد اطاع الله یعنی ان طاعة الرسول صلی الله علیه
وسلم طاعة الله تعالی لانه هو امر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلی الله علیه وسلم
طاعته وقامت به الحجة علی المسلمین وقال الامام الشافعی ان کل فریضة فرضها الله تعالی
فی کتابه العزیز کالحج والصلاة والزکاة لولا بیان سیدنا رسول الله صلی الله علیه وسلم لها ما
کنا نعرف کیفیاتها ولا کان یمکننا ادآء شیء من العبادات واذا کان رسول الله صلی الله
علیه وسلم بهذه المنزلة من الشریعة کانت طاعته علی الحقیقة طاعة الله وورد ت طاعته

مقرونه بطاعة الله فی ای کثره منها هذه الآیة ومنها قوله یا ایها الذین امنوا اطیعوا الله
ورسوله ومنها قوله واطیعوا الله والرسول لعلکم ترحمون ومنها قوله یا ایها الذین امنوا
اطیعوا الله ورسوله ومنها قوله وان تطیعوه تهتدوا ومنها قوله ومن یطع الله والرسول واطیعوا
فاولئک مع الذین انعم الله علیهم من النبیین والصدیقین والشهدا والصالحین وحسن اولئک رفیقا
وقال تعالی وما ارسلنا من رسول الا لیطاع باذن الله فجعل سبحانه طاعة رسوله طاعته
وقرن طاعة نبیه محمد صلی الله علیه وسلم بطاعته ووعد علی ذلک بجزیل الثواب واوعد
علی مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره باجتناب نهیه قال المفسرون
طاعة الرسول فی التزام سنته والتسلیم لما جاء به وقیل من یطع الرسول فی سنته فقد
اطاع الله فی فرائضه وسئل سهل بن عبد الله التستری عن شرایع الاسلام فقال ومآ
آتاکم الرسول فخذوه وما نهاکم عنه فانتهوا وقال السمرقندی معناه اطیعوا الله فی
فرائضه والرسول فی سنته وقیل اطیعوا الله فیما حرم علیکم والرسول فیما بلغکم ویقال
اطیعوا الله بالشهادة له بالربوبیه والنبی بالشهادة له بالنبوة قال العلما رضی الله عنهم
وطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله تعالی امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به
وطاعة له وقد حکی الله عن الکفار فی درکات جهنم یوم تقلب وجوههم فی النار یقولون
یا لیتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فتمنوا طاعته حیث لا ینفع التمنی وقال صلی الله علیه
وسلم اذا نهیتکم عن شی فاجتنبوه واذا امرتکم بشی فاتوا منه ما استطعتم وعن ابی هریرة
رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال کل امتی یدخلون الجنة الا من ابی قالوا ومن
ابا یا رسول الله قال من اطاعنی دخل الجنة ومن عصانی فقد ابی رواه اهل السنن وقال
صلی الله علیه وسلم مثلی ومثل ما بعثنی الله به کمثل رجل اتی قوما فقال یا قوم انی رایت
الجیش بعینی وانی انا النذیر العریان فالنجا فاطاعته طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا
علی مهلهم فنجوا وکذبت طائفة منهم فاصبحوا مکانهم فصبحهم الجیش فاهلکهم واجتاحهم
فذلک مثل من اطاعنی واتبع ما جئت به ومثل من عصانی وکذب بما جئت به من الحق
وفی حدیث آخر ان مثلی ومثل الانبیا من قبلی کمثل رجل بنی دارا وجعل فیها مادبة

وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبه ومن لم يجب الداعي لم يدخل
الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع
سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد اطاع الله ومن عصى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فقد
عصى الله وقوله ومن تولى اى اعرض عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا يعني حافظا
تحفظ اعمالهم عليهم بل كل امرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل ان يومر بالقتال
ثم نسخ ذلك بآية القتال وامر بقتال من خالف الله ورسوله قوله تعالى ويقولون
طاعة قال المفسرون نزلت ايضا في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة اى امرنا وشاننا
طاعة ويجوز النصب ومعناه نطيع طاعة وهي قراءة نصر بن عاصم والحسن والحذري
اى يقولون اذا كانوا عندك يا محمد امرنا طاعة او نطيع طاعة وليس قولهم هذا بناصح
لان من لم يعتقد الطاعة فليس بمطيع حقيقة لان الله تعالى لم يحقق طاعتهم لما اظهروه
فلو كانت الطاعة بلا اعتقاد حقيقة لحكم بها لهم فثبت ان الطاعة ما لا عتقاد من وجودها
فاذا برزوا من عندك اى خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول قرا الكوفيون
بادغام التاء في الطاء لانهما من مخرج واحد وقرا الباقون بيت طائفة بالاظهار ومعنى
بيت اي زور وموه وقيل غير وبدل وحرف اى بدلوا ما عهدالهم الله عز وجل
في امر النبي صلى الله عليه وسلم وامرهم به والتبييت التبديل ومنه قول الشاعر

اتوني فلم ارض ما بيتوا ... وكانوا اتوني بامر نكر

لانكح ايمهم منذرا ... وهل ينكح العبد حرا لحر

والتبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر مبيت اذا دبر بليل وقضي بليل فقدمت
وانما خص الليل بذلك لانه وقت يتفرغ فيه قال الشاعر ٥

اجمعوا امرهم بليل ... فلما اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء

ومن هذا يقال بيت الصيام ويقال ما بيتوت اذا بيت ليلا والبيوت ايضا الامر
يبيت عليه صاحبه مهتما به ٥ وانشد الهذلي ٥

واجعل فقرتها عُدَّةً اذا خفتَ بَيُوتَ امرٍ عُضالِ ۞
والتبييت والبيات اَنْ يأتي العدوّ ليلا ۝
ومعنى الاية انهم قالوا وقدروا امرا بالليل غير الذى اعطوك بالنهار من الطاعة وقيل
معنى بَيَّتَ غيَّرَ وبدّل طآئفة منهم غير الذى تقول يعنى غير الذى عهدت اليهم فعلى هذا
يكون التبيت بمعنى التبديل • وانما خصّ طائفة من المنافقين بالتبيت فى قوله منهم وكلمة
من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه • ومنهم من يرجع عنه ويتوب •
فخصّ من يُصِرّ على النفاق بالذكر • وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا فى الليل وبيتوا ذلك
القول فخصهم بالذكر والله يكتب ما يبيتون اى يثبت ويحفظ عليهم ما يزورون ويغيّرون
ويقدرون • وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق • قال العلمآء وفى هذه الاية دليل
على ان مجرد القول لا يفيد شيأ مما ذكرنا • فان المنافقين قالوا الطاعة ولفظوا بها ولم
يحققوا له طاعتهم ولا حكم لهم بصحتها • لانهم لم يعتقدوها فثبت انه لا يكون المطيع مطيعا
الا باعتقاد الطاعة مع وجودها فاعرض عنهم اى لا تخافهم بالمحمد ولا تحدث نفسك
بالانتقام منهم وخلّهم وضلالتهم فانا منتقم منهم • وقيل لا تخبر باسمآئهم وتوكل على الله
اى فوض امرك الى الله فى شأنهم • فان الله يكفيك امرهم وينتقم لك منهم • امر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم بالتوكل عليه والثقة به فى النصر على عدوه • وسيل ذو النون المصرى
عن التوكل • فقال هو خلع الارباب • وقطع الاسباب • وخلع الارباب اشارة الى علوم التوحيد •
وقطع الاسباب اشارة الى الاعمال • وسيل بعضهم عن التوكل • فقال ان كانت لك عشرة الاف
درهم وعليك دانق دين لم تأمن ان تموت ويبقى ذلك فى عنقك • ولو كان عليك عشرة الاف درهم
دين من غير ان تترك لها وفآء فلا تيأس من الله ان يقضيها عنك • وهذه اشارة الى مجرد
الايمان بسعة القدرة • فان فى المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة •
وسيل ابو عبد الله القرشى عن التوكل • فقال هو التخلق بالله فى كل حال • فقال السآئل زدنى
فقال هو ترك كل سبب يوصل الى سبب حتى يكون الحق سبحانه هو المتولى لذلك • والاول عام
للمقام الثالث • والثانى اشارة الى المقام الثالث خاصة • وهو مثل توكل ابرهيم عليه السلام

اذ قال له جبريل عليه السلام الك حاجة • فقال اما اليك فلا • اذ كان سوآله سبب يفضي الى
سبب • وهو حفظ جبريل له • فترك ذلك ثقة بالله عز وجل وان الله تعالى ان اراد سخر جبريل
لذلك فيكون هو المتولى لذلك • وهذا حال مبهوت غايب عن نفسه بالله تعالى • فلم ير مع الله غيره •
وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون • وسكون بلا اضطراب • فسكونه بلا
اضطراب اشارة الى سكون القلب الى الوكيل وثقته به • واضطرابه بلا سكون اشارة الى
فزعه اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بين يدى امه وسكون قلبه الى
تمام شفقتها • وقال ابو على الدقاق التوكل بلاث درجات • التوكل • ثم التسليم • ثم التفويض •
فالمتوكل يسكن الى وعده • والمسلم يكتفى بعلمه • وصاحب التفويض يرضى بحكمه • وهذه اشاره
الى تفاوت درجات نظره بالاضافة الى المنظور اليه • فان العلم هو الاصل • والوعد تبعه •
والحكم تبع الوعد • ولا يبعد ان يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شئ من ذلك ٥
وكفى بالله وكيلا يعنى ناصرا لك عليهم • ثم ان الله تبارك وتعالى عاب المنافقين بالاعراض عن
التدبر فى القران والتفكر فيه وفى معانيه بقوله عز وجل افلا يتدبرون القران
قال العلما اصل التدبر هو النظر فى عواقب الامور والتفكر فى ادبارها ثم استعمل فى كل
تفكر وتامل يقال تدبرت الشئ اذا نظرت فى عاقبته • وفى الحديث لا تدابروا • اى لا يول
بعضكم بعضا دبره • ويقال ادبر القوم اذا مضى امرهم الى آخره • ومعنى تدبر القران هو تامل
معانيه • والتفكر فى حكمه • وتبصر ما فيه من الايات • قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله
افلا يتدبرون القران يعنى يتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض • وما فيه من المواعظ •
والذكر • والامر • والنهى • وان احدا من الخلق لا يقدر عليه • قال بعض العارفين ينبغى لمالى
القران ان يجمل باطنه عند التلاوة فى عشرة اشيا • فهم اصل الكلام • ثم عظمته • ثم
حضور القلب • ثم التدبر • ثم التفهم • ثم التخلى عن موانع الفهم • ثم التخصص • ثم التاثر • ثم
الترقى • ثم التبرى • اما الاول فهو فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله ولطفه بخلقه فى تنزله
عن عرش جلاله الى درجة افهامهم خلقه • وكيف تجلت لهم بتلك الصفة فى طى حروف واصوات
هى صفات البشر • اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله الا بوسيلة صفات نفسه • ولولا

شرائط تفهم قرآن

اسرار

مطلب تعظيم

مطلب حصول الثمرات القرآن

شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا الثامن التاثير وهو ان يتاثر قلب
التالي باثار مختلفة بحسب اختلاف الايات فكونه بحسب كل فصل حال ووجد يشتمل
قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره وعلامتها معرفة كانت الخشية اغلب الاحوال
على قلبه فان التخويف غالب على ايات القران فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا
بشروط يقصر العارف عن بلوغها كقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب
وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وكقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر فذكر اربع شروط واذا تقصر فكر شرطا واحدا فما ظنك بالرحمة التي
قربت من المحسنين فالاحسان يجمع كل الشروط وهكذا من يتتبع القران من اوله الى آخره
ومن فهم ذلك فجدير بان يكون حاله الخشية ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنه واسفا اصبح
اليوم عبد يتلو هذا القران يومل به الا اكثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه
وكثر غمه وشغله وقلت راحته وطال اسفه وكان حبيب ابو محمد ظلم نفسه فاذا ورد نظر فاذا فيه
والوعيد فلم يدر شيا ارد القلوب ولا اشد استغلاقا بالجهل من تفسير القران وتفهمه
وتدبره وثمرات العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد
وتقييد المغفرة بالشروط يتصل من خشيته كانه يكاد يموت وعند التبشير والوعد
بالمغفرة يستبشر كانه يطير من الفرح وعند ذكر صفات الله واسمائه يتذلل خضوعا
لجلاله فاستشعار العظمة وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله كفرهم به واراءهم
بغير صورته وينكر في قلبه حياءا من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث في باطنه
شوقا اليها وعند وصف النار تتغير فرائصه خوفا منها وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرا علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا
جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هؤلاء شهيدا رايت عينيه تذرفان بالدموع فحال
لحبسك الآن وحزنا لان مشاهدة ذلك الحالة استغرق قلبه بالكلية ولقد
كان في الكابدين من خر مغشيا عليه عند ايات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات
فمثل هذه الاحوال يخرج التالي للقران عن ان يكون حاكيا فاذا لم يكن حاكيا

سورة ص

مثال لهجة القارئ

مطلب قراءة على الشيخ

تأمل

يامرك • وماذا نفهمك • ولهذا كان شغل الصحابه رضى الله عنهم فى الاحوال والاعمال • فقد
توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة • لم يحفظ القران منهم الا ستة
نفر • اختلف منهم فى اثنين • وكان اكثرهم الذى حفظ السورة والسورتين • وكان الذى حفظ
البقرة والانعام من علمائهم • كما حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال حفظت البقره فى
ثنتى عشره سنة • وذلك انه حفظها بسائر علومها الظاهره والباطنه • وروى انه اعرابيا
جاء ليتعلم القران • فاشتهى الى قول الله تعالى فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره ومن يعمل مثقال ذره
شرا يره • قال يكفينى هذا وانصرف • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه •
واما مجرد حركه اللسان فقليل الجدوى • بل التالى باللسان المعرض عن العمل جدير بان
يكون هو المراد بقوله تعالى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
اعمى • وبقوله كذلك اتتك ايا تنا فنسيتها ولذلك اليوم تنسى • اى تركتها ولم تنظر اليها
ولم تعبا بها • فان المقصر فى الامر يقال انه نسى الامر • وتلاوة القران حق التلاوه ان
يشترك فيه اللسان والعقل والقلب • فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل • وحظ العقل
تفسير المعانى • وحظ القلب الاتعاظ والتاثر بالانزجار والايتمار • فاللسان واعظ •
والعقل مترجم • والقلب متعظ • التاسع الترقى • وهو ان يسمع الكلام من الله جل وعلا •
لا من نفسه • فدرجات القراة ثلاثه • ادناها ان يقدر العبد كانه يقراه على الله تعالى واقفا
بين يديه • وهو ناظر اليه • ومستمع منه • فيكون حاله عند هذا التقدير السوال والتملق
والتضرع والابتهال • الثانيه ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه بالطاعة • ويناجيه
بانعامه واحسانه • فمقامه الحيا والتعظيم والاصغا والفهم • الثالثه ان يرى فى الكلام
المتكلم • وفى الكلمات الصفات • فلا ينظر الى نفسه • ولا الى قراته • ولا الى تعلق الانعام به من
حيث انه منعم عليه • بل يكون مقصور الهم على المتكلم • موقوف الفكر عليه • كانه مستغرق
بمشاهده المتكلم عن غيره • وهذه هى درجة المقربين • وما قبله درجات اصحاب اليمين •
وما خرج عن هذا فهو درجة الغافلين • وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق •
فقال والله لقد تجلى الله لخلقه فى كلامه • ولكنهم لا يبصرون • وقال ايضا وقد سالوه عن حالة

على هامش الصفحة: عدد درجات حفظ القرآن عند الصحابة رضى الله عنهم
على هامش الصفحة: تلاوة القرآن
على هامش الصفحة: درجات القراءة

لحقته فى الصلاه حتى خرّ مغشيا عليه • فلما سُرى عنه قيل له فى ذلك • فقال ما زلت اُردد
الاية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها • فلم يشب جسمى لمعاينه قدرته • وفى مثل هذه الدرجة
تعظم الحلاوة ولذة المناجاة • ولذلك قال بعض الحكما كنت اقرا القران فلا اجد له حلاوة •
حتى بلوته كانى اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه • ثم رفعت الى مقام
فوقه • فكنت اتلوا كانى اسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
جا الله بمنزله اخرى • فانا الآن اسمعه من المتكلم به • فعند ما وجدت له لذه ونعيما لا اصبر عنه •
وقال عثمان بن عفان وحذيفه بن اليمان رضى الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراه القران •
وانما قالا ذلك لانها بالطهارة ترقا الى المتكلم دون ما سواه مشاهدة المتكلم فى الكلام •
ولذلك قال ثابت البنانى كابدت القران عشرين سنه • وتنعمت به عشرين سنه • وبمشاهدة
المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله • ولقوله ولا تجعلوا مع الله
الها آخر • فمن لم يره فى كل شى فقد راى غيره • وكل ما التفت اليه العبد تضمن التفاته
شا من الشرك الخفى • بل التوحيد الخالص ان لا يرى فى كل شى الا الله • العاشر التبرى •
يعنى ان التالى للقران تتبرى من حوله وقوته • فاذا تلى ايات الوعد والمدح للصالحين فلا
تشهد نفسه عند ذلك • بل تشهد الموقنين والصدقين فيها وتشوق ان يلحقه الله بهم •
واذا تلى ايات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك • وقد راته المخاطب خوفا
واشفاقا • ولذلك كان عمر رضى الله عنه يقول اللهم انى استغفرك لظلمى وكفرى • فقيل له
هذا الظلم فما بال الكفر • فتلى قول الله تعالى ان الانسان لظلوم كفار • وقيل ليوسف بن اسباط
اذا قرات القران بماذا تدعوا • فقال بماذا ادعوا • استغفر الله من تقصيرى سبعين مرة •
فاذا راى التالى نفسه بصورة التقصير فى القراة كان زوته سبب قربه • فان من اشهد
البعد فى القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اخرى فى القرب وراها • ومن اشهد
القرب فى البعد مكر به بالامن الذى يفضيه الى درجة اخرى فى البعد اسفل مما هو فيه •
ومتى كان مشاهدا نفسه بعين الرضا كان محجوبا بنفسه • واذا جاوز حد الالتفات الى
نفسه ولم يشاهد الا الله تعالى فى تلاوته انكشف له الملكوت • وحكى سليمان بن ابى سليمان الدارانى

ان ابن ثوبان وعد اخا له ان يفطر عنده فابطا عليه حتى طلع الفجر فلقيه اخوه من الغد
فقال له وعدتنى ان تفطر عندى فاخلفت فقال لولا ميعادك ما اخبرتك بالذى حبسنى
عنك انى لما صليت العتمة قلت اوتر قبل ان اتيك فانى لا آمن ما يحدث من الموت فلما
كنت فى الدعاء من الوتر رفعت لى روضة خضراء فيها انواع الزهر من الجنة فما زلت انظر
اليها حتى اصبحت وهذه المكاشفات لا تكون الا بعد التبرى عن النفس وعدم الالتفات
اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب احوال المكاشف فحيث تغلب الرجاء
ويغلب على حاله الاستبشار تكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها عيانا
وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله عز وجل
يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب اوصافه
اذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات تنقلب
القلب فى اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة
ويقاربها او يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلف اذ فيه كلام راض وكلام
غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا مبالى وكلام حنان متعطف لا يمل
فهذه عشرة امور ينبغى لمبالى كلام الله تعالى ان يستشعرها ذكرها اهل الكشف قدس
الله اسرارهم على معنى قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن وقال المفسرون ان الله تعالى
احتج بالقرآن والتدبر فيه على صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والحجة فى ذلك
من بلاثة اوجه احدها فصاحته الذى عجز الخلائق عن الاتيان بمثله فى اسلوبه العالى
اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على احوال المنافقين وما
يخفونه من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن احوال الاولين
واخبارهم وما يأتى فى المستقبل من امور الغيب التى لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته
عن الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى تفاوتا وتناقضا وفى رواية عنه لو كان
من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لو وجدوا فى اخباره عن الغيب

بما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله • واذا كان ذلك ثبت انه
من عند الله • وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض • وقد قال لو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة • والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على
قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مرذول ركيك فاسد • فلما كان
القران جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله • والمعنى افلا
يتفكرون في القران فيعرفوا بعدم التناقض فيه وصدق ما اخبر به عن الغيوب انه كلام
الله عز وجل • وان ما يكون من عند غير الله لا يخلوا عن تناقض واختلاف • فلما كان القران
ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر ما لا يقدر عليه غيره • عالم بما لا يعلمه سواه •
قال العلماء ولا يدخل في هذا اختلاف الفاظ القرآت • والفاظ الامثال والدلالات • ومقادير
السور والآيات • وانما اراد سبحانه اختلاف التناقض والتفاوت • وقال بعضهم انا لو
كان ما اخبروا به من عند غير الله لاختلف • وذلك انه ليس من متكلم يتكلم كثيرا الا وجد
في كلامه اختلاف كثيرا ما في الوصف واللفظ • واما في جودة المعنى • واما في التناقض • واما
في الكذب • فانزل الله عز وجل القران وامرهم بتدبره • لانهم لا يجدون فيه اختلافا في الوصف
ولا رذالة في معنى • ولا تناقضا ولا كذبا • وما اخبروا به من الغيوب وما يسرون والله اعلم
قوله تعالى حاكيا عن المنافقين واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به قال
المفسرون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا او
غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يحدث
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المومنين • فانزل الله عز وجل هذه الآية •
واذا جاءهم يعني المنافقين امر من الامن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة او الخوف يعني القتل
والهزيمة اذاعوا به اي افشوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس • يقال اذاع الشر
واذاع به • اذا اشاعه واظهره • قال الشاعر

اذاع به في الناس حتى كانه • بعلياء نار اوقدت بثقوب

ولو ردوه يعني الامر الذي يتحدثون به الى الرسول يعني انهم لم يتحدثوا به حتى يكون الرسول

صلى الله عليه وسلم هو الذى يتحدث به ويظهره والى اولى الامر منهم يعنى ذوى العقول والراى
والبصر بالامور منهم وهم كبار الصحابة كابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وقيل
هم امرا السرايا والبعوث وانما قال تعالى منهم على حسب الظاهر ولان المنافقين كانوا
يظهرون الايمان فلهذا قال تعالى واولى الامر منهم وقيل ان بعض ضعفا المومنين كانوا
يفشون امر النبى صلى الله عليه وسلم ويظنون انهم لا شئ علمهم فى ذلك والصحيح انه فى المنافقين
وقوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم اى يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم
وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وهم العلما الذين علموا ما ينبغى ان يكتم
من الامور وما ينبغى ان يذاع منها والاستنباط مشتق من قولك استنبطت الما اذا
استخرجته والنبط هو الما الذى يخرج من البير اول ما يحفر واستنباطه استخراجه
فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكايه وصفا ذهنه وفطنته من المعانى والتدبير
فيما يعضل ويهم ويقال ايضا استنبط الفقيه المسئلة اذا استخرجها باجتهاده
وفهمه وفى الاية دليل على جواز القياس وهو الاجتهاد اذا عدم النص والاجماع
وذلك ان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط
وهو القياس على الكتاب والسنة ومعنى الآية ولو ان هولا المنافقين والمذيعين ردوا
الامر من الامن او الخوف الى الرسول والى اولى الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم
لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغى ان يشاع او يكتم
والله تعالى اعلم قوله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا
قليلا يعنى ولولا فضل الله عليكم ببعثة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لبقيتم على الكفر والضلالة
وكنتم متبعين للشيطان فى ذلك واختلف العلما فى الاستثنا فى قوله الا قليلا الى ماذا
يرجع فقال ابن عباس وغيره هو راجع الى الاذاعة والتقدير واذا جاهم امر من الامن او
الخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج سحابه بعض المنافقين والموسنين عن هذه الاذاعة
لانهم لم يذيعوا ما علموا من امر السرايا وهذا القول هو اختيار الفرا وابن جرير الطبرى
وقال الحسن وقتادة الاستثنا راجع الى المستنبطين واختاره ابن قتيبه والتقدير

لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا. فعلى هذين القولين يكون في الاية تقديم وتاخير.
وقيل ان الاستثناء راجع الى اتباع الشيطان. وهذا قول الضحاك. واختاره الزجاج.
ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشيء البعيد. والتقدير
ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم. وهم قوم امنوا واهتدوا قبل
مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن. مثل زيد بن عمرو بن نفيل. وورقة بن
نوفل. وقس بن ساعدة. رضي الله عنهم. قوله تعالى. خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم. فقاتل
في سبيل الله لا تكلف الا نفسك. قال بعض المفسرين الفاء في قوله فقاتل متعلقة بقوله ومن
يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما فقاتل في سبيل الله. اي من اجل
هذا فقاتل. وقال بعضهم هي متعلقة بقوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله فقاتل في سبيل
الله. كان المعنى لا يدع صلى الله عليه وسلم شهادة العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين
ولو وحده. لانه تعالى وعده بالنصر. وقال الزجاج امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
بالجهاد وان قاتل وحده. لانه قد ضمن له النصرة. وقال ابن عطية هذا هو ظاهر اللفظ. ولكنه
لم يجئ في خبر قط ان القتال عليه فرض عليه دون الامة مدة ما. فيكون المعنى والله اعلم
انه خطاب له في اللفظ. وهو مثال ما يقال لكل احد في خاصة نفسه. اي انت يا محمد
وكل واحد من امتك. القول له فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك. قال العلماء ولهذا
ينبغي لكل مؤمن ان يجاهد ولو وحده. ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم والله لاقاتلنهم
حتى يسقط سالفتي. وقول ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقت الردة ولو خالفتني يميني لجاهدتها
بشمالي. قال المفسرون ونزلت هذه الاية في موسم بدر الصغرى في مواعدة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابا سفيان بن حرب. وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر بعد
وقعة احد. وذلك في ذي القعدة. فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى
الخروج الى بدر. فكرهه بعضهم. فانزل الله عز وجل هذه الاية فقاتل في سبيل الله. يعني لا تدع
جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين. لا تكلف الا نفسك. يعني لا تكلف فرض غيرك.
بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك. فان الله تعالى ناصرك لا الجنود. وقد وعدك النصر عليهم ٥

وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى
فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله سبحانه من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بهذه الاية على ترك الجهاد والخروج معه قال ابن اسحق لما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة من غزوه ذات الرقاع اقام بها بقيه جمادى الاولى وجمادى الاخرة ورجبا
ثم خرج في شعبان الى بدر لميعاد ابي سفيان حتى نزله فاقام عليه ثمانيه ايام ينتظره وخرج
ابو سفيان في اهل مكه حتى نزل مجنة من ناحية الظهران وقيل حتى نزل عسفان ثم بدا له
في الرجوع وقال لهم يا معشر قريش انه لا يصلحكم الا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون
فيه اللبن فان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس وسماه اهل مكه
جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على
بدر ينتظر ابا سفيان لميعاده وانشد عبد الله بن رواحه في ذلك شعرا
وعدنا ابا سفيان بدرا فلم نجد لميعاده صدقا وما كان وافيا
فاقسم لو وافيتنا ظفيتنا لاثبت زيدا وافقدت العواليا
تركنا بها اوصال عتبة وابنه وعمرا اباجهل توكناه ثاويا
عصيتم رسول الله اف لامركم وامركم الشيء الذي كان غاويا
فلا وان عنفتموني لقتاليه فدى لرسول الله اهلي وماليا
الطعناه لم نعدل له فينا غيره ضرابا لنا في ظلمة الليل حاميا
ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة الشريفة ولم يلق كيدا وفي هذه الغزوه
انزل الله هذه الاية فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وفي الاية دليل على ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اشجع الناس واعلمهم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى امره بالقتال وحده
ولو لم يكن اشجع الناس لما امره بذلك ولقد اقتدى به ابو بكر الصديق رضي الله عنه في
قتال اهل الرده من بني حنيفه وغيرهم ممن منع الزكوه وارتد فعزم على الخروج الى قتالهم
ولو وحده ثم قال عز وجل وحرض المؤمنين يعني حثهم على الجهاد ورغبهم في الثواب
وليس عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم يقال حرضت فلانا على كذا

اذا امرته به ويقال حارض فلان على الامر واكب وواظب بمعنى واحد عسى الله ان يكف
باس الذين كفروا اى لعل الله ان يمنع باس الكفار وشدتهم وقد فعل سبحانه وذلك ان
ابا سفيان بدا له عن القتال فرجع بما ذكرنا وقوله تعالى عسى الله ان يكف باس الذين كفروا
الطماع والاطماع من الله واجب على ان الطمع قد جاء فى كلام العرب على الوجوب ومنه
قوله تعالى حاكيا عن ابراهيم عليه السلام والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين وقال الشاعر
طمعت بهم كعسى سوقة تنازعون خزائن الاموال
والله شديد بأسا اى اعظم صولة واشد سلطانا واقدر باسا على ما يريده واشد تنكيلا
معنى واشد عذابا وعقوبة من غيره ويقال رماه الله بنكلة اى رماه بما ينكله
ويقال نكلت بالرجل تنكيلا من النكال فان قال قائل نحن نرى الكفار فى باس وشدة
وقلتم ان عسى بمعنى اليقين فاين ذلك الوعد قيل له قد وجد هذا الوعد ولا يلزم
ان يكون وجوده على الاستمرار والدوام فمتى وجد ولو لحظة مثلا فقد صدق الوعد
فالله تعالى قد كف باس المشركين ببدر والاخرى واخلفوا ما كانوا عاهدوه من الحرب
والقتال وكفى الله المؤمنين القتال وكذلك يوم الحديبية عما راموه من الغدر برسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث سقط عليه ثمانون فارسا من اهل مكة متسلحين ليقتلوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم ويقتلوه فقطع بهم المسلمون فخروا اليهم فاخذوهم جميعا واستاسروهم
وساقوهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقهم جميعا وكان ذلك والسفراء بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش بالصلح وفيهم انزل الله عز وجل وهو الذى كف ايديهم
عنكم وايديكم عنهم على ما يأتى بيانه ان شاء الله وايضا ما القى الله فى قلوب الاحزاب من الرعب
والخوف الشديد والريح والبرد وجنود الله حتى انصرفوا من غير قتل ولا قتال كما قال
تعالى وكفى الله المؤمنين القتال وكذا خروج اليهود من ديارهم واموالهم بغير قتال المؤمنين
لهم فهذا كله باس قد كفه الله عن المؤمنين مع انه قد دخل من اليهود والنصارى العدد
الكثير والجم الغفير تحت الجزية صاغرين وتركوا المحاربة داخرين وكف الله باسهم عن
المؤمنين والحمد لله رب العالمين قوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له

نصيب منها وان الله تعالى اعلم فخص الشفيع وهو اذ يصير الانسان بنفسه
سفيعا لصاحب الحاجة الذي يجتمع معه على السؤال الى المشفوع اليه فكل من اقبل ان
السيد بالشفاعة الى الامير في شفاعة الاسرى العزيز عليه لا بشفاعته منقطعا
او يخلصه من بلاء نزل به وقيل سمي الصلح بين الناس وقيل سمي الانسان من يضم شفعا
لو تراصابك يا محمد ليشفعن فما عدلهم يكن له نصيب منها اي حظ وافر من اجره
شفاعته ومن ثواب الله وكرامته ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها قال الضحاك
الشفاعة الحسنة هي التي لا حد فيها ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقال مجاهد
اراد بالشفاعة السيئة دعاء المؤمن على المسلمين وقال ابن عباس المراد بالشفاعة الحسنة
الدعاء للمسلمين وبالسيئة الدعاء عليهم وفي الحديث من دعا لاخيه بظهر الغيب استجيب له
وقال الموكل به امين وكان يقال من شفع لاخيه فاكرمه ذاك فقد اتى بابا من ابواب الكبائر
علته وكان الوزر عليه وقيل معناه ومن يشفع كفرا تقبل الله منه ويكن
له كفل اي نصيب وقيل ضعف وقوله مقيتا اي مقتدرا والاقتدار من الكفاية يقال
الذي يحويه راكب البعير على سنامه اذا ملكه وقال العرب اكفاك ابعيرا ان زلت
على سنامه كما اوركبته عليه ويقال له الكفل لانه لم يستعمل ظهر البعير كله بل استعمل
بعضه من الكفل وجعل الكفل في الاغلب في الخير والشر كما قدمنا قال الله عز وجل
ويكم كفلين من رحمته واعلم ان الشافع الذي يشفع في الخير يؤجر وان لم تقبل شفاعته
لان الله تعالى قال من يشفع شفاعة حسنة ولم يقل من تقبل وفي صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما احب وكان الله على كل شيء مقيتا قال
ابن عباس يعني مقتدرا وجازيا ومنه قول الزبير بن عبد المطلب
وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا
اي قادرا فالمعنى في الاية ان الله تعالى يعطي كل انسان قوته ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقيت على من رواه هكذا ماليا اي من هو تحت قدرته وفي
قبضته من عيال وغيرهم تقول قته اقوته قوتا واقته اقيته اقاتة فانا قايت

مطلب شفاعة

على الاساءة اليهم

وحكى الكسائي أكلت تمر وأكلت الشاعر أي أكلت شيئا مثله قال بعضهم
أنه من غير هذا المعنى المتقدم وأنه من الطرف وقال أبو عبيد القتبي الكافر
وقال الكسائي الكفر القدر وقال الأصمعي الكفر ستر الشيء وغطيته وسميت
بالكفر لأنه يغطي القلب وقال أبو إسحاق الكفر من كل رجل قوته وجاء في الحديث
كفر الشراك أن يخرج من قوته وقيل الكفر في الجد القيد المتقدم والكفر
الكافل والشاهد ويقال ما عنده قيت ليلة وقوت ليلة وأما قوله
عز وجل وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها قال الأطباء هذا من التحية
بمعنى الحياة وأصله من الحياة ثم جعل السلام تحية لأنه سبب الحياة
قال ابن الأنباري والتحية إنما هي بقاء الحياة أي جعل الله حياتك أطول
وقال غيره والتحية إنما هي الحياة الدائمة التي لا موت فيها وكانت تحية الملوك
بالعجمية تعيش ألف سنة وقال أبو إسحاق قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا فسلموا
على أنفسكم فالسلام اسم من أسماء الله عز وجل وضعه الله في الأرض
وأمر بإفشائه بين الناس فإذا دخل الرجل بيتا ليس فيه أحد فليقل السلام
علينا من ربنا وإن كان فيه أحد فليقل السلام عليكم ورحمة الله وإنما اختير
هذا السلام على التحية لأن هذه الأمة خصت بالسلام من بين الأمم
فأراد أن لا تشاركها أمة في تحيتها ولأن السلام تحية في الجنة وتحية
الأنبياء وقيل التحية الملك قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة سألت الكسائي عن قول النابغة
ما سمعناها فقال التحيات مثل البركات فقلت ما معنى البركات فقال سألت عنها
ثم سألت عنها محمد بن الحسن فقال هي شيء تعبد الله به عباده فنزلت الكوفة فلقيت عبد الله
ابن إدريس فقلت له إني سألت الكسائي ومحمد بن الحسن عن معنى التحيات فأجابا بي بكذا وكذا
فقال عبد الله إنه لأعلم بما بالشعر التحية هي الملك وأنشد بقول

أأنخ يا ابا قابوس حتى أنيخ على تحيتك بجندي

أي على مملكته وأنشد بعضهم

أسير به إلى النعمان حتى أنيخ على تحيته بجندي

يريد على ملكه وقال آخر

ولكل ما نال الفتى قد نلته الا التحيه ٥ اى الملك ٥ وقال الفتى انما قال التحيات
لله على الجمع لانه كان فى الارض ملوك يحيون بتحيات مختلفات فيقال لبعضهم ابيت اللعن
ولبعضهم اسلم وانعم ولبعضهم عش الف سنه فقيل لنا قولوا التحيات لله اى الالفاظ
التى تدل على الملك ولكنى بها عنه لله تعالى فصل فى فضل السلام والحث عليه والمصافحة
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى
الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرا السلام على من عرفت ومن لم تعرف رواه البخارى ومسلم
وقوله اى الاسلام خير اى اى خصال الاسلام خير وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلون الجنه حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا اولا ادلكم
على شى اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم رواه مسلم وعن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا
الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنه بسلام رواه الترمذى وقال حديث صحيح وعن
ابى امامة رضى الله عنه قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشى السلام رواه ابن ماجه وعن
ابى شريح رضى الله عنه انه قال يا رسول الله اخبرنى بشى يوجب لى الجنة قال طيب الكلام وبذل
السلام واطعام الطعام رواه الطبرانى وغيره وعن ابى امامة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله من بدأهم بالسلام رواه الترمذى وابو داود ولفظ
الترمذى قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان ايهما يبدأ بالسلام قال اولاهما بالله ٥
وعن الاغر الاغر مزينه رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر لى بجريب من
تمر عند رجل من الانصار فمطلنى فيه فكلمت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اغد
يا ابا بكر فخذ له من تمره فوعدنى ابو بكر عند المسجد اذا صلينا الصبح فوجدته حيث
وعدنى فاطلقنا فكلما راى ابا بكر رجل من بعيد سلم عليه قال ابو بكر ما ترى ما يصيب
القوم عليك من الفضل لا يسبقك الى السلام احد فكنا اذا طلع الرجل من بعيد بادرناه
بالسلام قبل ان يسلم علينا رواه الطبرانى وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال السلام اسم من اسماء الله تعالى وضعه فى الارض فافشوه بينكم فان

مطلب فضائل السلام

الرجل المسلم اذا مر بقوم فسلم عليهم فلم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم • رواه البزار •
ورُوى ان اباسليمن الدارانى كان يمر على قوم فلا يسلم • ويقول لا منعنى الا انى اخشى ان لا
يردوا فتلعنهم الملائكه • وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
انتهى احدكم الى المجلس فليسلم • فاذا اراد ان يقوم فليسلم • فليست الاولى باحق من الآخره •
رواه ابوداود وغيره • وزاد بعضهم فى روايه من سلم على قوم حين يقوم عنهم كان شريكهم
فيما خاضوا من الخير بعده • وعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله
عليه وسلم فقال السلام عليكم • فرد عليه ثم جلس • فقال النبى صلى الله عليه وسلم عشر • ثم جاء آخر فقال
السلام عليكم ورحمة الله • فرد فجلس • فقال النبى صلى الله عليه وسلم عشرون • ثم جاء آخر فقال
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته • فرد فجلس • فقال ثلاثون • رواه ابوداود وغيره • وعن
سهل بن حنيف رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال السلام عليكم كتبت
له عشر حسنات • ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له عشرون حسنة • ومن قال السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته كتب له ثلاثون حسنة • رواه الطبرانى • وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعجز الناس من عجز فى الدعاء • وابخل الناس من بخل بالسلام •
رواه الطبرانى • وعن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسرق الناس الذى يسرق صلاته • قيل يا رسول الله كيف يسرق صلاته • قال لا يتم ركوعها
ولا سجودها • وابخل الناس من بخل بالسلام • رواه الطبرانى • وعن جابر رضى الله عنه ان رجلا
اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لفلان فى حايطى عذقا وانه قد آذانى
وشق على مكان عذقه • فارسل الله رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال بعنى عذقك الذى
فى حايط فلان • قال لا • قال فهبه لى • قال لا • قال فبعنيه بعذق فى الجنة • فقال لا • فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت الذى هو اخل منك الا الذى يخل بالسلام • رواه
الامام احمد وغيره • وعن معاوية رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب
ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوا مقعده من النار • رواه ابوداود وغيره • وعن ابى امامه
الباهلى رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له • فقال

لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا رواه ابو داود وعن البراء بن عازب رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر
لهما قبل ان يتفرقا رواه ابو داود وغيره وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله تعالى واستغفراه غفر لهما وعن انس رضي الله
عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلمين التقيا واخذ احدهما بيد صاحبه
الا كان حقا على الله ان يحضر دعاءهما ولا يفرق بين ايديهما حتى يغفر لهما رواه الامام احمد
وعنه رضي الله عنه قال كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا تلاقوا تصافحوا واذا
قدموا من سفر تعانقوا رواه الطبراني وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ان المؤمن اذا لقي المؤمن فسلم عليه واخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما
كما يتناثر ورق الشجر رواه الطبراني وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان المسلمين اذا التقيا فتصافحا وتسايلا انزل الله تعالى بينهما مائة رحمة
تسعة وتسعون لأبشهما واطلقهما وابرهما واحسنهما مسايلة باخيه رواه
الطبراني وقوله لأبشهما اي لاكثرهما بشاشة وهي طلاقة الوجه مع الفرح والتبسم
وحسن الاقبال واللطف في المسالة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا التقى الرجلان المسلمان فسلم احدهما على صاحبه فان احبهما
الى الله تعالى احسنهما بشرا لصاحبه فاذا تصافحا نزلت عليهما مائة رحمة للبادي منهما
تسعون وللمصافح عشرة رواه البزار وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان المسلم اذا لقي اخاه فاخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما تتحات
الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف والا غفر لهما ولو كانت ذنوبهما
مثل زبد البحر رواه الطبراني وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من تمام التحية الاخذ باليد رواه الترمذي وعن ايوب بن بشير العبدي
عن رجل من عنزة قال قلت لابي ذر حيث سيرني الى الشام اني اريد ان اسالك عن حديث
من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اخبرك به الا ان يكون شرا قلت

انه ليس ببشر. هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافحكم اذا لقيتموه. قال ما لقيته قط الا صافحني. وبعث الي ذات يوم ولم اكن في اهلي. فجئت فاخبرت انه ارسل الي فاتيته وهو على سريره فالتزمني. وكانت تلك اجود واجود. رواه ابو داود. وعن عطا الخراساني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تصافحوا يذهب الغل. وتهادوا وتحابوا وتذهب الشحناء. رواه الامام مالك هكذا معضلا. وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ليس منا من تشبه بغيرنا. لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى. فان تسليم اليهود بالاشارة بالاصابع. وان تسليم النصارى بالاكف. رواه الترمذي. رحمه الله فصل في احكام تتعلق بالسلام وفيه مسائل المسالة الاولى في كيفيه السلام. روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله ادم عليه السلام قال اذهب فسلم على اولئك. نفر من الملايكه جلوس. فاستمع ما يحيونك. فانها تحيتك وتحية ذريتك. فقال السلام عليكم. فقالوا السلام عليك ورحمة الله. فزادوه ورحمة الله. قال العلماء رضي الله عنهم يستحب لمن يبتدي بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فيأتي بضمير الجمع. وان كان المسلم عليه واحدا. ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فيأتي بواو العطف في قوله وعليكم. ويدل على هذا حديث عمران بن حصين المتقدم. جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم عشر الى آخره. وقل اذا قال المسلم السلام عليكم. فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله. فيزيده ورحمة الله. واذا قال السلام عليكم ورحمة الله. فيقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فيزيده وبركاته. واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيرد عليه مثله ولا يزاد عليه. ويدل عليه ما روي ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وزاد شيا. فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركه. ويستحب للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه. وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال اللام اسم من اسماء الله تعالى وضعه في الارض فافشوه بينكم. فان الرجل اذا سلم على القوم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة. لانه ذكرهم السلام.

فان لم يرد واعليه ردّ عليه من هو خير منهم واطيب • وروى الاعمش عن عمرو بن مره عن
عبد الله بن الحارث قال اذا سلم الرجل على القوم كان له فضل درجه • فان لم يردوا عليه ردت
عليه الملائكه ولعنتهم • واذا رَدّ المسلَّم عليه اسمع جوابه • لانه اذا لم يُسمع المسلِّم لم يكن جوابا
له • الا ترى ان المسلِّم اذا سلم ولم يسمعه المسلَّم عليه لم يكن ذلك منه سلاما • وكذلك اذا
اجاب بجواب لم يسمع منه فليس بجواب • ويدل على هذا ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
اذا سلمتم فاسمعوا • واذا رددتم فاسمعوا • واذا قعدتم فاقعدوا بالامانه • ولا يرفعن
بعضكم حديث بعض • قال ابن وهب واخبرنى اسامة بن زيد عن نافع قال كنت اسايير
رجلا من فقهاء الشام فقال له عبد الله بن زكريا لحبستنى دابتى تبول ثم ادركته ولم
أُسَلِّم • فقال الا تسلم فقلت انما كنت معك انفا • فقال وإن هم لقد كان اصحاب رسول
الله صلى الله يتسايرون فتفرق بينهم الشجره فاذا التقوا سلم بعضهم على بعض • المسالة
الثانيه فى حكم السلام • قال العلما الابتدا بالسلام سنه مستحبه • وليس بواجب • وهو
سنة على الكفاية • فان كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم • ولو سلم كلهم كان افضل
واكمل • قال القاضى حسين من اصحاب الامام الشافعى ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا • وفى
هذا القول نظر • لان شمت العاطس سنة على الكفايه ايضا كالسلام • ولو دخل على جماعة
فى بيت او مجلس او مسجد وجب عليه ان يسلم على الحاضرين لقول النبى صلى الله عليه وسلم
افشوا السلام • والامر للوجوب • او يكون ذلك سنة متاكده • لان السلام من شعار اهل الاسلام •
فيجب اظهاره • او متاكدا استحبابه • واما الرد على المسلِّم فقد اجمع العلما على وجوبه • ويدل
عليه قول الله تعالى واذا حييتم بتحيه فحيوا باحسن منها او ردوها • والامر للوجوب • ولان
فى ترك الرد اهانه للمسلِّم فيجب ترك الاهانه • فان كان المسلَّم عليه واحدا وجب الرد عليه •
واذا كانوا جماعة كان رد السلام فى حقهم فرض كفايه • فلو رد واحد منهم سقط فرض الرد
عن الباقين • وان تركوه كلهم اثموا • عن على بن ابى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال يجزى عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم • ويجزى عن الجلوس ان يرد احدهم •
اخرجه ابو داود • المسالة الثالثة فى ادب السلام • قال العلما السنة ان يسلم الراكب

على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير وفي روايته للبخاري قال يسلم الصغير
على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا تلاقى رجلان فالمبتدي بالسلام هو
الافضل لما روي عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اولى الناس بالله عز وجل من بدأهم بالسلام اخرجه ابو داود واخرجه ايضا الترمذي
ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان ايهما يبدأ بالسلام قال اولاهما بالله
ويقدم هذا في فضل السلام قال العلماء وينبغي ان يبدأ بالسلام قبل الكلام او الحاجة
والسنة اذا مر بجماعة صبيان صغار ان يسلم عليهم لما روي عن انس رضي الله عنه انه مر
على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله اخرجاه في الصحيحين
وفي رواية لابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم
وروى الاشعث عن الحسن انه كان لا يرى التسليم على الصبيان قال لان الرد فرض والصبي لا
يلزمه الرد فلا ينبغي ان يسلم عليهم وروي عن ابن سيرين انه كان يسلم على الصبيان ولكن لا
يسمعهم وقال اكثر العلماء التسليم عليهم افضل من تركه وقد جاء في الصحيحين عن سيار
قال كنت امشي مع ثابت فمر بصبيان فسلم عليهم وحدث انه كان يمشي مع انس فمر بصبيان
فسلم عليهم وحدث انه كان يمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بصبيان فسلم عليهم
وهذا من خلقه العظيم صلى الله عليه وسلم وفيه تدريب للصغير وحض له على تعليم السنن
ورياضته له على آداب الشريعة وبصاحب الشريعة فلنقتد واما السلام على النساء
فان كن جماعة جالسات في موضع او مسجد فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه او عليهن
فتنة لما روي عن اسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في نسوة فسلم علينا اخرجه ابو داود وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذي حديث حسن
واذا مر على امرأة مفردة اجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا ترد هي عليه
لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وترد هي
عليه وحكم النساء مع النساء كحكم الرجال مع الرجال فيسلم بعضهن على بعض وحكى بعض المفسرين

ايضا فعال اما التسليم على النسآ فجايز الا على الشابات منهن وذلك لخوف الفتنه فى
بهن غنة شطان او خاينة عين واما المخنثون والعجز فحسن للامن منهم ذكره ٥
وهذا قول عطا وجماعة وااليه ذهب الامام مالك وطايفة من العلما وصنعه الامام
ابو حنيفه والكوفيون اذا لم يكن صار مالة قالوا وذلك لانه لما سقط عن النسآ الاذان
والاقامة والجهر بالقراة فى الصلاه سقط عنهن رد السلام فلا يسلم عليهن واحتج من
قال بجواز التسليم عليهن بما رواه البخارى عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال كنا نخرج يوم
الجمعة فنشتري طيبا فقال كانت لنا عجوز ترسل الى ضاعة فقال ابن جريج فحسبت الدرسنة
فتاخذ من اصول السلق فتطرحه فى قدر تكركر حبات من شعير فاذا صلينا الجمعة
انصرفنا فنسلم عليها فتقدمه الينا فنفرح من اجله وما كنا نقيل ولا نتغدى الا
بعد الجمعة قوله تكركر حبات من شعير اى تلقى فيها السعال الراجحة فى الاصول
التى يكره السلام فيها فعل ذكر الله سبحانه او تعظيم او جامع وجوده كذلك يسلم عليه فلو
سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رجلا مر ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يبول فلم يرد عليه اخرجه مسلم قال الترمذى انما يكره هذا اذا كان
على الغايط او البول ولا يسلم على المصلى فان سلم عليه فهو بالخيار ان شاء رد بالاشاره
باصبعه وان شآ اسكت حتى يفرغ من الصلاة ثم يرد وكذلك لا يسلم على من يقرا القران
ولا من يشتغل بالعلم ولا فى مجالس الذكر والوعظ فانه اذا سلم قطعهم عن قراتهم وسماعهم
والمتعلم عليهم بالخيار ان شاء ردوا وان شاؤا اسكتوا حتى يقضى مامشغلين به من
العبادات ثم يردون عليه وهذا هو الصحيح ويكره التسليم ابتدا على من فى الحمام وقيل
ان كانوا متزرين بالميازر سلم عليهم وان كانت عوراتهم مكشوفه لا يسلم عليهم ويكره
التسليم ابتدا على المريض والناعس والمصلى والمؤذن فى حال الاذان والتالى فى حال الصلاة
والاذان والتلاوة ويكره الابتدا بالتسليم فى حال الخطبه لان الحاضرين مامورون
بالانصات للخطبة ويكره ان يبتدى المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق كشربة
الخمر ونحوهم وكذلك الظلمة واعوانهم واهل المكوس والسعاة فى الارض بالفساد فلا يسلم

سطر تسليم ابتدا

مسئلة حكم السلام على اهل الذمة

على هو لاء المسئلة الخامسة في حكم السلام على اهل الذمة اليهود والنصارى هل هو واجب
كالرد على المسلم فاختلف العلماء فيه فذهب اكثرهم الى انه يجوز ابتداؤهم بالسلام وقال
بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روى عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام واذا لقيتم
احدهم في طريق فاضطروه الى اضيقه اخرجه مسلم واذا سلم يهودي او نصراني على مسلم فيرد
عليه ويقول عليك بغير واو العطف لما روى عن انس رضي الله عنه ان يهوديا اتى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم
هل تدرون ما قال قالوا الله ورسوله اعلم سلم انه قال لا ولكنه قال كذا وكذا رددوه
علي فردوه فقال قلتم السام عليكم قال نعم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم
عليكم احد من اهل الكتاب فقولوا عليك اي عليك ما قلت اخرجه الترمذي فلو اتى
بواو العطف وقيم الجمع فقال وعليكم جاز لانا نخاطب عليهم في الدعاء ولا يجابون علينا ويدل
على ذلك ما روى عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلم عليه ناس من يهود
فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت الا تسمع ما قالوا
قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وانما يجاب عليهم ولا يجابون علينا اخرجه مسلم واذا
مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى سلم عليهم ويقصد تسليمه المسلمين لما
روى عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه اخلاط من
المسلمين واليهود فسلم عليهم اخرجه الترمذي رحمه الله واعلم رحمك الله ان حقوق
المسلم على اخيه المسلم كثيرة سوى السلام منها ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته
اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم عليه وينصح له
اذا استنصحه ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره
لنفسه وورد جميع ذلك في اخبار وآثار وقد روى انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال اربع من حق المسلمين عليك ان تقيل عثرتهم وتستغفر لذنبهم وان
تدعو لهم من ورائهم وان تحب قاديهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قول الله تعالى رحماء

بينهم قال يد عواصالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من امة
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا
به واذا نظر الصالح الى الطالح قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له ومن شأنه ان يحب
لكافتهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال النعمان بن بشير رضي الله عنه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل المومنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا شكى
عضو منه تداعى له سائر اعضائه بالحمى والسهر وروى ابو موسى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن
للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومنها ان لا يؤذي احدا من المسلمين بقول
ولا فعل قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وفي رواية قال
الا ادلكم على المسلم قالوا الله ورسوله اعلم فقال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
قالوا فاي المؤمن يا رسول الله قال من امنه المسلمون على انفسهم واموالهم قالوا فاي المهاجر
قال من هجر السوء واجتنبه وقال رجل يا رسول الله ما الاسلام قال ان يسلم قلبك لله ويسلم
المسلمون من لسانك ويدك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يكره اذى المؤمن وقال
صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يشير الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال صلى الله عليه وسلم لا
يحل لمسلم ان يروع مسلما ومنها ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر فان الله لا يحب كل
مختال فخور ومن عبد الله بن ابي اوفى رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأنف
ولا يستكبر ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته ومنها ان لا يسمح بلاغات
الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل
الجنة قتات وقال الفضل بن احمد رحمه الله عليه متى تمر اليك لم علمك ومتى اخبرك تخبر عني
اخبر عني لك تخبرك ومنها ان لا يزيد في هجران اخيه فوق ثلاثة ايام فما فضل عليه
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض
هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام وقال صلى الله عليه وسلم من اذل مسلما عشرة اذلله الله
يوم القيامة وقال عكرمة قال الله تعالى ليوسف عليه السلام ما يوسف بعفوك عن اخوتك رفعت
ذكرك في الذاكرين وقال ابن عباس ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله بها عزا وقال صلى الله

مطلب اذا نظر الطالح

مطلب

مطلب نصائح

مطلب عفو ورفعة

عليه وسلم ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما من احد تواضع لله الا
رفعه الله ومنها ان يحسن الى كل من قدر ما استطاع وروى عن علي بن الحسين عن ابيه عن
جده رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصلح المعروف الى اهله فان لم يكن اهله
كانت اهله قال صلى الله عليه وسلم راس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف
الى كل بر وفاجر ومنها ان لا يدخل على احد منهم الا باذنه بل يستاذن ثلثا فان لم يؤذن
له انصرف قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن ثلاث فالاولى
يستخبرون والثانية يستصلحون والثالثة ماذنوا ويردون ومنها ان يخالق
الجميع بخلق حسن ويعامل كل احد على حسب طريقه فانه قال ولقد اتينا لقمان الحكمة والحلم
والعلم والفقه والفهم في البيان آدمي وتاذى ومنها ان يوقر الشيخ ويرحم الصبيان قال ابو
هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا وقال صلى
الله عليه وسلم من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم ومن تمام توقير الشيخ ان لا يكلم الا باذنه
الا ان يسئل وسئل من الافضل العالم او الشيخ
قال ابو ذر رضي الله عنه قدم وفد جهينة على النبي صلى الله عليه وسلم فمن غلام يتكلم
فقال صلى الله عليه وسلم منه فليؤم الكبير وفي الخبر ما وقر شاب شيخا الا قيض الله له قبل سنه من
يوقره وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا والمطر قيظا ويفيض
اللئام فيضا ويغيض الكرام غيضا ويجري الصغير على الكبير واللئيم على الكريم والتالف
بالصبيان كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم من سفر
فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ويامر بهم فيرفعون اليه ويرفع اليهم من بين يديه وخلفه وبامر
اصحابه فيرفعوا بعضهم وربما تقاحم الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم حملني رسول الله بين
يديه وحملك انت وراءه وكان يوتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وتسميه فياخذه
فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول صلى الله عليه وسلم لا تزرموه
فيدعه حتى يقضي بوله ثم يدعو بماء فيهريقه عليه وتسميه فياخذه فيضعه وبلغ سرور اهله
فيه وان لا يبرموا انه تاذى ببوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بعد ذلك ومنها ان يكون
مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا قال صلى الله عليه وسلم انذروني على من خرمت الثار

مطلب ما وقر شاب شيخا الا قيض الله له من يوقره عند سنه

النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين اللين السهل القريب وقال ابو هريرة رضى الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل الطلق وقال بعضهم يا رسول الله دلنى على عمل
يدخلنى الجنه فقال ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر
رضى الله عنهما البر شئ هين وجه طليق وكلام ليّن وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو
بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمه طيبة وقال صلى الله عليه وسلم ان فى الجنه لغرفات ترى ظهورها
من بطونها وبطونها من ظهورها فقال اعرابى لمن هى يا رسول الله قال لمن اطاب الكلام واطعم
الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفا بالعهد واداء الامانه وترك الخيانة
وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح ومنها ان لا
يعد مسلما وعدا الا وفى به قال النبى صلى الله عليه وسلم العدة عطيه وقال العدة دين
وقال ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا
وعد اخلف واذا ايتمن خان ومنها ان ينصف الناس من نفسه ولا يأتى اليهم الا ما يحب ان
يؤتى اليه قال صلى الله عليه وسلم من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنه فلتاته منيته
وهو يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وليات الى الناس ما
يحب ان يؤتى اليه وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا الدرداء احسن مجاورة من جاورك تكن مومنا
واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما وقال الحسن اوحى الله تعالى الى ادم عليه السلام
يا ربح وقال مجمع الامر لك ولولدك واحدة لى وواحدة لك وواحدة بينى وبينك
واحدة بينك وبين الخلق فاما التى لى فتعبدنى لا تشرك بى شيا واما التى لك فعملك
اجزيك به افقر ما تكون اليه واما التى بينى وبينك فعليك الدعاء وعلى الاجابة واما
التى بينك وبين الخلق فتصنع بهم ما تحب ان يصنعوا بك وسال موسى عليه السلام ربه
فقال يا رب اى عبادك اعدل قال من انصف من نفسه ومنها ان يزيد على توقير من
بذل نفسه وتيامه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم فقد روى ان عائشه رضى الله عنها
كانت فى سفر فنزلت منزلا فوضعت طعاما فجاء سايل فقالت عائشة ناولوا هذا المسكين قرصا

مطلب

ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين المسكين وتدعين هذا الفتى فقالت
ان الله تعالى قد انزل الناس منازل لابد لنا ان ننزلهم بلك المنازل هذا المسكين يرضا بقرص
وقبيح بنا ان نعطى هذا الفتى على هذه الهيئة قرصا وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل بعض
بيوته فدخل عليه اصحابه حتى دحس المجلس وامتلا فجاء جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه فلم يجد
مكانا فقعد على الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ردآه فالقاه اليه وقال اجلس على هذا
فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لفه فرمى به الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال
ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتنى فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم
قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك كل من له عليه حق قدم فليكرمه وروى ان طير
رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ارضعته جاءت اليه فبسط لها ردآه وقال مرحبا بامى ثم
اجلسها على الردآء ثم قال اشفعى تشفعى وسلى تعطى قالت قومى فقال صلى الله عليه وسلم اما حقى
وحق بنى هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية فقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد
واخذ منها ووهب له سهمانه يخبر فبسع ذلك من عثمان بمائة الف ومنها ان يصلح ذات
البين بين المسلمين مهما وجد اليه سبيلا قال النبى صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة
الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وفساد البين هى الحالقة وعن
انس رضى الله عنه قال سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر
بابى انت وامى يا رسول الله ما الذى اضحكك قال رجلان من امتى جثيا بين يدى رب العزة فقال
احدهما يا رب خذ لى مظلمتى من هذا فيقول الله عز وجل رد على اخيك مظلمته فقال يا رب لم
يبق لى من حسناتى شئ فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع باخيك لم يبق من حسناته شئ قال
يا رب فليحمل عنى من اوزارى ثم فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكآء ثم قال ان ذلك
ليوم عظيم يوم يحتاج الناس الى ان يحمل عنهم من اوزارهم قال فيقول الله عز وجل للمتظلم ارفع
بصرك فانظر فى الجنان فقال اى رب ارى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللولو
لاى نبى هذا لاى صديق هذا او لاى شهيد هذا فيقول الله عز وجل هذا لمن
اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ذلك فقال انت تملكه قال بما ذا يا رب قال بعفوك عن اخيك

مطلب بشارة عظيمة

قال يارب قد عفوت عنه فيقول الله عز وجل خذ بيد اخيك فادخل الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة ومنها ان ستر عورات المسلمين كلهم قال صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيامة وقال صلى الله عليه لا يرى امرؤ من اخيه عورة ستروها عليه الا دخل الجنة وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لو اخذت سارقا لاحببت ان يستره الله ولو اخذت شاربا لاحببت ان يستره الله وروي ان عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة وهو خليفة فراى رجلا وامراة على فاحشة فلما اصبح قال للناس ارايتم لو ان اماما راى رجلا وامراة على فاحشة فاقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين قالوا انما انت امام فقال علي رضي الله عنه ليس لك ذلك ابدا بل يقام عليك الحد ان الله لم يامر بهذا الامر الا ماربعة شهدا فقال عمر ما شاء الله ان يتركهم ثم سالهم فقال القوم مثل مقالتهم الاولى وقال علي مثل مقاله وهذا يشير الى ان عمر كان مترددا في ان الوالي هل له ان يقضي بعلمه في حدود الله فذلك راجع الى الشبهة في معرض الفتوى لا في معرض الاخبار خيفة من ان يكون ذلك هكون قاذفا باخباره وما راى علي انه ليس له ذلك وهذا من اعظم الادلة على طلب الشرع لستر الفواحش فان افحشها الزنا وقد نيط الزنا باربعة من العدول شاهدون ذلك منه في فرج كالمرود في المكحلة وهذا لا يتفق قط فان علمه الحاكم بحقيقة لم يكن له ان يكشف عنه فانظر الى الحكمة في حسم باب الفاحشة باعجاب الرجم الذي هو اعظم العقوبات ثم انظر الى كشف ستر الله كيف اسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه فنرجوا ان لا يحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر وفي الحديث ان الله تعالى اذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها في الاخرة وان كشفها في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها مرة اخرى وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال حرست مع عمر ليلة بالمدينة فبينا نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج فاطلقنا نؤمه فلما دنونا اذا باب مغلق على قوم لهم اصوات ولغط فاخذ عمر بيدي وقال اتدري بيت من هذا قلت لا قال هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهم الان شرب فما ترى قلت ارى انا قد اتينا ما نهى الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية

ه الكان اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت تفسدهم وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه
ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم
يتتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته وروى ان عمر رضي الله عنه
كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فوجد عنده امراة وعنده
خمر فقال ما عدو الله اظننت ان الله يسترك وانت على معصية قال يا امير المومنين وانت فلا تعجل
ان اكن عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاثة قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال
وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وقد تسورت علي وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستانسوا وقد دخلت بيتي وما استاذنت ولا سلمت فقال عمر هل عندك من خير ان عفوت
عنك قال نعم والله يا امير المومنين لئن عفوت عني لا اعود لمثلها فعفى عنه وخرج فتركه وقال رجل
لعبد الله بن عمر يا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيامة
قال سمعته يقول ان الله تعالى ليدني منه المومن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقول اتعرف
ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يا رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه انه قد هلك
قال له يا عبدي اني قد سترتها عليك في الدنيا الا وانا اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب
حسناته واما الكافرون والمنافقون فيقول الاشهاد هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله
على الظالمين ومنها ان تتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولا تسمع عن
الغيبة فانك اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب كان شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف تزون من سب
ابويه قالوا وهل من احد يسب ابويه قال نعم يسب ابوي غيره فيسبون ابويه وقال عمر
رضي الله عنه من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر عمر برجل يكلم امراة على
ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المومنين انها امراتي قال فهلا حيث لا يراك الناس ٥
ومنها ان تشفع لكل من له حاجة من المسلمين الى من له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته
بما تقدر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اوتى واسال وتطلب الحاجة الي وانتم عندي
فاشفعوا لتوجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما احب وقال صلى الله عليه وسلم ما من صدقة افضل

من صدقه اللسان قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال الشفاعة تحقن بها الدم وتحرز بها المنفعة
الى آخر ويرفع بها المكروه عن اخر ومنها ان يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم
غيره مهما قدر ويناضل عنه ويرد عنه وينصره وروى ابو الدرداء رضى الله عنه ان رجلا ذكر
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عنه رجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض
اخيه كان له حجابا من النار وقال صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان
حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من حمى عرض اخيه المسلم
فى الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار ومنها تشميت العاطس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى العاطس يقول الحمد لله على كل حال ويقول الذى يشمته يرحمكم الله ويرد
عليه العاطس فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده
يرحمكم الله فاذا قال ذلك فليقل يغفر الله لى ولكم وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه رضى الله
عنهما ان رجلا عطس خلف النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فقال الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه
كما يرضى ربنا ويعد ما يرضى والحمد لله على كل حال فلما سلم النبى صلى الله عليه وسلم قال من صاحب
الكلمات قال انا يا رسول الله ما اردت بهن الا خيرا فقال لقد رأيت اثنى عشر ملكا يبتدرونها
ايهم يكتبها وقال صلى الله عليه وسلم من عطس عنده فسبق الى الحمد لم تشمت خاصرته وقال صلى
الله عليه وسلم العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليضع يده على فيه فاذا
قال اه اه فانه الشيطان يضحك فى جوفه ومنها انه اذا ابتلى بذى شر فينبغى ان يجامله
ويقيه قال بعضهم خالص المومن مخالصة وخالق الفاجر مخالقه فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن فى
الظاهر وقال ابو الدرداء رضى الله عنه انا لنكشر فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى
المداراة وهو مع من يخاف شره قال الله تعالى ادفع بالتى هى احسن السيئة وقال ابن عباس رضى الله عنه
فى معنى قوله تعالى ويدرءون بالحسنة السيئة اى الفحش والاذى بالسلم والمداراة وقال الضحاك
معنى قوله ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت
عائشة رضى الله عنها استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ايذنوا له

فبيس رجل العشيره • فلما دخل الان له القول حتى ظننت ان له عنده منزله • فلما خرج قلت له يارسول
الله انه لما دخل قلت له القول الذى قلته ثم النت له القول • فقال يا عائشه ان شر الناس عند الله
منزله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه • وفى الخبر ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقه •
وفى الاثر خالطوا الناس باعمالهم • وزايلوهم بالقلوب • وقال محمد بن الحنفيه رضى الله عنه ليس بحكيم
من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له فرجا • ومنها ان يخلط
مخالطة الاغنيا ويختلط بالمساكين ويحسن الى الايتام • فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم احينى
مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين • وكان سليمان عليه السلام فى ملكه اذا دخل
المسجد فراى مسكينا جلس اليه • وقال مسكين جالس مسكينا • وما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام
احب اليه من ان تقال له يا مسكين • وقال عبادة ابن الصامت رضى الله عنه ان للنار سبعة ابواب • بلاثة
للاغنيا • وبلاثة للنسا • وواحد للفقرا والمساكين • وقال الفضيل بن عياض بلغنى ان نبيا من الانبيا
قال يارب كيف لى ان اعلم رضاك عنى • قال انظر كيف رضا المساكين عنك • وقال النبى صلى الله عليه وسلم
اياكم ومجالسة الموتى • قالوا يا رسول الله ومن الموتى • قال الاغنيا • وقال موسى عليه السلام يارب اين
ابغيك • قال عند المنكسرة قلوبهم • وقال صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته • فانك لا تدرى
الى ما يصير بعد الموت • فان من ورايه طالبا حثيثا • واما اليتيم فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم من ضم
يتيما من ابوين مسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنه • وقال صلى الله عليه وسلم من وضع يده على
راس يتيم ترحما كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنة • وقال صلى الله عليه وسلم خير بيت من
المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه • وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يسا اليه • ومنها البشاشه
لكل مسلم • وادخال السرور على قلبه • قال النبى صلى الله عليه وسلم المومن يحب للمومن ما يحب لنفسه • وقال
صلى الله عليه وسلم المومن يحب للمومن من اقر عين مومن اقر الله عينه يوم القيامة • وقال صلى الله عليه
من مشى فى حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين •
وقال صلى الله عليه وسلم ان من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على المومن • وان يفرج عنه غما او
يقضى عنه دينا او يطعمه من جوع • وقال صلى الله عليه وسلم من حما مومنا من منافق بغيبته بعث الله
اليه ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم • ومنها ان يعود مرضاهم • وادب عايد المريض خفة

مطلب احب لعيسى عليه السلام كلمة مسكين

مطلب تعدد ابواب النار

مطلب يتيم

مطلب ادخال السرور

مطلب ادب عايد المريض

مطلب منافع عیادۃ مرضی

مطلب دعا عیادۃ قبر

الجلسة وقلة السؤال والدعاء الرقية والدعاء العافية وغض البصر عن عورات الموتى
وان لا يطيل الجلوس عند المستأنس وان يخفف قعوده ولا يقول انا اخف منك ولا يقول يا
غلام ولكن يحدث ويسأل عن حاله وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن عيادة المريض فقال اهون ما
جهنم او عليه وسأله رجل كم نعود عنا قال الصائفة وقال صلى الله عليه وسلم من عاد
مريضا قعد في خرفة الجنة حتى اذا قام وكل به سبعون الف ملك يصلون عليه حتى الليل
وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد المسلم اخاه او زاره قال الله عز وجل طبت وطاب ممشاك وتبوأت
منزلا في الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اذا عاد المريض عوفي احدهما شارك وتعالى الله تعالى فقال
انطلق ابنا فاستقل الشفاء وان كان في اجله تأخير واثنى عليه رفاه ذلك الى الله عز وجل وهو
اعلم وتقول لعبدك على ان توفيته اذا دخل الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيرا
من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيآته وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به
خيرا يصب منه وقال عثمان رضي الله عنه مرضت فجاءني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم اسئلك بالله العظيم رب العرش العظيم الذي لا يشفيك ولا يعافيك
كفوا احزن من شر ما تجد قالها سبع مرات وقعد صلى الله عليه وسلم على علي بن ابي طالب وهو يوعك
فقال له قل اللهم اني اسألك حبيبك ما فيك وحبيبا على يليتك وخوفا من الدنيا الى ما يبلغك
فانك ستعطى ما تتمنى وصحت الطبيب انضا ان يقول اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد
واحاذر ومنها ان يشيع جنائزهم قال النبي صلى الله عليه وسلم من شيع جنازة فله قيراط
من الاجر فان وقف حتى يدفن فله قيراطان القيراط مثل احد وقال الاعمش كانشهد
الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم ونظم ابو حيم الزيات الى ناس يترحمون على
ميت فقال لو ترحمون انفسكم لكان اولى انه نجى من بلاية اموال وجه ملك الموت قد راى
ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد امن ومنها ان يزور قبورهم والمقصود
من ذلك الاعتبار والدعاء وترقيق القلب قال النبي صلى الله عليه وسلم ما رايت منظرا الا والقبر
افظع منه وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ويقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر اول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده

مطلب تكلم حوزة

مطلب

مطلب ذكر العقب
مطلب مساوء الآثار

مطلب ضرر تعظيم
اهل الدنيا

ايب والتاريخ فلما بلغ اثنا وقال [illegible] ابراهيم ابن آدم حضرته فقولوا انا
الدار وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت [illegible] فاذا اردت ذلك فاعمر قبرك
وقال [illegible] عند الاحتضار يوم [illegible] وكان ابو الدرداء
عنه [illegible] الفضل الذي ذكر فقال الفضل الى ان [illegible]
لم يخطر ببال ولم [illegible] الاسم من حرمة المقابر [illegible]
وكم تعمر والى متى [illegible] ما اشد الاستعداد لها واحق العاقل بان يتفكر
فتقولون [illegible] المجلة لا نعرفها ولا نعلمها ولا نعمرها ولا نسكنها ولا نزورها ولا نذكرها الا
نذكره وقال [illegible] اكثروا ذكر القبر وجده [illegible] ذكر
ذكره وجده حفرة من حفر النار وقال الربيع [illegible] وكان اذا وجد
وكان اذا وجد في [illegible] فساوه دخل منه فاضطجع فرمك [illegible]
اعمل صالحا فيما تركت [illegible] يا ربيع قد رجعت فاسئل قبل ان لا ترجع وقال [illegible]
ابن عمر اخرجنا مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر الى القبور بكى وقال ايها هذه
القبور ابا امي ما فعلوا بعدكم كانوا امل الدنيا في الدنيا اما ترى ما صرتم اليه قد خلت بهم
الشلات وصارت الهوام من ابدانهم [illegible] وقال [illegible] احد انعم من صار الى هذه القبور
وقد امن من عذاب الله [illegible] فيه دليل على ان [illegible] مع سوء الخلق والبخل
في ذلك ان لا تستحقر حياءهم ولا ميتاهم فانك لا تدري لعله خير منك فانا ركان
فاستغفر له واصلح ختم له بالصلاح وختم لك بمثل حاله الآن ولا ينظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال
دنياهم فان الدنيا صغيرة عند الله تعالى صغير اهلها وما عظم اهل الدنيا في عين احد قط
عظمت اهل الدنيا فسقط من عين الله عز وجل ولا تزال لهم دينك لتنال من دنياهم
فتصغر في اعينهم ثم تحرم دنياهم وان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو ادنى بالذي هو خير
ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الامر عليك في المعاداة ويذهب دينك ودنياك
ويذهب دينهم فتكون الاخبار منكرا في الدين فتعادي افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين
الرحمة لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها. فما لك تحقد عليهم ولا

مطلب ضرر شکایت طلق

مطلب اذا سالک حاجۃ اکرمتہ

مطلب

وبين الفرس ذلّه وحسن خلقه وشؤمه صعوبته ٥ واعلم انه ليس حق الجار كف الاذى فقط بل احتمال الاذى فان الجار ايضا قد كف اذاه فليس في ذلك قضاء حق ٥ ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف ٥ اذ يقال ان الجار الفقير متعلق بجاره العنى يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسدّ بابه دوني ٥ وروى ان بعضهم شكى كثرة العيران في داره فقيل له لو اقتنت في ستر هرا ٥ فقال اخشى ان يسمع الفيران صوت الهر فهربن الى بيوت الجيران فاكون قد اجبت لهم ما لا احب لنفسي ٥ وجملة حق الجار ان يبدأه جاره بالسلام ٥ ولا يطيل معه الكلام ٥ ولا يكثر عن حاله السؤال ٥ ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ٥ ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ٥ ويظهر الشركة في السرور معه ٥ ويصفح عن زلاته ٥ ولا يتطلع من السطح الى عوراته ٥ ولا يضايقه في وضع الجذوع على جداره ٥ ولا في مصب الماء من ميزابه ولا في مطرح التراب من فنائه ٥ ولا يضيق طريقه الى الدار ٥ ولا يسبقه النظر فيما يحمل الى بيته ٥ ويستر ما ينكشف من عوراته ٥ ويسمع عن عرضه اذا نابه نائبة ٥ ولا يغفل عن ملاحظة داره في غيبته ٥ ولا يتسمع عليه كلامه ٥ ويغض بصره عن حرمته ٥ ولا يديم النظر الى جاريته ٥ ويتلطف لولده في كلمته ٥ ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه ٥ فهذه جملة الحقوق التي ذكرناها للمسلمين عامة ٥ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الا دلوك ما حق الجار ان استعانك بك اعنته ٥ وان استقرضك اقرضته ٥ وان افتقر عدت عليه ٥ وان مرض عدته ٥ وان مات شيعت جنازته ٥ وان اصابه خير هنيته ٥ وان اصابه مصيبة عزيته ٥ ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ٥ واذا اشتريت فاكهة فاهد له ٥ فان لم تفعل فادخلها سرا ٥ ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ٥ ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها ٥ الا تدرون ما حق الجار ٥ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله ٥ وقال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمرو وغلام له يسلخ شاة ٥ فقال يا غلام ابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مرارا ٥ فقال كم تقول هذا ٥ فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى حسبنا انه سيورثه ٥ وقال هشام كان الحسن لا يرى باسا ان يطعم الجار اليهودي والنصراني من الاضحية ٥ وقال ابو ذر رضي الله عنه اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم اذا طبخت مرقة فاكثر

مآها ثم انظر بعض اهلست من خيرانک فاعرف لهم منها ٥ وقالت عائشة رضی الله عنها قلت
يارسول الله ان لی جارين احدهما مقبل ببابه والآخر ناسا به عنی ٥ وربما کان الذی عندی لا
يسعهما فايهما اعظم حقا ٥ فقال المقبل عليک ببابه ٥ وقال الحسن بن عيسی النيسابوری
سالت عبد الله بن المبارک قلت الرجل المجاور ربما ثنی فشکوا غلامی انه قد آتی اليه امرا والغلام
ينکر ٥ فاکره ان اضربه فلعله برئ ٥ واکره ان ادعه فيجتری علی جاری ٥ فکيف اصنع ٥ فقال ان غلامک
لعله ان يحدث حدثا يستوجب فيه الادب ٥ فاحفظ عليه ذلک ٥ فاذا شکاه جارک فادبه علی ذلک
الحدث فتکون قد رضيت جارک وادبته علی ذلک الحدث ٥ وهذا تلطف فی الجمع بين الحقين ٥
وقال ابوهريرة رضی الله عنه قال رسول الله صلی الله عليه وسلم يانسآء المسلمات لاتحقرن جارة لجارتها
ولو فرسن شاة ٥ وقال عبد الله قال رجل يارسول الله صلی الله عليک کيف لی ان اعلم اذا احسنت
او اسات ٥ قال اذا سمعت جيرانک يقولون قد احسنت فقد احسنت ٥ واذا سمعتهم يقولون قد
اسات فقد اسات ٥ وقال جابر رضی الله عنه قال رسول الله صلی الله عليه وسلم من کان له جار فی
حايط او شريک فلا يبعه حتی يعرضه عليه ٥ وقال ابوهريرة رضی الله عنه قضی رسول الله صلی الله
عليه وسلم ان للجار ان يضع جذوعه فی حايط جاره شآء ام ابا ٥ وقال ابن عباس قال رسول الله
صلی الله عليه وسلم لايمنعن احدکم جاره ان يضع خشبة فی حايطه ٥ وکانوا ابوهريرة يقول مالی
اراکم عنها معرضين ٥ والله لارمين بها بين اکتافکم ٥ وقد ذهب بعض العلمآ الی وجوب ذلک ٥
وقال صلی الله عليه وسلم من اراد الله به خيرا عسله ٥ قيل معناه يحببه الی جيرانه ٥ واما
حقوق الاقارب والرحم فکثيرة ٥ قال رسول الله صلی الله عليه وسلم يقول الله تعالی انا الرحمن
وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمی فمن وصلها وصلته ٥ ومن قطعها بتته ٥ وقال صلی الله
عليه وسلم من سره ان ينسا الله فی اثره ويوسع عليه فی رزقه فليصل رحمه ٥ وفی رواية اخری
من سره ان يمد له فی عمره ويوسع عليه فی رزقه فليتق الله وليصل رحمه ٥ وقيل لرسول الله
صلی الله عليه وسلم ای الناس افضل ٥ قال اتقاهم لله ٥ واوصلهم للرحم ٥ وآمرهم بالمعروف ٥ وانهاهم
عن المنکر ٥ وقال صلی الله عليه وسلم اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم ٥ حتی ان اهل البيت ليکونوا
فجارا فتنمو اموالهم ويکثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم ٥ وقال زيد بن اسلم رضی الله عنه لما

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة عرض له رجل • فقال ان كنت تريد النساء البيض والثوق الادم فعليك ببني مدلج • فمال صلى الله عليه وسلم ان الله منع بني مدلج بصلبهم الرحم • وقال صلى الله عليه وسلم الصدقة على المساكين صدقة • وعلى ذي الرحم ثنتان • وروى ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كتب الى عماله مروا الاقارب ان تتزاوروا ولا تجاوروا • وانما قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم على الحقوق • وربما يورث ذلك الوحشة وقطيعة الرحم • واما حقوق الوالدين والولد فلا تخفى انه اذا ما تاكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام واشتها الولادة فتضاعف تاكد الحق فيها • وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه • وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله • وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة • ومن اساء مثل ذلك • وان كان واحدا فواحدا • ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار • ومن اساء على مثل ذلك • وان كان واحدا فواحد • وان ظلما • وان ظلما • وقال صلى الله عليه وسلم ان الجنة توجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام • ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم • وقال صلى الله عليه وسلم بر امك وابيك واختك واخيك ثم ادناك فادناك • ويروى ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته بارا • ومن بر ابني وعق والديه كتبته عاقا • وقيل ان يعقوب لما دخل على يوسف لم يقم له يوسف فاوحى الله اليه استعظاما ان لا تقوم لابيك • وعزتي لاخرجن من صلبك نبيا • وقال مالك بن ربعة السلمي كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد وفاتهما فقال الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما • واكرام صديقهما • وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما • وقال صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل ود ابيه بعد وفاته • وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة على الوالد ضعفين • وقال صلى الله عليه وسلم الوالدة اسرع اجابة • قيل يا رسول الله ولم ذلك • قال هي ارحم من الاب • ودعوة الرحم لا تسقط • وسأله رجل فقال يا رسول الله من ابر • قال والدتك • قال ليس لي والدان • قال بر ولدك • كما ان لوالديك

مطلب في حقوق الوالدين

علیک حقا کذلک لولدک علیک حق • وقال صلی الله علیه وسلم رحم الله والدا اعان ولده علی برّه •
ای لم یحمله علی العقوق بسوء عمله • وقد قتل ولدک ربحانتک سبع مرات وخادمک سبعا •
ثم هو عدوک او شریکک • وقال انس رضی الله عنه قال رسول الله صلی الله علیه وسلم الغلام یُعَقّ
عنه الیوم السابع ویسمّی ویماط عنه الاذی • فاذا بلغ ست سنین اُدّب • فاذا بلغ تسع سنین عزل
فراشه • فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب علی الصلاة • فاذا بلغ ستة عشر سنة زوّجه ابوه •
ثم اخذ بیده وقال قد ادبتک وعلمتک وانکحتک • اعوذ بالله من فتنتک فی الدنیا والاخرة ٥ وعذابک •
وقال صلی الله علیه وسلم حق الولد علی الوالد ان یُحسن ادبه ویحسّن اسمه • وروی ان رجلا جاء
الی عبد الله بن المبارک فشکی الیه بعض ولده • فقال هل دعوت علیه • قال نعم • قال انت افسدته ٥
وینبغی الرفق بالولد • ورای الاقرع بن حابس رسول الله صلی الله علیه وسلم وهو یقبّل ولده
الحسین • فقال ان لی عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم • فقال صلی الله علیه وسلم انه من لا یرحم مطلب من لا یرحم لا یرحم
لا یرحم • وقالت عائشة رضی الله عنها قال لی رسول الله صلی الله علیه وسلم اغسلی وجه اُسامة •
فجعلت اغسله واما آنفه • فضرب یدی • ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبّله • ثم قال قد احسن بنا
اذ لم یکن جاریة • ودخل الحسن رضی الله عنه ورسول الله صلی الله علیه وسلم علی منبره • فنزل وحمله
وقرا قول الله تعالی انما اموالکم واولادکم فتنة • وقال عبد الله بن شداد سمعنا رسول الله صلی الله مطلب غریبه
علیه وسلم یصلی بالناس اذ جاء الحسین فرکب علی عنقه وهو ساجد • فاطال السجود بالناس حتی
ظنوا انه قد حدث امر • فلما قضی صلاته قالوا اطلت السجود یا رسول الله حتی ظننا انه قد
حدث امر • فقال انا بنی کان ارتحلنی فکرهت ان اعجله حتی یقضی حاجته • وقال صلی الله علیه
وسلم ریح الولد من ریح الجنة • قال ابو سعید الخدری رضی الله عنه هاجر رجل الی رسول الله صلی
الله علیه وسلم من الیمن واراد الجهاد فقال النبی صلی الله علیه وسلم هل بالیمن ابواک • قال نعم •
قال هل اذنا لک • فقال لا • فقال صلی الله علیه وسلم فارجع الی ابویک فاستاذنهما • فان فعلا فجاهد
والا فبرّهما ما استطعت • فان ذلک خیر ما یلقی الله به بعد التوحید • وجاء آخر الیه
صلی الله علیه وسلم یستشیره فی الغزو • فقال الک والدة • قال نعم • قال فالزمها فان الجنة تحت
قدمیها • وجاء آخر یطلب البیعة علی الهجرة • وقال ما جیتک یا رسول الله حتی ابکیت والدیّ قال

ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما ۰ وقال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوه على صغيرهم كحق
الوالد على ولده ۰ وقال صلى الله عليه وسلم اذا استصعب على احدكم دابته او شاخلق زوجته
او احد من اهل بيته فليوذن في اذنه ۰ واما حقوق المملوك فهي ايضا يقتضي حقوقا لا
بد في العشرة من مراعاتها ۰ فقد كان من آخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم ۰ اطعموهم مما تاكلون ۰ واكسوهم مما تلبسون ۰ ولا تكلفوهم من
العمل ما لا يطيقون ۰ فما احببتم فامسكوا ۰ وما كرهتم فبيعوا ۰ ولا تعذبوا خلق الله ۰ فان الله
ملككم اياهم ۰ ولو شاء لملكهم اياكم ۰ وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنه خب ولا مكر
ولا خائن ولا سيئ الملكه ۰ وقال عبد الله بن عمر جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله كم نعفوا عن الخادم ۰ فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ۰ ثم قال اعف عنه
في اليوم سبعين مرة ۰ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذهب الى العوالي في كل يوم سبت
فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه منه ۰ وروي ان ابا هريرة رضي الله عنه راى رجلا
على دابته ورجلا يسعى خلفه ۰ فقال يا عبد الله فانما هو اخوك روحه مثل روحك ۰ فحمله
ثم قال لا تزال العبد تزداد من الله بعدا ما مشى خلفه ۰ وقالت جارية لابي الدرداء رضي الله عنه
اني سمتك منذ سنة وما عمل فك شيا ۰ فقال لم فعلت ذلك ۰ قالت اردت الراحة منك ۰
قال اذهبي فانت حرة لوجه الله ۰ وقيل للاحنف بن قيس رضي الله عنه ممن تعلمت الحلم ۰ قال
من قيس بن عاصم ۰ قيل فما بلغ من حلمه ۰ قال سنما هو جالس في داره اذ اتته جاريه بسفود
حديد عليه شواء فسقط السفود من يد الجاريه على ولد له فعقره فمات ۰ فدهشت الجارية ۰
فقال ليس بذهب روع هذه الجارية الا العتق انت حرة لا باس عليك ۰ وكان عوف بن عبد الله
اذا عصاه غلامه قال ما اشهك بمولاك ۰ مولاك يعصى مولاه ۰ وانت يعصى مولاك ۰ وروي
ان ميمون بن مهران كان عنده ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء ۰ فجاءت مسرعة ومعها
قصعة مملوة فعثرت واراقتها على راس سيدها ميمون ۰ فقال يا جارية احرقتيني ۰ قالت يا
معلم الخير ومودب الناس ارجع الى ما قال الله ۰ قال وما قال الله ۰ قالت والكاظمين الغيظ ۰ قال
قد كظمت غيظي ۰ قالت والعافين عن الناس ۰ قال قد عفوت عنك ۰ قالت والله يحب المحسنين ۰

قال انت حرة لوجه الله ٥ وروى ابن المنكدر ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب
عبدا له ٥ فجعل يقول اسالك بوجه الله ٥ فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد ٥ فانطلق
اليه ٥ فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك يده ٥ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالك
بوجه الله فلم تعفه ٥ فلما راتني امسكت يدك ٥ قال فانه حر لوجه الله يا رسول الله ٥ فقال صلى
الله عليه وسلم لولم تفعل لسفعت وجهك النار ٥ وقال صلى الله عليه وسلم العبد اذا نصح لسيده
واحسن عبادة ربه فله الاجر مرتين ٥ ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لي اجران فقد ذهب
احدهما ٥ وقال صلى الله عليه وسلم اول ثلاثة يدخلون الجنة واول ثلاثة يدخلون النار ٥ فاما
اول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد ٥ وعبد مملوك احسن عبادة ربه ونصح لسيده ٥ وعفيف
متعفف ذو عيال ٥ واما اول ثلاثة يدخلون النار ٥ امير مسلط ٥ وذو ثروة لا يعطي حق الله ٥
وفقير فخور ٥ وقال صلى الله عليه وسلم اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول ما يطعمه الحلو فانه
اطيب لنفسه ٥ وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتى احدكم خادمه بطعامه فليجلسه ولياكل معه
وان لم يفعل فليناوله اكلة او اكلتين ٥ وفي رواية اذا كفا احدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه
حره ومونته وعلاجه وقربه اليه فليجلسه وليأكل معه ٥ وان لم يفعل فليناوله اولياخذ
اكله فليضعها في فيه وليقل كل هذه ٥ وروى ان رجلا دخل على سلمان الفارسي وهو يعجن
فقال ما هذا يا ابا عبد الله ٥ فقال بعثنا الخادم في شغل فكرهنا ان نجمع عليه عملين ٥ وقال النبي
صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسول عن رعيته ٥ فجملة حق المملوك ان يشركه في طعمته
وكسوته ٥ ولا يكلفه فوق طاقته ٥ ولا ينظر الله بعين الكبر والازدراء ٥ وان يعفو عن زلته ٥
ويتفكر عند غضبه عليه بعفوات او بجناياته في معاصيه وجنايته على حق الله وتقصيره
في طاعته ٥ مع ان قدرة الله عليه فوق قدرته ٥ وروى فضالة بن عبيد رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يسال عنهم رجل فارق الجماعة او عصى امامه فمات عاصيا ٥ وامراة
غاب عنها زوجها وقد كفاها مونة الدنيا فتبرجت بعده ٥ فلا يسال عنها ٥ وثلاثة لا يسال
عنهم ٥ رجل نازع الله ردآه ٥ وردآوه الكبر او ارادة العزة ٥ ورجل شك في الله ٥ والقنوط من
الرحمة ٥ فهذه جملة ما يجب من حقوق المسلمين بعضهم لبعض وسنذكرها مستوفاة في سور:

اذ كسبهم

ونصره الدين هو

طلاضره

[illegible]

[illegible] ان تغلبوكم [illegible]

[illegible] فقد علم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

منهم اسد وغطفان كانوا من حاضري المدينه فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين
وكان الرجل منهم يقول امنت بهذا القرد والعقرب والخنفسا • واذا لقوا اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين • وفي رواية اخرى
عن ابن عباس انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة • وقال السدي نزلت في نعيم
ابن مسعود الثقفي كان يأمن المسلمين والمشركين • وقال الحسن هذا في قوم من المنافقين والله اعلم •
وقوله يريدون ان يأمنوكم يعني باظهار الايمان لكم ان يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم • ويأمنوا قومهم
يعني باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها اي كلما دعوا الى
الشرك رجعوا اليه وعادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه فان لم يعتزلوكم يعني فان لم يكفوا
عن قتالكم حتى يسيروا الى مكة ويلقوا اليكم السلم اي ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم ويكفوا ايديهم
يعني اسرا واقتلوهم حيث ثقفتموهم يعني حيث ادركتموهم واولئكم يعني اهل هذه الصفة
جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا يعني حجة ظاهرة بالقتل والقتال • وقيل الحجة الواضحة
هو ظهور عداوتهم • وانكشاف حالهم بالكفر والغدر • قوله تعالى وما كان لمؤمن
ان يقتل مؤمنا الا خطأ الآية قال المفسرون انزل الله عز وجل هذه الآية في عياش بن ابي
ربيعة المخزومي رضي الله عنه • وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة
فاسلم • ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله • فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في اطم من آطامها •
والآطام هي الحصون فجزعت امه لذلك جزعا شديدا • وقالت لابنيها الحارث وابي جهل ابني
هشام وهما اخوا عياش بن ربيعة لامه • لا والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا اشرابا
حتى تأتوني به • فخرجا من مكة في طلبه • وخرج معهم الحرث بن زيد بن ابي انيسة • حتى اتوا المدينة •
فاتوا عياشا وهو في الاطم • فقالا له انزل فان امك لم يوبها سقف بعدك • وقد حلفت لا
تأكل ولا تشرب حتى ترجع اليها • ولك الله علينا ان لا نكرهك على شيء يحول بينك وبين دينك •
فلما ذكرا له ذلك وسمع جزع امه واوثقوا له العهد بالله نزل اليهم • فاخرجوه من المدينة
واوثقوه بنسعة • وجلده كل واحد منهم مائة جلدة • ثم قدموا به على امه بمكة • فلما اتاها قالت
والله لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به وترجع عن دين محمد • ثم تركوه موثقا في الشمس

ما شآ الله • فاعطاهم الذی ارادوا • فاتاه الحرث بن زید فقال یا عیاش اهذا الذی کنت علیه
لئن کان هدی لقد ترکت الهدی • ولئن کان ضلاله لقد کنت علیها • فغضب عیاش من مقاله
وقال والله لا القاک خالیا الا قتلتک • ثم ان عیاشا اسلم بعد ذلک وهاجر • واسلم الحرث بن
زید بعده وهاجر الی رسول الله صلی الله علیه وسلم • ولیس عیاش حاضرا یومئذ ولم یشعر باسلامه
فبینا عیاش یسیر بظهر قبا اذ لقی الحرث فقتله • فقال له الناس ویحک یا عیاش ای شی صنعت
انه قد اسلم • فرجع عیاش الی رسول الله صلی الله علیه وسلم • وقال یا رسول الله انه کان من امرک
وامر الحرث ما قد علمت • وانی لم اشعر باسلامه حتی قتلته • فانزل الله عز وجل هذه الآیه •
وما کان لمومن ان یقتل مومنا الا خطا • ومعنی الآیه وما کان لمومن ان یقتل مومنا البته • وما
کان له سبب جواز قتله • وقتل معناه ما کان له ذلک فیما اتاه من ربه وعهد الیه • ففی هذا
تحریم قتل المومن من کل وجه • وقوله تعالی الا خطا استثنا منقطع • معناه لکن ان وقع
خطا فتحریر رقبه • وقتل معناه ما کان لمومن ان یقتل مومنا البته الا ان یخطی المومن
فکفارة خطایه ما ذکر الله بعده • والخطا فعل الشی من غیر قصد وتعمد ومن قتل مومنا
خطا فتحریر رقبه مومنه یعنی فعلیه اعتاق رقبه مومنه کفارة ودیة مسلمة الی اهله ○ نر ق ا
ای وعلیه دیة کاملة مسلمة الی اهل القتیل الذین یرثونه الا ان یصدقوا یعنی الا ان یتصدق
اهل القتیل علی القاتل بالدیه ویعفوا عنه فان کان یعنی المقتول من قوم عدو لکم وهو مومن
فتحریر رقبه مومنه اراد سبحانه انه اذا کان رجل مسلم فی دار الحرب وهو منفرد مع قوم کفار
فقتله من لم یعلم باسلامه فلا دیه علیه وعلیه الکفارة • وقتل المراد منه انه اذا کان المقتول
مسلما فی دار الاسلام وهو من نسب قوم کفار واهله الذین یرثونه فی دار الحرب وهو منفرد
مع قوم کفار فقتله من لم یعلم باسلامه فلا دیة علیه وعلیه الکفارة وهم حرب للمسلمین
فعلیه الکفارة ولا دیة لاهله • وکان الحرث بن زید من قوم کفار حرب للمسلمین وکان فیه
الکفارة تحریر رقبه دون الدیة لانه لم یکن بین قومه وبین المسلمین عهد • قال العلما هذه
هی الکفارة التی اوجبها الله فی کفارة القتل والظهار • واختلفوا فی الذی یجزی منها فقال
ابن عباس والحسن والشعبی والنخعی وقتادة وعمرهم الرقبه المومنه هی التی صلت وعقلت

الايمان ولا يجزى عندهم فى ذلك الصغير وقال عطاء ابى رباح يجزى الصغير المولود بين
مسلمين وقال الامام مالك والامام الشافعى وجماعة يجزى كل من حكم له بحكم فى الصلاة
عليه ان مات ودفنه قال الامام مالك ومن صلى وصام احب الى ولا يجزى فى ذلك الاعمى
ولا المقعد ولا مقطوع اليدين او الرجلين ولا اشلهما ويجزى عند اكثرهم الاعور
والاعرج قال مالك الا ان يكون عرجا شديدا وكذلك مقطوع احدى اليدين واحدى
الرجلين لا يجزى عند الامام مالك والامام الشافعى وقال الامام ابو حنيفة واصحابه
يجزى وكذلك المجنون المطبق لا يجزى عند جماعة من العلماء ولا يجزى عند الامام مالك
الذى يجن ويفيق ويجزى عند الامام الشافعى ولا يجزى عند الامام مالك المعتوه الى
سنين ويجزى عند الامام الشافعى ولا يجزى المدبر عند الامام مالك والامام ابى
حنيفه والاوزاعى ويجزى فى قول الامام الشافعى وابى ثور واختاره ابن المنذر وقال
الامام مالك لا يصح فى الرقبة من اعتق بعضه لقوله تعالى فتحرير رقبة مومنة ومن اعتق
البعض لا تقال تحرير رقبة وانما حرر بعضها واختلفوا لاى معنى وجبت فقيل وجبت
تمحيصا وطهورا الذنب القاتل وقيل انما وجبت بدلا من تعطيل حق الله تعالى فى
نفس القتيل فانه كان له فى نفسه حق وهو المنعم بالحياة والتصرف فيما احل له تصرف
الاحياء فكان لله سبحانه فيه حق وهو انه كان عبدا من عباده يجب له من اسم العبودية
صغيرا كان او كبيرا حرا كان او عبدا مسلما كان او ذميا ما يتميز به عن البهائم والدواب
ويرجى مع ذلك ان يكون من نسله من يعبد الله ويطيعه فلم يخل قاتله من ان يلون فوت
منه الاسم الذى ذكرنا والمعنى الذى وصفنا فلذلك ضمن الكفارة والله اعلم وقوله
تعالى وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اى عهد فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة
مومنة يعنى انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا او ذميا فتجب فيه الدية والكفارة قال
العلماء رضى الله عنهم ان الله تعالى لم يعين فى كتابه ما يعطى فى الدية وانما المذكور فى الاية هو
ايجاب الدية مطلقا وليس فيها ايجابها على العاقلة او على القاتل وانما اخذ ذلك من
السنة ولا شك ان ايجاب المواساة على العاقلة خلاف قياس الاصول فى الغرامات وضمان

المتلفات والذى وجب على العاقلة لم يجب تغليظا ولا ان وزر القاتل عليهم ولكنه
مواساة محضة وهذا قول الامام مالك والامام الشافعى وقال الامام ابوحنيفة
وجماعة انها تجب على اهل ديوانهم وقوله تعالى الا ان يصدقوا يعنى الا ان تصدق
اهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه فان كان يعنى المقتول من قوم عدو لكم وهو مومن
فتحرير رقبة مومنة اراد انه اذا كان رجل مسلم فى دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله
من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه انه اذا كان المقتول مسلما
فى دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله الذين يرثونه فى دار الحرب وهم حرب للمسلمين
ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه
الكفارة تحرير رقبه دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد وان كان من قوم
بينكم وبينهم ميثاق اى عهد فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مومنة يعنى انه اذا
كان المقتول كافرا معاهدا او ذميا فيجب فيه الدية والكفارة فمن لم يجد يعنى الرقبة
فصيام شهرين متتابعين اى فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبه توبة من الله
يعنى جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطا وكان الله عليما يعنى بمن قتل خطا حكيما يعنى فيما حكم
به عليه من الدية والكفارة فصل فى احكام تتعلق بالآية وفيه مسائل المسالة
الاولى فى بيان صفة القتل قال العلماء القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد
وخطا اما العمد المحض فهو ان يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فيقتل به ففيه
القصاص عند وجود التكافى او دية حالة مغلظة فى مال القاتل واما شبه العمد
فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل مثله غالبا مثل ان ضربه بعصا خفيفة او رماه
بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه ويجب عليه دية مغلظة على عاقلته موجلة الى ثلاث
سنين واما الخطا المحض فهو ان لا يقصد قتله بل قصد شيا آخر فاصابه فمات منه
فلا قصاص عليه ويجب فيه دية مخففة على عاقلته موجلة الى ثلاث سنين ومن صور
قتل الخطا ايضا ان يقصد رمى مشرك او كافر فصيب مسلما او يقصد قتل انسان يظنه
مشركا بان كان عليه لباس المشركين او شعارهم فالصورة الاولى خطا فى الفعل

والاسم

والثانيه خطا فى القصد • المسالة الثانيه فى حكم الديات • اعلم ان الله تعالى لم يعين
فى كتابه العزيز ما يعطى فى الديات • والمذكور فى الايه انما هو ايجاب الديه مطلقا • وليس فيها
ايجابها على العاقله او على القاتل • وانما اخذ ذلك من السنة • ولا شك ان ايجاب المواساة
على العاقله خلاف قياس الاصول فى القرابات وضمان المتلفات • والذى وجب على العاقله
لم يجب تغليظا ولا ان وزر القاتل عليهم • ولكنه مواساة محضة • وقال الامام ابو
حنيفه وجماعة العاقله اهل الديوان ان كان القاتل من اهل الديوان • وثبتت الاخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بان الدية مايه من الابل • وودا ها صلى الله عليه وسلم
فى عبد الله بن سهل المقتول بخيبر لحويصة ومحيصة وعبد الرحمن • فكان ذلك بيانا من الله
عز وجل على لسان نبيه لمجمل كتابه • واجمع العلما على ان على اهل الابل مايه من الابل •
فاذا عدمت الابل فجب قيمتها من الدراهم او الدنانير • فى قول للامام الشافعى وطائفه •
وفى قول يجب بدل مقدور • وهو الف دينار • او اثنى عشر الف درهم • ويدل على ذلك ما
روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثمانمايه دينار او ثمانيه الاف درهم • قال وكانت دية اهل الكتاب يومئذ على
النصف من دية المسلم • فكانت كذلك حتى استخلف عمر رضى الله عنه • فقام خطيبا فقال الا ان الابل
قد غلت • ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار • وعلى اهل الورق اثنى عشر الف درهم •
وعلى اهل البقر مايتى بقرة • وعلى اهل الشاة الفى شاة • وعلى اهل الحلل مايتى حله • قال وترك
دية اهل الكتاب فلم يرفعها فيما رفع من الدية • اخرجه ابو داود • وذهبت طائفة
من العلما الى ان الواجب فى الدية مائة من الابل • او الف دينار • او اثنا عشر الف درهم •
وهو قول عروة بن الزبير والحسن البصرى • وبه قال الامام مالك والامام الشافعى • وذهبت
طائفه الى انها مائة من الابل • او الف دينار • او عشرة الاف درهم • وهو قول الامام ابى حنيفه
واصحابه وسفين الثورى • وروى هذا القول الشعبى عن عبيده السلمانى عن عمر بن الخطاب رضى
الله عنه انه جعل الدية على اهل الذهب الف دينار • وعلى اهل الورق عشره الاف درهم •
وعلى اهل البقر مائتى بقره • وعلى اهل الشا الفى شاه • وعلى اهل الابل مائة من الابل • وعلى اهل

الحلل ما تحل له • قال ابن عبد البر في هذا الحديث ما يدل على ان الدراهم والدنانير صنف
من اصناف الدية لا انهما على وجه البدل والقيمة • وهو الظاهر في الحديث عن عثمان وعلي
وابن عباس رضي الله عنهم • وخالف الامام ابو حنيفة ما روي عن عمر في البقر والشاة والحلل
وبه قال عطا وطاوس وطائفة من التابعين • وهو قول الفقهاء السبعة المدنيين • واما
دية المراة فعلى النصف من دية الذكر الحر • ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم
ان كان كتابيا • وان كان مجوسيا فخمس الثلث ثمان مائة درهم • وهو قول سعيد بن المسيب
واليه ذهب الامام الشافعي • وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم •
روي ذلك عن ابن مسعود • وهو قول الامام ابي حنيفة وجماعة من العلماء منهم سفين الثوري • وقال
قوم دية الذمي نصف دية المسلم • وهو قول عمر بن عبد العزيز • وبه قال الامام مالك والامام
احمد • والاصل في ذلك ما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضي الله عنهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر اخرجه ابو داود • وعنه ايضا ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين • وهم اليهود والنصارى اخرجه
النساي • فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث بان الاصل
في ذلك كان النصف • ثم رفعت ازمنة عمر دية المسلم • ولم ترفع دية الذمي • فبقي على اصلها •
وهو قدر الثلث من دية المسلم • والله اعلم • والدية في قتل العمد وشبه العمد مغلظة •
فيجب ثلاثون حقة • وثلاثون جذعة • واربعون خلفة في بطونها اولادها • وهذا قول عمر
وزيد بن ثابت • وبه قال عطا • واليه ذهب الامام الشافعي • لما روى عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا دفع الى اولياء المقتول
فان شاءوا قتلوا وان شاءوا الدية • وهي ثلاثون حقة • وثلاثون جذعة • واربعون خلفة •
وما صولحوا عليه فهو لهم • وذلك لتشديد العقل • اخرجه الترمذي • وقال حديث حسن غريب •
وعن عقبة بن عامر عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى
الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا وان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل اربعون
منها في بازل عامها كلهن خلفة • وفي رواية اخرى الا ان كل قتيل خطا العمد او شبه العمد

حقيقة انه حي هو

نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا
من الابل التى اعطوه اياها دية احيه وساق بقيتها راجعا الى مكة مرتدا عن الاسلام كافرا
وانشد يقول فى ذلك ٥

قتلت فهرا وحملت عقله ٭ سراة بنى النجار ارباب فارع ٭
وادركت ثارى واضطجعت موسدا ٭ وكنت الى الاصنام اول راجع ٭

فنزلت فيه هذه الاية ومن يقتل مومنا متعمدا يعنى قاصدا لقتله فجزآوه جهنم خالدا فيها
يعنى بكفره وارتداده ٭ ومقيس هذا هو الذى استثناه النبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة
عن من امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وغضب الله عليه يعنى لاجل كفره
وقتله المومن متعمدا ولعنه يعنى وطرده عن رحمته واعد له عذابا عظيما فضل
اختلف العلما رضى الله عنهم فى حكم هذه الآية هل هى منسوخة ام لا ٭ وهل لمن قتل مومنا متعمدا
توبة ام لا ٭ فروى عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس المن قتل مومنا متعمدا توبة او لا ٭
فتلوت عليه الآية التى فى الفرقان ٭ والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس
التى حرم الله الا بالحق الى آخر الآية ٭ قال هذه آية مكية نسختها اية مدنية ٭ ومن يقتل مومنا
متعمدا فجزآوه جهنم ٭ وفى رواية قال اختلف اهل الكوفة فى قتل المومن ٭ فدخلت الى ابن
عباس ٭ فقال نزلت فى آخر ما نزل ولم ينسخها شى ٭ وفى رواية اخرى قال ابن عباس نزلت هذه
الاية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله مهانا ٭ فقال المشركون وما يغنى
عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله واتينا الفواحش ٭ فانزل الله عز وجل
الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا الى آخر الاية ٭ زاد فى رواية فاما من دخل فى الاسلام
وعقله ثم قتل فلا توبة له ٭ اخرجاه فى الصحيحين ٭ وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه
انه ناظر ابن عباس فى هذه الاية ٭ فقال من ابن لك انها محكمة ٭ فقال ابن عباس تكاثفت الوعيد
فيها ٭ وقال ابن مسعود انها محكمة ٭ وما تزداد الا شدة ٭ وعن خارجة بن زيد قال
قال سمعت زيد بن ثابت رضى الله عنه يقول انزلت هذه الاية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه
جهنم خالدا فيها بعد التى فى الفرقان ٭ والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس

التى حرم الله الا بالحق ستة اشهر • اخرجه ابو داود والنسائى • وزاد النسائى فى روايته له ثمانية
اشهر • وقال زيد بن ثابت رضى الله عنه لما نزلت الاية التى فى الفرقان والذين لا يدعون
مع الله الها آخر عجبنا من لينها • فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت الغلظه بعد اللينه فنسخت
اللينه • واراد بالغلظه هذه الاية التى فى سورة النسآء • وباللينة آية الفرقان • وذهب
الاكثرون من علمآء السلف والخلف الى ان هذه الاية منسوخة • واختلفوا فى ناسخها • فقال
بعضهم نسخها التى فى الفرقان • وليس هذا القول بالقوى • لان آية الفرقان نزلت قبل اية النسآء
والمتقدم لا ينسخ المتاخر • وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الآية التى فى النسآء
ايضا • وهى قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشآء • واجاب من
ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج فى الصحيحين بان هذه الاية خبر
عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور فى الآية • والنسخ لا يدخل الاخبار • ولين
سلمنا انه يدخله النسخ لكن الجمع بين الايتين ممكن • بحيث لا يبقى بينهما تعارض • وذلك بان نحمل
مطلق آية النسآء على مقيد اية الفرقان • فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الا من تاب • وقال
بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة والزجر عن القتل • فهو كما
روى عن سفين بن عيينه انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك • وان قتل ثم ندم وجآ
تائبا يقال له لك توبة • وقيل انه قد روى عن ابن عباس مثله • وروى عنه ايضا ان توبته
تقبل • وهو قول اهل السنة • ويدل عليه الكتاب والسنة • اما الكتاب ففوله تعالى وانى
لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى • وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا • واما
السنة فما روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال جآ اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ما الموجبتان • قال من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة • ومن مات يشرك به دخل
النار • اخرجه مسلم • وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى مجلس فقال تبايعونى على ان لا تشركوا بالله شيا • ولا تسرقوا • ولا تزنوا • ولا تقتلوا
النفس التى حرم الله الا بالحق • وفى رواية ولا تقتلوا اولادكم • ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين
ايديكم وارجلكم • ولا تعصونى فى معروف • فمن وفى منكم فاجره على الله • ومن اصاب شيا من ذلك

فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه فبايعناه على ذلك فصل
وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الاية لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار ٥
واجاب علماء السنة بان الآية نازلة في كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون
الآية على هذا مخصوصة وقيل الوعيد انما هو لمن قتل مسلما مستحلا لقتله ومن استحل
قتل مومن كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره وعن ابي مجلز في قوله ومن يقتل
مومنا متعمدا فجزاوه جهنم قال هي جزاوه فان شاء الله ان يتجاوز عن جزايه فعل اخرجه
ابو داود وقيل ان الخلود يقتضي التابيد بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل
عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام بقايها واذا ذكر الخلود في حق
الكفار قرنه بذكر التابيد كقوله خالدين فيها ابدا فاذا قرن الخلود بهذه اللفظة
علم ان المراد منه الدوام الذي لا ينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الآية
ان الله تعالى يعذب قاتل المومن عمدا في النار الى حيث شاء الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته
وكرمه فانه قد ثبت في احاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل
ان قاتل المومن عمدا عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء ولان الكفر اعظم من هذا القتل واذا كانت توبة الكافر من كفره مقبوله بدليل
قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فاذا كانت التوبة من الكفر
مقبولة فلان تقبل من القاتل اولى ٥ فصل في وعيد قاتل النفس عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يقضى بين الناس يوم القيامة
في الدماء رواه البخاري وغيره وفي رواية للنسائي اول ما يحاسب عليه العبد الصلاة واول
ما يقضى بين الناس في الدماء وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس
التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات
الغافلات المومنات رواه البخاري وغيره وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لن يزال المومن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما وقال ابن عمر من

ورطات الامور التی لا مخرج لمن اوقع نفسه فیها سفک الدم الحرام بغیر حله ۰ رواه البخاری
والحاکم ۰ الورطات جمع ورطة بسکون الرا وهی الهلکة وکل امر یعسر النجاة منه ۰ وعن البرا
ابن عازب رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال لزوال الدنیا اهون علی الله من قتل
مومن بغیر حق ۰ رواه ابن ماجة ۰ والبیهقی والاصبهانی ۰ ولا دفیه ولو ان اهل سماواته واهل
ارضه اشترکوا فی دم مومن لاد خلهم الله النار ۰ وعن عبد الله بن عمرو رضی الله عنهما قال رات
رسول الله صلی الله علیه وسلم یطوف بالکعبة ویقول ما اطیبک واطیب ریحک ۰ ما اعظمک واعظم
حرمتک ۰ والذی نفس محمد بیده لحرمة المومن عند الله اعظم من حرمتک ماله ودمه ۰ رواه
ابن ماجة ۰ وعن ابی سعید وابی هریرة رضی الله عنهما عن رسول الله صلی الله علیه وسلم انه قال
لو ان اهل السما والارض اشترکوا فی دم مومن لاکبهم الله فی النار ۰ رواه الترمذی ۰ وعن
ابن عباس رضی الله عنهما قال قتل بالمدینه قتیل علی عهد رسول الله صلی الله علیه وسلم لم یعلم من
قتله فصعد رسول الله صلی الله علیه وسلم المنبر فقال ایها الناس یقتل قتیل وانا فیکم ولا
یعلم من قتله لو اجتمع اهل السما والارض علی قتل امری لعذبهم الله الا ان یفعل الله ما شا ۰
رواه الطبرانی ۰ وفی روایة لو ان اهل السموات والارض اجتمعوا علی قتل مسلم لکبهم الله جمیعا
علی وجوههم فی النار ۰ وعن ابی هریرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم
من اعان علی قتل مومن بشطر کلمة لقی الله مکتوب بین عینیه آیس من رحمة الله ۰ رواه ابن
ماجة ۰ قال سفیان بن عیینه معنی قوله بشطر کلمة هو ان یقول اقتل ۰ لا یکمل کلمة اقتل ۰
وعن جندب بن عبد الله رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم من استطاع منکم ان لا
یحول بینه وبین الجنة مثل کف من دم امری مسلم ان یهریقه کما یذبح به دجاجة کلما
یعرض لباب من ابواب الجنة حال بینه وبینه ۰ ومن استطاع منکم ان لا یجعل فی بطنه الا
طیبا ۰ فان اول ما ینتن من الانسان بطنه ۰ رواه الطبرانی وغیره ۰ وعن معاویة رضی الله عنه
قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم کل ذنب عسی الله ان یغفره ۰ الا الرجل یموت کافرا ۰ او
الرجل یقتل مومنا متعمدا ۰ رواه النسای ۰ ومثله عن ابی الدرداء رضی الله عنه قال سمعت
رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول کل ذنب عسی الله ان یغفره الا الرجل یموت مشرکا ۰ او یقتل

مطلب لزوال الدنیا

مطلب حرمة المومن اعظم من حرمة الکعبة

مطلب

مطلب آیس من رحمة الله

مطلب نتن بطن

او نقتل مومنا متعمدا رواه ابو داود وغيره ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سأله سائل
فقال يا ابا العباس هل للقاتل من توبة ٥ فقال ابن عباس كالمعجب من شأنه ماذا تقول فاعاد
عليه مسألته ٥ فقال ماذا تقول مرتين او ثلاثا ٥ قال ابن عباس سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم
يقول ياتي المقتول معلقا رأسه في احدى يديه متلببا قاتله باليد الاخرى تشخب اوداجه
دما حتى يأتي به العرش ٥ فيقول المقتول لرب العالمين هذا قتلني ٥ فيقول الله تعالى للقاتل
تعست ٥ ويذهب به الى النار رواه الترمذي والطبراني ٥ وزاد فيه الطبراني من حديث ابن
مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يجيء المقتول آخذا قاتله واوداجه
تشخب دما عند ذي العزة ٥ فيقول يا رب سل هذا فيم قتلني ٥ فيقول الله عز وجل فيم قتلته ٥
قال قتلته لتكون العزة لفلان ٥ قيل هي لله ٥ وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصبح ابليس بث جنوده ٥ فيقول من خذل اليوم مسلما ألبسته
التاج قال فيجيء هذا فيقول لم ازل به حتى طلق امرأته ٥ فيقول اوشك ان يتزوج ٥ ويجيء
هذا فيقول لم ازل به حتى عق والديه ٥ فيقول اوشك ان يبرهما ٥ ويجيء هذا فيقول لم ازل به
حتى اشرك ٥ فيقول انت انت ٥ ويلبسه التاج ٥ رواه ابن حبان ٥ وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من قتل مومنا فاعتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ٥ رواه ابو داود ٥
الصرف النافلة والعدل الفريضة ٥ وقيل غير ذلك ٥ وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة ٥ بكل جبار
عنيد ٥ ومن جعل مع الله الها آخر ٥ ومن قتل نفسا بغير نفس ٥ فينطوي عليهم فيقذفهم في
حمرة جهنم ٥ رواه الامام احمد والبزار ٥ ولفظه يخرج عنق من النار يتكلم بلسان طلق ذلق ٥
لها عينان تبصر بهما ٥ ولسان يتكلم به ٥ فيقول اني امرت بمن جعل مع الله الها آخر ٥ وبكل
جبار عنيد ٥ ومن قتل نفسا بغير نفس ٥ فينطلق بهم فبل سائر الناس بخمسمائة عام ٥ ورواه
الطبراني رحمه الله ٥ قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا الآية ٥
قال ابن عباس رضي الله عنهما انزل الله عز وجل هذه الآية في رجل من بني مرة بن عوف فقال له

مرداس بن نهيك • وكان من اهل فدك لم يسلم من قومه غيره • فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم تريدهم • وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي • فهربوا منه واقام
ذلك الرجل المسلم فلما راى الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين فالجا غنمه الى عاقول من الجبل
وصعد هو الجبل • فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف انهم من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم • فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم • فتغشاه اسامة
ابن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه • ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه
الخبر • فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا • وكان قد سبقهم الخبر •
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلتموه ارادة ما معه • ثم قرا رسول الله صلى الله عليه
وسلم على اسامة بن زيد هذه الاية • فقال اسامة يا رسول الله استغفر لي • فقال كيف انت
بلا اله الا الله • يقولها ثلاث مرات • قال اسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها
حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ • ثم استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اعتق رقبة • وروى ابو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح •
فقال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها خوفا ام لا • وفي رواية عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم
فقالوا انما سلم عليكم ليتعوذ منكم • فقاموا اليه فقتلوه واخذوا غنمه • فاتوا بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم • فانزل الله عز وجل هذه الاية • وفي رواية وحمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم دية الى اهله ورد عليهم غنمانه • وقال بعضهم ان القاتل للرجل غير اسامة •
ويدل على هذا القول ما روى ابن ماجة في سننه عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم جيشا من المسلمين الى المشركين • فقاتلوهم قتالا شديدا فمنحوهم اكتافهم
فحمل رجل من لحمتي على رجل من المشركين بالرمح • فلما غشيه قال اشهد ان لا اله الا الله اني
مسلم • فطعنه فقتله • فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت • فقال وما
الذي صنعت مرة او مرتين • فاخبره الذي صنع • فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا شققت
بطنه فعلمت ما في قلبه • قال يا رسول الله لو شققت بطنه اكنت اعلم ما في قلبه • قال لا •

الاذكرياء ع

مطلب قول الفقهاء

وهو المفتى به

الحسنة العداوة

مطلب

تقتنع من الدنيا

فتبينوا اى ولا

ان الله كان بما تعملون وخبيرا اى فلا تتكلوا

من المؤمنين غيرا ولى الضرر الآية قال ابن عباس سبب نزول هذه الآية ما روى الامة

والفظ لابى داود عن زيد بن ثابت قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه

وسلم فغشيت السكينة فوقعت فخذه على فخذى فما وجدت

شا اثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سرى عنه فقال اكتب فكتب فى كتف
لا يستوى القاعدون من المومنين والمجاهدون فى سبيل الله الى اخر الاية • فقام ابن ام
مكتوم • وكان رجلا اعمى لما سمع فضيلة المجاهدين • فقال يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع
الجهاد من المومنين • فلما قضى كلامه غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم السكينة • فوقعت
فخذه على فخذى • ووجدت من ثقلها فى المرة الثانية ما وجدت فى المرة الاولى • ثم
سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال اقرا يا زيد لا يستوى القاعدون من المومنين •
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اولى الضرر • الاية كلها • فقال زيد انزلها الله وحدها
فالحقتها • والذى نفسى بيده لكانى انظر الى ملحقها عند صدع فى كتف • وروى البخارى
ايضا عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال املى على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستوى
القاعدون من المومنين والمجاهدون فى سبيل الله • فجاءه ابن ام مكتوم وهو يمليها على • فقال
والله يا رسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت • وكان اعمى • فانزل الله عز وجل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى • فثقلت على حتى خفت ان ترض فخذى • ثم سرى
عنه • فانزل الله عز وجل غير اولى الضرر • وروى البخارى ومسلم ايضا عن البرا بن عازب
رضى الله عنه لما نزلت لا يستوى القاعدون من المومنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
زيدا فجا بكتف فكتبها • وشكى ابن ام مكتوم ضرارته • فنزلت لا يستوى القاعدون من
المومنين غير اولى الضرر • وفى رواية اخرى قال لما نزلت لا يستوى القاعدون من المومنين
قال النبى صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا • فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف • فقال اكتب
لا يستوى القاعدون من المومنين والمجاهدون فى سبيل الله • وخلف النبى صلى الله عليه وسلم
ابن ام مكتوم • فقال يا رسول الله انا ضرير • فنزلت مكانها لا يستوى القاعدون من المومنين
غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله • وهذه الرواية اخرجها ابن الاثير فى كتابه
جامع الاصول • قال العلما وفى هذه الاية فضل الجهاد فى سبيل الله والحث عليه • واما التفسير
فقوله لا يستوى القاعدون يعنى عن بدر والخارجون اليها • غير اولى الضرر • قال العلما
اهل الضرر هم اهل الاعذار • اذ قد اضرت بهم حتى منعتهم الجهاد • وفى الخبر ان النبى صلى الله عليه

وسلم قال وقد قفل عن بعض غزواته ان بالمدينة رجالا ما قطعتم واديا ولا سرتم مسيرا الا كانوا معكم حبسهم العذر • فهذا يقتضي ان صاحب العذر يعطى اجر الغازي • فلعل يحتمل ان يكون اجره مساويا • وفي فضل الله متسع • وثوابه فضل لا استحقاق • ويشبه على النية الصادقة ما لا سبب على الفعل • وقيل يعطى اجره من غير تضعيف • والقول الاول هو الصحيح لقوله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا • ولقوله انما الدنيا لاربعة نفر الحديث • وقد تقدم في آل عمران • ومن هذا المعنى ايضا ما ورد في الخبر اذا مرض العبد قال الله تعالى اكتبوا لعبدي ما كان يعمله في الصحة الى ان يبرا او اقبضه الي • وقد تمسك بعض العلماء بهذه الآية بان اهل الديوان اعظم اجرا من المتطوع • لان اهل الديوان لما كانوا متملكين بالعطا ويصرفون في الشدائد وتروعهم البعوث والاوامر كانوا اعظم من المتطوع • وذلك لسكون جاشه ونعمة باله في الصوائف الكبار ونحوها • قال ابن بحير نزا اصحاب العطا افضل من المتطوعة لاجل ما حصل لهم من الروع • قال مكحول روعات البعوث شفى روعات القيامة • ويتعلق بالآية ايضا من قال ان الغنى افضل من الفقر • لذكر الله المال الذي تتوصل به الى صالح الاعمال • وقد اختلف الناس في هذه المسالة مع اتفاقهم على ان ما احوج من الفقر مكروه • وما ابطر من الغنى مذموم • فذهب قوم الى ان الغنى افضل لان الغنى مقتدر • والفقر عاجز • والقدرة افضل من العجز • قال الماوردي وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة • وذهب قوم الى ان الفقر افضل • لان الفقير تارك • والغنى ملابس • وترك الدنيا افضل من ملابستها • قال الماوردي وهذا مذهب من غلب عليه حب السلامة • وذهب قوم الى ان التوسط بين الغنى والفقر افضل • لانه يسلم من مذمة الحالين • قال الماوردي وهذا مذهب من يرى تفضيل الاعتدال • وان خيار الامور اوساطها • ولقد احسن الشاعر الحكيم حيث قال ه

الا عايذا بالله من عدم الغنى ه ومن رغبة يوما الى غير مرغب ه

قرا اهل الكوفة وابو عمرو وغيرا اولى الضرر بالرفع نعت للقاعدون • معناه لا يستوي القاعدون غير اولى الضرر • وقرا ابو حيوة غيرِ اولى الضرر بالكسر نعت للمومنين • ومعناه من المومنين الذين هم غير اولى الضرر من المومنين الاصحا • وقرا اهل الحرمين غيرَ اولى الضرر بالفتح

على

على الاستثناء من القاعدين او من المومنين اى الا اولى الضرر فانهم يستوون مع المجاهدين
وان شئت نصبته على الحال من القاعدين اى لا يستوى القاعدون اصحاء اى فى حال صحتهم
وجازت الحال منهم لان لفظهم لفظ المعرفة وهو كما تقول جانى زيد غير مريض وما
ذكرناه من سبب النزول يدل على معنى النصب والله اعلم وقوله والمجاهدون فى سبيل الله
باموالهم وانفسهم اى ليس المومنون القاعدون عن الجهاد من غير عذر والمومنون المجاهدون
سواء غير اولى الضرر فانهم يساوون المجاهدين لان الضرر اقعدهم عنه فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة يعنى فضيله فى الآخرة قال ابن عباس رضى الله عنه
اراد بالقاعدين هنا اولى الضرر فضل الله المجاهدين على اولى الضرر درجة لان المجاهد
باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولوا الضرر كانت لهم نيه ولم يباشروا الجهاد
فنزلوا عن المجاهدين درجة وكلا يعنى المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى يعنى الجنة
بايمانهم وفضل الله المجاهدين يعنى فى سبيل الله على القاعدين يعنى الذين لا عذر لهم ولا
ضررا اجرا عظيما يعنى ثوابا اجزيلا ثم فسر سبحانه ذلك الاجر العظيم فقال عز من قايل
درجات منه قال قتادة كان يقال للاسلام درجة وللهجرة فى الاسلام درجة والجهاد
فى الهجرة درجه وللقتل فى الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هن سبع وهى التى ذكرها
الله تعالى فى سورة برآة حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة الى قوله ولا
يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن جرير الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين
حضر الفرس الجواد المضمر سبعون سنة ويدل عليه ما روى مسلم عن ابى سعيد الخدرى
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا
وجبت له الجنة فعجب لها ابو سعيد فقال اعدها على يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال
واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السما والارض
قال وما هى يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله الجهاد فى سبيل الله وروى البخارى عن ابى
هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله ورسوله واقام الصلاة
وآتى الزكوة وصام رمضان وحج كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد فى سبيل الله او جلس

فى ارضه التى ولد فيها. فقالوا اولا نبشر الناس بقولك. فقال ان فى الجنة مائة درجة اعدها
الله للمجاهدين فى سبيل الله. ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض. فاذا سالتم الله تعالى
فاسالوه الفردوس الاعلا. فانه اوسط الجنة واعلى الجنة. وفوقه عرش الرحمن. ومنه تفجر
انهار الجنة. فان قيل قد ذكر الله عز وجل فى الاية الاولى درجة واحدة. وذكر فى هذه
الآية درجات. فما وجه الحكمة فى ذلك. قيل له اما الدرجة الاولى فتفضيل المجاهدين
على القاعدين من غير ضرر ولا عذر. فضلوا عليهم بدرجات كثيرة. وقيل يحتمل ان تكون
الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم. والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما فى الحديث
والله اعلم. وقوله تعالى ومغفرة يعنى لذنوبهم يسترها ويصفح عنها ورحمة يعنى رافة بهم
وكان الله غفورا يعنى لذنوب عباده المومنين رحيما يعنى بهم يتفضل عليهم بمغفرته ورحمته.
عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل انه قال ايما
عبد من عبادى خرج مجاهدا فى سبيل الله ابتغاء مرضاتى ضمنت له ان ارجعته ارجعته بما
اصاب من اجر او غنيمة. وان قبضته غفرت له ورحمته. اخرجه النسائى رحمه الله.

فصل اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية. فاما فرض العين فهو ان يدخل
العدو دار قوم من المومنين وبلادهم. فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر به
من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم. دفعا عن انفسهم وعن اهليهم وجيرانهم. وسواء فى ذلك
الحر والعبد والغنى والفقير. فيجب على الكافة. وهو فى حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية.
فان لم تقع الكفاية ممن نزل بهم العدو وجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين
او بعد عنهم. وان وقعت الكفاية بالمنزول بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق الاختيار.
ولا يدخل فى هذا الفرض اعنى فرض الكفاية الفقرا والعبيد. واذا كان الكفار قادرين فى
بلادهم فعلى الامام ان لا يخلى كل سنة من غزاة يغزوهم فيها. اما بنفسه او بسراياه حتى لا
يبطل الجهاد. والاختيار لمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقعد عنه. ولكن لا
يفرض عليه. لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى.
ولو كان فرضا على الكفاية لاستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب. والله تعالى اعلم.

قوله تعالى ان الذين توفاهم الملايكه ظالمى انفسهم الاية قال المفسرون نزلت هذه الاية
فى اناس من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيره وقيس بن
ابن الوليد بن المغيره واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار
فانزل الله عز وجل فيهم هذه الاية وقيل انهم لما استحقروا عدد المسلمين دخلهم شك فى
دينهم فارتدوا فقتلوا على الردة فقال المسلمون ببدر كان اصحابنا هولا مسلمين ولكنهم
اكرهوا على الخروج مع المشركين فاستغفروا لهم فانزل الله الاية فيهم والاول هو الصحيح لما
روى البخارى عن محمد بن عبد الرحمن قال قطع على اهل المدينة بعث فاكتتبت فيه فلقيت عكرمة
مولى ابن عباس فاخبرته فنهانى عن ذلك اشد النهى ثم قال اخبرنى ابن عباس ان ناسا من المسلمين
كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتى السهم
يرمى به فيصيب احدهم فيقتله او يضرب فيقتل فانزل الله عز وجل ان الذين توفاهم الملايكه
يعنى ملك الموت واعوانه وهم سبعة ملايكة يلون قبض ارواح المومنين وملايكة يلون قبض
ارواح الكفار وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما
يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفى التوفى هنا قولان احدهما انه قبض ارواحهم والثانى
حشرهم الى النار وعلى القول الثانى يكون المراد بالذين يلون تعذيب الكفار وقوله بالملايكة م
ظالمى انفسهم يعنى بالشرك وقيل بالمقام فى دار الشرك وذلك لان الله تعالى لم يقبل الاسلام
من احد بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم حتى هاجر اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله
صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه فى الصحيحين وقيل ظالمى
انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملايكة وجوههم
وادبارهم قالوا فيم كنتم هذا سوال توبيخ وتقريع يعنى قالت الملايكة لهولا الذين قتلوا فى
اى الفريقين كنتم فى فريق المسلمين او فى فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين
وهو قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا كنا مستضعفين يعنى عاجزين فى الارض يعنى فى ارض مكة
وهذا اعتذار غير صحيح اذ كانوا يستطيعون الحيل ويهتدون السبيل قالوا يعنى قال لهم
الملايكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى الى المدينة وتخرجوا من بين اظهر المشركين

فاكذبهم الله فى قولهم مستضعفين • واعلمنا بكذبهم • وفى هذه الآية دليل على هجران الارض
التى يعمل فيها بالمعاصى • قال سعيد بن جبير رضى الله عنه اذا رايت ارضا يعمل فيها بالمعاصى فاخرج
منها • وتلا هذه الآية الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها • وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم
ومحمد صلى الله عليهما وسلم • قال العلماء فى قول الملايكة لهم فيم كنتم • قالوا كنا مستضعفين فى الارض
يفيد هذا السوال والجواب انهم كانوا مسلمين ظالمين لانفسهم فى تركهم الهجرة • والا فلو ماتوا
كافرين لم يقل لهم شئ من هذا • وانما اضرب عن ذكرهم فى العصابة لشدة ما واقعوه • وعدم
تعين احدهم بالايمان واحتمال ردته • والله اعلم • ثم استثنا سبحانه منهم من الضمير الذى هو الهاء
والميم فى ماواهم من كان مستضعفا حقيقة • وهم اهل الاعذار من زمنا الرجال وصعفة النسا
والولدان كعياش بن ابى ربيعة • وسلمة بن هشام • والوليد بن الوليد • وغيرهم الذين كان يدعوا لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قنت فى صلاة الغداة • يقول اللهم انج الوليد بن الوليد • وسلمة بن هشام •
وعياش بن ابى ربيعة • والمستضعفين بمكة • اللهم اشدد وطاتك على مضر • واجعلها عليهم سنين
كسنى يوسف • قال عياش بن ابى ربيعة رضى الله عنه كنت انا وامى ممن عنى الله بهذه الاية • وذلك
انه كان من الولدان اذ ذاك • وامه هى ام الفضل بنت الحارث • واسمها لبابة • وهى اخت ميمونة
زوج النبى صلى الله عليه وسلم • واختها الاخرى لبابة الصغرى • وكن تسع اخوات • قال النبى صلى الله
عليه وسلم فيهن الاخوات المومنات • ومنهن سلمى • والعصماء • وحفيدة • ويقال فى حفيدة ام حفيد
واسمها هويلة • ومن ست شقائق • وبلات لام • ومن سلمى • وسلامة • واسما بنت عميس الخثعمية
امراة جعفر بن ابى طالب فلما قتل جعفر بمونة تزوجها ابو بكر الصديق • فلما مات ابو بكر تزوجها
على بن ابى طالب رضى الله عنهم اجمعين • قال عز من قايل مستثنا اهل العذر ومن علم ضعفه الا
المستضعفين من الرجال والنسا والولدان لا يستطيعون حيلة يعنى لا يقدرون على حيلة
ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة ولا يهتدون سبيلا يعنى ولا يعرفون طريقا الى
المدينة يسلكونه فاولئك يعنى المستضعفين واهل الاعذار عسى الله ان يعفو عنهم يعنى يتجاوز
عنهم بفضله واحسانه • وعسى من الله واجب • لانها طماع وترج • والله تعالى اذا طمع عبدا وصله اليه

فاولئك يعنى من هذه صفته ماواهم جهنم اى منزلهم ومصيرهم مصيرا يعنى بئس المصير مصيرهم الى جهنم

وكان الله عفوا غفورا والمعنى العلة في قوله فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم الاية هذا الذي لا
حيلة له في الهجرة لاذنب له حتى يعفا عنه والمعنى انه قد يلزم الذنب بعض اداية
المشقة بل كان يجوز ان يكون المعنى [illegible]
[illegible]
سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة هذا شرط وجوابه
الشرط وقال ابن عباس لما نزل قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة
في الاية قال رجل من المسلمين بمكة انا لا نستطيع ان نصلي بالتلعثم
فالمراغم المذهب والمتحول والمراد بالسعة هنا الرزق وقيل الكثرة
والغلبة وقيل الخصب وقيل الامن وقيل الكل والاول اولى لان
الله سبحانه وعد بالرزق من هاجر وقيل معناه ان الرجل اذا هاجر من
حي عادى الى حي غيرهم وقال الفراء المراغم المتزحزح عن الارض
الى بلد غيره وقال الخليل هو المكان الذي يرغم فيه اعداء الله
ويذلهم بكثرة الاهل والمال وما يكرهه الاعداء وقال ابو عبيدة
الرغام التراب والمعنى يجد في الارض مذهبا يرغم فيه انفه
يكره وتقدم هذا القول وقيل يجد مطلبا عظيما وقيل المراغمة والمهاجرة
واحد يقال راغمت قومي اي هاجرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر قومه
برغمهم وقوله تعالى وسعة معنى في الرزق وهذا قول ابن عباس والربيع والضحاك
وقال قتادة يعني سعة من الضلالة الى الهدى ومن العيلة الى الغنى وقال الامام ماك
السعة سعة البلاد قال بعضهم وهذا القول اشبه بفصاحة العرب فان سعة الارض وكثرة

في الطريق فمات فقال ان سلخ ارض الحبشة ... الآية والله اعلم وحكى ابن العربي
انه حبيب بن ضمرة وقال ... بن ضمرة الضمري وذكره السدي وحكى عن عكرمة انه حبيب بن
ضمرة البندعي وحكى عن ابن عباس انه ضمرة بن بغيض الذي مشى الى ابيه وحكى الماوردي
ان ضمرة بن ضمرة بن نعيم وقيل ضمرة بن خزاعة والله اعلم وروى سفيان عن قتادة قال
لما نزلت ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الآية قال رجل من المسلمين وهو مريض انا
لست من المستضعفين ولا من ذوي العذر والله لا بات الليلة على ظهر البيت ثم خرج يريد
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدركه الموت في الطريق فمات فبلغ ذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بالقصة فنزلت هذه الآية وقد كان خرج من بلده
مهاجرا الى الله ورسوله ثم ادركه الموت فقد وقع اجره على الله كما تقدم ضمرة او جندب
وقال جندب بن ضمرة على ما تقدم وكان الله غفورا اذا كان منه هفوة او شرك رحيما حيث قبل
توبته ٥ واعلم ان العلماء رضي الله عنهم قسموا الذهاب في الارض قسمين هربا وطلبا
والاول ينقسم الى ستة اقسام الاول الهجرة وهي الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام
وكان ذلك فرضا في اول الاسلام وفي حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة ما انقطعت
مفروضة الى يوم القيامة والهجرة التي انقطعت بالفتح هي القصد الى النبي صلى الله عليه وسلم
حيث كان فان بقي في دار الحرب عصى وكلف في حاله الثاني الخروج من ارض البدعة
قال ابن القاسم سمعت الامام مالكا يقول لا يحل لاحد ان يقيم بارض يسب فيها السلف قال ابن
العربي وهذا صحيح فان المنكر اذا لم تقدر على تغييره فزل عنه قال الله تعالى واذا رأيت الذين
يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم الى قوله فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين الثالث
الخروج من ارض غلب عليها الحرام فان طلب الحلال فرض على كل مسلم الرابع الفرار
من الاذاية في البدن وذلك فضل من الله ارخص فيه فاذا خشي الانسان على نفسه فقد
اذن الله له في الخروج عنه والفرار بنفسه لتخلصها من ذلك المحذور وأول من فعل ذلك
ابرهيم عليه السلام فانه لما خاف من قومه قال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم وقال
اني ذاهب الى ربي سيهدين وقال الله تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام فخرج منها خائفا

الترغيب فى الهجرة • وان من قصدها ولم سلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة
كاملا • فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب له ثوابها كاملا •
قوله عز وجل واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة الاية • قال
العلما الضرب فى الارض هو السفر منها • وتقدم بيانه • وقوله فليس عليكم جناح اى حرج واثم ان
تقصروا من الصلاة • يعنى من اربع ركعات الى ركعتين • وذلك فى صلاة الظهر والعصر والعشا •
واصل القصر فى اللغه التضييق • وقيل هو ضم الشى الى اصله • وقيل معنى قصر الصلاة
جعلها قصيره بترك بعض ركعاتها • او بعض اركانها ترخيصا • ولهذا السبب ذكروا فى
تفسير قصر الصلاة المذكورة فى الآية قولين احدهما انه فى عدد الركعات • وهو رد
الصلاه الرباعية الى ركعتين • والقول الثانى ان المراد من القصر ادخال التخفيف فى ادآبها •
وهو ان يكتفى بالايما والاشارة عن الركوع والسجود • والقول الاول اصح • ويدل عليه لفظة
من فى قوله ان تقصروا من الصلاه • ولفظة من هنا للتبعيض • وذلك يوجب جواز الاقتصار
على بعض الصلاة • فثبت بهذا ان تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاه اولى • وقوله
ان خفتم ان يفتنكم يعنى يختالكم ويقتلكم فى الصلاه الذين كفروا ذهب داود الظاهري
الى ان جواز القصر مخصوص بحال الخوف • واستدل على صحة مذهبه بقول الله تعالى ان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا • ولان عدم الشرط يقتضى عدم المشروط • فعلى هذا لا يجوز القصر عند
الأمن • ولا يجوز رفع هذا الشرط بخبر الاحاد • لانه يقتضى نسخ القران بخبر الواحد • وذهب
جمهور اهل العلم الى ان القصر فى حال الامن فى السفر جايز • ويدل عليه ما روى عن يعلى بن
امية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاه ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا فقد امن الناس • فقال عجبت مما عجبت منه • فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك • فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته • اخرجه مسلم • وعن عبد الله
ابن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر كيف تقصروا الصلاه وانما قال الله عز وجل ليس عليكم جناح
ان تقصروا من الصلاه ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا • فقال ابن عمر يا ابن اخى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتانا ونحن ضلال فعلمنا • فكان فيما علمنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

امرنا ان نصلی رکعتین فی السفر اخرجه النسای ۰ وعن ابن عباس رضی الله عنهما ان رسول الله
صلی الله علیه وسلم خرج من المدینه الی مکه لا یخاف الا رب العالمین فصلی رکعتین ۰ اخرجه الترمذی
والنسای ۰ واجاب الجمهور عن قوله تعالی ان خفتم ۰ ان کلمة ان تفید حصول الشرط ۰
ولا یلزم ان عند عدم الشرط یلزم عدم المشروط ۰ فقوله تعالی ان خفتم تقتضی ان عند
عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر ۰ واذا کان کذلک کانت الآیة ساکتة عن حال الأمن ۰
فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد یکون اثباتا لحکم سکت عنه القران ۰ وذلک غیر
ممتنع ۰ انما الممتنع اثبات الحکم بخبر الواحد علی خلاف ما دل علیه القران ۰ فان قیل
اذا کان هذا الحکم ثابتا فی حال الامن والخوف فما فایدة تقییده بحال الخوف ۰ قیل له انما
نزلت الایة علی غالب اسفار النبی صلی الله علیه وسلم ۰ واکثرها لم تخل عن خوف العدو ۰ فذکر
الله عز وجل هذا الشرط من حیث انه هو الاغلب فی الوقوع ۰ والله اعلم ۰ وقوله تعالی ان
الکافرین کانوا لکم عدوا مبینا ای ظاهروا العداوة ۰ فلیعلم بهذا رخصت لکم فی قصر الصلاه
لیلا یجدوا الی قتلکم واغتالکم سبیلا ۰ وانما قال عدوا ولم یقل اعداء لانه یستوی فیه الواحد
والجمع فصل فی احکام تتعلق بالآیة وفیه مسایل المسالة الاولی فی حکم القصر ۰
اعلم ان قصر الصلاة فی حالة السفر جایز باجماع الامة ۰ وانما اختلفوا فی جواز الاتمام
فی حال السفر ۰ فذهب جماعة من العلما الی ان القصر واجب فی السفر ۰ وهو قول عمر بن الخطاب
وعلی بن ابی طالب وابن عمر وجابر وابن عباس رضی الله عنهم ۰ وبه قال الحسن وعمر بن عبد
العزیز وقتادة ۰ وهو قول الامام مالک والامام ابی حنیفه ۰ ویدل علی هذا القول ما روی
عن عاشه رضی الله عنها قالت فرض الله الصلاة حین فرضها رکعتین ۰ ثم اتمها فی الحضر وأقرت
صلاة السفر علی الفریضة الاولی ۰ وفی روایة اخری قالت فرض الله الصلاه حین فرضها
رکعتین رکعتین فی الحضر والسفر ۰ فاقرت صلاة السفر ۰ وزید فی صلاه الحضر ۰ اخرجاه فی
الصحیحین ۰ وذهب قوم الی جواز الاتمام فی السفر ۰ ولکن القصر افضل ۰ یروی ذلک
عن عثمان بن عفان ۰ وسعد بن ابی وقاص رضی الله عنهما ۰ والیه ذهب الامام الشافعی والامام احمد ۰
وهو روایة عن الامام مالک ایضا ۰ ویدل علی ذلک ما روی البغوی بسند الشافعی عن عاشة

رضى الله عنها قالت كُلّ ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم • وعن عائشة
رضى الله عنها انها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينه الى مكه • حتى اذا قدمت
مكه قالت يا رسول الله بابى انت وامى قصرت واتممت وافطرت وصمت • قال احسنت ياعائشه •
وما عاب على • اخرجه النسايى • وظاهر القران يدل على ذلك • لان الله تعالى قال فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلاه • ولفظ لاجناح انما استعمل فى الرخصة • لافيما يكون حتما •
والله اعلم • المسئلة الثانيه اختلف فى صلاة المسافر اذا صلى ركعتين ركعتين هل هى مقصوره
ام غير مقصوره • فذهب قوم الى انها غير مقصورة • وانما فرض صلاه المسافر ركعتان تمام
غير قصر • روى ذلك عن ابن عمر • وجابر بن عبد الله • واليه ذهب سعيد بن جبير • والسدى •
والامام ابو حنيفه • فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور فى الاية هو تخفيف ركوعها وسجودها •
والله اعلم • وذهب قوم الى انها مقصورة وليست باصل • وهو قول مجاهد • وطاوس • واليه
ذهب الامام الشافعى والامام احمد • المسئلة الثالثة مذهب الامام الشافعى والامام
مالك والامام احمد بن حنبل وجماعة الى انه يجوز القصر فى كل سفر مباح • وشرط بعضهم كونه
سفر حج او عمرة او جهاد او سفر طاعة • ولا يجوز القصر فى سفر المعصية • وقال الامام
ابو حنيفه وسفين الثورى وجماعة يجوز ذلك • المسئلة الرابعة اختلف العلما فى
مسافة القصر • فقال داود واهل الظاهر يجوز القصر فى قصير السفر وطويله • روى ذلك
عن انس ايضا • وقال عمرو بن دينار قال لى جابر بن زيد اقصر بعرفه • واما عامة
اهل العلم فانهم لا يجوزون القصر فى السفر القصير • واختلفوا فى حد السفر الطويل الذى
يجوز فيه القصر • فقال الاوزاعى مسيرة يوم • وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران
فى مسيرة اربعة برد • وهى ستة عشر فرسخا • واليه ذهب الامام مالك والامام احمد واسحق •
وقول الحسن والزهرى قريب من ذلك • فانهما قالا مسيرة يومين • واليه ذهب الامام الشافعى •
فقال مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا • كل فرسخ ثلاثة اميال • فتكون ممانيه
واربعين ميلا بالهاشمى • والميل ستة الاف ذراع • والذراع اربعة وعشرون اصبعا معترضة
معتدلة • والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات • وقال الامام ابو حنيفة

وسفين الثوري واهل الكوفة ولا قصر في اقل من ثلاثة ايام ٥ واختلفوا في مدة الاقامة التي
اذا نواها المسافر اتم ٥ فقال الامام مالك والامام الشافعي والليث بن سعد والطبري وابو ثور
اذا نوى اقامة اربعة ايام اتم ٥ وروى هذا عن سعيد بن المسيب ٥ وقال الامام ابو حنيفه واصحابه
وسفين الثوري اذا نوى اقامة خمس عشرة ليلة اتم ٥ وان كان اقل من ذلك قصر ٥ وهو قول عمر
وابن عباس رضي الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابه فيما ذكر الطحاوي ٥ وروى هذا ايضا عن
سعيد بن المسيب ٥ وقال الامام احمد اذا اجمع المسافر مقام احدى وعشرين صلاة مكتوبة
قصر ٥ وان زاد على ذلك اتم ٥ وبه قال داود ٥ وفي المساله قول غير هذه الاقوال وهو
ان المسافر يقصر ابدا حتى يرجع الى وطنه او ينزل وطنا له ٥ وروى عن انس رضي الله عنه انه
اقام سنتين بنيسابور يقصر الصلاه ٥ وقال ابو مجلز قلت لابن عمر اني اكون بالمدينه فاقيم
بها السبعة اشهر والثمانية طالبا حاجة فقال صل ركعتين ٥ وقال ابو اسحق السبيعي اقمنا
بسجستان ومعنا رجال من اصحاب ابن مسعود نصلي ركعتين واقام ابن عمر بادربيجان
نصلي ركعتين ركعتين ٥ وكان الثلج حال بيننا وبين القفول ٥ قال ابن عبد البر يجمل هذه
الاحاديث عندنا على انه لا نية لواحد من هؤلاء المقيمين هذه المدة ٥ وانما مثل ذلك ان
يقول اخرج اليوم اخرج غدا ٥ واذا كان هكذا فلا عزيمة هنا على الاقامة ٥ قال الامام
ابو حنيفه اذا دخل المسافر بلدا ولم ينو ان يقيم فيها خمسة عشر يوما وانما يقول غدا اخرج
او بعد غد اخرج حتى بقي على ذلك سنين صلى ركعتين ٥ والله اعلم ٥ فصل وقيل في قوله
تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده ٥ منفصل عما قبله ٥ تقديره وان خفتم
وروى عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال نزل قوله تعالى وليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلاه هذا القدر ٥ ثم بعد حول سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاه الخوف فنزل
ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الآية ٥
ومثل هذا في القرآن كثير يجيء والخبر بتمامه ثم يسوق عليه خبرا آخر هو في الظاهر كالمتصل به
وهو منفصل عنه ٥ والله تعالى اعلم باسرار كلامه ٥ قوله عز وجل واذا كنت فيهم فاقمت
لهم الصلاة الآية ٥ قال المفسرون هذه انة صلاه الخوف ٥ وسبب نزولها ما روى عن ابن عباس

وجابر رضى الله عنهما ان المشركين لما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر
يصلون جميعا ندموا ان لا كانوا كبوا عليهم • فقال بعضهم لبعض دعوهم • فان لهم بعدها
صلاة هى احب اليهم من ابائهم وامهاتهم • يعنى صلاة العصر • فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم
فاقتلوهم • فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد انها صلاة الخوف • وان الله عز وجل
يقول واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك ولياخذوا اسلحتهم • فاذا
سجدوا فليكونوا من ورائكم • ولتات طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم • فعلمه صلاة الخوف • وروى عن ابى عياش الزرقى فى سبب نزول هذه الاية قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان • وعلى المشركين خالد بن الوليد • فصلينا الظهر •
فقال المشركون لقد اصبنا غرة • وفى رواية غفلة • لو حملنا عليهم وهم فى الصلاة • فنزلت الاية
بين الظهر والعصر • وقوله واذا كنت فيهم هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم • وهو متناول
الامر بعده الى يوم القيامة • وقال ابو يوسف واسمعيل بن علية لا تصلى صلاة الخوف
بعد النبى صلى الله عليه وسلم • وذلك ان الخطاب كان خاصا له بقوله تعالى واذا كنت فيهم • واذا
لم يكن فيهم لم يكن ذلك لهم • لانه صلى الله عليه وسلم ليس كغيره فى ذلك • وكلهم كان يحب ان يأتم
به ويصلى خلفه • وليس احد بعده يقوم فى الفضل مقامه • والناس بعده يستوى احوالهم
ويتفاوت • فلذلك يصلى الامام بفريق ويامر من يصلى بالفريق الآخر • واما ان يصلوا
بامام واحد فلا • وهذا قول شاذ • خالفهم فيه جمهور العلماء • وقالوا انما قد امرنا باتباع
النبى صلى الله عليه وسلم والتاسى به فى غير ما اية وغير حديث • قال الله تعالى فليحذر الذين
يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة • وقال صلى الله عليه وسلم صلوا كما رايتمونى اصلى • فلزم
اتباعه مطلقا حتى يدل دليل واضح على الخصوص • ولو كان ما ذكروه دليلا على الخصوص
للزم قصر الخطابات على من توجهت له • وحينيذ كان يلزم ان يكون الشريعة قاصرة على
من خوطب بها • ثم ان الصحابة رضوان الله عليهم اطرحوا توهم الخصوص فى هذه الاية وعدوه
الى غير النبى صلى الله عليه وسلم • وهم اعلم بالمقال • وافقد بالحال • وقد قال الله تعالى واذا
رايت الذين يخوضون فى اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره • وهذا خطاب له •

صلى الله عليه وسلم وامته داخلة فيه • ومثل هذا في القران كثير • ومنه قوله تعالى خذ من اموالهم صدقه • وذلك لا يوجب الاقتصار عليه وحده • وان من بعده يقوم في ذلك مقامه • فكذلك قوله تعالى واذا كنت فيهم • الا ترى ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه في جماعة الصحابة قاتلوا من تاول في الزكوه مثل ما تاولتموه في صلاه الخوف • والله اعلم وقوله **فلتقم طائفه منهم معك** يعني اذا حضر وقت الصلاة واقمتها لاصحابك فاجعلهم فرقتين • فلتقف فرقه منهم معك فتصلي بهم **وليأخذوا اسلحتهم** اختلف العلماء في هولاء الذين امرهم الله باخذ السلاح • فقيل اراد بهم الذين قاموا معه الى الصلاة • فانهم ياخذون اسلحتهم في الصلاة • فعلى هذا القول انما ياخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاه • ولا يوذي به من الى جنبه كالسيف والخنجر • وذلك لانه اقرب الى الاحتياط وامنع للعدو من الاقدام عليهم • فان كان السلاح يشغل حركته وينقله عن الصلاه كالترس الكبير • او يوذي من الى جنبه كالرمح فلا ياخذه • وقيل اراد بهم الطائفة الذين بقوا في وجه العدو فانهم ياخذون اسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل ان يكون امر الفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط **فاذا سجدوا فليكونوا من ورايكم** يعني صلوا الذين معك وفرغوا من الصلاه فليكونوا من ورايكم • يعني فليصرفوا الى مكان الذين هم في وجه العدو للحراسة **ولتات طائفة اخرى لم يصلوا** يعني ولتات الطائفه التي كانت في وجه العدو **فليصلوا معك** يعني يصلوا معك الركعة الثانيه التي بقيت عليك ويتموا بقيه صلاتهم **وليأخذوا حذرهم واسلحتهم** يعني انه تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آله يستعملها الغازي في دفع العدو • فلذلك جعله ماخوذا مع السلاح • فان قيل لم ذكر في اول الآيه الاسلحة فقط • وذكر هنا الحذر والاسلحة • قيل له لان العدو قلما يتنبه للمسلمين في اول الصلاه • بل يظنون كونهم قائمين الى المحاربة والمقاتله • فاذا قاموا الى الركعة الثانيه ظهر للكفار ان المسلمين في الصلاه • فحينيذ ينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلاجرم ان الله تعالى امرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة **ود الذين كفروا** يعني تمنى الكفار **لو تغفلون** يعني لو وجدوكم غافلين **عن اسلحتكم وامتعتكم** يعني حوايجكم التي بها بلاغكم في اسفاركم فتشتهون عنها **فيميلون عليكم ميله واحدة** يعني فيقصدونكم

الامام

الامام الشافعي يصلي بالاولى ركعة. لان عليا رضي الله عنه فعلها ليلة الهرير. والله اعلم ن
واختلفوا في صلاة الخوف عند التحام الحرب وشدة القتال وخوف خروج الوقت. فقال
الامام مالك والامام الشافعي والاوزاعي والثوري وعامة العلماء يصلي كيف ما امكن لقول ابن
عمر رضي الله عنه فان كان الخوف اكثر من ذلك فصلوا راكبا وقائما تومئ ايماء. قال في الموطا
مستقبل القبلة وغير مستقبلها. وقد تقدم في سورة البقرة قول الضحاك واسحق. وقال
الاوزاعي ان كان ثمة الفتح ولم يقدروا على الصلاة صلوا ايماء كل امرئ لنفسه. فان لم يقدروا
على الايماء اخروا الصلاة حتى ينكشف القتال ويامنوا فيصلوا ركعتين. فان لم يقدروا صلوا
ركعة وسجدتين. فان لم يقدروا لم يجزهم التكبير. ويوخروها حتى يامنوا. وبه قال مكحول.
وحكاه الطبري في احكام القران عن الامام ابي حنيفة واصحابه. قال الطبري واذا كان الخوف
اشد من ذلك وكان التحام القتال فان المسلمين يصلون على ما امكنهم مستقبلي القبلة ومستدبريها.
والامام ابو حنيفة واصحابه متفقون على انهم لا يصلون على هذه الحالة. بل يوخرون الصلاة.
فان قاتلوا في الصلاة تفسد عندهم. وحكي عن الامام الشافعي انه ان تابع الطعن والضرب
وهو محرم بالصلاة فسدت صلاته. وان لم يتابع الطعن والضرب صحت صلاته. ويدل على صحة هذا
القول قول انس رضي الله عنه حضرت مناهضة حصن تستتر عند اضاءة الفجر. واشتد اشتعال
القتال. فلم نقدر على الصلاة الا بعد ارتفاع النهار. فصليناها ونحن مع ابي موسى ففتح لنا.
قال انس وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها. ذكره البخاري رحمه الله. وهو اختياره
فيما يظهر. لانه اردفه بحديث جابر رضي الله عنه قال جاء عمر يوم الخندق فجعل يسب كفار
قريش. ويقول يا رسول الله ما صليت العصر حتى كادت الشمس ان تغرب. فقال النبي صلى الله عليه
وسلم وانا والله ما صليتها فنزل بطحان فتوضا وصلى العصر بعد ما غربت الشمس. ثم صلى
المغرب بعدها. والله اعلم. واختلفوا ايضا في صلاة الطالب والمطلوب. فقال الامام مالك
وجماعة هما سواء. كل واحد منهما يصلي على دابته. وقال الاوزاعي والامام الشافعي وفقهاء
الحديث وجماعة من الفقهاء لا يصلي الطالب الا بالارض. قالوا لان الطلب تطوع والصلاة
المكتوبة فرضها ان تصلى بالارض حيث ما امكن. ولا تصليها راكب الا خائف شديد خوفه.

وليس كذلك الطالب والله اعلم ٥ واختلفوا ايضا في العسكر اذا رواسوادا فظنوه عدوا فصلوا
صلاة الخوف ثم بان لهم انه غير شئ فقيه عند الامام مالك روايتان احدهما انهم يعيدون
وبه قال الامام ابو حنيفة والثانية لا اعادة عليهم وهو اظهر قولي الامام الشافعي ٥ وجه
الرواية الاولى انه تبين لهم الخطا فعادوا الى الصواب كحكم الحاكم ٥ ووجه الرواية الثانية
انهم عملوا على اجتهادهم فجاز لهم كما لو اخطاوا القبلة ٥ وهذا اولى لانهم فعلوا ما امروا به
وقيل انهم يعيدون في الوقت ٥ فاما بعد خروجه فلا والله اعلم ٥ وقوله تعالى ولا
جناح عليكم اي ولا اثم ولا حرج عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم
قال ابن عباس رضي الله عنه رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض لان السلاح
ثقيل حمله في هاتين الحالتين وخذوا حذركم يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه امرهم
الله عز وجل بالتحفظ والتحرز والاحتياط ليلا يجتري العدو عليهم ٥ قال ابن عباس رضي الله عنه
نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه غزا بني محارب وبني ثعلبة فنزلوا ولا
يرون من العدو احدا فوضع الناس السلاح ٥ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لقضاء حاجته
حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين اصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي ٥ فقال قتلني الله ان لم اقتله
ثم اخدر من الجبل ومعه السيف ٥ فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم على راسه
وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الآن ٥ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ٥
ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت ٥ فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم به فاكب لوجهه من زلجة زلجها ٥ فندر السيف من يده ٥ فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن ٥ فقال لا احد ٥ فقال اتشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله ٥ قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ولا اعين عليك عدوا ٥
فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ٥ فقال غورث لانت اشجع مني ٥ قال النبي صلى الله عليه
وسلم اجل انا احق بذلك منك ٥ فرجع غورث الى اصحابه ٥ فقالوا له ويلك يا غورث ما يمنعك منه
فقال والله لقد اهويت اليه بالسيف لاضربه به فوالله ما ادري من زلجني منكبي فخررت لوجهي ٥

لزلجة الزلقه

وذكر لهم حاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الوادي الى اصحابه واخبرهم الخبر وقرا هذه الاية ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى
من مطر او كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا أن تضعوا اسلحتكم
وخذوا حذركم يعني من عدوكم وقال بعضهم ايضا رخص الله لهم في ترك السلاح والتاهب
للعدو بعذر المطر ثم امرهم فقال وخذوا حذركم واسلحتكم اي كونوا متيقظين وضعتم
السلاح اولم تضعوه وهذا يدل على تاكيد التاهب والحذر من العدو في كل الاحوال وترك
الاستسلام فان الجيش ما جاءه مصاب قط الا من تفريط في حذر وقال الضحاك معنى قوله
تعالى وخذوا حذركم يعني بقلد واسيوفكم فان ذلك هيئة الغزاة وقوله ان الله
اعد للكافرين عذابا مهينا يعني يهانون فيه في الآخرة قوله عز وجل فاذا قضيتم
الصلاة يعني فاذا فرغتم من صلاة الخوف فاذكروا الله يعني بالتسبيح والتحميد والتهليل
والتكبير واثنوا على الله في جميع احوالكم قياما وقعودا وعلى جنوبكم فان مما انتم عليه من
الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع اليه روى البخاري ومسلم عن عائشة
رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه وقيل المراد بالذكر
الصلاة يعني فصلوا لله قياما يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم يعني
في حال الزمانة والجراح فاذا اطمانتم يعني فاذا امنتم وسكن قلوبكم واصل الطمانينة
سكون القلب فاقيموا الصلاه يعني فاتموها اربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمانينة ترك
السفر والمعنى فاذا صرتم مقيمين في اوطانكم فاقيموا الصلاه تامة اربعا من غير قصر
وقيل معناه فاقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمانينة
سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف ان الصلاه كانت على المومنين كتابا موقوتا
يعني فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في اوقات محدودة
فلا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال كان من خوف او امن وقيل معناه فرضا واجبا
مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم
قال المفسرون سبب نزول هذه الآية ان ابا سفين واصحابه لما رجعوا يوم احد بعث النبي

صلى الله عليه وسلم فى آثارهم. فشكى الصحابة رضى الله عنهم من الم الجراحات. فقال الله عز وجل لهم
ولا تهنوا. يعنى لا تضعفوا ولا تتوانوا فى اتقاء القوم. يعنى فى طلب ابى سفيان واصحابه.
ثم اورد عليهم الحجة فى ذلك والزمهم بها فقال تعالى ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما
تالمون يعنى ان حصول الالم قد رمشترك بنكم وبينهم. وليس ما تكابدون من الوجع والم
الجراح مختصا بكم. بل هم كذلك. فاذا لم يكن الالم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا
لكم عن قتالهم. وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر منهم. لانكم مقرون بالحشر
والنشر والثواب والعقاب. والمشركون لا يقرون بذلك كله. فانتم ايها المومنون اولى بالجهاد
منهم. وهو قوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون يعنى وتاملون من الله من الثواب فى
الآخرة ما لا يرجون. وقيل ترجون النصر والظفر فى الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها.
وكان الله عليما حكيما يعنى انه تعالى لا يامركم بشئ الا وهو يعلم انه مصلحة لكم. قوله
عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله الآية. قال العلما
فى هذه الآية الكريمة تشريف للنبى صلى الله عليه وسلم وتكريم وتعظيم وتفويض اليه. وتقويم ايضا
على الجادة فى الحكم. وتاديب على ما رفع اليه من امر بنى ابيرق. وكانوا ثلاثة بشر وبشير ومبشر
واسير بن عروة. وهو ابن عم لهم. نقبوا مشربة لرفاعة بن زيد بالليل وسرقوا ادراعه
وطعاما فعثر على ذلك. وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فى رجل من الانصار
يقال له طعمة بن ابيرق من بنى ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن
النعمان. وكانت الدرع فى جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى
الى داره. ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد السمين. فالتمست الدرع عند طعمة.
فحلف بالله ما اخذها وما له بها من علم. فقال اصحاب الدرع لقد راينا اثر الدقيق حتى دخل
داره. فلما حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق الى منزل اليهودى فاخذوه منه. فقال اليهودى
دفعها الى طعمة بن ابيرق. وشهد له جماعة من اليهود. وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة. فهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يعاقب اليهودى وان يقطع يده. فانزل الله عز وجل هذه الآية. وقيل ان زيدا

السمين اودع الدرع عند طعمة فجحده طعمة فانزل الله تعالى هذه الآية انا انزلنا اليك يعني
يا محمد الكتاب يعني القران بالحق يعني بالصدق وبالامر والنهي والفصل لتحكم بين الناس
بما اراك الله يعني بما علمك الله واوحى اليك وانما سمي العلم اليقيني رويه لانه جرى مجرى
الروية في قوة الظهور روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لا يقولن احدكم
قضيت بما اراني الله فان الله تعالى لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد
رايه لان الراي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه
وان راي احدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الاية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحي الالهي والنص المنزل عليه وقوله ولا تكن يعني
يا محمد للخائنين خصيما يعني ولا تكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة تخاصم عنهم وتجادل عن
طعمة مدافعا عنه ومعينا له قال العلماء وفي هذا دليل على ان النيابة عن المبطل والمتهم
في الخصومة لا تجوز فليس لاحد ان يخاصم عن احد الا بعد ان يعلم انه محق ولا ينبغي اذا
ظهر للمسلمين نفاق قوم ان يجادل فريق منهم فريقا عنهم ليحموهم ويدفعوا عنهم فان هذا
قد وقع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم انزل الله عز وجل ولا تكن للخائنين خصيما
وقوله ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الذين
كانوا يعاونه من المسلمين دونه وذلك لوجهين احدهما ان الله تعالى ابان ذلك بما ذكره
بعد بقوله ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا والثاني ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان حكما فيما بينهم ولذلك كان يعتذر اليه ولا يعتذر الى غيره فدل ذلك على ان
المقصود غيره وقوله تعالى واستغفر الله يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي
وقيل من جدالك عن طعمة امره الله تعالى بالاستغفار لما هم بالدفع عنه ومن قطع اليهودي
وهذا مذهب من جوز الصغاير على الانبياء قال ابن عطية وهذا ليس بذنب لان النبي صلى الله
عليه وسلم انما دافع على صورة الظاهر وهو يعتقد برآتهم والمعنى واستغفر الله للمذنبين
من امتك والمتخاصمين بالباطل وانما يحذر من الناس ان تسمع من المتداعيين وتقضي نحو
ما تسمع وتستغفر للمذنب وقال بعضهم هذا امر بالاستغفار على وجه التسبيح كما يقول

الرجل استغفر الله على وجه التسبيح من غير ان يقصد باستغفاره توبة من ذنب وقيل
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد بنوا ابيرق وهذا كقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله وقوله
فان كنت في شك واعلم ان الله كان غفورا رحيما يعني غفورا للذنوب عباده يسترها عليهم
ويغفرها لهم رحيما يعني بعباده المومنين فصل وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز
صدور الذنب من الانبيا عليهم السلام وقالوا لو لم يقع من الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما
امر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا من وجوه احدها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يفعل المنهي عنه في قوله ولا تكن للخائنين خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قومه طعمة
ان يذب عنه وان يلحق السرقة باليهودي فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر
ما يأتيه من الوحي السماوي والامر الالهي فنزلت هذه الآية واعلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بان طعمة كذاب وان اليهودي بري من السرقة وانما مال النبي صلى الله عليه وسلم الى تبرئة
طعمة وهم بذلك بسبب انه في الظاهر من المسلمين فامره الله تعالى بالاستغفار لهذا القدر
الوجه الثاني ان قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من
السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم هم بان
يقضي على اليهودي بالسرقة فلما اطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان
خطا في نفسه فامره الله تعالى بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل
ان الله تعالى امره بالاستغفار لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم
يحتمل ان يكون لذنب قد سبق قبل النبوة وان يكون لذنوب امته الوجه الرابع ان
درجة النبي صلى الله عليه وسلم اعلا الدرجات ومنصبه اشرف المناصب فلعلو درجته
وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه التاويل او السهو او امر
من امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منازلهم ودرجاتهم والله اعلم قوله تعالى ولا
تجادل عن الذين يختانون انفسهم يعني ولا تخاصم يا محمد عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة
وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وانما سماهم خائنين لان من اقدم على ذنب فقد
خان نفسه لانه اوقعها في العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه

وقيل المراد بهذا الجميع كل من خان خيانة. فلا تخاصم لخائن ولا تجادل عنه. والمجادلة
المخاصمة مشتقة من الجدل وهو الفتل. ومنه يقال رجل مجدول الخلقة اي مفتول
ويقال للعقد الاجدل. وقيل هي من الجدالة وهي وجه الارض. فكل واحد من الخصمين
يريد ان يلقي صاحبه عليها. وانشد الحجاج ٥

قد اركب الكالة بعد الكاله. وأترك الهاجر بالجداله. منعفرا ليلة محاله.

والجداله الارض. ومن ذلك قولهم تركته مجدلا اي مطروحا على الجداله. والله اعلم
وقوله انا لله لا يحب من كان خوانا اثيما معنى خوانا بسرقة الدرع اثيما برميه
اليهودي وهو بري. وانما قال تعالى خوانا اثيما على المبالغة. لان الله تعالى علم من طعمة
الاضرار في الخيانة وركوب الاثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القران لحق بمكة مرتدا
عن دينه. ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحايط فقتله
اصحابه اخرجوه من مكة فلقي بها اخر من لحق. وقال ابن سبيل وانقطع به فحملوه حتى
اذا جن الليل عدا عليهم فسرقهم. ثم انطلق فركبوا في طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى
قتلوه. ومن كانت هذه حاله كان كبير الخيانة والاثم. فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة
في الخيانة والاثم. قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات. ويروى
عن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق. فجاءت امه تبكي وتقول يا امير المومنين هذه
اول سرقة سرقها فاعف عنه. فقال لها كذبت ان الله تعالى لا يواخذ عبده في اول مرة.
قوله عز وجل يستخفون من الناس يعني يستترون حياء من الناس يريد بذلك بني
ظفر. وهم كانوا سرقوا. ولا يستخفون من الله يعني ولا يستترون من الله ولا يستحيون
منه. واصل الاستخفاء الاستتار. وانما فسر الاستخفاء بالاستحياء على المعنى. لان الاستحياء
من الناس يوجب الاستتار منهم. وهو معهم يعني والله معهم بالعلم والقدرة لا يخفى عليه
شيء من حالهم. لانه تعالى لا يخفى عليه خافية. وكفى بهذا زجرا للانسان عن ارتكاب
الذنوب اذ يبيتون ما لا يرضى من القول يعني يضمرون ويقدرون ويزورون في اذهانهم
واصل التبيت تدبير الفعل بالليل. وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا يسمع قول
اليهودي لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على سرهما
وهو قوله وكانا يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من اسرارهم وعبادهم وهو
مطلع عليهم ومحيط بهم لا يخفى عليه خافية هانتم هؤلاء الهاء للتنبيه يعني يا هؤلاء الذين
وهذا خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة وعن قومه جادلتم عنهم يعني خاصمتم
عنهم بسبب انهم كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين والمعنى هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة
وقومه في الحياة الدنيا وقيل هو خطاب لقوم طعمة وقرأ ابن مسعود هاأنتم هؤلاء جادلتم
عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة
يعني اذا اخذه بعذابه فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع ام من يكون عليهم وكيلا يعني
حافظا ومحاميا عنهم من بأس الله اذا نزل به قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه نزلت هذه الآية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه
الذين جادلوا عنه قال ابن عباس رضي الله عنه عرض الله التوبة على بني ابيرق في هذه الآية
وقيل هي عامة في كل مسيء ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم وبعض
الآية ومن يعمل سوءا يسوء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة من سرق منه وانما خص سبحانه
ما تعدى الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون في الاكثر ايضا لا للضرر الى الغير او يظلم نفسه
يعني فيما يختص به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوءا اي قبيحا
او يظلم نفسه برميه البريء وقيل السوء كل ما يتم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه
ثم يستغفر الله يعني من ذنوبه يجد الله غفورا رحيما قال العلماء في هذه الآية دليل على
حكمين احدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله تعالى
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني ان ظاهر الآية يقتضي ان مجرد
الاستغفار كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار
على الذنوب وقد سبق ذلك في سورة آل عمران وقال الضحاك نزلت الآية في شأن وحشي
قاتل حمزة اشرك بالله وقتل حمزة ثم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

انى لغادم فعمل لى من توبة فنزل ومن يعمل سوا او يظلم نفسه الآية وقيل المراد هذه الآية
العموم والشمول لجميع الخلق وروى سفيان عن ابى اسحق عن الاسود وعلقمة قالا قال
عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه من قرأ هاتين الآيتين من سورة النسآء ثم استغفر غفر له
ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وعن على بن
ابى طالب رضى الله عنه انه قال كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعنى
الله به واذا سمعته من غيره استحلفته وحدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يتوضا ويصلى ركعتين ويستغفر الله الا غفر له
ثم تلى هذه الآية ومن يعمل سوآ او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب
اثما يعنى ومن يعمل ذنبا يأثم به فانما يكسبه على نفسه يعنى انما يعود وبال كسبه عليه
والكسب عباره عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة فكانه تعالى يقول يا ايها الانسان ان الذنب
الذى ارتكبته انما عادت مضرته عليك فانى منزه عن الضرر والنفع فاكثر من الاستغفار ولا
تيأس من قبول التوبة فانى غفار لمن تاب وهذه الآية نزلت فى طعمة ايضا وكان الله عليما
يعنى بسارق الدرع حكيما يعنى اذ حكم عليه بالقطع وقيل معنى عليما اى بما فى قلب عبده
عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضى حكمته ان يتجاوز عن التائب ويغفر له وقيل توبته
قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما قيل ان الخطيئة هى الصغيرة من الذنوب والاثم هو
الكبيرة وقيل الخطيئة هى الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدى الى الغير وقيل
ان الخطيئة هى سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة وقال الطبرى انما فرق بين الخطيئة
والاثم لان الخطيئة تكون عن عمد وغير عمد والاثم لا يكون الا عن عمد قال وهذه الآية
لفظها عام وقد دخل تحته اهل النازلة وغيرهم وقوله ثم يرم به بريئا يعنى يرم بقذف
ما جناه بريئا منه وهو نسبة اليهودى الى السرقة ولم يسرق فان قيل الخطيئة والاثم اثنان
فكيف وحد الضمير فى قوله ثم يرم به قيل له معناه ثم يرم احد هذين المذكورين بريئا
وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الآخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده

لانه اقرب مذكور. وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم ما كسب بريا فقد
احتمل بهتانا قال العلماء البهتان من البهت وهو الكذب الذي تتحير في عظمه وقيل
هو ان تستقبل اخاك بما ان تقذفه بذنب هو منه بري واثما مبينا يعني ذنبا بينا لانه
بكسب الاثم اكثر وبرميه البري باهت فقد جمع بين الامرين عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك
اخاك بما يكره قيل افرايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته
وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته رواه مسلم وعن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من ذكر امرأ بشي ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى ياتي بنفاد
ما قال فيه رواه الطبراني وفي رواية اخرى ايما رجل اشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها
بريء يشينه بها في الدنيا كان حقا على الله ان يذيبه يوم القيامة في النار حتى ياتي بنفاد
ما قال وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال في مسلم
ما ليس فيه اسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال رواه ابو داود وردغة الخبال هي
عصارة اهل النار وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس ليس
لهن كفارة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت المومن والفرار من الزحف ويمين صابرة
يقتطع بها مالا بغير حق رواه الامام احمد وغيره وعن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من رد عن عرض اخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة رواه الترمذي
وقال حديث حسن وساتي بقيه احاديث الغيبة في موضعها ان شاء الله قال العلماء فرمي البريء
بهت له يقال بهته بهتا وبهتانا اذا قال عليه ما لم يقل وبقال له بهات والمقول
له مبهوت قوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته قال العلماء هذه الاية متعلقة
بقصة طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امر صاحبهم فقوله
تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني بالعصمة وما اوحى اليك من الاطلاع
على اسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لهمت طائفة منهم يعني من بني ظفر وهم قوم
طعمة ان يضلوك يعني عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل وقيل معناه يخطيوك في الحكم

وبلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة • وذلك لان قوم طعمة عرفوا انه سارق • ثم سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنه وينزهه عن السرقة ويرمي بها اليهودي • فتفضل
الله سبحانه على رسوله بان نبهه على ذلك واعلمه اياه ومايضلون الا انفسهم يعني ان وبال ذلك
يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وبشهادتهم له انه برئ • فهم لما اقدموا على ذلك رجع
وباله عليهم وما يضرونك من شئ يعني انهم وان سعوا في الغوايك في الباطل فانت ما وقعت فيه
لانك بنيت الامر على ظاهر الحال • وما ظننت ولا خطر ببالك ان الامر على خلاف ذلك • وقيل
معناه وما يضرونك من شئ في المستقبل • فوعده الله تعالى ادامة العصمة • وانه لا يضره احد
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة قال بعضهم هذا ابتداء كلام • وقيل الواو واو الحال • لقولك
جئتك والشمس طالعة • فالكلام متصل • اي ما يضرونك من شئ مع انزال الكتاب عليك • وهو
القرآن العظيم • والحكمة اي القضاء به • يعني واوجب بهما بنآء الحكم على الظاهر • وكيف يضرونك
بالغوايك في الشبهات وعلمك ما لم تكن تعلم يعني من احكام الشرع وامور الدين • وقيل علمك
من علم الغيب ما لم تكن تعلم • وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور • واطلعك على ضمائر القلوب •
وعلمك احوال المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما يعني ولم تزل فضل
الله عليك يا محمد عظيما • فاشكره على ما اولاك من احسانه • ومن عليك بنبوته • وعلمك ما انزل عليك
من كتابه وحكمته • وعصمك ممن حاول اضلالك • فان الله تعالى هو الذي تولاك بفضله • وشملك
باحسانه • وكفاك غائلة من اراد بسوء • ففي هذه الآية تنبيه من الله عز وجل لنبيه سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم على ما حباه من الطافه • وما شمله من فضله واحسانه • ليقوم بواجب حقه •
قال العلماء في قول الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم الآية ان الله تعالى علم نبيه صلى الله عليه وسلم من علوم
الغيب ما لم يكن يعلم • وعلمه من خفيات الامور • واطلعه على ضمائر القلوب ما لم يكن يعلمه • قال ابو ذر رضي
الله عنه لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السما الا ذكرنا منه علما •
واعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه مما وعدهم به من الظهور على الاعدآء • واخبرهم بفتح مكة وبيت المقدس •
واليمن والشام والعراق وغيرها من البلدان • واخبرهم بظهور الامن حتى تسير المراة من الحيرة
الى مكة لا تخاف الا الله • واخبرهم ان المدينة ستغزى • وان خيبر ستفتح على يد علي رضي الله عنه •

واخبر بما يفتح الله على امته من الدنيا وبوتون من زهرتها واقتسامهم كنوز كسرى وقيصر وما
يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهوا وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على بلاث وسبعين
فرقة الناجي منها واحدة وانهم سيكون لهم انماط وان احدهم يغدو في حلة ويروح في اخرى
ويوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى وانهم يسترون بيوتهم كما تستر الكعبة وانهم اذا مشوا
المطيطا وخدمتهم بنات فارس والروم رداله باسمهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم واخبر بهلاك
الترك الترك والخزر والروم واخبر بهلاك كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وبهلاك
قيصر حتى لا قيصر بعده واخبر ان الروم ذات قرون الى آخر الدهر واخبر بذهاب الامثل
فالامثل من الناس واخبر بتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال ويل
للعرب من شر قد اقترب وانه رويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها وانه سيبلغ ملك
امته ما زوى له منها فكذلك كانت فتوحات امته في مشارق الارض ومغاربها
ما بين ارض الهند الى اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك مما لم يملكه امة
من الامم ولم يمتد في الجنوب والشمال واخبر بان اهل الغرب لا يزالون ظاهرين على الحق حتى
تقوم الساعة واخبر بملك بني امية وولاية معاوية واتخاذ بني امية مال الله دولا واخبر
بخروج ولد العباس بالرايات السود وبملكهم اضعاف ما ملك بنو اميه واخبر بخروج المهدي
وبما ينال اهل سنته وبقتلهم وتشريدهم واخبر بقتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه وان اشقى
الامة الذي يخضب هذه من هذه يعني لحيته على من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياءه الجنة
واعداءه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن تنسب اليه واخبر بمقتل
عثمان وهو يقرا المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر
دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله واخبر ان الفتن لا تظهر ما دام عمر بن الخطاب حيا واخبر
بمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب بني الحوأب على بعض ازواجه وانه تقتل حولها فئة كثيرة
وانها تنجو بعد ما كادت فتبحث على عائشة عند خروجها الى البصرة واخبر ان عمارا
تقتله الفئة الباغية وقال لعبد الله بن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك وقال
في الرجل الذي كان لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة الا اتبعها يضربها بسيفه انه من اهل النار

فصل

وقال لاتقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة • وقال لعمر بن الخطاب
فى سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما لا تذمه او قال مقاما يسرك • فكان كذلك • قام بمكة
مقام ابى بكر يوم بلغهم موت النبى صلى الله عليه وسلم • وخطبهم نحو خطبته • وثبتهم على الاسلام
وقوى بصائرهم • وقال لخالد بن الوليد حين وجهه لا يكيد رد ومة انك تجده يصيد البقر •
فوجدت هذه الامور كلها فى حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم الى ما اخبر به جلساءه
من اسرارهم وبواطنهم • واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم • وقولهم فيه وفى المومنين حتى
ان كان احدهم ليقول لصاحبه اسكت • فوالله لو لم يكن عندنا من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء •
واخبر بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم اليهودى • وكونه فى مشط ومشاقه فى جف طلع
نخلة ذكر • وانه القى فى بير ذروان • فكان كما قال • ووجد على تلك الصفة • واخبر قريشا ان
الارضة اكلت ما فى صحيفتهم التى تظاهروا بها على بنى هاشم وقطعوا بها ارحامهم • وانها ابقت فيها
كل اسم لله • فوجدوها كما قال • ووصف لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الاسرا
ونعته اياه نعت من عرفه • واعلامهم بعيرهم التى مر عليها فى طريقه • وانذارهم بوقت وصولها •
فكان كله كما قال • الى ما اخبر به من الحوادث التى يكون ولم يات بعد منها ما ظهرت مقدماتها •
كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب • وخراب يثرب خروج الملحمة • وخروج الملحمة فتح
القسطنطينية • ومن اشراط الساعة وحلول ايانها • وذكر الحشر والنشر • واخبار الابرار والفجار •
والجنة والنار • وعرصات القيامة • واشباه ذلك مما لا يحصى كثرة فصلى الله وسلم على هذا السيد
العظيم صاحب المعجزات الظاهرات والاسرار الباهرات • قوله تعالى لا خير فى كثير من نجواهم
يعنى من نجوى قوم طعمة • وهو ما تناوضوا فيه من التدبير وذكروه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم • وقيل هى عامة فى جميع ما تناجا الناس به • والنجوى هو السرار فى التدبير • وقيل
النجوى ما تفرد بتدبيره قوم سرا كان ذلك او جهرا • وناجيت . فلانا مناجاة اى سارزته •
واصله ان يخلوا فى نجوة من الارض • وقيل اصله من النجاء • والمعنى لا خير فى كثير مما يدبرونه
ويتناجون فيه الا من امر بصدقة يعنى الا فى نجوى من امر بصدقة • وقيل معناه لا خير فيما
يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير • وقيل هو استثنا

منقطع تقديره لكن من امر بصدقه وحث عليها ومعروف يعني او امر بطاعة الله تعالى
وما جيزه الشرع • واعمال البر كلها معروف • لان العقول تعرفها • وقال مقابل المعروف هنا
القرض • والاول اصح لقول النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقه • وان من المعروف ان تلقى
اخاك بوجه طلق • وقال صلى الله عليه وسلم المعروف كاسمه • واول من يدخل الجنه يوم القيامه
المعروف واهله • وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره • فقد
يشكر الشاكر اضعاف جحود الكافر • وانشد الحطيئة ۵

مطل معروف

من يفعل المعروف لا يعدم جوازيه • لا يذهب العرف بين الله والناس •

وانشد الرياشي رحمه الله ۵

يد المعروف غنم حيث كانت • تحملها كفورا او شكور •
ففي شكر الشكور لها جزاء • وعند الله ما كفوا الكفور •

قال الماوردي ينبغي لمن قدر على اسداء المعروف ان يعجله حذرا من فواته • ويبادره خيفه
عجزه • ليعلم انه من فرص زمانه • وغنايم امكانه • ولا يهمله ثقة بالقدرة عليه • فكم واثق
بالقدرة عليه فاتت فاعقبت ندما • ومعول على ممكنة زالت فاورثت خجلا • كما قال الشاعر
ما زلت اسمع كم من واثق خجل • حتى ابتليت فكنت الواثق الخجلا •

ولو فطن الانسان لنوايب دهره • وتحفظ من عوادي دهره • لكانت مغانمه مدخوره •
ومغارمه محجوره • وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من فتح له باب من الخير
فلينتهزه • فانه لا يدري متى يغلق عنه • وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء ثمره • وثمره المعروف
السراح • ويحكى انه قيل لانوشروان ما اعظم المصايب عندكم • قال ان تقدر على المعروف
فلا تضطنعه حتى يفوت • وقال عبد الحميد الزمادي من اخر الفرصة عن وقتها فلكن على بقية
من فوتها • وقال بعض الشعرا ۵

اذا هبت رياحك فاغتنمها • فان لكل خافقة سكون •
ولا تغفل عن الاحسان فيها • فما تدري السكون متى يكون •

وكتب بعض ذوي الحرمات الى وال قصر في رعاية حرمته يقول ۵

أعلى الصراط تويبد رعية حرمتى ٠ امر فى الحساب تمنى بالانعام ٠
للنفع فى الدنيا اريدك فانتبه ٠ لحوائجى من رقدة النوام ٠
وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه لايتم المعروف الا بثلاثة خصال تعجيله وتصغيره
وستره فاذا عجلته هنيته ٠ واذا صغرته عظمته ٠ واذا ستوته اتممته ٠ وقال بعض الشعرا
زاد معروفك عندى عظما ٠ انه عندك مستور حقير ٠
تناساه كانك لم تاته ٠ وهو عند الناس مشهور خطير ٠
ومن شرط المعروف ترك الامتنان به وترك الاعجاب بفعله لما فيهما من اسقاط الشكر
واحباط الاجر وقد تقدم بيانه فى سورة البقرة والله اعلم ٠ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استعاذ بالله فاعيذوه ٠ ومن سالكم بالله فاعطوه ٠
ومن استجار بالله فاجيروه ٠ ومن آتى اليكم معروفا فكافيوه ٠ فان لم تجدوا فادعوا له حتى
تعلموا ان قد كافيتموه ٠ رواه ابو داود والنسائى ورواه الطبرانى مختصرا وقال فيه
من اصطنع اليكم معروفا فجازوه ٠ فان عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى يعلموا انكم قد
شكرتم ٠ فان الله شاكر يحب الشاكرين ٠ وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال من اعطى عطا فوجد فليجز به ٠ فان لم يجد فليثن ٠ فان من اثنى فقد شكر ٠ ومن كتم
فقد كفر ٠ ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور ٠ رواه الترمذى ٠ وعن اسامة بن زيد
رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك
الله خيرا فقد ابلغ فى الثنا ٠ وفى رواية من اولى معروفا او اسدى اليه معروف فقال
للذى اسداه جزاك الله خيرا فقد ابلغ فى الثنا ٠ رواه الترمذى ٠ وعن الاشعث بن قيس رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشكر الناس لله تعالى اشكرهم للناس ٠ وفى
رواية لا يشكر الله من لا يشكر الناس ٠ رواه الامام احمد ٠ وعن عائشة رضى الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من اتى اليه معروف فليكافئ به ٠ ومن لم يستطع فليذكره ٠ فان
من ذكره فقد شكره ٠ ومن تشبع بما لم يعط فهو كلابس ثوبى زور ٠ رواه الامام احمد ايضا ٠
وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يشكر الله من لا

شكر الناس رواه ابو داود والترمذي وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله
والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب رواه ابن ابي
الدنيا وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قالت المهاجرون يا رسول الله ذهبت الانصار
بالاجر كله ما رأينا قوما احسن بذلا لكثير ولا احسن مواساة في قليل منهم ولقد كفونا
المؤونة قال اليس تثنون عليهم به وتدعون لهم قالوا بلى قال فذاك بذاك رواه ابو
داود والنسائي رحمهما الله وقوله تعالى واصلاح بين الناس يعني الاصلاح بين المتباينين
والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ما اذن الله فيه وامر به
قال العلماء والاصلاح بين الناس عام في الدماء والاموال والاعراض وفي كل شيء يقع فيه
التدابي والاختلاف بين المسلمين وفي كل كلام يراد به وجه الله تعالى وفي الخبر كل
كلام ابن ادم عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى فاما
من طلب بذلك الدنيا والسمعة والترؤس فانه لا ينال الثواب ويروى ان امير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى ابي موسى الاشعري لما ولاه على البصرة ردّ الخصوم حتى
يصطلحوا فان فصل القضاء يورث بينهم الضغائن وسيأتي ان شاء الله تعالى في سورة المجادلة
ما كره من المناجاة وما يجوز عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال صلاح ذات
البين وان فساد ذات البين هي الحالقة رواه ابو داود والترمذي ويروى عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وعن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع
فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها او يرفع له عليها
متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة ويميط
الاذى عن الطريق صدقة رواه البخاري ومسلم وقوله يعدل بين الاثنين اي يصلح بينهما
بالعدل وعن ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله

عليه

علیه وسلم یقوله لیس الکذاب الذی یصلح بین اثنین وقال ابن شهاب لم اسمع فی شیء مما یقول الناس الا فی ثلاث یعنی الحرب والاصلاح بین الناس وحدیث الرجل زوجته وحدیث المرأة زوجها وعن ابی هریرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم ما عمل بشیء افضل من الصلاة واصلاح ذات البین وخلق حسن من المسلمین رواه الاصبهانی وعن عبد الله بن عمرو رضی الله عنهما قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم افضل الصدقة اصلاح ذات البین رواه الطبرانی وعن انس ابن مالک رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال لابی ایوب رضی الله عنه الا ادلک علی تجارة قال بلی قال صل بین الناس اذا تفاسدوا وقرب بینهم اذا تباعدوا رواه البزار والطبرانی وفیه الا ادلکم علی عمل یرضاه الله ورسوله قالوا بلی فذکره ورواه ایضا الاصبهانی عن ابی ایوب رضی الله عنه قال قال لی رسول الله صلی الله علیه وسلم یا ابا ایوب الا ادلک علی صدقة یحبها الله ورسوله تصلح بین الناس اذا تباغضوا وتفاسدوا وفی روایة الا ادلک علی صدقة یحب الله موضعها قال قلت یا رسول الله بلی بابی انت وامی قال تصلح بین الناس فانها صدقة یحب الله موضعها وعن سهل بن سعد رضی الله عنه ان اهل قبا اقتتلوا حتی رموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بینهم رواه البخاری وعن انس بن مالک رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال من اصلح بین الناس اصلح الله تعالی امره واعطاه بکل کلمة تکلم بها عتق رقبة ورجع مغفورا له ما تقدم من ذنبه رواه الاصبهانی وهو حدیث غریب جدا والله اعلم وقوله تعالی ومن یفعل ذلک ابتغاء مرضاة الله یعنی ومن یفعل هذه الاشیاء التی تقدم ذکرها ابتغاء مرضات الله یعنی طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلک خالصا لوجه الله نفعه وان فعلها ریاء وسمعة لم ینفعه ذلک کما قدمنا اولا لقوله النبی صلی الله علیه وسلم انما الاعمال بالنیات الحدیث فسوف نؤتیه یعنی فی الآخرة اذا فعل ذلک ابتغاء مرضات الله اجرا عظیما لا حد له لان الله سماه عظیما واذا کان کذلک فلا یعلم قدره الا الله عز وجل قوله عز وجل ومن یشاقق الرسول الآیة قال العلماء نزلت هذه الآیة فی طعمة بن ابیرق ایضا وذلک انه لما سرق وظهرت علیه

تعلیق من السید فی

السرقه خاف على نفسه القطع والفضيحه هرب الى مكه كافرا مرتدا عن الدين فانزل الله عز وجل
فيه ومن يشاقق الرسول يعنى يخالفه فى التوحيد والايمان واصله من المشاقه وهو كون
كل واحد منهما فى شق غير شق الآخر وقال الضحاك ان نفرا من قريش قد موا المدينه واسلموا
ثم انقلبوا الى مكه مرتدين فنزلت الايه فيهم وقال بعضهم هذه الايه وان نزلت فى سارق
الدرع او غيره ففى عامه فى كل من خالف طريق المسلمين وقوله من بعد ما تبين له الهدى
اى من بعد ما وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحه الاسلام وذلك لان طعمه كان قد
تبين له ما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدله على صحه دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله
عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام وقوله ويتبع غير سبيل المومنين يعنى ويتبع
غير طريق المومنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عباده الاوثان نوله ما تولى اى نكله
فى الاخره الى ما تولى فى الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه وقيل نوله ما تولى اى نتركه وما
يعبد وقال مجاهد نكله الى الاصنام التى لا تنفع ولا تضر وقال الكلبى لما ظهر حال طعمه
ابن ابيرق وسرقته هرب الى مكة وارتد عن الاسلام ونقب حائط الرجل بمكه فقال له حجاج
ابن علاط فسقط به الجدار ثم بقى فى البيت حتى وجد على حاله فاخذوه ونفوه من مكة
فخرج الى الشام فى صحب قافلة فسرق بعض اموال اهل القافله وهرب فلحقوه فرجموه
بالحجاره حتى قتلوه فانزل الله فيه الايه نوله ما تولى ونصله جهنم يعنى وتلزمه جهنم واصله
من الصلا وهو لزوم النار وقتا لاستدفا وساءت مصيرا يعنى وبيس المرجع الى النار ٥
روى ان الامام الشافعى رحمه الله سيل عن ادله من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرا
القران بلا ممانعه مره حتى استخرج هذه الايه وهى قوله تعالى ويتبع غير سبيل المومنين وذلك
لان اتباع غير سبيل المومنين وهو مفارقه الجماعه حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل
المومنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول واتبع
غير سبيل المومنين فثبت بهذا ان اجماع الامه حجة وقال العلما فى قوله تعالى ومن
يشاقق الرسول دليل على صحه القول بالاجماع وفى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به رد على
الخوارج حيث زعموا ان مرتكب الكبيره كافر وقد تقدم القول فى هذا المعنى وسنزيده بيانا

والله اعلم

والله اعلم قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به قال العلما نزلت هذه الاية ايضا في طعمة
ابن ابيرق لكونه مات مشركا وقال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في شيخ من الاعراب جا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اني شيخ منهمك في الذنوب والخطايا غير اني
لم اشرك بالله شيا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم ار واقع المعاصي ه
جراة على الله عز وجل ولا مكابرة له وما توهمت اني اعجز الله طرفة عين اني اعجز الله هربا
واني لنادم تايب مستغفر فما حالي عند الله فانزل الله عز وجل هذه الاية ان الله لا يغفر
ان يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت
ان المشرك اذا تاب من شركه وامن وقبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها
في حال الشرك ويغفر ما دون ذلك يعني ما دون الشرك لمن يشا يعني لمن يشا من اهل التوحيد
قال العلما لما اخبر الله تعالى انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر ما دون الشرك
بالتوبة وهذه المشية فيمن لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة
او الصغيرة من غير توبة فهو في خطر المشية ان شا غفر له وادخله الجنة بفضل رحمته
وان شا عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا يعني
فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه فان قيل لم كررت هذه
الاية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فايدة ذلك قيل له فايدة ذلك للتاكيد
او لان الاية المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الاية في سبب آخر وهو ان الاية المتقدمة
نزلت في سبب سرقة طعمة بن ابيرق ونزلت هذه الآية في سبب ارتداده وموته على الشرك والله اعلم
وروى الترمذي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ما في القران اية احب الي من هذه الاية
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقال الترمذي حديث حسن غريب
وقال ابن فورك واجمع اصحابنا على انه لا تخليد الا لكافر وان الفاسق من اهل القبلة اذا مات
غير تايب فانه ان عذب بالنار فلا محالة انه يخرج منها بشفاعة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه
وسلم او بابتدا رحمة من الله عز وجل قوله عز وجل ان يدعون من دونه الا اناثا
قال المفسرون انزل الله هذه الاية في اهل مكة اذ عبدوا الاصنام يعني ما يعبدون من دون الله

الا اناثا. لان كل من عبد شيا فقد دعاه لحاجته. واختلف العلماء في قوله تعالى الا اناثا على
اقوال. احدها انهم كانوا يسمون اصنامهم باسماء الاناث. فيقولون اللات والعزى ومناة.
قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة انثى بني فلان. القول الثاني اناثا يعني اموات.
قال الحسن كل شي لا روح فيه كالحجر والخشبة فهي اناث. قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها
كما يخبر عن المونث. تقول هذه الحجر يعجبني. وهذه الدراهم تنفعني. ولان الانثى انزل درجة من الذكر
والميت انزل درجة من الحي. كما ان الموات انزل من الحيوان. وقد يطلق اسم الانثى على الجمادات.
القول الثالث ان بعضهم كان يعبد الملايكة. ويقولون هم بنات الله. والله اعلم. وقرا ابن عباس
ان يدعون من دونه الا اُنثًا. كانه جمع وَثنًا على وِثانٍ. كما يقال جمل وجمال. ثم جمع وِثانٌ
على وُثُنٌ. كما يقال مِثال ومُثُل. ثم ابدل من الواو همزة لما انضمت. كقوله تعالى واذا الرسل
اُقتت. وقرا النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعون من دونه الا اُنثًا. جمع انيث. كعذير وعُذُر.
وحكى الطبري انه جمع اناث. كثمار وثُمُر. وحكى هذه القراة عن النبي صلى الله عليه وسلم ابو
عمرو الداني. وقال انه قرا بها ابن عباس والحسن وابن حيوة. والله اعلم. وقوله وان يدعون
اي وما يعبدون الا شيطانا مريدا. قال ابن عباس رضي الله عنهما لكل صنم شيطان يدخل في جوفه
ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم. فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا. والمريد
هو العاتي المتمرد. وقال الازهري المريد هو الخارج عن الطاعة. ويقال مَرَد الرجل يمرُد مُرُودا
اذا عتا وخرج عن الطاعة. فهو مارد. ومَريد. ومتمرد. وقال ابن عرفة المريد هو الذي ظهر
شره. وقال بعضهم المراد بالشيطان المريد هو ابليس لعنه الله. لانه هو الذي اغواهم واغراهم
على عبادتها فاطاعوه. فجعلت طاعتهم له عبادة. لعنه الله اي ابعده وطرده عن رحمته. واصل
اللعن الابعاد. وقد تقدم بيانه. وهو في العرف ابعاد مقترن بسخط وغضب. فلعنة ابليس على
المتعين جايزة. وكذلك سايرالكفرة الموتى. كفرعون وهامان وابي جهل وغيرهم. فاما الاحيا
فقد مضى الكلام فيهم في سوره البقره. وقال يعني ابليس لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا.
يعني حظا مقدرا معلوما. فكل ما اطيع فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه. واصل الفرض القطع.
وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه. وقال بعضهم معناه لاستخلصنهم

بخوارق ولاضلنهم بالضلال وهو الكفار والعصاة وفي الخبر حق كل العهد واحارسة والباقي
للشيطان قلت وهذا التفسير الصحيح لعصمة قول الله تعالى لآدم وهو القاصة قد خابت
هذه الدار معقول وعاصف النار فقول من كل الذنوب عامة وتحتمة وتنعيس رواه مسلم
وبعث النار هو نصيب الشيطان فان قيل ما معنى قول ابليس لاتخذن من عبادك نصيبا
مفروضا وكيف علم ذلك قيل له عنه اجوبة منها ان الله تعالى لما قد خاطبه بنزول الاعلان
جهنم من الجنة والناس اجمعين فعلم ابليس انه نازل من فريقه ومن ذرية آدم ما يتناول منها
انه لما وسوس لآدم قال له ما نال طبعي وداري فعلم ان افضل من آدم جميع ما تحتي من الخلائق
لانك طمع في بعض ولده ما يسجد لك جميعهم ومنها انه قد علم ان الجنة والنار وان الله تعالى
خلقها ليسكنها من الناس والشياطين ما شاء وقادره ولاضلنهم معنى عن طريق الحق الى الباطل
والمراد بالتزيين والتحسين فان الناس اليه احوج الا تراه يقول في ذلك بعضهم الى الضلال
الى ابليس افضل جميع الخلق ولامنينهم قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وقال الحسن
وقتادة الكلبي امنيهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا منينهم اذنها الانعام فتبحر وتشق
وقيل ازين لهم ركوب الاثام واصل الداعية الى العصيان ولامنينهم طول البقاء
في الدنيا وتأخير التوبة الى الآخرة ولآمرنهم فليبتكن اذان الانعام معناه فليقطعن
وشقوقها وهي العبيرة كانت العرب في الجاهلية اذا ولدت الناقة خمسة
ابطن وكان الخامس ذكرا بحروا اذنه اي شقوا فلا يركب ولا يحمل عليها ولا يمنع من ماء ولا مرعى فقال
لهم ابليس انعام قربة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس لدين الله وهو الاظهر
كما للتكم واختلف العلماء في هذا التغيير الى ما يرجع فقال بعضهم هو تحليل الحرام وتحريم
الحلال وقال بعضهم غير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الله الخلق عليها ويدل عليه
قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويجسانه
وقال بعضهم غير الخلق يرجع الى الكفر وفقء الاعين وقطع الاذان وهذا قول ابن
عباس وعكرمة والضحاك وذلك كله تعذيب الحيوان وتحريم وتحليل الطغيان وقول
بغير حجة ولا برهان لان الآذان في الانعام جمال ومنفعة وكذلك غيرها من الاعضاء

انقطع اصله عن الانثى • ومنهم من كره ذلك لقول النبى صلى الله عليه وسلم انما يفعل ذلك الذين لا يعلمون •
وهذا اختيار ابن المنذر • قال لانه ما بلغ عن ابن عمر • وكان يقول هو مما خلق الله • وكره •
ذلك ايضا عبد الملك بن مروان • وقال الاوزاعى كانوا يكرهون خصا كل شئ له نسل • قال ابن
المنذر وفى ذلك حديثان احدهما عن ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
خصا البقر والغنم والابل والخيل • والثانى حديث ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال نهى عن صبر الروح وخصا البهايم • والذى فى الموطا من هذا الباب ما ذكره
مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه انه كان يكره الاخصا ويقول فيه تمام الخلق • قال ابن عبد
البر يعنى فى تركه تمام الخلق • وروى نما الخلق • واسند هذا القول ابو محمد عبد الغنى من حديث
عمر بن ابى اسمعيل عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما • قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخصوا
ما ينمى خلق الله • وروى ان انس بن مالك رضى الله عنه كره اخصا الغنم • وجوزه بعض العلما لان فيه
عرضا ظاهرا مما قدمناه • والله اعلم • واما الخصا فى الادميين فمصيبة عظيمة • فان الادمى
اذا خصى بطل وقوته عكس الحيوان • وانقطع نسله المامور به فى قول النبى صلى الله عليه
وسلم تناكحوا تناسلوا فانى مكاثر بكم الامم • وايضا فان فى خصا الادمى الما عظيما • ربما يفضى
بصاحبه الى الهلاك • فيكون فيه تضييع مال واذهاب نفس • وكل ذلك منهى عنه • ثم انها مثلة •
وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المثلة • وكره جماعة من فقها الحجاز ومن اهل الكوفة شرا
الخصى من الصقالبة وغيرهم • ولم يختلفوا فى ان خصا بنى ادم لا يحل ولا يجوز • وانه مثلة وتغيير
لخلق الله • وكذلك قطع سايرا عضا الادمى فى غير حد من حدود الله ولا قود • اذا تقرر
هذا فاعلم رحمك الله ان الوسم والاشعار مستثنى من نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن شرطة
الشيطان • وهى ما قدمناه • ومن نهيه عن تعذيب الحيوان بالنار • والوسم هو الكى بالنار •
واصله العلامة • يقال وسم الشئ يسمه اذا علمه بعلامة تعرف بها • ومنه قوله تعالى سيماهم
فى وجوههم • والسيما العلامة • والميسم المكوى • وثبت فى الصحيح عن انس بن مالك رضى الله عنه
قال رايت فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم الميسم وهو يسم ابل الصدقة • والفى • وغير ذلك
حتى يعرف كل مال فيودى فى حقه ولا يتجاوز به الى غيره • والله اعلم • والوسم جايز

فی کل الاعضا الا الوجه لما روی جابر رضی الله عنه قال نهی رسول الله صلی الله علیه وسلم عن الضرب
فی الوجه وعن الوسم فی الوجه ولما روی انه صلی الله علیه وسلم رای حمارا موسوما فی وجهه فقال
لعن الله الذی وسمه رواه مسلم وانما کان ذلک لشرف الوجه علی سایر الاعضا اذ هو مقر الحسن
والجمال ولان به قوام الحیوان وقد مر رسول الله صلی الله علیه وسلم برجل یضرب عبده فقال
اتق الوجه فان الله تعالی خلق ادم علی صورته ای علی صورة المضروب یعنی ان وجه هذا المضروب
شبه وجه ادم علیه السلام فینبغی ان یحترم لشبهه وهذا القول احسن ما قیل فی تاویله والله اعلم
وقال بعض المفسرین الاشارة بغیر خلق الله فی الایة للوشم بالشین المعجمة وما جری مجراه من
وصل الشعر والتصنع للحسن ویدل علیه قول النبی صلی الله علیه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات
والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغیرات خلق الله اخرجاه فی الصحیحین من روایة ابن مسعود رضی
الله عنه وسیاتی بکماله فی سورة الحشر ان شا الله والوشم یکون فی الیدین وهو ان یغرز ظهر
کف المراة ومعصمها بابرة ثم یحشی بالکحل او بالخضاب او غیره فینخضر ذلک الموضع ویقال
وشمت تشم وشما فهی واشمة والمستوشمة هی التی یفعل ذلک بها ذکره الهروی وقال
ابن العزی فی تفسیره رجال صقلیه وافریقیه یفعلون الوشم لیدل ذلک علی رجولیته فی حداثة
سنه وهذا خطا عظیم وجهل کبیر ومخالفه للشریعة المطهرة وقال القاضی عیاض وقع فی
روایة الهروی مکان الواشمة والمستوشمة الواشیة والمستوشیة بالیا مکان المیم وهو من
الوشی وهو التزین واصل الوشی نسج الثوب علی لونین یقال ثوب موشی وثور موشی اذا کان
فی وجهه وقوائمه سواد ومعنی هذه الروایه ان المراة تشی نفسها مما تفعله فتها من النمص
والتفلیج والاشر والمتنمصات جمع متنمصة وهی التی تنتف الشعر من وجهها بالمنماص وهو
الآلة التی یقلع بها الشعر قال ابن العزی وبعض اهل مصر ینتفون العانه وذلک من التنمص
فان السنة حلق العانه لا نتفها وانما السنة فی نتف الابط واما نتف الفرج فانه یرخیه
ویودیه ویبطل کثیرا من المنفعة فیه والمتفلجات جمع متفلجة وهی التی یفعل الفلج فی اسنانها
ای تباعدها حتی ترجع المضمضة الانسان خلقة فلجا صنعة وهذا من فعل اهل الجاهلیه
التی ابطلها الشارع ونهی عنها وفی غیر روایة مسلم لعن الله الواشرات وهی جمع واشرة وهی التی

تشر اسنانها اى تصنع فيها اشرا وهى التحزيزات التى تكون فى اسنان الشابة من النسا
ففعل ذلك المراة الكبيرة تشبها بالشابة وهذه الامور كلها قد شهدت الاحاديث الربعة
بلعن فاعلها وانها من الكبآير واختلف العلما فى المعنى الذى لاجله وقع النهى فقيل
لان ذلك من باب التدليس وقيل من باب تغيير خلق الله كما قال ابن مسعود رضى الله عنه وهو الصحيح
وهو يتضمن المعنى الاول ثم قيل ان هذا المنهى عنه انما هو فيما لا يكون باقيا لانه من باب تغيير
خلق الله فاما ما لا يكون باقيا كالكحل والخضاب والتفلج بالطيب فى الشعر والبدن والتزين
فى النسا فقد اجازه العلما كالامام مالك وغيره وكرهه الامام مالك للرجال يعنى الكحل
والتزين واجاز ايضا للمراة ان تشتى اى تخضب يديها بالحنا وروى عن عمر انكار ذلك
وقال اما ان تخضب يديها كلها او تدع يعنى ان المراة لا تخضب من يديها مكانا وتترك مكانا
وانكر الامام مالك هذه الرواية عن عمر رضى الله عنه والله اعلم ولا ينبغى للمراة ان تدع الخضاب
بالحنا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى امراة لا تختضب فانكر عليها وقال تدع احداكن
يدها كانها يد رجل فما زالت تلك المراة تختضب وقد جاوزت الستين حتى ماتت قال
القاضى عياض رحمه الله وجا حديث فى النهى عن تسويد الحنا ذكره صاحب الضيا وكذلك
لا ينبغى للمراة ان تتعطل بل تجعل فى عنقها قلادة من سير فى خرز او ما فى معناه لما روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لعايشة رضى الله عنها انه لا ينبغى ان تكون فى بعير قلادة اما
بخيط واما بسير قال انس رضى الله عنه يستحب للمراة ان تعلق من عنقها فى الصلاة ولو كذا
سيرا والله اعلم وقال ابو جعفر الطبرى رحمه الله فى حديث ابن مسعود دليل على انه لا يجوز
للمراة ان تغير شيا من خلقها الذى خلقها الله عليه بزيادة او نقصان لاجل التماس الحسن
لزوج او غيره سوا فلجت اسنانها او وشرتها او كان لها سن زايدة فازالتها او اسنان
طوال فقطعت اطرافها وكذلك لا يجوز لها حلق لحيتها او شاربها او عنفقتها ان نبتت لها
لان كل ذلك تغيير لخلق الله تعالى قال القاضى عياض وبانى ايضا على حكم ما ذكره الطبرى
ان من خلق باصبع زايدة او عضو زايد فانه لا يجوز له قطعه ولا نزعه لانه من تغيير خلق الله
الا ان تكون هذه الزوايد تولمه فلا باس بنزعها عند بعض العلما والله اعلم ومن هذا

الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة رواه
مسلم فنهى صلى الله عليه وسلم المراة ان تصل شعرها وهو ان تضيف اليه شعرا اخر تكثره به
والواصلة هي التي تفعل ذلك والمستوصلة هي التي تستدعي من يفعل ذلك بها وروى مسلم
عن جابر رضي الله عنه قال زجر النبي صلى الله عليه وسلم ان تصل المراة شعرها شيا وخرج ايضا
عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنها انها قالت جاءت امراه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله ان لي ابنة عريسا اصابتها حصبة فتمرق شعرها افاصله قال لعن الله الواصلة والمستوصلة
وهذا كله نص في تحريم وصل الشعر وبه قال الامام مالك وجماعة من العلما ومنعوا الوصل
بكل شي من الصوف والخرق وغير ذلك لانه في معنى وصله الشعر وشذ الليث بن سعد
فاجاز وصله بالصوف والخرق وما ليس بشعر وهذا اشبه بمذهب اهل الظاهر واباح
اخرون ان تضع المراة الشعر وضعا من غير وصل وهذا القول ايضا شبيه بمذهب اهل الظاهر
وفيه اعراض عن المعنى وشذ قوم فاجازوا الوصل مطلقا وهذا قول باطل قطعا يرده الاحاديث
الشريفة وروى ان رجلا سال ابن سيرين فقال ان امي كانت تمشط النسا ترى آكل من مالها
فقال ان كانت تصل فلا يعني ان كانت تصل شعور النسا فكسبها حرام لا ياكل منه قال العلما
ولا يدخل في النهي ما ربط في الشعر من خيوط الحرير الملونة على وجه الزينة والتجمل والله اعلم
وقالت طايفة المراد بالتغيير لخلق الله هو ان الله تعالى خلق الشمس والقمر والاحجار والنار
وغيرها من المخلوقات ليعتبر بها وينتفع بها فغيرها الكفار بان جعلوها الهة معبودة
قال الزجاج ان الله تعالى خلق الانعام لتركب وتوكل فحرموها على انفسهم وخلق الشمس والقمر
والحجارة مسخرة للناس فجعلوها الهة تعبد ونها فقد غيروا ما خلق الله وقال ابن
عباس وسعيد بن جبير وقتاده ومجاهد والضحاك وجماعة من اهل التفسير معنى قوله تعالى
فليغيرن خلق الله يعني دين الله وهو قول النخعي واختاره الطبري وقال اذا كان ذلك معناه
دخل فيه كل ما نهى الله عنه من خصا ووشم وغير ذلك من المعاصي لان الشيطان يدعوا الى جميع
المعاصي فليغيرن ما خلق الله من دينه وقال مجاهد فليغيرن خلق الله يعني فطرة الله التي
فطر الناس عليها وذلك انهم ولدوا على الاسلام فامرهم الشيطان فغيروه وهو معنى قول النبي صلى

الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطره فابواه يهودانه ونصرانه ويمجسانه فيرجع معنى الخلق
الى ما اوجده فيهم يوم الذر من الاقرار به فى قوله الست بربكم قالوا بلى وروى عن طاوس انه
كان لا يحضر نكاح سودا بابيض ولا بيضا باسود ويقول هذا من قول الله تعالى ولمغيرن خلق الله
قال ابن العربى وهذا وان كان يحتمله اللفظ فهو مخصوص مما انفذه النبى صلى الله عليه وسلم من
نكاح مولاه زيد بن حارثه رضى الله عنه وكان ابيض بظبره بركة الحبشيه ام اسامة رضى الله عنه
وكان اسود من احبش قال وهذا مما خفى على طاوس مع علمه وايضا فان النبى صلى الله عليه
وسلم انكح اسامة فاطمة بنت قيس وكانت بيضا قرشيه وكان ايضا تحت بلال اخت عبد
الرحمن بن عوف زهريه وقال ابن زيد بغير خلق الله هو التخنث وهو ان يتشبه الرجل بالنسا
فى حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك فهذا الذى ذكرنا من اقوال العلما معنى قوله
تعالى ولامرنهم فليغيرن خلق الله ثم قال عز من قايل ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله
يعنى يتخذه ربا بطيعه فيما يامره به وقيل الولى من الموالات وهو الناصر فقد خسر خسرانا
مبينا اى نقص نفسه وغبنها بان اعطى الشيطان حق الله تعالى فيه وتركه من اجله ولان طاعة
الشيطان توصله الى نار جهنم وهى غاية الخسران بقى فى الآية سوالان السوال الاول ان ابليس
لعنه الله قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشى المقدر القليل
وقال فى موضع آخر لاحتنكن ذريته الا قليلا وقال ايضا لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين وهذا استثنا القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب عن ذلك ان الكفار
الذين هم حزب الشيطان وان كانوا اكثر من المومنين فى العدد لكنهم اقل من المومنين فى الفضل والشرف
وعلو الدرجة عند الله والمومنون وان كانوا اقل من الكفار لكنهم اكثر منهم لان لهم الفضل
والشرف والسودد والغلبة فى الدنيا وعلو الدرجة فى الاخره وانشد بعضهم فى هذا المعنى فقال
وهم الاقل اذا يعد عشيره ٭ والاكثرون اذا يعد السودد ٭
وقيل ان ابليس لعنه الله لما لم ينل من آدم ما اراد ورأى الجنه والنار علم ان لهذه اهلا
ولهذه اهلا فقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعنى الذين هم اهل النار السوال
الثانى من اين لابليس العلم بالعواقب حتى يقول ولاضلنهم ولاغوينهم ولآمرنهم وقال فى

سورة الاعراف ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال في سورة بني اسرائيل لاحتنكن ذريته الا قليلا
فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان ابليس ظن انه ينفع منهم هذه الامور التي يريدها منهم
فحصل له ما ظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الوجه
الثاني قال ابن الانباري المعنى لاجتهدن ولاحرصن في ذلك لا انه كان يعلم الغيب الوجه
الثالث قال الماوردي من الجايز ان يكون قد علم ذلك من الملايكة بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلق
لا يومنون والله اعلم وقد قدمنا الكلام على هذا الاشكال بعبارة اخرى والله هو الهادي والموفق
وقوله تعالى يعدهم ويمنيهم يعني الشيطان يعد حزبه واوليآءه ويمنيهم فوعده ومنيته
اياهم ما يوقع في قلب الانسان من طول العمر ونيل ما اراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل
ذلك غرور وباطل فيجب على العاقل ان لا يلتفت الى شيء منها فربما لم يطل عمره ولم يحصل له
ما اراد منها ولان طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه يغص عليه ما هو فيه ٥
وقيل يعدهم ويمنيهم بان لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب فاجتهدوا في تحصيل اللذات
الدنيوية وقال بعضهم يعدهم نزهاته واباطيله من المال والجاه والرياسة وان لا بعث
ولا حساب ولا عقاب ونوهم الفقر حتى لا سفقوا مما اعطاهم الله ويمنيهم كذلك وما يعدهم
الشيطان الا غرورا يعني باطلا وضلالا وقيل خديعة قال عوف بن مالك رحمه الله يلغني
ان المومن يكيده من الشيطان اكثر من رسعة ومضر ولو ابداهم الله له لمات ثم قال تعالى
اوليك يعني الذين اتخذوا الشيطان وليا ماواهم جهنم يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم ولا
يجدون عنها يعني عن جهنم محيصا يعني مفرا ومعدلا يعني لا يعدلون عنها الى غيرها
ولا بد لهم من ورودها والخلود فيها ٥ ولما ذكر الله تعالى وعيد الكفار اتبعه بوعد المومنين
فقال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار يعني
من تحت الغرف والمساكن خالدين فيها يعني في الجنات ابدا يعني بلا انتهاء ولا غاية والابد
عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا انقطاع له ولا تجري كما تجري غيره من الازمنة
لانه لا يقال ابد كذا كما يقال زمن كذا قال العلماء وفي قوله تعالى خالدين فيها ابدا دليل على ان
الخلود لا يفيد التابيد والدوام لانه لو افاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم بذلك

ان الخلود عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم انه يراد به الدوام
الذى لا ينقطع والله اعلم بمراده وقوله تعالى وعد الله حقا يعنى وعد الله ذلك الذى ذكر وعدا
حقا ومن اصدق من الله قيلا يعنى ليس احد اصدق من الله وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله
حقا وقد مضى الكلام على ما تضمنته هذه الاية من المعانى ولله الحمد قوله تعالى ليس
بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب قال العلماء الامنية افعولة من التمنية والتمنى تقدير شئ فى
النفس وتصويره فيها والامنية هى الصورة الحاصلة فى النفس من تمنى الشئ اذا وقع فى نفسه
واراده قال المفسرون وفى المخاطب بقوله تعالى ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب قولان
احدهما انه خطاب للمسلمين واهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل
الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم
الانبياء وكتابنا يقضى على الكتب كلها وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن اولى بالله منكم
فانزل الله عز وجل ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب والقول الثانى انه خطاب لمشركى مكة
فى قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب فى قولهم لن يمسنا النار الا اياما معدودة
والمعنى ليس الامر بالامانى انما الامر بالعمل الصالح وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما
قال قالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان منا وقالت قريش لن نبعث ولن نحاسب
فانزل الله تعالى ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به قال الضحاك يقول يعمر
ليس لكم ما تمنيتم وليس لاهل الكتاب ما تمنوا ولكن من عمل سوءا يعنى شركا فمات عليه يجز به النار
وقال الحسن هذا فى حق الكفار خاصة لانهم مجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى
المؤمن بسيئ عمله يوم القيامة ولكن يجزى باحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا
القول سياق الاية وهو قوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وهذا هو الكافر فاما
المؤمن فله ولى وناصر وقال آخرون هذه الآية فى حق كل من عمل سوءا من مسلم وكافر قال
ابن عباس رضى الله عنه هى عامة فى حق كل من يعمل سوءا يجز به الا ان يتوب قبل ان يموت فيتوب الله
عليه وقال ابن عباس فى رواية ابى صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة
وقالوا يا رسول الله وأينا لم يعمل سوءا غيرك وكيف الجزاء قال صلى الله عليه وسلم منه ما يكون فى

ضرر عمل سو

الدنيا فمن عمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشره وبقى
له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده اعشاره واما ما كان جزا فى الاخره فمقابل من حسناته
وسيآته فيلقى مكان كل سيئة حسنة ويُنظر فى الفضل فيعطى الجزا فى الجنه فوت كل ذى
فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابى هريره رضى الله عنه قال لما نزلت من يعمل
سوا يجز به ملغت من المسلمين مبلغا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا
ففى كل ما يصاب به المسلم كفاره حتى النكبه ينكبها والشوكة يشاكها رواه مسلم وعن ابى بكر
الصديق رضى الله عنه قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوا يجز به
ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر الا اقرئك آية
انزلت على قلت بلى يا رسول الله فاقرانيها فلا اعلم الا انى وجدت انقصاما فى ظهرى فتمطأت لها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شانك يا ابا بكر قلت يا رسول الله ما بى انت وامى وايّنا
لم يعمل سوا وانا لمجزيون باعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا ابا بكر والمومنون
فتجزون بذلك فى الدنيا حتى يلقوا الله وليس لكم ذنوب واما الآخرون فيجمع له لكل لهم حتى يجزوا
به يوم القيامة اخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب وفى اسناده مقال وعن ابى بكر
ايضا رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله كيف الفلاح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست تنصب اليس يصيبك اللاوآ قال بلى قال فهو ما تجزون به
وقال عطا لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر رضى الله عنه هذه قاصمة الظهر يا رسول الله فقال صلى
الله عليه وسلم انما هى المصيبات تكون فى الدنيا وعن ابى هريره رضى الله عنه قال لما نزلت ليس
بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوا يجز به بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه
الآية من شئ قال اما والذى نفسى بيده انها لكما انزلت ولكن بشروا وقاربوا وسددوا انه لا
يصيب احدا منكم مصيبه فى الدنيا الا كفر الله بها حتى النكبه ينكبها احدكم فى قدمه
وقال الحسن ان هذه الآية نزلت فى الكافر وقرا قول الله تعالى وهل نجازى الا الكفور وعنه ايضا
من يعمل سوا يجز به قال ذلك لمن اراد الله هوانه فاما من اراد كرامته فلا فذكر الله تعالى قوما
فقال اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى اصحاب الجنة وعد الصدق الذى

كانوا يوعدون وقال الضحاك المراد به اليهود والنصارى والمجوس وكفار العرب وقال
الجمهور لفظ الاية عام والكافر والمومن يجازى بعلمه السوء فاما مجازاة الكافر فالنار لان
كفره اوبقه واما المومن فبنكبات الدنيا كما قدمنا من الاحاديث وخرج الترمذى الحكيم
فى نوادر الاصول فى الاصل الخامس والتسعين قال حدثنا ابرهيم بن المستمر العدنى الهلالى قال
حدثنى عبد الرحمن بن سليم بن حيان ابو زيد قال سمعت ابى يذكر عن ابيه قال صحبت ابن عمر من مكة
الى المدينة فقال لنا فع لا تمرن على المصلوب يعنى عبد الله بن الزبير فما جيئه فى جوف الليل
انا هل لحملة جذعه فجلس فمسح عينيه ثم قال يرحمك الله اباخبيب ان كنت وان كنت
ولقد سمعت اباك الزبير يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعمل سوءا يجز به فى
الدنيا او فى الاخرة فان يك هذا بذاك فهة فهة قال ابو عبد الله الترمذى فاما فى التنزيل
فقد اجمله تعالى فقال من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فدخل فيه
البر والفاجر والعدو والولى والمومن والكافر ثم ميز رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا
الحديث بين الموطنين فقال يجز به فى الدنيا او فى الاخرة وليس يجمع عليه الجزا فى الموطنين
الا ترى ان ابن عمر رضى الله عنه قال فان هذا بذاك فهة فهة معناه انه قاتل الحجاج حتى
حرم الله واحرق فيه حدبا عظيما حتى احترق البيت وترى الحجر الاسود بالمنجنوق حتى ضبب
بالفضة فهو الى يومنا كذلك وسمع لبيت الله انين آه آه فلما راى ابن عمر فعله ثم راه مقتولا
مصلوبا ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعمل سوءا يجز به ثم قال ان يك هذا القتل
بذاك الذى فعله فهة كانه جوزى بذلك الشر هذا القتل والصلب رحمه الله ورضى عنه
وعن سلفه الكرام ٥ ثم ميز رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر بين الفريقين قال الترمذى
الحكيم حدثنى ابى رحمه الله قال حدثنا ابو نعيم قال حدثنا محمد بن مسلم عن يزيد بن عبد الله بن اسامة
ابن الهاد الليثى قال لما نزلت من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه ما هذه مبقية
منا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا بكر انما يجزى بها المومن فى الدنيا ويجزى بها الكافر
يوم القيامة وروى اسمعيل بن اسحق القاضى قال حدثنا سليمن بن حرب قال حدثنا حماد بن سلمة
عن على بن زيد عن امه انها سالت عائشة رضى الله عنها عن قول الله عز وجل ان تبدوا ما فى انفسكم

او تخفوه يحاسبكم به الله وعن هذه الآية من يعمل سوا يجز به فقالت عائشة ما سالني عنها احد
مذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها. فقال يا عائشة هذه مبايعة الله على ما يصيب من
الحمى والنكبة والشوكة حتى البضاعة يضعها في كمه فيفقدها فيفزع فيجدها في عيبته.
حتى ان المومن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر من الكير. وقوله تعالى ولا يجدون له من دون الله
وليا ولا نصيرا قال ابن عباس رضي الله عنه يريد سبحانه وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره. فان قلنا
ان هذه الآية خاصة في حق الكفار فتاويلها ظاهر. وان قلنا انها في حق كل عامل سوا من مسلم
وكافر فانه لا ولي لاحد من دون الله يوم القيامة ولا ناصر. فالمومنون لا ولي لهم غير الله
وشفاعة الشافعين تكون باذن الله. فليس يمنع احدا احدا عن الله تعالى. ثم بين تعالى فضل
المومنين على مخالفيهم فقال تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مومن قال
مسروق رضي الله عنه لما نزلت من يعمل سوا يجز به قال اهل الكتاب للمسلمين نحن وانتم سوا فنزلت
هذه الآية. قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الآية فضيلة المومنين على غيرهم. ولفظة من في
قوله من الصالحات للتبعيض. لان احدا لا يقدر ان يستوعب جميع الصالحات بالعمل. فاذا عمل
بعضها استحق الثواب فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا النقير نقرة في ظهر النواة
ومنها تنبت النخلة. قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد سبحانه انهم لا ينقصون قدر النواة. وهذا
على سبيل المبالغة في نفي الظلم. ووعد بتوفية جزا اعمالهم من غير نقصان. قوله
عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن قال العلما الما بين الله سبحانه ان الجنة
لمن يعمل من الصالحات وهو مومن شرح الايمان وبين فضله. فقال تعالى ومن احسن دينا يعني ومن
احكم دينا. والدين هو المشتمل على اظهار كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو
الدين الذي كان عليه ابرهيم عليه السلام. واعلم ان دين الاسلام مبني على امرين احدهما
الاعتقاد. واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته
وتوجه اليه بالعبادة. وقيل معناه اخلص طاعته لله. وقيل فوض امره الى الله. الامر
الثاني من مباني الاسلام العمل. واليه الاشارة بقوله وهو محسن يعني في عمله. فمن فعل
فعل الحسنات. والمفروضات. والمفروضات والطاعات. وترك السيآت. وقال ابن عباس

فی تفسیر قوله تعالی وهو محسن یرید وهو موحد لله عز وجل لا یشرک به شیا. قال العلما
وانما صار دین الاسلام احسن الادیان لان فیه طاعة الله ورضاه. وهما احسن الاعمال. وانما
خص الوجه بالذکر فی قوله اسلم وجهه لانه اشرف الاعضا لانها تابعة له. واذا انقاد
الوجه لله وخضع له فقد انقاد له جمیع الاعضا لانها تابعة له. واتبع ملة ابرهیم یعنی دین
ابرهیم علیه السلام حنیفا یعنی مسلما مخلصا. والحنف هو المایل. ومعناه المایل عن الادیان
کلها الی الاسلام. لان ما سواه من الادیان باطل. وحنیفا یجوز ان یکون حالا لابرهیم. ویجوز
ان یکون حالا للمتبع کما تقول رایته راکبا. قال ابن عباس رضی الله عنهما ومن دین ابرهیم علیه
السلام الصلاة الی الکعبة. والطواف بها. ومناسک الحج. والختان. ونحو ذلک. فان قال ان
ظاهر هذه الایة یقتضی ان شرع نبینا وسیدنا محمد صلی الله علیه وسلم هو نفس شرع ابرهیم علیه
السلام. وعلی هذا لم یکن لنسخ محمد صلی الله علیه وسلم شرع یستقل به. ولیس الامر کذلک. فما الجواب.
قیل له ان شرع ابرهیم وملته داخلان فی شرع سیدنا محمد صلی الله علیه وسلم وملته مع زیادات
کثیره حسنة خص الله بها سیدنا محمدا صلی الله علیه وسلم. فمن اتبع ملة سیدنا محمد صلی الله علیه وسلم
فقد اتبع ملة ابرهیم علیه السلام. لانها داخلة فی ملة سیدنا محمد صلی الله علیه وسلم. وشرع ابرهیم
داخل فی شرع سیدنا محمد صلی الله علیه وسلم. وانما قال تعالی واتبع ملة ابرهیم. لان ابرهیم علیه السلام
کان یدعوا الی توحید الله وعبادته. ولهذا خصه بالذکر. لانه کان مقبولا عند جمیع الامم. فان
العرب کانوا یفتخرون بالانتساب الیه. وکذلک الیهود والنصاری. فاذا ثبت هذا وان شرعه
کان مقبولا عند الامم وان شرع سیدنا محمد صلی الله علیه وسلم وملته هو شرع ابرهیم وملته لزم
الخلق الدخول فی دین سیدنا محمد صلی الله علیه وسلم وقبول شرعه وملته. قوله تعالی
واتخذ الله ابرهیم خلیلا قال ابن عباس یعنی صفیا. والخلة صفا المودة. وقیل الخلة
الافتقار والانقطاع. فخلیل الله هو المنقطع الیه. وسمی ابرهیم خلیلا لانه انقطع الی الله فی کل حال.
وقیل الخلیل هو المختص. وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفا. وسمی ابرهیم خلیل الله لانه یوالی
فیه ویعادی فیه. وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده. وقیل الخلیل اصله الفقیر
المحتاج المنقطع. ماخوذ من الخلة بفتح الخا وهی الحاجة. سمیت خلة للاختلال الذی یلحق

خلیل خلة

الانبياء فيها وسمي ابرهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله عز وجل وخلة الله
للعبد هي تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر خلله والثنا عليه فقد اثنى الله سبحانه
على ابرهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به وقال ابن فورك الخلة صفا المودة
التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف
والالطاف والترفع والتشفع وقد بين الله عز وجل ذلك في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى
نحن ابنا الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فاوجب سبحانه للمحبوب ان لا يواخذ بذنوبه
قال صاحب هذا القول والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد يكون فيها العداوة كما قال الله
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابرهيم ونبينا
محمد صلى الله عليهما وسلم بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عن
دونه والاضراب عن الوسايط والاسباب اولزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه
عندهما وما خالك بواطنهما من اسرار الهيبة وملكوت غيوبه ومعرفته او لاستصفائه
لهما واستصفا قلوبهما عن من سواه حتى لم يخالهما حبت لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل
من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي
لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلما ارباب القلوب ايهما ارفع درجة
الخلة او درجة المحبة فقال بعضهم هما سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا
لكنه تعالى خص ابرهيم عليه السلام بالخلة وخص سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة وقال
بعضهم درجة الخلة ارفع واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي
فلم يتخذه وقد اطلق صلى الله عليه وسلم المحبة لابنته فاطمة وابنيها واسامة بن زيد
وغيرهم واكثر العلما جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم
ارفع من درجة الخليل ابرهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن هذا في حق من
يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوقين واما الخالق جل جلاله فمنزه
عن الاعراض بمحبته لعبده فتمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب
القرب وافاضة رحمته عليه وقضوا ها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر

الى بصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد عن العلائق والانقطاع اليه والاعراض عن غيره وصفاء القلب عن الخلائق الحركات كما قال صلى الله عليه وسلم [illegible] قد تخلقوا باخلاق الروحانيين فاذا خلا [illegible] فاذا كان كذلك كان الخليل [illegible] فانا سمي الخليل بهذا الاسم لصفة التجرد اما ان النبي صلى الله عليه وسلم حاد ما تبعه على آثار السيبة الدنيا بالقبول فلان الله تعالى قال لكم حبوه بما يحب فيكم الله وقال الامام ابو بكر محمد بن علي الكلابي الخلة اشارة الى تخلل المحبة والخلة بالمحبة اشارة الى تحصيل المحبة من غير تخلل فرق قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب اعم من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون محبته في احد الطرفين من قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا والحبيب الذي تكون محبته في الطرفين من قوله انني احبكم فثبت ان الخليل اعلى من الحبيب والحبيب ق

وصراته خليل يوم مسبة ٭ يقول لا اغاب مالي ولا حرم ٭

اي ليس مالي صنوع وقال الزجاج الخليل هو الذي ليس في محبته خلل فجايز ان يكون خلا
بمعنى فاعل الذي يحب واصفاه محبة تامة ٭ وجايز ان يسمى خليل الله اي فقير الى الله لانه
لا يجد فقره ولا فاقته الا الله تعالى فعلى هذا فوزنه فعيل ٭ والاختلال والتخلل والفقر
ابرهيم عليه السلام ارض العراق الخصيب وصار في الموضع الذي اجبر جبريل عليه السلام وقال له
يا ابرهيم انك محتاج ٭ قال اما اليك فلا فعند الله تعالى ابرهيم بشريته اياه واختلفت
الناس في السبب الذي من اجله اتخذ الله ابرهيم خليلا فقال الفضيل بن عياض رضي عنه لاجل
عليه السلام اما السخاء فكان مشتهرا على ظهر الارض حتى ان ضيفانه من مسيرة ثلاثة ايام
شدة حر او برد فقصد الناس اباه ابرهيم عليه السلام وكانت اليوم ماتة من حين
اخر وبعث ابرهيم عليه السلام الى خليله الذي حين ما ضاق الناس ان ابرهيم انما
يريد الطعام لنفسه احتمل ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة فجمع
الناس ابرهيم بغير طعام فسرحوا ابلهم آمنين الرمل سهلة فحملوا احمالهم من هذه البطحاء
الناس انا قد جينا سيرا فانا نستحي ان نخبر بغير وابلنا فارغة فملوا من ذلك الرمل الغرارة
التي معهم فاتوا الى ابرهيم عليه السلام فاعلموه وسارة عليها السلام نائمة فاعلم
ابرهيم لذلك ولكان الناس بابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار
فقالت سبحان الله اما كان الغلمان قالوا بلى قالت فجاوا بشيء قالوا نعم فعمدت الى الغرايز
ففتحتها فاذا هي ملأى بجيد دقيق يكون حواري فامرت الخباز ان يخبز واطعمت الناس
فاستيقظ ابرهيم عليه السلام فوجد ريح الطعام فقال ما سارة من اين لكم هذا فقالت من عند
خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله ٭ قال فعند ذلك اتخذه الله خليلا ٭ وروي ان

السبب الذي لاجله اتخذ الله ابراهيم خليلا

ابرهيم عليه السلام ضيف ورسا الكفار واعدى اليهم مرارا كثيرة واحسن اليهم فقالوا له ما
حاجتك يا ابرهيم فقال حاجتي ان تشهدوا ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
اني قد فعلت ما امكنني فافعل ما انت اهله فوفقهم الله للاسلام جميعا واتخذه الله لذلك
خليلا ٭ وقيل لما اراه الله ملكوت السموات والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيده

ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل نفسه للالقا في النيران وبذل
ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا وجعله اماما للناس يقتدى به وجعل
النبوة فيه وفي ذريته وقيل ان ابراهيم عليه السلام لما كسر الاصنام وهاجر فرمى فيه نمرود حل
اتخذه الله خليلا فقيل له ادخل عليه الملائكة فقالوا السلام عليك يا ضيف الله وقرة اعينهم عجلا شويا وقال
لهم كلوا على شرط ان تسموا الله في اوله وتحمدوه في آخره فقال جبريل عليه السلام انما اتخذ الله
من تدنيس بني ابراهيم خليل الله وقيل واسمه اخرى لما دخل على ابراهيم الملائكة في صورة الاعراب
قدم اليهم عجلا سمينا مشويا وقال لهم كلوا فمدوا ايديهم فلما لم ياكل منه ما نكر شأنه جبريل فقالوا
نحن ملائكة الله ارسلنا الى قوم لوط لنهلكهم فقال له ابراهيم فيهم لوط فقالوا نحن اعلم بمن فيها
لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين فاتخذه الله خليلا وروى جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا لانه كان يطعم الطعام
ويفشي السلام ويصلي بالليل والناس نيام وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ما جبريل ما اتخذ الله ابراهيم خليلا قال
لاطعامه الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وقيل معنى الخليل الذي والى في الله وعادى فيه والخلة من
الاولين هي الصداقة مشتقة من الخلل لان كل واحد من المتحابين يسد خلل صاحبه ويتعهد ما فيه والخلة من
واحد من الخلال لان كل واحد منهما يسد خلة صاحبه وفي الصحيحين ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخي وصاحبكم
ومن لم يكن في الله خلته فخلته منه على خطر
وقال بعضهم

اذا ما كنت متخذا خليلا ... فلا تثقن بكل فتى اخاء
فان خبرتهم فالصق باهل العقل منهم والحياء
فان العقل ليس له اذا ما ... تعاطته الفضائل من كفاء
وانشد حسان بن ثابت رضي الله عنه لنفسه
اخلاء الرجال هم كثير ... ولكن في البلاء هم قليل

فلا يغرركِ خُلةُ مَن تواخى ... فذاك عند نايبةٍ خليلُ

وكلُّ أخٍ يقول أنا وفيٌّ ... ولكن ليس يفعل ما يقولُ

يبوء بمثل أسباب وذنب ... فذاك لما تقول هو الفحولُ

فصل وقد اتخذ الله سبحانه وتعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا
كما اتخذ ابراهيم خليلا فكان صلى الله عليه وسلم أفضل من ابراهيم عليه السلام
من الوجه الذي به صار ابراهيم خليلا وذلك أن ابراهيم عليه السلام لما قال
لنبينا صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا من خلقي لاتخذت ابا بكر
خليلا ومن عباد الله من سمعه فظن انه انما قال لو كنت متخذا خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا ولكنه اخي وصاحبي وانما اتخذ الله صاحبكم خليلا
فلما سمع نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك من الخليل صلى الله عليه وسلم
فضله على ابي بكر رضي الله عنه بما فضله به من الخلة التي هي اعلى رتبة من المحبة
فصار محمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه وقد جاء في حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم طلب الدنا حبيب الله والله اعلم اي حبيب الله هو
هذا والله تعالى هو الاول والآخر قوله تعالى وله ما في السموات وما في الارض يعني ملكا
واختراعا وملكا يعني انه تعالى اتخذ ابراهيم خليلا لغنائه عنه لا لحاجته الى مخالته ولا لكثير
به والاعتداد وكيف وله ما في السموات وما في الارض وما بينهما لاستحالة الاضداد
وقال اهل المعاني لما ادعى الله الخلق الى الاعتراف بعبادته والانقياد لامره
بسعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة له وانما قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل
من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر مع ما يعقل ما لا يعقل من الجنس ذكر بلفظ ما وكان
الله بكل شيء محيطا يعني عالما علم احاطة وهو العلم بالشيء من كل وجهه حتى لا يشذ عنه نوع
الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه واعلم قوله
عز وجل ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما انزل الله
عز وجل هذه الآية في ام كحه وقد تقدمت قصتها في اول السورة وقالت عائشة رضي الله عنها
هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال ويقل
من سنة صداقها واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة المال والجمال تركها وفي رواية قالت

هى اليتيمة تكون فى حجر الرجل وقد شركته فى ماله فيرغب عنها فلا يتزوجها لذمامتها ويكره
ان يزوجها غيره فيدخل عليه وشركه فى ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عز وجل عن ذلك
وانزل هذه الآية فقال عز من قائل ويستفتونك يعنى ويستخبرونك يا محمد فى شان النسآ
وحالهن والاستفتآ طلب الفتوى وهى اظهار ما اشكل من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه
قال المفسرون والذى استفتوه فيه هو ميراث النسآ وذلك انهم كانوا لا يورثون النسآ
ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت اية الميراث قالوا يا رسول الله كيف نورث المراة والصغير
فاجابهم الله عز وجل بهذه الاية قل الله يفتيكم فيهن اى قل يا محمد الله يفتيكم فى شان النسآ
وحالهن اى يبين لكم حكم ما سالتم عنه قال العلما وهذه الاية رجوع الى ما افتتح به هذه
السورة من امر النسآ وكان قد يقت لهم احكام لم يعرفوها فسالوا فقال لهم الله يفتيكم فيهن
وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسال فلا يجيب حتى ينزل عليه الوحى وذلك فى كتاب الله عز وجل
ويستفتونك فى النسآ وقوله يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وقوله ويسالونك عن اليتامى
ويسالونك عن الخمر والميسر ويسالونك عن الجبال وغيرها من الايات وقوله وما يتلى عليكم
فى الكتاب يعنى يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى ان الله يفتيكم فى النسآ بما انزل فى كتابه عليكم وقيل
المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الاية التى تتلى عليكم وانها
فى اللوح المحفوظ وان العدل والانصاف فى حقوق اليتامى من اعظم الامور عند الله تعالى
التى يجب مراعاتها وان المخل بها ظالم وقوله فى يتامى النسآ قيل معناه فى النسآ
اليتامى وقيل فى اليتامى اولاد النسآ لان الاية نزلت فى يتامى امراة وقوله اللاتى لا
تؤتونهن ما كتب لهن يعنى ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الآية نازلة فى
ميراث البنات والصغار وعلى القول الآخر معناه ما كتب لهن من الصداق وترغبون ان
تنكحوهن يعنى وترغبون فى نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداقهن وقيل معناه
وترغبون عن نكاحهن لقبحهن وذمامتهن وتمسكوهن رغبة فى اموالهن وفى الصحيحين
عن عايشة رضى الله عنها قالت هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد
ان ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وامروا بنكاح

من سواهن. قالت عائشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك. فانزل الله
عز وجل يستفتونك فى النسآ الى قوله وترغبون ان تنكحوهن. فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت
ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها استنتها فى اكمال الصداق. واذا كانت مرغوبا
عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها. قال فكما تتركونها حين يرغبون عنها فليس
لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق.
وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان يعنى ويقسم لكم ايضا فى المستضعفين من الولدان.
وهم الصغار ان تعطوهم حقوقهم. وذلك لان العرب فى الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار ايضا.
فنهاهم الله عز وجل عن ذلك. وامرهم ان يعطوهم حقهم من الميراث وان تقوموا لليتامى بالقسط
يعنى بالعدل فى مهورهن ومواريثهن وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما يعنى فيجازيكم عليه
وقوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا
بينهما صلحا روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها فى قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها
نشوزا او اعراضا قالت نزلت فى المرأة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها ويتزوج
غيرها فتقول له امسكنى لا تطلقنى ثم تزوج غيرى. وانت فى حل من النفقة على والقسمة لى.
فذلك قوله فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير. وقيل ان هذه الاية نزلت فى
عمرة بنت محمد بن مسلمة. ويقال اسمها خولة. وفى زوجها سعد بن الربيع. ويقال رافع بن خديج.
تزوجها وهى شابة. فلما كبرت تزوج عليها امرأة اخرى شابة وآثرها عليها وجفا الاولى.
فاتت ابنة محمد بن مسلمة تشكوا زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية.
وقيل كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها اولاد. فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت
لا تطلقنى ودعنى اقوم على اولادى. واقسم لى كل شهر ما شئت. وان شئت فلا تقسم لى. فعال
ان كان يصلح ذلك فهو احب الىّ. فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له. فانزل الله تعالى
هذه الآية. وان امرأة خافت يعنى علمت. وقيل ظنت. وقيل بل المراد نفس الخوف. لان الخوف
لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه. وقوله من بعلها اى من زوجها والبعل
هو السيد. وسمى الزوج بعلا لانه سيد المرأة. وقوله نشوزا يعنى بغضا. وقيل هو ترك مضاجعتها.

واصل النشوز من النشز وهو المرتفع من الارض قال العلما والنشوز قد يكون من
الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو ان يعرض عن المراة وهو
قول الله تعالى اواعراضا يعنى بوجهه عنها اويعبس فى وجهها اوتترك مضاجعتها اوسبى
عشرتها اوتشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة فى القول والفعل
والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذا بل يعرض عنها بوجهه اوتشتغل
بغيرها فلاجناح عليهما يعنى فلاحرج ولا اثم على الزوج والمراة ان يصالحا من المصالحة
وقرا الكوفيون فلاجناح عليهما ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام من الاصلاح وقرا الجحدري ان
يصّلحا وقوله بينهما صلحا يعنى فى القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج للمراة انك
قد كبرت ودخلت فى السن وانا اريد ان اتزوج امراة شابة جميلة اوثرها عليك فى القسم
ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمى وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك فان رضيت
بذلك كانت هى المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان
يوفيها حقها من القسم والنفقة اويسرحها باحسان وان امسكها ووفاها حقها مع الكراهة
لها كان هو المحسن قال ابن عباس رضى الله عنه فان صالحته على بعض حقها من القسمة والنفقة
جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها والصلح خير يعنى اقامتها بعد
تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة عن
ابن عباس رضى الله عنهما قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا
تطلقنى وامسكنى واجعل يومى لعائشة ففعل صلى الله عليه وسلم فنزلت فلاجناح عليهما
ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شى فهو جايز اخرجه الترمذى
وقال حديث حسن غريب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومين يومها
ويوم سودة وقال بعضهم انظر فى هذه الآية من الفقه الرد على الرعن الجهال الذين يرون
ان الرجل اذا اخذ شباب المراة واسنت لا ينبغى له ان يتبدل بها قال ابن ابى مليكة
ان سودة بنت زمعة رضى الله عنها لما اسنت اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يطلقها فاثرت
الكون معه فقالت له امسكنى واجعل يومى لعائشة ففعل صلى الله عليه وسلم ومات وهى

من ازواجه • وهذه رواية ابن عيينة عن الاولي • وكذلك فعلت خولة بنت محمد بن مسلمة • وهو ما
روى مالك عن ابن شهاب عن رافع بن خديج انه تزوج بنت محمد بن مسلمة الانصارية وكانت
عنده حتى كبرت • فتزوج عليها فتاة شابة • فآثر الشابة عليها • فناشدته الطلاق فطلقها
واحدة • ثم ابهلها حتى اذا كانت تحل راجعها • ثم عاد فآثر الشابة عليها فناشدته الطلاق
فطلقها واحدة • ثم راجعها فآثر الشابة عليها فناشدته الطلاق • فقال ما شيت انما
بقيت واحدة • فان شيت استقررت على ما تري من الاثرة وان شئت فارقتك • قالت بل
استقر على الاثرة • فامسكها على ذلك • ولم ير رافع عليه امساكين قرت عنده على الاثرة •
رواه معمر عن الزهري بلفظه ومعناه • وزاد فذلك الصلح الذي بلغنا انه نزل فيه وان امراة
خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصالحا سنهما صلحا • قال ابن عبد البر
قوله والله اعلم فآثر الشابة عليها يريد في الميل بنفسه اليها والنشاط لها • لا انه آثرها
عليها في مطعم وملبس ومبيت • لان هذا لا ينبغي ان يظن بمثل رافع رضي الله عنه • والله اعلم • وذكر
ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا ابو الاحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه ان رجلا سأله عن هذه الاية فقال هي المراة تكون عند الرجل فتنبو عيناه
عنها من دمامتها • او فقرها • او كبرها • او سوء خلقها • وتكره فراقه • فان وضعت له من
مهرها شيا حل له • وان جعلت من ايامها فلا حرج • وقال الضحاك لا باس ان ينقصها من
حقها اذا تزوج من هي اشب منها واعجب اليه • وقال مقاتل بن حيان هو الرجل يكون تحته
المراة الكبيرة فيتزوج عليها الشابة • فتقول لهذه الكبيرة اعطيك من مالي على ان اقسم لهذه
الشابة اكثر مما اقسم لك من الليل والنهار فترضى الاخرى بما اصطلحا • وان ابت ان لا ترضى
فعليه ان يعدل بينهما في القسم • قال اصحاب الامام مالك وجماعة من العلماء في هذا دليل
على ان انواع الصلح كلها مباحة في هذه النازلة بان يعطي الزوج على ان تصبر هي او تعطي
هي على ان توثر الزوج • او على ان يوثر وتمسك بالعصمة • او يقع الصلح على الصبر والاثرة
من غير عطاء • فهذا كله مباح • وقد يجوز ان تصالح احداهن صاحبتها عن يومها بشيء
تعطيها • كما فعل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم • وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غضب

على صفيه رضى الله عنها فقالت لعائشة اصلحى بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وهبت يومى لك • وفى رواية اخرى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية فى شئ فقالت لى صفية هل لك ان ترضينى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى ولك يومى • قالت فلبست خمارا كان عندى مصبوغا بزعفران وبصحبه • ثم جيب فجلست الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اليك عنى فانه ليس يومك • فقلت ذلك فضل الله يوتيه من يشاء • واخبرته الخبر فرضى عنها • وفى الاية اضمار من الفقه ان ترك الشوبة من النشاوة تفضيل بعضهن على بعض لا يجوز الا باذن المفضولة ورضاها والله اعلم • وقوله تعالى والصلح خير هذا لفظ عام مطلق يقتضى ان الصلح الحقيقى الذى تسكن اليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الاطلاق • ويدخل فى هذا المعنى جميع ما نفع عليه الصلح بين الرجل وامراته فى مال او وطى او غير ذلك • وقال بعضهم معنى قوله تعالى والصلح خير اى من الفرقة • فان التمادى على الخلاف والشحناء والمباغضة هى قواعد الشر • وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى البغضة انها الحالقة • يعنى حالقة الدين لا حالقة الشعر • وقال بعضهم معنى قوله والصلح خير يعنى ان اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة • وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال خشيت سودة رضى الله عنها ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقنى وامسكنى واجعل يومى لعائشة ففعل فنزلت الاية • وتقدم هذا الحديث تمامه • وقوله تعالى واحضرت الانفس الشح قال العلماء الشح اقبح البخل • وحقيقته الحرص على منع الخير • وانما قال تعالى واحضرت الانفس الشح لانه كالامر الملازم للنفوس لانها مطبوعة عليه • ومعنى الاية ان كل واحد من الزوجين شحيح نصيبه من الاخر • فالمراة تشح على مكانها من زوجها • والرجل شحيح عليها نفسه اذا كان غيرها احب اليه منها • وقال بعضهم اخبر الله فى هذه الاية بان الشح فى كل احد • وان الانسان لا بد ان شح بكلم خلقته وجبلته حتى يحمل صاحبه على بعض ما يكره • وقال ابن جبير هو شح المراة بالنفقة من زوجها وبقسمه لها ايامها • وقال بعضهم الشح منه ومنها • قال ابن عطية وهذا القول احسن • فان الخالد على المراة الشح نصيبها من زوجها • والخالد على الزوج الشح نصيبه من الشابة • والشح هو الضبط على المعتقدات والارادة فى الهمم والاموال •

وبخوذلك فما افرط منه على الدين فهو محمود وما افرط منه فى غيره ففيه بعض المذمة وهو
الذى قال الله فيه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وما صار الى حيز منع الحقوق الشرعية
التى تفيضها المروة فهو البخل وهو رذيلة واذا آل البخل الى هذه الاخلاق المذمومة والشيم
الليمة لم يرتجى معه خير مرجو ولا اعلال مامول وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال للانصار
من سيدكم قالوا الجد بن قيس على بخل فيه وفى رواية على انا نبخله فقال النبى صلى الله عليه وسلم
واى داء ادوا من البخل قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال ان قومنا نزلوا بساحل فكرهوا ببخلهم
نزول الاضياف بهم فقالوا ليبعد الرجال منا عن النسا حتى يعتذر الرجال الى الاضياف ويعد
النسا ويعتذر النسا بعد الرجال ففعلوا وطال ذلك بهم فاشتغل الرجال بالرجال والنسا
بالنسا ذكر هذا الحديث الماوردى فى كتاب ادب الدين والدنيا له والله اعلم قوله تعالى
وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا قال العلما هذا شرط وجواب وهو خطاب
للازواج يعنى وان تحسنوا ايها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله فى حق المراة فانها امانة
عندكم وقيل معناه وان تحسنوا الاقامة معها على الكراهية وتتقوا ظلمها والجور عليها
فان الله كان بما تعملون خبيرا يعنى فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النسا يعنى ولن تقدروا ان تسووا بين النسا فى الحب وميل القلب لان ذلك مما
لا تقدرون عليه وليس من كسبكم وقال بعضهم اخبر الله بنفى الاستطاعة فى العدل بين النسا
وذلك فى ميل الطبع فى المحبة والجماع والحظ من القلب فوصف سبحانه حالة البشر وانهم بحكم
الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم الى بعض دون بعض ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
هذا قسمى فيما املك فلا تلمنى فيما تملك ولا املك يعنى القلب وقوله ولو حرصتم يعنى على
العدل والتسوية بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك فلا تميلوا كل الميل يعنى الى التى
تحبونها فى القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منتهين عن حصول التفاوت فى الميل القلبى لان
ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل فى القول والفعل ويدل
عليه الحديث المتقدم اللهم هذا قسمى فيما املك فلا تلمنى فيما تملك ولا املك وعن ابى هريرة
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امراتان فلم يعدل بينهما جا يوم

مطلب عدالت بين الزوجات

القيامة وشقه ساقط. رواه الترمذي. وعند ابي داود من كانت له امرأتان فمال الى
احدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل. وعند النسائي من كانت له امرأتان يميل لاحدهما
على الاخرى جاء يوم القيامة احد شقيه مائل. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن
وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا. رواه مسلم وغيره. وقوله
فتذروها كالمعلقة يعني فتدعوا الاخرى التي تميلون اليها كالمنوطة لا ايما ولا ذات
بعل كالشيء المطلق. لا هو في السما ولا على الارض. وقيل معناه فتذروها كالمشجونة لا هي
مخلصة فتتزوج ولا هي ذات بعل فيحسن اليها وان تصلحوا يعني بالعدل في القسم وتتقوا
يعني الجور في القسم فان الله كان غفورا يعني لما حصل من الميل الى بعضهن دون بعض رحيما
يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه وان يتفرقا يعني ان لم يصطلحا واختارا
الفرقة يغن الله كلا من سعته يعني من فضله ورزقه. والمعنى يغني الزوج بامراة اخرى
والمراة بزوج آخر. وقيل معناه يعوض الزوج بما يحب والمراة بما تحب. ويوسع عليهما
وفي هذا تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق. وقال بعضهم في قوله وان يتفرقا
يعني وان لم يصطلحا بل تفرقا فليحسنا ظنهما بالله. فقد يقيض سبحانه للرجل امراة تقر بها
عينه وللمراة من يوسع عليها. وروي عن جعفر بن محمد رضي الله عنه ان رجلا شكا اليه الفقر
فامره بالنكاح. فذهب الرجل وتزوج ثم جاء اليه وشكا اليه الفقر فامره بالطلاق. فقيل
له في ذلك. فقال امرته بالنكاح فقلت لعله من اهل هذه الآية ان يكونوا فقرا يغنهم الله من
فضله. فلما لم يكن من اهلها امرته بالطلاق. فلعله ان يكون من اهلها. وهو قوله تعالى وان
يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا يعني واسع الفضل والرحمة. وقيل هو الواسع
القدرة والعلم والرزق. وقيل هو الغني الذي وسع جميع مخلوقاته غناه حكيما يعني فيما
امر به ونهى عنه. فصل فما تحلو بحكم هذه الاية. وجملته ان الرجل اذا كان تحته امراتان
او اكثر يجب عليه التسوية بينهن في القسم فاما ترك التسوية بينهن في فعل القسم عصى الله عز وجل
في ذلك. وعليه القضاء للمظلومة. والتسوية شرط في البيتوتة. اما في الجماع فلا. لان ذلك

مطلب احوال الزوجين عند التفاضل

يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كان في نكاحه حرة وامة قسم للحرة
ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة
بان يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا واذ كانت ثيبا خصها ثلاث ليال ثم
انه يستانف القسم ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضاء عوض هذه الليالي للقديمات ويدل
على ذلك ما روى ابو قلابة عن انس رضي الله عنه قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب اقام
عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب اقام عندها ثلاثا وقسم قال ابو قلابة لو شئت
لقلت ان انسا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين واذا سافر الرجل الى سفر
حاجة جاز له ان يحمل معه بعض نسايه بشرط ان يقرع بينهن ولا يجب عليه ان يقضي للباقيات
عوض مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه في البلد على مدة المسافرين ويدل على ذلك
ما روى عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع
بين نسايه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه البخاري مع زيادة فيه واذا اراد
الرجل سفر نقلة وجب عليه اخذ نسايه معه **فصل** في آداب معاشرة احد الزوجين
وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج والزوجة اما الزوج فعليه مراعاة
الاعتدال والادب في اثنى عشرة مرتبة في الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة
والغيرة والنفقة والتعليم والقسم والتاديب بالنشوز والوقاع والمفارقة بالطلاق
الادب الاول الوليمة وهي مستحبة بدليل ما روى انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم راى على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال ما هذا قال تزوجت امراة على وزن نواة من
ذهب فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة وكذلك اولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية
بسويق وتمر وقال صلى الله عليه وسلم طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث
سمعة ومن سمع سمع الله به ويستحب تهنية الزوج فيقول من دخل عليه بارك الله لك وبارك
عليك وجمع بينكما في خير كذا رواه ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ويستحب
اظهار النكاح لقول النبي صلى الله عليه وسلم فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت وقال
صلى الله عليه وسلم اعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف وروي

مطلب آداب معاشرة

عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على غداة بني
بي على مجلس على فراشي كمجلسك مني فجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل الى ان قالت احداهن
وفينا نبي يعلم ما في غد فقال لها لا تقولي هكذا وقولي التي كنت تقولين قبله الادب الباقي
حسن الخلق معهن واحتمال الاذى منهن ترجما عليه من الشعور عقلهن لقول الله تعالى وعاشروهن
بالمعروف وقال تعالى في تعظيم حقهن واخذن منكم ميثاقا غليظا وقال تعالى والصاحب
بالجنب قيل هي المرأة وآخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة كان يتكلم بهن حتى
تلجلج لسانه وخفي كلامه فجعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم ولا تكلفوهم ما لا
يطيقون الله الله في النساء فانهن عوان عندكم يعني اسرا في ايديكم اخذتموهن بعهد الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على سوء خلق امرأته اعطاه
الله تعالى من الاجر مثل ما اعطا ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله
مثل ثواب اسية امرأة فرعون واعلم ان حسن الخلق مع الزوجة ليس هو كف الاذى عنها
بل هو احتمال الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد كان ازواجه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وروي ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه راجعته زوجته في الكلام فقال اتراجعيني يا لكعاء فقالت له ان ازواج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وهو خير منك فقال عمر خابت حفصة وخسرت
ثم دخل على حفصة ابنته فقال لها يا حفصه لا تغتري بابنة ابي قحافة فانها صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياك ان تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان احدى نساء النبي
صلى الله عليه وسلم دفعت في صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فقال صلى الله عليه
وسلم دعيها فانهن يصنعن ما هو اكثر من ذلك وروي انه وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين عائشة
كلام حتى ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر وجعله حكما بينه وبينها واستشهده فقال
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين او اتكلم فقالت بل تكلم انت ولكن لا تقل الا حقا فلطمها
ابو بكر حتى ادمى فمها وقال يا عدوة نفسها اويقول رسول الله غير الحق فاستجارت برسول
الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا

مطلب لطم ابا بكر عائشة

ولم نرد هذا منك. وقالت له مرة في كلام غضبت عليه [illegible] الذي تظن انك نبي الله فتبسم صلى
الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما. وكان يقول لها انى لاعرف [illegible] عليك حتى من رضاك. قالت
وكيف تعرفه بابي انت وامي. قال اذا كنت عني راضية قلت لا [illegible] وان كنت على غضبى قلت
لا وابي ابرهيم. قالت صدقت يا رسول الله ما اهجر الا اسمك. وقالت اول حب وقع في الاسلام
حب النبي صلى الله عليه وسلم لعايشة. وكان يقول لها ما كنت لك كابي زرع لام زرع. غير اني لا اطلقك.
وكان يقول لنسايه لا تؤذوني في عايشة فانه والله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غيرها.
وقال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم الناس بالنساء والصبيان. الادب
الثالث ان يزيد على احتمال الاذى بالمداعبه والمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء.
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن. وينزل الى درجات عقولهن في الاعمال
والاخلاق حتى روي انه كان يسابق عايشة رضي الله عنها فسبقته مرة ثم سبقها رسول الله صلى
الله عليه وسلم في بعض الايام وقال هذه بتلك. وفي الخبر انه صلى الله عليه وسلم كان من ابسط الناس
مع نسايه. وحديث عايشة رضي الله عنها قالت سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم وهم
يلعبون في يوم عاشورا. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان تنظري الى لعبهم. قلت نعم.
فارسل اليهم فجاوا. وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده
ووضعت يدي على يده. وجعلوا يلعبون وانا انظر. وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك
واقول اسكت اسكت مرتين او ثلاثا. ثم قال يا عايشة حسبك اي يكفيك. فقلت نعم. فاشار اليهم
فانصرفوا. وقال صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله. وقال صلى
الله عليه وسلم خياركم خياركم لنسايه. وانا خياركم لنسائي. وقال عمر رضي الله عنه مع
خشونته ينبغي للرجل ان يكون في اهله مثل الصبي. فاذا التمس ما عنده وجد رجلا. وقال
لقمان ينبغي للعاقل ان يكون في اهله كالصبي. فاذا كان في القوم وجد رجلا. وروي في الخبر
ان الله تعالى يبغض الجعظري الجواظ. قيل هو الشديد على اهله المتكبر في نفسه. وفي قول الله عز
وجل عتل بعد ذلك زنيم. العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على اهله. وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لجابر رضي الله عنه هلا تزوجت بكرا تلاعبها وتلاعبك. وروي ان اعرابية وصفت زوجها بعد

مع نسائه صلى الله عليه وسلم معاشرة نبي سطلب عليكم

موته فعالت كان والله ضحوكا اذا وَلج سِكّيتا اذا خرج آكِلًا ما وجد غير سايل عما فقد ٥

الادب الرابع ان لا ينبسط فى الدُّعابة وحسن الخلق والموافقه باتباع هواها الى حَدٍّ يفسد خُلقها وتسقط بالكلية هيبته عندها بل يراعى الاعتدال فى ذلك فلا يدع الهيبة والانقباض مهما راى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتّة بل مهما راى ما يخالف الشرع والمروه تَنمّر وامتعض قال الحسن رضى الله عنه والله مَا اصبح رجل يطيع امراته فيما تهوى الا اكبهُ الله فى النار وقال عمر رضى الله عنه خالفوا النسا فان فى خلافهن البركه وقد قيل ايضا شاوروهن وخالفوهن وقال النبى صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة وانما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لان الرجل اذا اطاع زوجته فى هواها فهو عبدها وقد تعسَ فان الله تعالى ملكه المراة فملكها هو نفسه فقد عكس الامر وقلب القصة واطاع الشيطان لما قال ولآمُرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الرجل ان يكون متبوعا لا تابعا وقد سمى الله عز وجل الرجال قوامين على النسا وسمى الزوج سيدا بقوله فى حق يوسف وزلخا والفيا سيدها لدا الباب فاذا انقلب السيد مسخره فقد بدل نعمة الله كفرا واعلم ان نفس المراة على مثال نفسك ان ارسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا وان ارخيت عذارها فثرًا جَذبتك ذراعا وان كبحتها اى كففتها وشددت يدك عليها فى محل الشده ملكتها وقال الامام الشافعى رضى الله عنه ثلاثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المراة والخادم والنبطى واراد بهذا ان محضّت الاكرام لم تحضت الاكرام ولم تمزح غلظتك بلينك وفظاظتك برفقك وحكى ان نسا العرب كن يعلمن بناتهن اختيار الازواج ونقول المراة منهن لابنتها ما بنية اختارى زوجك قبل الاقدام والجراة عليه انزعى زج رمحه فان سلكت لذلك فقلعى اللحم على ترسه فان سلكت فاكسرى العظام بسيفه فان صبر فاجعلى الاكاف على ظهره واركبيه فانما هو حمارك وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والارض وكل شى جا وزحده انعكس على ضده فينبغى للانسان مع اهله ان يسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفه والموافقه وان يتبع الحق فى جميع ذلك ليسلم من شر النسا فان كيدهن عظيم وشرهن فاش والغالب عليهن سوا الخلق وركاكة العقل ولا يعتدل ذلك منهن الا بنوع لطف ممزوج بسياسة وقال النبى صلى الله عليه وسلم مثل المراة الصالحة فى النسا كمثل الغراب الاعصم ما يرى مايه غراب

مطلوبها ان يكون متبوعا لا تابعا

مطلب حق الرجل

مطلب المراة على مثال النفس

مطلب حكاية نسا العرب

والاعصم هو الابيض البطن • وفى وصية لقمان لابنه يا بنى ايق المراة السوء فانها تشيب قبل
المشيب • وانتو شرار النسا فانهن لا يدعون الى خير • وكن من خيارهن على حذر • وقال النبى صلى
الله عليه وسلم اتقوا المراة السوء فانها المشيبة قبل المشيب • وفى حديث آخر ان دخلت عليها
لسنتك • وان غبت عنها خانتك • وقال صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ملكوا امرهم امراة •
فالحاصل ان فى النسا شرا وفيهن ضعف • فالسياسة والخشونة علاج الشر • والمطايب والمرحمة
علاج الضعف • والطبيب الحاذق هو الذى يقدر العلاج بقدر الداء • فليتفطن الرجل اولا
لاخلاق المراة بالتجربة • ثم ليعاملها بما يصلحها كما تقتضيه حالها • الادب الخامس
من اداب الرجل مع اهله الاعتدال فى الغيرة • وهو ان لا يتغافل عن مبادى الامور التى تخشى غوايلها
ولا يبالغ فى اساءة الظن والتعنت والتجسس عن البواطن • لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى ان تتبع
عورات النسا • وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم من سفر يقول لاصحابه قبل دخول المدينة لا
تطرقوا اهلكم ليلا • فامرهم بما بذلك فسبق رجلان وخالفا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فراى كل واحد منهما فى منزله ما يكره • وفى الخبر المشهور ان المراة كالضلع • ان اردت ان تقيمه
كسرته • فدعه تستمتع به على عوج • وهذا فى تهذيب اخلاقها • وقال صلى الله عليه وسلم
غيرة يبغضها الله • وهى غيرة الرجل على اهله من غير ريبة • ولان ذلك من سوء الظن الذى
نهينا عنه • قال الله تعالى ان بعض الظن اثم • وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه لا تكثر الغيرة على
اهلك • فترمى بالسوء من اجلك • واما الغيرة فى محلها فلا باس بها • وهى محمودة • قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يغار • والمومن يغار • وغيرة الله ان ياتى المومن ما حرم الله • وقال
صلى الله عليه وسلم اتعجبون من غيرة سعد • والله لانا اغير منه • والله اغير منى • ولاجل غيرة الله حرم
الفواحش ما ظهر منها وما بطن • ولا احد احب اليه العذر من الله • ومن اجل ذلك بعث المنذرين
والمبشرين • ولا احد احب اليه المدح من الله • ومن اجل ذلك وعد الجنة • وقال صلى الله عليه وسلم
رايت ليلة اسرى بى فى الجنة قصرا وبفنايه جارية • فقلت لمن هذا القصر • فقيل لعمر بن الخطاب •
فاردت ان انظر اليها فذكرت غيرتك يا عمر • فبكى عمر رضى الله عنه • وقال اعليك اغار يا رسول الله •
وكان الحسن رضى الله عنه يقول تدعون نساكم يزاحمن العلوج فى الاسواق • قبح الله من لا يغار •

مطلب مراتب غيرت

مطلب محبوب الله بعض الخيلا

وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من الغيره ما يحب الله ومنها ما يبغض ومن الخيلآ ما يحب الله ومنه ما يبغض فاما الغيره التى يحب الله فالغيرة فى الريبة والغيرة التى يبغضها الله فالغيره فى غير الريبه والاختيال الذى يحبه الله هو اختيال الرجل نفسه عند القتال وعند الصدقه والاختيال الذى يبغضه الله الاختيال فى الباطل وقال صلى الله عليه وسلم انى لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب واما الطريق المغنى عن الغيره فهو ان لا يدخل على زوجته الرجال وهى لا تخرج الى الاسواق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضوان الله عليها اى شئ خير للمراه قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وروى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يسدون الثقب والكوى التى فى الحيطان لئلا يطلع النسوان الى الرجال ورأى معاذ بن جبل رضى الله عنه امراة تطلع فى الكوة فضربها ورأى ايضا امراة دفعت الى غلام له تفاحة قد اكلت بعضها فضربها وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اعدوا النسا للزمن الحجال وانما قال ذلك لانهن لا يرغبن فى الخروج فى الهيئة الرثه وقال ايضا عودوا نساكم لا نعى قول لا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للنسا فى الخروج الى المساجد والصواب فى هذا الزمان منعهن الا العجايز وقد استصوب ذلك فى زمن الصحابة حتى قالت عائشة رضى الله عنها لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احدثت النسا بعده لمنعهن من الخروج وروى ان ابن عمر رضى الله عنه قال لا تمنعوا اما الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه ابوه وغضب عليه وقال تسمعنى اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا فتقول بلى قال العلما وانما استجرا ولد عبد الله على مخالفة ابيه لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه والده لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اذن للنسا فى الخروج فى الاعياد خاصة ولكن لا تخرج الا برضا ازواجهن قال العلما والخروج فى هذه الازمان مباح للمراة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود فى بيتها اسلم وينبغى لها ان لا تخرج الا لمهم لان الخروج للنظارات والامور التى ليست مهمة تقدح فى المراة وربما تفضى الى الفساد واذا خرجت فينبغى لها ان تغض بصرها

عن الرجال • الادب السادس الاعتدال في النفقة • فلا ينبغي ان يقتر على من في الانفاق
ولا ينبغي ان يسرف • بل يقتصد لقول الله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا • وقوله تعالى ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط • وقال النبي صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله
وينبغي ان يامر زوجته بالتصدق ببقايا الطعام وما يؤول اليه الفساد • فهذا اقل درجات
الخير • وللمراة ان تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح اذن من الزوج • ولا ينبغي ان يستاثر على
اهله بما كول طيب فلا يطعمهم منه • فان ذلك مما يوغر الصدر • ويبعد عن المعاشرة بالمعروف
فان ابا / الاذلك فليا كله في خفيه حيث لا يعرفه اهله • ولا ينبغي ان يصف عند اهله طعاما
ليس يريد اطعامهم اياه • واذا اكل فليقعد العيال كلهم على المايدة • قال سفين رحمه الله بلغنا
ان الله وملائكته يصلون على اهل بيت ياكلون في جماعة • واهم ما يجب على الرجل مراعاته في
الانفاق على زوجته • وان يطعمها من الحلال • وان لا يدخل مداخل السوء لاجلها • فان ذلك
جناية عليها لا مراعاة لها • الادب السابع ان يتعلم المتزوج من آداب النشوز وعلم
الحيض واحكامه ما تحترز به الاحتراز الواجب • وان يعلمها احكام الصلاة • وما تقضي منها
في الحيض وما لا تقضي • فانه امر بان يقيها النار • قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا • وعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة • ويزيل عنها بدعة ان استمعت اليها • او
يخوفها بالله اذا تساهلت في امر الدين • ويعلمها من احكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج اليه •
وعلم ذلك يطول • واما الذي لا بد منه ومن ارشاد النساء اليه في امر الحيض فهو بيان الصلوات
التي تقضي • وانها متى انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر •
واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء هذا اقل ما يراعيه النساء •
وان كان الرجل قايما بتعليمها فليس لها الخروج لسوال العلماء • وان قصر علم الرجل فانه سوف
عنها في السوال ويخبرها بجواب العالم • وليس لها الخروج • وان لم يكن ذلك فلها ان تخرج لسوال
العالم • بل عليها ذلك • فان منعها الرجل يكون عاصيا • الادب الثامن اذا كان له نسوة
ينبغي له ان يعدل بينهن • وقد تقدم لنا ذلك فيما سبق من التفسير فلا حاجة الى اعادته • الادب
التاسع في النشوز • وقد قدمنا ذلك ايضا • الادب العاشر في اداب الجماع • قال العلماء يستحب

ما يكلون جماعة على اهل بيت مطلب صلوة ملائكة

مطلب آداب جماع

ان يبدا باسم الله تعالى ويقرا قل هو الله احد ويكبر ويهلل ويقول بسم الله العلى العظيم اللهم
اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت ان تخرج ذلك من صلبى وقال النبى صلى الله عليه وسلم لو
ان احدهم اذا اتى اهله قال اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما
ولد لم يضره الشيطان وينبغى ان يحرف عن القبلة فلا يستقبلها بالجماع اكراما للقبلة وليغط
نفسه واهله ثوب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وان يغض بصره ويقدم
التلطف بالكلام والتقبل لقول النبى صلى الله عليه وسلم لا يقع احدكم على امراته كما تقع البهيمة
ليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول الله قال القبلة والكلام وقال النبى صلى الله عليه
وسلم ثلاث من العجز فى الرجل ان يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل ان يعلم اسمه ونسبه
الثانى ان يكرمه اخوه فيرد عليه كرامته الثالث ان يقارب الرجل جاريته فيصيبها قبل ان
يحدثها ويوانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل ان تقضى حاجتها منه ويكره للانسان
ان يجامع فى ثلاث ليال من الشهر اوله واخره والنصف منه ويقال ان الشيطان يحضر الجماع
فى هذه الليالى ويقال ان الشياطين يجامعون فى هذه الليالى الثلاث وهذا مروى عن على بن ابى
طالب ومعاوية وابى هريرة رضى الله عنهم ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة تحفيفا لاحد
التاويلين من قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله من غسل واغتسل وينبغى ان ياتى زوجته فى كل اربع
ليال مرة فهو اعدل ولا ينبغى ان ياتيها فى الحيض ولا بعد انقطاعه وقبل الغسل فهو محرم
بنص الكتاب وقيل ان ذلك يورث الجذام فى الولد واذا اراد ان يجامع ثانيا بعد اول فليغسل
فرجه اولا وان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه او يبول ويكره الجماع فى اول الليل حتى لا
ينام على غير طهارة فان اراد الجنب النوم او الاكل فليتوضا وضوءه للصلاة وان ذلك سنة
قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ايتام احدنا وهو جنب قال نعم اذا
توضا ولكن فيه رخصة وهو ما روى عن عايشة رضى الله عنها انها قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينام جنبا لم يمس ماء ولا ينبغى ان يحلق راسه ويقلم اظفاره ويستحد ويخرج دما او
يبين من بدنه جزا وهو جنب لان اجزاءه ترد اليه يوم القيامة فيعود جنبا ويقال ان كل
شعره تطالبه بجنابتها الادب الحادى عشر فى اداب الولادة وهى خمسة الاول ان لا

مطلب آفات جماع

يكثر فرحه بالولد الذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدرى فى ايهما تكون الخيره فكم من صاحب ولد
ذكر تمنى ان لا يكون له وان يكون بنتا بل السلامة من الاولاد اكثر والثواب فيهن اجزل
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له ابنة فاد بها واحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاها
واسبغ عليها من النعمة التى اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنه
وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يدرك ابنتين فيجلس
اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنه وقال انس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور
الا نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حمل طرفة من السوق الى عياله فكانما حمل اليهم صدقه حتى يضعها فيهم وابدا بالاناث
قبل الذكور فانه من فرح انثى فكانما بكى من خشية الله ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه
على النار وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له ابنتان او اختان
فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو فى الجنه كهاتين وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كان له ثلاث بنات او اخوات فصبر على لاوائهن وضرائهن ادخله الله
الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل واثنتان يا رسول الله قال واثنتان فقال رجل او
واحده قال او واحده الادب الثانى من اداب الولاده ان يوذن فى اذن المولود لدليل ما
روى رافع عن اسه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن فى اذن الحسن حين ولدته فاطمة
رضوان الله عليها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من ولد له مولود فاذن فى اذنه اليمنى
واقام فى اذنه اليسرى رفعت عنه ام الصبيان ويستحب ان يلقن الصبى اول انطلاق لسانه
لا اله الا الله ليكون ذلك اول حديثه الادب الثالث ان يسميه باسم حسن فذلك حق للولد
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سميتم فعبدوا وقال صلى الله عليه وسلم احب الاسما
الى الله عبد الله وعبد الرحمن وينبغى ان يسمى السقط لما روى عن عبد الرحمن بن يزيد بن معونه
قال بلغنى ان السقط يوم القيامة يكون وراء ابيه فيقول انت ضيعتنى وانت تركتنى لا اسم لى
فقال عمر بن عبد العزيز كيف وهو لا يعلم انه غلام او جاريه فقال عبد الرحمن من الاسما ما

مطلب تربية اولاد

مطلب

كذا

جمعها حمزه وعماره وطلحة وعنبسة وقال النبى صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيامة باسمايكم واسمآ ابايكم فاحسنوا اسماكم ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله بدليل ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدل اسم العاصى بعبد الله وكذلك زينب رضى الله عنها كان اسمها برّه فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب • الادب الرابع العقيقة عن الذكر شاتين وعن الانثى شاة • ولا باس بالشاة ان تكون ذكرا او انثى • وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن بشاة • وهذا رخصة فى الاقتصار على واحدة • وقال صلى الله عليه وسلم مع الغلام عقيقة فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى • ومن السنة ان يتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم امر فاطمة يوم سابع الحسن ان تحلق شعره وتتصدق بزنته فضة • وقالت عائشة رضى الله عنها لا يكسر للعقيقة عظم • الادب الخامس ان يحنكه بتمرة او حلاوة لما روي عن اسما بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنها انها لما ولدت عبد الله بن الزبير بقبآ اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم دعى بتمره فمضغها ثم بصق فى فيه فكان اول شى دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمره ثم دعا له وبرك عليه • وكان اول مولود ولد فى الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا • لانهم قيل لهم ان اليهود سحرتكم فلا يولد لكم • الادب الثانى عشر فى الطلاق • وليعلم انه مباح • ولكنه ابغض المباحات الى الله • وانما يكون مباحا اذا لم يكن فيه ايذآ بالباطل • ومهما طلقها فقد اذاها • ولا يباح ايذآ الغير الا لجنايه او ضرورة من جانب المؤذى • قال الله تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا • اى لا تطلبوا حيلة الفراق • وان كره والد الزوج امراة ابنه طلقها لاجل ابيه • قال عبد الله بن عمر رضى الله عنه كان تحتى امراة احبها وكان ابى يكرهها ويامرنى بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلقها • وهذا يدل على ان حق الوالد مقدم • واذا آذت المراة زوجها وبذت على اهله فهى جانيه • وكذلك اذا كانت سيئة الخلق او فاسدة الدين • ويستحب للزوج ان يراعى فى الطلاق اربعة امور • الاول ان يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه • فان الطلاق فى الحيض والطهر الذى جامعها فيه بدعى حرام • الثانى ان يقتصر على طلقه واحدة • ولا يجمع بين الثلاث • لان الطلقه الواحدة بعد العدة يفيد المقصود •

مطلق طلاق مباح ابغض

ويستعيد بها الرجعة ان ندم في العدة ويجدد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق
ثلاثا ربما ندم ويحتاج الى ان يزوجها محللا والى ان يصبر مدة وكل ذلك شرة جمع الطلاق
وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور ولسنا نقول الجمع حرام ولكنه مكروه لهذه
المعاني وهو ترك النظر لنفسه الثالث ان يتلطف في التقلل من تطليق المراة من غير تعنف
ولا استخفاف وان يطيب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر لاجل ما فجعها به من اذى
الفراق قال الله تعالى ومتعوهن وذلك واجب اذا لم يسم لها مهرا في اصل النكاح وروى
ان الحسن بن علي رضي الله عنه كان مطلاقا منكاحا يعني كثير الطلاق والنكاح فوجه دات
يوم بعض اصحابه بطلاق امرائين من نسائه وقال وقل لهما اعتدا وامره ان يدفع الى كل
واحدة عشرة الاف ففعل ما امره ولما رجع اليه قال له ما ذا فعلتا قال اما احداهما
فنكست راسها وسكتت واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل من حبيب
مفارق فرحم رضي الله عنه لها وقال لو كنت مراجعا امراة بعد ما افارقها لراجعتها ○
وحكي ايضا عن الحسن رضي الله عنه انه دخل ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه
المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت عائشة المثل حيث قالت لولم ار
مسيرك ذلك لكان احب الي من ان يكون لي سنة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم سل
عبد الرحمن بن الحرث قال فدخل عليه الحسن في سنه فعظمه عبد الرحمن ثم رفع راسه وقال
والله ما على وجه الارض احد يمشي عليها اعز علي منك واجلسه في مجلسه وقال الا ارسلت
الي وكنت اجيبك فقال رضي الله عنه الحاجة لنا قال وما هي قال حيتك خاطبا ابنتك فاطرق
عبد الرحمن ثم رفع راسه اليه وقال والله ما على وجه الارض احد يمشي عليها اعز علي منك ولكنك
تعلم ان ابنتي بضعة مني وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي
في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت
الا تطلقها زوجتك فسكت الحسن رضي الله عنه وقام وخرج فقال بعض اهل سنه سمعته وهو
يمشي يقول ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي ○ وروي ان علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كان ينهى عن كثرة تطليق الحسن وكان رضي الله عنه يعتذر منه للناس على المنبر

٣٢٥

مطلب

ونقول فى خطبته ايها الناس ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه حتى قام رجل من همدان فقال والله
يا امير المومنين لننكحنه ما شا فان احب امسك وان احب ترك فسر على كرم الله وجهه
فقال لو كنت بوابا على باب الجنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام قال العلما وفى هذا دليل
على ان من طعن فى حبيبه من اهل او ولد لنوع خلاف فلا ينبغى ان يوافق عليه فهذه الموافقه
قبيحه بل الاب مخالفته ما امكن فان ذلك اسر لقلبه واوفق لباطن رايه والمقصود
من هذا بيان ان الطلاق مباح وقد وعد الله سبحانه الغنى فى الفراق والنكاح جميعا فقال وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله وقال
تعالى وان يتفرقا يغنى الله كلا من سعته الرابع ان لا يفشى سرها لا فى الطلاق ولا عند النكاح
فقد ورد فى افشا سر النسا فى الخبر الصحيح وعيد عظيم وروى عن بعض الصالحين انه اراد طلاق
امراته فقيل له ما الذى ريبك منها قال العاقل لا يهتك ستر امراته فلما طلقها قيل له
لم طلقتها فقال مالى ولامراة غيرك فهذا بيان ما على الزوج للمراه واما بيان
ما على المراة للزوج فاعلم ان النكاح نوع رق والمراة رقيقة لزوجها فعليها طاعته
مطلقا فى كل ما طلب منها من نفسها مما لا معصية فيه وقد ورد فى تعظيم حق الزوج على المراة
احاديث كثيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة
وحكى ان رجلا خرج الى سفر وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى اسفل وكان ابوها
فى اسفل البيت فمرض فارسلت المراة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستاذنه فى النزول الى ابيها
فقال صلى الله عليه وسلم اطيعى زوجك فمات فاستامرت فقال صلى الله عليه وسلم اطيعى زوجك
فدفن ابوها فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها يخبرها ان الله تعالى قد غفر لابيها
بطاعتها لزوجها وقال صلى الله عليه وسلم اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت
فرجها واطاعت زوجها دخلت جنة ربها فاضاف صلى الله عليه وسلم طاعة الزوج الى
مبانى الاسلام وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر النسا يوما فقال حاملات والدات
مرضعات رحيمات باولادهن لولا ما ياتين الى ازواجهن دخل مصليا تهن الجنة وقال
صلى الله عليه وسلم اطلعت فى النار فاذا اكثر اهلها النسا فقلن النسا لم يا رسول الله قال تكثرن

مطلب مناهى زوج لز
قام

اللعن وتكفرن العشير يعنى الزوج المعاشر وفى خبر اخر قال صلى الله عليه وسلم اطلعت فى الجنة
فاذا اقل اهلها النساء فقلت اين النساء فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران يعنى
الحلى ومصبغات الثياب وقالت عايشة رضى الله عنها انت فتاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا بنى الله انى فتاة اخطب وانى اكره التزويج فما حق الزوج على المراة قال صلى الله عليه
وسلم لو كان من قرنه الى قدمه صديد فلحسته ما ادت شكره قالت فلا اتزوج اذا قال
بلى تزوجى فانه خير وقال ابن عباس رضى الله عنه اتت امراة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت يا رسول الله انى امراة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج فقال ان من حق الزوج
على الزوجة اذا دعا عن نفسها وهى على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطى شيا من بيته
الا باذنه فان فعلت ذلك كان الوزر عليها والاجر له ومن حقه ان لا تصوم تطوعا الا باذنه
فان فعلت لعنتها الملايكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب وقال صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا
ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وقال صلى الله عليه وسلم اقرب
ما يكون المراة من وجه ربها اذا كانت فى قعر بيتها وان صلاتها فى مخدعها افضل من صلاتها
فى المسجد وصلاتها فى بيتها افضل من صلاتها فى مخدعها وصلاتها فى مخدعها افضل من صلاتها
فى بيتها والمخدع بيت فى بيت وذلك لاجل الستر ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم المراة عورة
فاذا خرجت استشرفها الشيطان وقال صلى الله عليه وسلم للمراة عشر عورات فاذا تزوجت
ستر الزوج عورة واحدة فاذا مات ستر القبر العشر عورات

فى اسلف عادة النسا

حقوق الزوج على الزوجة كثيرة واهمها امران احدهما الصيانة والستر والآخر ترك المطالبة بما ورا الحاجة
والتعفف عن كسبه اذا كان حراما وهكذا كانت عاده النسا فى السلف كان الرجل اذا خرج
من منزله تقول له امراته وابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار
وروى ان رجلا من السلف هم بسفر فكره جيرانه سفره وقالوا لزوجته ترضين بسفره ولم
يدع لكم نفقة فقالت لهم ان زوجى ما عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولى رزاق يذهب
الاكال ويبقى الرزاق وحكى ان رابعة بنت اسمعيل خطب احمد بن ابى الحوارى فكره ذلك لما
كان فيه من العبادة فقال والله مالى همة فى النسا لشغلى بحالى فقالت انى لاشغل بحالى منك

فى حكايتين

ومالى شهوة ولكنى ورثت مالا جزيلا من زوجى فاردت ان انفقه على اخوانك واعرف بك
الصالحين فيكون ذلك طريقا الى الله تعالى. فقال لها حتى استاذن استاذى. فرجع الى ابى
سليمان الدارانى. قال وكان ينهانى عن التزوج ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا تغير. فلما
سمع كلامها. قال تزوج بها فانها ولية الله. هذا كلام الصديقين. قال فتزوجتها وتزوجت
عليها ثلاث نسوة. وكانت يطعمنى الطيبات وتطيبنى وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك.
وكانت هذه فى اهل الشام تشبه برابعة العدوية فى البصرة. والقول الجامع فى
اداب المراة من غير تطويل ان تكون ملازمة لقعر بيتها. لازمة لمغزلها. لا تكثر صعودها
واطلاعها. قليلة الكلام لجيرانها. لا تدخل عليهم الا فى حال يوجب الدخول. تحفظ بعلها فى غيبته
وحضرته. وتطلب مسرته فى جميع امورها. ولا تخونه فى نفسها وماله. ولا تخرج من بيتها. وان
خرجت باذنه فتخرج مختفية. فى هيئة رثة. تطلب المواضع الخالية من الرجال. دون الشوارع
والاسواق. محترزة من ان يسمع غريب صوتها. او يعرفها شخصها. ولا تتعرف الى صديق زوجها
فى حاجاتها. بل تتنكر على من تظن انه يعرفها. وان تكون همتها صلاح شانها وتدبير بيتها.
مقبلة على صلاتها وصيامها. اذا استاذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضرا لم
تستفهمه ولم تعاوده فى الكلام. غيرة على نفسها وبعلها. وان تكون قانعة من زوجها بما
رزق الله. وان تقدم حقوقه على حقوق نفسها. ولذلك حقوق سايرا قاربه. وان تكون منطفة
فى نفسها مسعرة فى الاحوال كلها ليستمتع بها اذا شاء. وان تكون مشفقة على اولادها حافظة
للستر عليهم. قصيرة اللسان عن سب الاولاد. ومراجعة الزوج. وقد قال النبى صلى الله عليه
وسلم انا وامراة سفعا الخدين كهاتين. امراة آمت. اى ترملت من زوجها وحبست نفسها
على بناتها حتى بانوا او ماتوا. وقال صلى الله عليه وسلم حرم الله على كل ادمى دخول الجنة قبلى.
غير انى انظر عن يمينى فاذا امراة تبادرنى الى باب الجنة. فاقول ما لهذه تبادرنى. فيقال لى
يا محمد هذه امراة كانت حسنا جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ امرهن
الذى بلغ فشكر الله لها ذلك. ومن اداب المراة ايضا ان لا تفخر على زوجها بجمالها. ولا تزدريه
لقبحه. وحكى عن الاصمعى رحمة الله عليه انه قال دخلت البادية فاذا انا بامراة من احسن الناس

عليها قميص احمر وهي وجهها تحت رجل من افيح الناس وجها فقلت لها ياهذه اترضين
لنفسك ان تكوني تحت مثل هذا فقالت ياهذا اسكت لقد اسأت في قولك لعله احسن فيما سنه
وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي انا اسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما
رضي الله لي قال فاسكتني وقال الاصمعي ايضا رايت في البادية امراة عليها قميص احمر وهي
مختضبه ويدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت
لله مني جانب لا اضيعه وللهو مني والبطالة جانب

ومن اداب المراة ايضا ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع الى اللعب
والانبساط واسباب اللذة في حضوره ولا ينبغي ان توذي زوجها بحال لما روي عن معاذ بن
جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا توذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت
زوجته من الحور العين لا توذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا
ومما يجب على المراة من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة
اشهر وعشر وتجتنب الطيب والزينة في هذه المدة قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت على ام
حبيبة بنت ابي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب
فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالي بالطيب
من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامراة تومن بالله واليوم
الآخر ان تحد على ميت اكثر من ثلاثة ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشرا ويلزمها لزوم
مسكن النكاح الى آخر العدة وليس لها الانتقال الى اهلها ولا الخروج الا لضرورة ومن اداباها
ايضا ان تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها كما روي عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما
انها قالت تزوجني الزبير وماله في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت
اعلف فرسه واكفيه مونته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقي الماء واخرز غربه
واعجن وكنت انقل النوى على راسي من ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بخادم فكفتني سياسة
الفرس فكانما اعتقني ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه والنوى على راسي فقال
صلى الله عليه وسلم اخ اخ ليبعير ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير

وغيرته وكان من اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انى استحييت فجئت الى الزبير
فحكيت ما جرا فقال والله لحملك النوى على راسك اشد على من ركوبك معه والله تعالى اعلم
رجعنا الى التفسير قوله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض يعنى عبيدا
وملكا قال اهل المعانى لما ذكر الله تعالى انه يغنى من سعته وفضله اشار الى ما يوجب
الرغبة اليه فى طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لا تفنى خزائنه ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعنى اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة واياكم يعنى
ووصيناكم يا اهل القرآن فى كتابكم ان اتقوا الله اى بان تتقوا الله وهو ان توحدوه وتطيعوه
وتحذروه ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة اوصى الله بها
جميع الامم السالفة فى كتبهم وان تكفروا يعنى وان تجحدوا ما وصاكم به فان لله ما فى السموات
وما فى الارض يعنى فان لله ملائكة فى السموات والارض هم الطوع له منكم وقيل معناه انه
تعالى خالق السموات والارض وما فيهن وهو مالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك
فهو لكل احد ان شقه ورجوه وكان الله غنيا يعنى عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا
الى طاعتهم حميدا يعنى محمودا على نعمه عليهم ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله
وكيلا قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى شهيدا على انه فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى
بالله دافعا ومجيرا فان قيل ما الفايدة فى تكرير قوله تعالى ولله ما فى السموات
وما فى الارض قيل له الفايدة فى ذلك ان لكل اية معنى يختص به اما الاية الاولى فمعناها
فان لله ما فى السموات وما فى الارض وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما
قال تعالى وان تكفروا فغنى الله كل من سعته بين ان له ما فى السموات وما فى الارض وانه
قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغنى عنهم واما الاية الثانية فانه تعالى قال وان
تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض والمراد منه انه تعالى منزه عن طاعات المطيعين
وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله بالطاعات ولا ينتقص بالمعاصى وقيل لما
بين ان له ما فى السموات وما فى الارض وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه
انه تعالى هو الغنى وله الملك فاطلبوا منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له ما فى السموات

وما في الارض واما الثالثه فقال تعالى وسه ما في السموات وما في الارض وكفى باسه وكيلا
اى فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا على غيره فانه المالك لما في السموات والارض وقيل تكريرها
تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه ويطيعوه ولا يعصوه لان التقوى والخشيه اصل كل
خير وقد مضى القول في التقوى قوله عز وجل ان يشا يذهبكم ايها الناس قال
ابن عباس رضى الله عنهما يريد المشركين والمنافقين ويات باخرين اى بغيركم هم خير منكم واطوع
له ففيه تهديد للكفار والمعنى انه يهلكم ايها الكفار كما اهلك من كان قبلكم اذ كفروا به
وكذبوا رسله وكان الله على ذلك قديرا يعنى وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا
بليغا في القدرة لا يمتنع عليه شى اراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشيا
ولما نزلت هذه الاية ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان الفارسى فقال هم
قوم هذا ونظير هذه الاية قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لا يكونوا امثالكم ٥
قال العلما وفى هذه الاية تخويف وتنبيه لجميع من كانت له ولاية وامارة او رياسة ثم لا
يعدل في رعيته او كان عالما فلا يعمل بعلمه ولا ينصح الناس ان يذهبه الله ويات بغيره
واما القدرة في قوله قديرا فهى صفة ازلية لا تتناهى مقدوراته كما انه لا تتناهى معلوماته
والماضى والمستقبل في صفاته معنى واحد وانما خص الماضى بالذكر ليلا يتوهم انه حدث في ذاته
وصفاته والقدرة هى التى يكون بها الفعل ولا يجوز وجود العجز معها قوله تعالى
من كان يريد ثواب الدنيا يعنى من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا ونزلت هذه الاية في
مشركى العرب وذلك انهم كانوا يقرون بان الله خالقهم ولا يقرون بالبعث يوم القيامة
فكانوا يقصدون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت في المنافقين
لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من الغنيمة عند الله ثواب الدنيا والاخره يعنى ان الذين
يطلبون باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة مخطيون في قصدهم لان
الله عنده ثواب الدنيا وثواب الاخره فلو كانوا عقلا لطلبوا ثواب الاخره حتى يحصل لهم ذلك
ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعيه والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا آتاه الله منها

ما اراد وصرف عنه من شرها ما اراد وليس له ثواب فى الاخره يجزى به ومن اراد بعمله
وجه الله وثواب الاخره فعند الله ثواب الدنيا والاخره نوته من الدنيا ما قدر له ويجزى
فى الاخرة خير الجزآ وكان الله سميعا يعنى لاقوالهم ومايسرونه من طلب ثوار الدنيا بصيرا
يعنى بنياتهم وما فى نفوسهم وقيل بصيرا من يطلب الدنيا بعمله وممن يطلب الاخره بعمله
قوله عز وجل يآيها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهدآ لله قال السدى رحمه الله
سبب نزول هذه الاية ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبى صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع
الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغنى فانزل الله تعالى هذه الآية وامر بالقيام بالقسط مع الغنى
والفقير وقيل ان هذه الاية متعلقه بقصه طعمة بن ابيرق فهى خطاب لقومه الذين
جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فامرهم الله تعالى ان يكونوا قآمين بالقسط شاهدين لله
على كل حال ولو على انفسهم واقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط والقوام مبالغة
فى القيام بالعدل فى جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس رضى الله عنه كونوا
قوامين بالعدل فى الشهادات على من كانت وقوله شهدآ لله يعنى اقيموا شهادتكم لوجه
الله كما امركم فيها فقول الحق فى شهادته وقال بعضهم لله اى لذات الله ولوجهه ولمرضاته
وثوابه ولو على انفسكم يعنى ولو كانت الشهادة على انفسكم امر الله تعالى العبد بان يشهد
على نفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه وذلك الاقرار يسمى شهادة فى كونه موجبا للحق عليه
او الوالدين والاقربين يعنى ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوى رحمه واقاربه
والمعنى قولوا الحق ولو على انفسكم او على الوالدين او على الاقارب فاقيموا الشهاده عليهم لله تعالى
ولا تخافوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى ان يكن يعنى المشهود عليه
غنيا او فقيرا فالله اولى بهما يعنى منكم والمعنى كلوا امرهم الى الله تعالى فهو اعلم بهم وبحالهم
وانما قال تعالى بهما على التثنية لانه رد المعنى الى المعنى دون اللفظ يعنى فالله اولى
بالغنى وبالفقير وقال بعضهم فى قوله تعالى كونوا قوامين الاية بنآ مبالغة اى ليتكرر
منكم القيام بالقسط وهو العدل فى شهاداتكم على انفسكم وشهادة المرء على نفسه اقراره
بالحقوق عليها ثم ذكر الوالدين لوجوب برهما وعظم قدرهما ثم ثنى بالاقربين اذهم مظنة

المودة والتعصب فكان الاجنبى من الناس احرى ان يقام عليه بالقسط ويشهد عليه فجرى
الكلام فى السورة فى حفظ حقوق الخلق فى الاموال • ولا خلاف بين اهل العلم فى صحة احكام
هذه الاية • وان شهادة الولد على الوالدين ماضية • ولا يمنع ذلك برهما • بل من برهما ان
يشهد عليهما ويخلصهما من الباطل • وهو معنى قوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا • فان شهد
الولد لهما او شهدا له فقد اختلف فيه العلماء قديما وحديثا • فقال ابن شهاب الزهرى كان
من مضى من السلف الصالح يجيزون شهادة الوالدين والاخ • ويتاولون فيه قول الله تعالى كونوا
قوامين بالقسط شهداء لله • فلم يكن احد يتهم فى ذلك من السلف الصالح رضوان الله عليهم • ثم
ظهرت من الناس امور حملت الولاة على اتهامهم فتركت شهادة من يتهم وصار ذلك فى الولد
والوالد والاخ والزوج والزوجة • وهذا هو مذهب الحسن والنخعى والشعبى وشريح والامام
مالك • وسفين الثورى والامام الشافعى والامام احمد • وقد اجاز قوم شهادة بعضهم لبعض اذا
كانوا عدولا • وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اجاز ذلك • وكذلك روى عن عمر بن عبد العزيز
وبه قال اسحق والثورى والمزنى • ومذهب الامام مالك جواز شهادة الاخ لاخيه اذا كان
عدلا الا فى النسب • وروى عنه ابن وهب انها لا تجوز اذا كان فى عياله او فى يضيعة من ماله
يرثه • وقال الامام ابو حنيفة والامام مالك شهادة الزوج لزوجته لا تقبل لتواصل
منافع الاملاك بينهما وهى محل الشهادة • وقال الامام الشافعى تجوز شهادة الزوجين بعضهما
لبعض لانهما اجنبيان • وانما بينهما عقد الزوجية • وذلك معترض للزوال • والاصل قبول
الشهادة الا حيث خص • فما عدا المخصوص يبقى على الاصل • والله اعلم • وروى ابو داود من حديث
سليمان بن موسى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
رد شهادة الخائن والخائنة • وذى الغمر على اخيه • ورد شهادة القانع لاهل البيت واجازها
لغيرهما • قال الخطابى الغمر هو الذى ضنه وسخن المشهود عليه عداوة ظاهرة • فترد شهادته
للتهمة • وقال الامام ابو حنيفة شهادة العدو على عدوه مقبولة اذا كان عدلا • والقانع
السائل والمستطعم • واصل القنوع السوال • وقيل القانع هو المنقطع الى القوم يخدمهم
ويكون فى حوايجهم • وذلك مثل الاجير والوكيل ونحوه • ومعنى رد هذه الشهادة التهمة

التهمة فى جر المنفعة الى نفسه لان القانع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم من نفع
ومن جر الى نفسه شهادته نفعا فشهادته مردودة وهذا كمن شهد لرجل على شرا
دار هو مشفوعا او كمن حكم له على رجل بدين وهو مفلس فشهد المفلس على رجل بدين وبخو
قال الخطابى ومن رد شهادة القانع لاهل البيت بسبب جر المنفعة فقاس قوله
ان ترد شهادة الزوج لزوجته لان ما بينهما من التهمة فى جر النفع اكثر وال وهذا
ذهب الامام ابو حنيفة والحديث حجة على من اجاز شهادة الابن لابيه لانه يجر به
النفع لما جبل عليه من محبة الابناء والميل اليهم والحنو عليهم والاشفاق عليهم قال النبى صلى الله
عليه وسلم انت ومالك لابيك ومن رد شهادته عند الامام مالك البدوى على القروى
قال الا ان يكون فى بادية او فى قرية خلقا الذى يشمل على الجفاء وبادية بدع جبرته
من اهل الحضر عندى مرتبة وقد روى ابو داود والدارقطنى عن ابن عباس رضى الله عنه
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تجوز شهادة بدوى على صاحب قرية قال
ابن عبد الحكم تاول الامام مالك هذا الحديث على ان المراد به الشهادة فى الحقوق والاموال
ولم يرد الشهادة فى الدماء وما فى معناه مما تطلب به الحدود قال علماء اهل العلم
شهادة البدوى اذا كان عدلا لا يتم الشهادة على وجهها جائزة والله اعلم وقد مضى فى
سورة البقرة القول فى هذا ومضى فى سورة براءة تمامها ان شاء الله وقوله تعالى فلا
تتبعوا الهوى ان تعدلوا يعنى فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله ان تعدلوا عن الحق فى ادا
الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان
العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى وقال بعضهم نهى الله تعالى عن اتباع الهوى لانه مردٍ
مهلك قال الله تعالى فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فاتباع
الهوى يحمل على الشهادة بغير الحق وعلى الجور فى الحكم الى غير ذلك وقال الشعبى اخذ الله
على الحكام ثلاثة اشياء ان لا يتبعوا الهوى وان لا يخشوا الناس ويخشوه وان لا يشتروا
باياته ثمنا قليلا ثم قال تعالى وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا قرئ
تلووا بواوين ومعناه ان يلوى الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس رضى الله عنهما

فيكون الكتاب اسم جنس لجميع الكتب ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد
ضل ضلالا بعيدا قوله عز وجل ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا
كفرا الاية قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الاية في اليهود امنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم
العجل ثم امنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بسيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم والقرآن وقيل انهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم امنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم
ازدادوا كفرا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل انهم امنوا بموسى ثم كفروا بعده
ثم امنوا بداود ثم وقال بعض المفسرين ايضا امنوا بموسى ثم كفروا بعزير ثم امنوا بعزير
ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امنوا بموسى ثم بعزير
ثم كفروا بعده بعزير بالمسيح وكفرت النصارى بما جاء به موسى وآمنوا بعيسى ثم ازدادوا كفرا
بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من القرآن وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم آمنوا
ثم كفروا بعد الايمان ثم امنوا يعني بالسنتهم وهو اظهارهم الايمان لتجري عليهم احكام المؤمنين
ثم ازدادوا كفرا يعني موتهم على الكفر وقيل بذنوب احدثوها في الكفر وقيل هم قوم آمنوا
ثم ارتدوا الى الكفر ثم امنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم ازدادوا كفرا يعني موتهم عليه وذلك لان من
تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان في قلبه
ومن كان كذلك لم يكن مؤمنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم
بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته ام لا فحكي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انه قال لا تقبل توبته بل تقتل وذهب اكثر اهل العلم الى ان توبته مقبولة
وقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم يعني ما اقاموا على الكفر وماتوا عليه وذلك لان الله تعالى
اخبر انه يغفر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يعني عن الكفر يغفر لهم ما
قد سلف يعني من كفرهم ولا ليهديهم سبيلا يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين
وفي هذه الاية رد على القدرية فان الله تعالى بين انه لا يهدي الكافرين طريق خير لعلم العبد
انه انما ينال الهدى بالله تعالى وكرمه الهدى بارادة الله تعالى وتضمنت الاية ايضا حكم المرتدين
وقد مضى القول فيهم في سورة البقرة قوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يعني اخبرهم

ما محمد وانما وضع بشر مكان اخبر بهما وقيل البشارة كل خبر تغير به بشرة الوجه
سارًا كان ذلك الخبر او غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك لهم العذاب لان العرب
تقول بحتك الضربة اى هذا بدل من بحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها خيل تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف سبحانه وتعالى المنافقين فقال عز من قائل الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون
المومنين يعنى يتخذون اليهود اولياء وانصارا وبطانة من دون المومنين وذلك ان المنافقين
كانوا يقولون ان محمدا لا يتم امره فيوالون اليهود فقال الله عز وجل ايبتغون عندهم العزة
يعنى يطلبون من عند اليهود القوة والمعونة والظهور على نبى محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
فان العزة لله جميعا يعنى فان القوة والقدرة والغلبة لله جميعا وهو الذى يعز اولياءه ولاهل
طاعته كما قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين وفى هذه الاية دليل على ان من عمل بمعصية
من الموحدين لا يكون منافقا لانه لا تتولى الكفار وفيها ايضا دليل على المنع من موالاة الكفار
والمنع من ان يتخذوا اعوانا على الاعمال المتعلقة بالدين ويدل عليه ما روى فى الصحيح عن
عائشة رضى الله عنها ان رجلا من المشركين لحق بالنبى صلى الله عليه وسلم يقاتل معه فقال ارجع
فانا لا استعين بمشرك والعزة هى الغلبة يقال عز يعز اذا غلب وقد نزل عليكم
يعنى يا معشر المسلمين فى الكتاب يعنى القرآن ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها
قال المفسرون الذى انزل عليهم فى النهى عن مجالستهم هو قوله تعالى فى سورة الانعام واذا رايت
الذين يخوضون فى اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وهذا نزل بمكة لان
المشركين كانوا يخوضون فى القرآن ويستهزون به فى مجالسهم ثم ان احبار اليهود بالمدينة
كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم فى الاستهزا
بالقرآن فنهى الله المومنين عن القعود معهم بقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى
حديث غيره يعنى حتى يأخذوا فى حديث آخر غير الاستهزا بالقرآن وبالنبى صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس رضى الله عنه دخل فى هذه الاية كل محدث فى الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة
انكم اذا مثلهم يعنى انكم يا ايها الجالسون مع المستهزئين بايات الله ورضيتم بذلك فانتم وهم فى

الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكرا وخالط اهله كان
في الاثم بمنزلتهم اذا رضي به وان لم يباشره فان جلس اليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له
وانما جلس على سبيل التقيه والخوف فالامر فيه اهون من المجالسة مع الرضى وان جلس مع
صاحب بدعة او منكر ولم يخض في بدعته او منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل
لا يجوز بحال والاول اصح وقال بعض المفسرين ايضا في هذه الاية دليل على اجتناب اهل المعاصي
اذا ظهر منهم منكر لان من لم يجتنبهم فقد رضي بفعلهم والرضى بالكفر كفر قال الله تعالى انكم اذا مثلهم
فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم فانه يكون معهم في الوزر سواء وينبغي ان ينكر عليهم
اذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها فان لم يقدر على النكير عليهم فليقم عنهم حتى لا يكون من اهل
هذه الاية وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه اخذ قوما يشربون الخمر فقيل
له عن احد الخاصرين انه صايم فحمل الادب وقرا هذه الاية انكم اذا مثلهم يعني ان الرضا
بالمعصية معصية والله اعلم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني انهم
اجتمعوا في الدنيا على الاستهزاء بايات الله فكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة قوله
عز وجل الذين يتربصون بكم نزلت هذه الاية في المنافقين ينتظرون ما يحدث بكم من خير او
شر فان كان لكم فتح من الله اي ظفر على عدو وغنيمة تنالوها منهم قالوا يعني المنافقين الم نكن
معكم يعني في الوقعة والفتح فاعطونا من الغنيمة وقيل معناه الم نكن على دينكم وان كان
للكافرين نصيب اي دولة وظفر على المسلمين قالوا يعني المنافقين للكفار الم نستحوذ عليكم قال
العلماء الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ على فلان اي غلب عليه والمعنى الم نغلبكم
ونتمكن منكم ومن قتالكم واسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه الم نغلبكم على رايكم يقال استحوذ
على كذا اذا غلب عليه وقوله ونمنعكم من المومنين يعني من صلاتهم والدخول في دينهم وقيل
معناه الم ندفع عنكم المومنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم واسرارهم فهانوا
نصيبنا مما اصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار فان قيل لم سمى ظفر
المومنين فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا قيل له تعظيما لشان المومنين وتخسيسا لحظ الكفار
لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له ابواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين واما ظفر الكفار

فما هو الاحظ دنى ونصيب خسيس لا يبقى منه الا ما نالوه فى الدنيا ولهم فى الاخرة العقوبة
الشديدة على ذلك النصيب الذى نالوه من المسلمين فالله يحكم بينكم يوم القيامة يعنى الفريقين
فريق المومنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين فى الدنيا لاجل كرامتهم
بل اخر عذابهم الى يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا وفى هذا قولان
احدهما وهو قول على بن ابى طالب وابن عباس رضى الله عنهما ان المراد به فى القيامة بدليل انه عطف عليه
قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة وروى سبيع الحضرمى قال كنت عند على بن ابى طالب رضى الله عنه
فقال له رجل يا امير المومنين ارايت قول الله عز وجل ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا
كيف ذلك وهم يقاتلوننا ويظهرون علينا احيانا فقال على رضى الله معنى ذلك يوم القيامة يوم الحكم
وكذا قال ابن عباس انما ذلك فى يوم القيامة قال ابن عطيه وبهذا قال جميع اهل التاويل قال
ابن العربى وهذا ضعيف لعدم فايدة الخبر به وان اوهم صدر الكلام معناه لقوله فالله يحكم
بينكم يوم القيامة وجعل الامر فى الدنيا دولا تغلب الكفار تارة وتغلب اخرى وذلك لما
راى من الحكمة وسبق من الكلمة ثم قال عز وجل ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا
فتوهم من توهم ان آخر الكلام يرجع الى اوله وذلك يسقط فايدته او يكون تكرارا القول
الثانى ان هذا فى الدنيا والمعنى ان حجة المومنين غالبة فى الدنيا على الكافرين وليس لاحد
ان يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل للكافرين على المومنين سبيلا ما ان يعودوا لة
المومنين بالكلية ويستبيحوا بيضتهم فلا يبقى احد من المومنين وهذا كما جاء فى صحيح مسلم
من حديث ثوبان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى سالت ربى ان لا يهلكها
بسنة عامة يعنى امته وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربى عز وجل
قال يا محمد انى اذا قضيت قضاء فانه لا يرد وانى قد اعطيت لامتك ان لا اهلكهم بسنة عامة
وان لا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بافطارها حتى
يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبى بعضهم بعضا وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على
المومنين سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة وتتفرع على ذلك مسائل
من احكام الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال المسلم له

التدس ولا يرون انها واجبه عليهم • قال قتادة والله لولا الناس ما صلى منافق ولا يذكرون
الله الا قليلا قال ابن عباس انما قال ذلك لانهم يفعلونه رئا وسمعة • ولو اراد وا بذلك العليل
وجه الله لكان كثيرا • وقيل لان الله تعالى لم يقبله • ولو قبله لكان كثيرا • وقيل المراد بذكر الله
الصلاة • والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا • لانهم متى لم يكن معهم احد من المومنين فانهم لا يصلون •
واذا كانوا مع المومنين يكلفون فعلها مذبذبين بين ذلك يعنى انهم متحيرون مترددون بين الكفر
والايمان • لانهم ليسوا مع المومنين المخلصين • ولا مع المشركين المصرحين بالشرك • وهو قوله تعالى
لا الى هولا ء ولا الى هولا ء يعنى ليسوا من المومنين حتى يجب لهم ما يجب للمومنين وليسوا من الكفار
فيوخذ منهم ما يوخذ من الكفار • قال العلما والمذبذب هو المتردد بين امرين • والذبذبة
الاضطراب • يقال ذبذبه فتذبذب • ومنه قول النابغة

الم تر ان الله اعطاك صورة ٭ ترى كل ملك دونها يتذبذب ٭

وقال آخر ؎

خيال لام السلسبيل ودونها ٭ مسيرة شهر للبريد المذبذب ٭

كذا روى بكسر السين الثانيه • قال ابن جنى هو القلق الذى لا ثبت ولا يتمهل • فهولا المنافقون
مترددون بين المومنين والمشركين • لا مخلصين الايمان ولا مصرحين بالكفر • وقرا ابن عباس
مذبذبين بكسر الذال الثانيه • وفى صحيح مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين • تعير الى هذه مرة والى هذه
مرة • قوله كمثل الشاة العايره • بالعين المهمله • ومعناه المتحيرة المترددة • لا تدرى لاى
الغنمين تتبع • ومعنى تعير اى تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدرى
الى اين تذهب • وهذا مثل المنافق • مرة مع المومنين ومرة مع الكافرين • او ظاهره مع المومنين
وباطنه مع الكافرين • والله اعلم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء
من دون المومنين قال العلما لما ذم الله عز وجل المنافقين بقوله مذبذبين ذلك نهى الله تعالى
المومنين ان يخلقوا باخلاق المنافقين • يقول تعالى لا تتوالوا الكفار من دون اهل ملتكم ودينكم
فتكونوا كمن اوجبت له النار من المنافقين • والسبب فى هذا النهى ان الانصار بالمدينه كان

لهم من يهود بني قريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله من نتولي فقال المهاجرون
اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا يعني اتريدون ايها المتخذون الكفار اولياء ان
تجعلوا لله عليكم حجة بينة باتخاذكم الكفار اولياء من دون المومنين فتستوجبوا بذلك النار
ثم بين تعالى مقر المنافقين من النار فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم
دركات لانها متدارکة متتابعة وقيل الدرك ست مقفل عليهم بتوقد فيه النار من فوقهم
ومن تحتهم وقيل هي تواست من حديد مقفله عليهم في النار فان قيل لم كان المنافق
اشد عذابا من الكافر قيل له ان المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره
نوعا اخر من الكفر اوخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين وافشاء اسرار
المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين اشد عذابا من الكفار
والمنافق من اظهر الايمان وابطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل شرايعه
ولا يقيد بقيوده ولا يدخل تحت احكامه واما تسميته من ارتكب ما يفسق به منافقا
فانما هو للتغليظ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام
وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ايتمن خان فان هذه
الخصال صفات المنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين وقرا الكوفيون ان المنافقين
في الدرك الاسفل باسكان الراء والقراءة الاولى افصح وقيل هما لغتان والنار دركات سبع
اي طبقات ومنازل فالمنافقون في الدرك الاسفل وهي الهاوية وذلك لغلظ كفرهم وكثرة
غوايلهم وتمكنهم من اذى المومنين واعلا الدركات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير
ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وقد تسمى جميعها باسم الطبقة العليا اعاذنا الله واياكم منها
بمنه وكرمه وقال ابن عبد البر ان اشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة المنافقون
ومن كفر من اصحاب المايدة وآل فرعون ويصدق ذلك في كتاب الله عز وجل ان المنافقين في الدرك
الاسفل وقال في اصحاب المايدة فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وقال في آل
فرعون ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وقوله تعالى ولن تجد لهم نصيرا يعني ولن تجد

يا محمد لهؤلآء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنا الله تعالى من باب
من المنافقين فعال تعالى الا الذين تابوا يعنى من النفاق واصلحوا يعنى اصلحوا الاعمال
فعملوا بما امر الله به وادوا فرايضه وانتهوا عما نهاهم عنه واعتصموا بالله يعنى وتمسكوا
بعهد الله ووثقوا به واخلصوا دينهم لله يعنى واخلصوا طاعتهم واعمالهم التى عملوها لله
واراد وه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة. فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان.
فلذلك قال تعالى فاولئك يعنى التائبين من النفاق مع المومنين يعنى فى الجنة وقيل مع
بمعنى من اى من المومنين وسوف يوتى الله المومنين اجرا عظيما يعنى فى الآخرة. قوله تعالى
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم قال العلما هذا استفهام تقرير للمنافقين. ومعناه
ان الله تعالى لا يعذب الشاكر المومن. فان تعذيبه لا يزيد فى ملكه. وتركه عقوبته لا ينقص
من سلطانه. لان الغنى الذى لا يحتاج الى شى من ذلك. فان عاقب احدا فانما يعاقبه لامر اوجبه
العدل والحكمة. فان قمتم بشكر نعمته وامنتم به فقد ابعدتم انفسكم من عذابه. قال اهل
المعانى فى الكلام تقديم وتاخير تقديره ان شكرتم. لان الايمان مقدم على سايرالطاعات. امنتم م
ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان. ولان الواو لا توجب الترتيب. وقيل هو على اصله ك
والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته اولا الى ما عليه من النعمة العظيمة فى ايجاده وخلقه
فشكر على ذلك شكرا عظيما مبهما. ثم اذا تمم النظر ثانيا انتهى به النظر الى معرفة المنعم عليه
آمن به. ثم شكره شكرا مفصلا. فكان ذلك الشكر المبهم مقدما على الايمان. فلذلك قدم سبحانه
الشكر على الايمان فى الذكر. وقال مكحول رحمه الله اربع من كن فيه كن له. وبلات من كن فيه
كن عليه. فالاربع التى له الشكر والايمان. والدعا والاستغفار. قال الله تعالى ما يفعل
الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم. وقال تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. وقال
تعالى قل ما يعبا بكم ربى لولا دعاوكم. واما البلات التى عليه فالمكر. والبغى. والنكث.
قال الله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه. وقال تعالى ولا يحيق المكر السى الا باهله. وقال
تعالى انما بغيكم على انفسكم وكان الله شاكرا عليما الشاكر هو المثيب عباده المومنين الموفيهم
اجورهم. والشكر من الله هو الرضا بالقليل من اعمال عباده واضعاف الثواب عليه.

وقد لما امر الله عباده بالشكر سمى الجزآ شكرا على سبيل الاستعارة • فالمراد من الشاكر
فى صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر عليما يعنى بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك ٥
قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم قال اهل المعانى يعنى ان الله لا
يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به ايضا من القول يعنى من القول القبيح • الا من ظلم • قيل هو
استثنآ متصل • والمعنى الا جهر من ظلم • وقيل هذا الاستثنا منقطع • ومعناه لكن المظلوم
يجوز ان يجهر بظلم الظالم • قال العلمآ لا يجوز اظهار احوال الناس المستورة المكنونة • لان ذلك
يصير سببا لوقوع الناس فى الغيبة • ووقوع ذلك الشخص فى الريبة • لكن من ظلم فيحور له اظهار
ظلمه • فيقول سرق منى او غصب • ونحو ذلك • وان شوتم جاز له ان يشتم مثله • ولا يزيد شيا
على ذلك • ويدل على ذلك ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم المستبان ما قالا فعلى البادى منهما • ما لم يعتد المظلوم • رواه مسلم • وقال ابن عباس
رضى الله عنهما لا يحب الله ان يدعوا احد على احد • الا ان يكون مظلوما • فانه قد ارخص له ان يدعو
على من ظلمه • وذلك قوله تعالى الا من ظلم • وان صبر فهو خير له • وقال الحسن البصرى هو الرجل
يظلم الرجل فلا يدع عليه • ولكن ليقل اللهم اعنى عليه • اللهم استخرج لى حقى • اللهم حل بينى وبين
ما يريد • ونحوه من الدعا • وقال السدى لا باس لمن ظلم ان ينتصر ممن ظلمه بمثل ظلمه ويجهر
له بالسوء من القول • وهذا القول مروى عن ابن عباس ايضا • وقال بعضهم انما الاية نزلت فى الضيف
اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكوا ما صنع به • وقال مجاهد هو الرجل
ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول اساء ضيافتى • وقال مقاتل نزلت الاية
فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه • وذلك ان رجلا نال منه والنبى صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه
ابو بكر مرارا ثم رد عليه • فقام النبى صلى الله عليه وسلم • فقال ابو بكر يا رسول الله شتمنى فلم تقل
له شيا حتى اذا رددت عليه قمت • قال صلى الله عليه وسلم ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت
عليه ذهب الملك وجا الشيطان فقمت • ونزلت هذه الاية • والله اعلم • والذى يقتضيه ظاهر
هذه الاية ان للمظلوم ان ينتصر من ظالمه • ولكن مع اقتصاد ان كان مومنا • فاما من
يقابل القذف بالقذف ونحوه فلا • وقد تقدم ذلك فى سورة البقره • واما اذا كان الظالم

كافرا فارسل لسانك وادع بما شئت من الهلكة وبكل دعا كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم
حيى كان نقب ويقول اللهم اشدد وطاتك على مضر واحطها عليهم سنين كسنى يوسف وقال
صلى الله عليهم وسلم اللهم عليك الملا من قريش اللهم عليك بابى جهل بن هشام ولقوله اللهم اشدد
وطاتك على مضر وقلان وقلان وجعل يسميهم وان كان الظالم مجاهرا بالظلم دعى عليه جهرا
ولم يكن له عرض محترم ولا بدن محترم ولا مال محترم وروى ان عائشة رضى الله عنها
سرق لها شئ فجعلت تدعوا على من سرقه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشقى عنه
اى لا تخفى عنه العقوبة بدعائك عليه وعن عمرو بن الشريد عن ابيه رضى الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى الواجد يحل عرضه وعقوبته اما عرضه فقوله مطلتنى
واما عقوبته فالحبس وقال ابن المبارك يحل عرضه اى يخلظ له وعقوبته حبسه وقال
صلى الله عليه وسلم مطل الغنى ظلم فالموسر المتمكن اذا طولب بالاداء ومطل ظلم وذلك يبيح من
عرضه ان يقال فيه فلان يمطل الناس ويحبس حقوقهم ويباح للامام ادبه وتعزيره
حتى يرتدع عن ذلك وحكى هذا المعنى عن سفين الثورى وهو معنى قول ابن المبارك رضى الله عنهما
قال العلما ولا يدخل فى هذا الباب ما وقع فى صحيح مسلم من قول العباس فى على رضى الله عنه
فى مجلس عمر بن الخطاب حضره عثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف يا امير المومنين اقض بينى
وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن الى آخر الحديث ولم يرد عليه واحد منهم لانها كانت
حكومة كل واحد منهما تعتقدها لنفسه حتى انفذ فيها عليهم عمر الواجب قال العلما
وهذا انما يكون فيما اذا استوت منازل المتخاصمين وتقاربت واما اذا تفاوتت فليس للمغوغا
ان يستطيلوا على الفضلا وانما يطلبون حقوقهم بمجرد الدعوى من غير تصريح بظلم ولا
غضب وهذا القول صحيح تدل عليه الاثار ووجه آخر وهو ان هذا القول الذى وقع
من العباس فى على رضى الله عنهما انما اخرجه الغضب وصولة سلطنة العمومة فان العم صنو
الاب ولا شك ان الاب اذا اطلق هذه الالفاظ على ولده انما يحمل ذلك منه على انه قصد
الاغلاظ والردع مبالغة فى ادبيه لا انه موصوف تلك الامور ثم انضاف الى هذا انهما
كانا فى محاجة ولاية دينية فكان العباس رضى الله عنه يعتقد ان مخالفته فيها لا تجوز

وان المخالفة فيها تودي الى ان تتصف المخالف بتلك الامور فاطلقها بتوارد الغضب على هذه
الاوجه ولما علم الحاضرون من الصحابة لم ينكروا عليه والله اعلم والى هذا اشار الماوردى
والقاضى عياض وغيرهما وقرا زيد بن اسلم وكان من العلما بالقران بالمدينة بعد محمد بن كعب
القرظى الامن ظَلَمَ بفتح الظا واللام وهى ايضا قراة ابن ابى اسحق والضحاك وابن عباس وابن جبير
وعطا بن السايب رضى الله عنهم ومعناها الامن ظَلَمَ فى قول او فعل فاجهر وا له بالسوء من القول
فى معنى النهى عن فعله والتوبيخ له والرد عليه ومعنى الاية على هذا الوجه لا يحب الله ان يقال
لمن باب من النفاق الستَ نافقتَ الامن ظَلَمَ اى اقام على النفاق ويدل على هذا قوله تعالى
الا الذين تابوا قال ابن زيد وذلك ان الله سبحانه لما اخبر عن المنافقين انهم فى الدرك الاسفل
من النار كان ذلك جهرا بسوء من القول ثم قال لهم سبحانه بعد ذلك ما يفعل الله بعذابكم على معنى
التانيس والاستدعا الى الشكر والايمان ثم قال سبحانه للمومنين لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول الامن ظَلَمَ فى اقامته على النفاق فانه يقال له الستَ المنافقَ الكافرَ الذى كان فى
الاخرة الدرك الاسفل ونحو هذا من القول وقال قوم معنى الكلام لا يحب الله ان يجهر احد
بالسوء من القول ثم استثنا سبحانه استثنا منقطعا بقوله الامن ظَلَمَ فانه يجهر بالسوء ظلما
وعدوانا وهو ظالم فى ذلك قال بعض المحققين وهذا شان كثير من الظلمة وذابهم فانهم
مع ظلمهم يستطيلون بالسنتهم وينالون من عرض مظلوميهم ما حُرم عليهم وقال ابو اسحق
الزجاج يجوز ان يكون المعنى الامن ظَلَمَ فقال سَوَاءً فانه سَيُعْفَى لكم ان تاخذوا على يديه ويكون
استثنا ليس من الاول ويدل على هذا القول احاديث كثيرة منها قول النبى صلى الله عليه وسلم
خذوا على ايدى سفهايكم وقوله انصر اخاك ظالما او مظلوما قالوا يا رسول الله هذا ينصره
مظلوما فكيف ينصره ظالما قال تكفه عن الظلم وكان الله سميعا يعنى لدعا المظلوم
عليما بما فى قلبه فليتق الله ولا يقول الا الحق قال العلما وفى هذا تحذير للظالم حتى لا
يَظْلِم وللمظلوم حتى لا يتعدى الحد فى الانتصار والله اعلم بمراده ثم انه تعالى اتبع هذا
بقوله العظيم ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فندب سبحانه الى العفو ورغب
فيه والعفو من صفة الله تعالى مع القدرة على الانتقام وقد تقدم فى سورة آل عمران فضل

العافين ففي هذه الالفاظ السيره معان كثره لمن تاملها وقل ان عفوت فالله تعالى يعفو
عنك وروى عبد الله بن المبارك قال حدثني من سمع الحسن يقول اذا جثت الامم بين يدي
رب العالمين يوم القيامة نودي الا ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفا في الدنيا ومصداق
هذا الحديث قول الله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله ان الله كان عفوا قديرا يعني لم يزل سبحانه
ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عن من ظلمكم واقتدوا بسنة ربكم عز وجل يعفو
عنكم يوم القيامة لانه اهل للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفا قديرا
على ايصال الثواب اليه قوله عز وجل ان الذين يكفرون بالله ورسله قال المفسرون لما
ذكر الله عز وجل المشركين والمنافقين ذكر في هذه الاية الكفار من اهل الكتاب اليهود والنصارى
لانهم كفروا بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن سبحانه ان الكفر بنبي محمد صلى الله عليه وسلم
كفر بجميع الانبيا لانه ما من نبي الا وقد امر امته بالايمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبجميع
الانبيا عليهم السلام قال بعضهم نزلت هذه الاية في اليهود وذلك انهم امنوا بموسى والتورية
وكفروا بعيسى والانجيل وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والقران وقيل نزلت في اليهود والنصارى
جميعا وذلك ان اليهود امنوا بموسى وكفروا بعيسى وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والنصارى
امنوا بعيسى وكفروا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله يعني ويريدون ان يفرقوا بين الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان بالله مع
التكذيب ببعض رسله وقد نص الله سبحانه على ان التفريق بين الله ورسله كفر لانه فرض على
الناس ان يعبدوه بما شرع لهم على السنة الرسل فاذا جحدوا الرسل فقد ردوا عليهم شرايعهم
ولم يقبلوها منهم فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي امروا بالتزامها فكان ذلك كجحد
الصانع سبحانه وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك الطاعة والعبودية وكذلك التفريق
بين رسل الله في الايمان بهم كفر لقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا يعني بين الايمان بالبعض دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه
ودينا يتدينون به وقال بعضهم يريدون ان يتخذوا بين الايمان والجحد طريقا اي دينا
مبتدعا بين الاسلام واليهودية اولئك يعني من هذه صفته هم الكافرون حقا يعني يقينا وهذا

ما كيد نزيل التوهم في ايمانهم حيث وصفهم بانهم يقولون نؤمن ببعض وان ذلك لا سفعهم اذا
كفروا برسوله واذا كفروا به عز وجل وكفروا بكل رسول بشر بذلك الرسول فقد صاروا
كافرين حقا وقال بعضهم ايضا انما قال تعالى هم الكافرون حقا ما كيدا لكفرهم لئلا يتوهم
متوهم ان الايمان ببعض الرسل نزيل اسم الكفر عنهم وليعلم ان الكفر ببعض الانبيا كالكفر بكلهم
لان الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المعجزة لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت
النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الانبيا فلزم الايمان بجميعهم واعتدنا اي وهيانا للكافرين
عذابا مهينا اي يهانون فيه قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اي والذين
بنبوة ح صدقوا بوحدانية الله تعالى وبجميع انبيايه وان جميع ما جاوا به حق وصدق ولم يفرقوا
بين احد منهم اي من الرسل بل امنوا بجميعهم وهم المومنون اولئك اي من هذه صفته سوف
نوتيهم اجورهم اي جزا ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله وكان الله غفورا رحيما اي انه
تعالى لما وعدهم بالثواب اخبرهم انه يتجاوز عن سيئاتهم ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب
للهود والنصارى في الايمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانهم اذا امنوا غفر لهم ما كان
منهم في حال الكفر قوله تعالى يسالك اهل الكتاب الاية اي يسالك يا محمد اهل الكتاب
وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا من اليهود قالا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب جملة واحدة من السما كما اتى موسى بالتوراة وقيل انهم
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السما مختصا بهم وقيل سالوه ان
ينزل عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان وكتابا الى فلان يشهد لك بانك رسول الله وكان
هذا السوال من اليهود سوال تعنت واقتراح لا سوال استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل
الايات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان
طلب الزيادة من باب التعنت وقوله تعالى فقد سالوا موسى اكبر من ذلك اي اعظم من الذي
سالوك يا محمد ففي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم سوال تعنت والمعنى لا تعظم عليك يا محمد مسالتهم ذلك فانهم من فرط جهلهم
واجترايهم على الله لو اتيتهم بكتاب من السما لما امنوا بك قال العلما وانما اسند السوال الى اليهود

[illegible] في زمن النبي صلى الله عليه وسلم واخص هذا السؤال من بين سائر الامم [illegible]
امام موسى عليه السلام [illegible] ومشاكلته لهم في الكفر
فقالوا [illegible] اللام ارنا الله جهرة حتى عيانا والمعنى ارنا نره
جهرة وذلك ان سبعين جلا من آبائهم خرجوا مع موسى الى جبل الطور فقالوا له ذلك وقد
قدمت القصة في سورة البقرة وسيذكر في سورة [illegible] فاخذتهم الصاعقة بظلمهم يعني
بسبب ظلمهم وسؤالهم الرؤية من غير امر من الله ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات يعني
ان الآيات التسع التي [illegible] وهي العصا واليد البيضاء [illegible] وتظليل الغمام
والمن والسلوى وغير ذلك من الآيات الباهرة فعفونا عن ذلك عن ذلك الذنب العظيم
فلم نستأصل عبدة العجل والتفضل عليهم [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هؤلاء
الذين طلبوا منك ما طلبوا [illegible] عليهم كتابا من السماء انما يطلبونه عنادا ومكابرة فاني قد
فعلت ذلك بآبائهم جملة واحدة على موسى وآتيته من المعجزات الباهرات والآيات البينات ما
فيه كفاية ثم انهم طلبوا الرؤية من غير دليل اقتضاه وعبدوا العجل فكذلك اسلافهم على جهلهم
وانهماكهم في اللجاج والعناد وفي قوله تعالى فعفونا عن ذلك دليل على ان التوبة
والمعنى انا اولئك الذين اجرموا هذا الجرم العظيم [illegible] فتوبوا انتم يغفر لكم وآتينا موسى
سلطانا مبينا حجة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي اعطاها الله عز وجل
لموسى عليه السلام [illegible] ما اقترحوه من الآيات على سبيل التعنت بل ليعلم
انه ليس في قوى البشر ان ياتوا بمثلها فقوله عز وجل ورفعنا فوقهم الطور وميثاقهم
معنى ورفعنا فوقهم الجبل [illegible] وميثاقهم طال العلماء وكان بنو اسرائيل
امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى اظلهم ليخافوا فلا يتمردوا
العهد والميثاق وقد تقدم بيان ذلك عند رفع الجبل فوقهم وقوله لهم ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا في سورة البقرة ٥
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا يعني قلنا لهم على لسان موسى وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا فخالفوا
ودخلوا وهم يزحفون على استاههم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت يعني وقلنا لهم لا تجاوزوا

من القول القبيح وقوله تعالى ولكن شبه لهم يعني القي شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب
واختلف العلماء رضي الله عنهم في صفة التشبيه الذي شبه على اليهود في امر عيسى عليه السلام
فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه رضي الله عنه انه قال اتى اليهود عيسى عليه السلام
ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم. فلما دخلوا عليهم صورهم الله عز وجل
كلهم على صورة عيسى. فقالوا لهم سحرتمونا واخذتم على اعيننا. واقسموا لتبرزن لنا عيسى
او لنقتلنكم جميعا. فقال عيسى عليه السلام لاصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة.
فقال رجل منهم انا. فخرج اليهم وقال انا عيسى. وقد صوره الله تعالى على صورة عيسى. فاخذوه
فقتلوه وصلبوه. فمن ثم شبه لهم. وظنوا انهم قد قتلوا عيسى. وظنت النصارى مثل ذلك.
ورفع الله عز وجل عيسى من يومه ذلك. وفي رواية اخرى عن وهب بن منبه ان عيسى عليه
السلام قال لاصحابه ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات. وليبيعني بدراهم
يسيرة. وليا كلن ثمني. فخرجوا وتفرقوا. وكانت اليهود تطلبه. فاخذ واشمعون احد
الحواريين. فقالوا هذا من اصحاب عيسى. فجحد. وقال ما انا بصاحبه. فتركوه. ثم اخذوا آخر.
فجحد كذلك. فلما اصبح اتى بعض الحواريين الى اليهود. وكان منافقا. فقال ما تجعلون لي ان
انا دللتكم على المسيح. فجعلوا له ثلاثين درهما. فدلهم عليه. فالقى الله تعالى شبه عيسى على ذلك المنافق
الذي دل عليه. فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام. وقال
قتادة ان اعدا الله اليهود زعموا انهم قتلوا عيسى وصلبوه. وذكر لنا ان نبي الله عيسى بن مريم
عليه السلام قال لاصحابه ايكم يلقى عليه شبهي وله الجنة. فانه مقتول. فقال رجل
منهم انا يا نبي الله. فاخذ ذلك الرجل فقتل وصلب. ورفع الله عيسى الى السما. وقتل
ان اليهود لعنهم الله حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه. فالقى الله شبه عيسى على
ذلك الرقيب. فاخذ فقتل وصلب. ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام في ذلك الوقت. قال
الطبري واولى الاقوال بالصواب ما ذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى عليه السلام
القي على جميع من كان مع عيسى في البيت حين احيط به وبهم من غير مسالة عيسى اياهم ذلك ليخزي
الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه اراده به من قتل وغيره.

مطلب تشبيه بين

وليبتلي به من اراد ابتلاءه من عباده • قال وكان ان يكون القى شبهه على بعض اصحابه بعد
ما تفرق عنه اصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام وبقي ذلك فاخذ وقتل وصلب وظن اصحابه
واليهود ان الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى عليه السلام وبقي ذلك فاخذ وقتل وصلب لما
راوا من شبهه به وخفي امر عيسى عليهم • وكان حقيقة ذلك الامر عند الله تعالى • فلذلك
قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه يعني في قتل عيسى
وهم اليهود لفي شك منه يعني من قتله • وذلك ان اليهود لما قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى
وكان قد القى الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا الى جسده فراوه غير
جسد عيسى • فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد غيره • فهذا هو اختلافهم فيه • وقال
ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه في البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه اليهم فالقى الله تعالى
شبه عيسى على ذلك الرجل فاخذ وقتل • ورفع الله عز وجل عيسى الى السما • وفقد واصاحبهم
فقالوا انه قد قتلنا المسيح فاين صاحبنا • وانما قتلنا صاحبنا فاين عيسى • فهذا هو اختلافهم
فيه • وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى • فبعضهم يقول ان القتل وقع على الناسوت
عيسى دون لاهوته • وبعضهم يقول وقع القتل على الناسوت واللاهوت جميعا • وبعضهم يقول
رايناه قتل • وبعضهم يقول رايناه رفع الى السما • فهذا هو اختلافهم فيه • قال الله تعالى
مخبرا عنهم ما لهم به من علم يعني انهم قتلوا من قتلوه على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك
المقتول هل هو عيسى ام غيره الا اتباع الظن يعني لكن يتبعون الظن في قتله ظنا منهم انه
عيسى • لا عن علم وحقيقه وما قتلوه يقينا قال ابن عباس رضي الله عنه يعني لم يقتلوا ظنهم
يقينا • فعلى هذا القول تكون الها في قتلوه عايدة على الظن • والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا •
ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه في قتله • وهذا كقول العرب قتلته علما •
وقتله يقينا • اذا علمه علما تاما • واصل ذلك ان القتل للشيء يكون عن قهر واستيلاء وغلبة •
ومعنى الاية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما كاملا تاما • انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم
يكن لذلك حقيقه • وقيل ان الها في قتلوه عايدة على عيسى • والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا
كما ادعوا انهم قتلوه • وقيل ان قوله تعالى بقسا يرجع الى ما بعده تقديره وما قتلوه •

بل رفعه الله اليه يقينا. والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله عز وجل رفعه
اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن اراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة
آل عمران بما فيه كفاية والله اعلم وقوله تعالى وكان الله عزيزا يعني في اقتداره على من
يشاء من عباده حكيما يعني في انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا
يعني منيعا منتقما من اليهود فسلط الله عليهم بيطيوس بن اسبسيانوس الرومي فقتل
منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوى الكاذبة
قوله تعالى وان من اهل الكتاب يعني وما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به يعني
بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهذا قول ابن عباس واكثر
المفسرين وقال عكرمة في قوله تعالى الا ليؤمنن به يعني بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وان
لم يجر له ذكر لان هذه الاقاصيص انزلت عليه والمقصود من ذلك الايمان به صلى الله عليه وسلم
والايمان بعيسى يتضمن الايمان بسيدنا محمد صلى الله عليهما وسلم اذ لا يجوز ان يفرق بينهم قال
بعضهم هذا القول لا وجه له لانه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الاية حتى يرجع
الضمير اليه وقول الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان عود الضمير اليه
اولى وقوله تعالى قبل موته اختلف المفسرون في في هذا الضمير الى من يرجع فقال
ابن عباس والحسن ومجاهد واكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابي والمعنى وما من احد
من اهل الكتاب الا من آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان عند الحشرجة
حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس رضي الله عنه معناه انه اذا وقع في اليأس حين لا ينفعه
ايمانه سواء احترق او تردى من شاهق او سقط عليه جدار او اكله سبع او مات فجأة
فقيل له ارأيت ان خر من فوق بيت قال يتكلم به في الهوا فقيل له ارأيت ان ضربت
عنقه قال يلجلج بها لسانه وقال شهر بن حوشب ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت
الملائكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فتقول امنت انه عبد الله
ورسوله وتقول ايضا للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول امنت انه
عبد الله فاهل الكتابين يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة

من اهل التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية ابن عباس ايضا ومعنى هذا
القول وما من احد من اهل الكتاب الا ليومنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من
السما في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتابين الا آمن بعيسى حتى يكون الملة واحدة
وهي ملة الاسلام قال عطا اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودي ولا نصراني واحد يعبد
غير الله الا آمن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن
مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد
زاد في رواية وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا
ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا
وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا
فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها
ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد رواه البخاري
ومسلم قال العلما ففي هذا الحديث دليل على ان عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان في هذه
الامة ويحكم بشريعة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا برسالة مستقلة
وشريعة ناسخة بل يكون حاكما من حكام هذه الامة واما ما زعمته لقول النبي صلى الله
عليه وسلم فيكسر الصليب يعني يكسر حقيقته ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك
قتله الخنزير وقوله ويضع الجزية يعني لا يقبلها ممن بذلها من اليهود والنصارى ولا
يقبل من احد الا الاسلام او القتل وعلى هذا يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع
اليوم فان الكتابي اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام
والجواب ان هذا الحكم الذي هو اليوم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل
نزول عيسى عليه السلام وقد اخبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ
هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ
وان عيسى عليه السلام يحكم بشريعة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان الامتناع من

الحضرة الغرغرة عند الموت

ونقل الواحدي وابن أبي حاتم عن مقاتل حالكانا الله تعالى حرم على أهل التوراة أشياء
الربا ونهاهم أن يأكلوا أموال الناس ظلما فأكلوا الربا وأكلوا أموال الناس بالباطل
وصدوا عن دين الله وعن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى أخذهم الربا وقد نهوا عنه
في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية قال الواحدي فلما وجب تحريم الطيبات
عليهم كيف ومتى كانوا على لسان من حرم عليهم فلم يجدوا شيئا إلى آخر ما قال
الواحدي فإن قيل فإن الله تعالى قال في موضع آخر وقد نهوا عنه
وقال في موضع آخر وأكلهم أموال الناس بالباطل فما وجه
قيل وجه ما ذكرناه الإجمال ثم التفصيل
بما ذكرنا وقال ابن عباس في رواية عطاء
وقتادة يحصلونه بطريق الرشى وهو المراد بقوله وأكلهم أموال الناس بالباطل وفي هذه
الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة كما هم مخاطبون بأصول الإيمان
فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم وأما العقوبة في الآخرة فهو المراد بقوله
وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما قال المفسرون أعد الله تعالى لهم لأنه تعالى علم أن قوما
منهم سيموتون كافرين من العذاب قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم
اليهود وهذا استثناء أستثنى الله عز وجل مؤمني أهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم
في الآيات التي نعتهم فيها سبحانه فيما تقدم حال كفار اليهود وأجمالهم
حال من هداه الله منهم وأرشده للحق علما وعملا فقال تعالى لكن الراسخون في العلم
معنى الاستدراك والاستثناء والراسخون في العلم هم الثابتون في العلم المبالغون فيه من أولوا
الحجا والثاقبة والعقول الصافية وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل

الكتاب لانهم رسخوا فى العلم وعرفوا حقيقته فاوصلهم ذلك الى الايمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمومنون يعنى بالله ورسله ومومنون بما انزل اليك يعنى بالقران الذى انزل اليك ومما انزل من قبلك يعنى ومومنون بسائر الكتب التى انزلها الله على انبيائه من قبلك يا محمد وفى المراد بالمومنين ها هنا قولان احدهما انهم اهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون فى العلم منهم وهم المومنون والقول الثانى انهم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمومنون ابتداء كلام مستانف ومومنون بما انزل اليك يعنى انهم يصدقون بالقران الذى انزل اليك يا محمد ومما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة اختلف العلماء فى وجه نصب المقيمين فحكى عن عائشة وابان بن عثمان انه غلط من الكتاب ينبغى ان يكتب والمقيمون الصلاة وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه ان فى المصحف لحنا ستقيمه العرب بالسنتها فقيل له الا نغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطا من كاتب ولا غيره واجيب عما روى عن عثمان وعائشة وابان بن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القران هم اهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون فى كتاب الله تعالى لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغى ان نسىء هذا اليهم قال ابن الانبارى ما روى عن عثمان رضى الله عنه لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يوخر عثمان شيا فاسدا ليصلحه غيره ولان القران العظيم منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشرى فى الكشاف ولا تلتفت الى ما زعموا انه من وقوعه لحنا فى خط المصحف وربما الفت اليه من لم ينظر فى الكتاب يعنى كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب ومالهم فى النصب على الاختصاص والمدح من الافنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على امثلة وشواهد وربما عنى عليه ان السابقين الاولين كانوا ابعد همة فى الغيرة على الاسلام وذب الطاعن عنه من ان يتركوا فى كتاب الله عز وجل ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرقعه من يلحق بهم ثم اختلف العلماء فى المقيمين الصلاة امم الراسخون فى العلم ام غيرهم على قولين احدهما انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم الموتون الزكاة قالوا والعرب تفعل ذلك فى صفة

الشئ الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح او ذم فربما خالفوا بين اعراب اوله واوسطه احيانا
ثم رجعوا بآخره الى اعراب اوله وربما اجروا اعراب اخره على اعراب اوسطه وربما اجروا
ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على معنى الآية بقول الشاعر

سيدهم وكل قوم اطاعوا امر مرشدهم ... الا نميرا اطاعت امر غاويها ...
الطاعنين ولما يطعنوا احدا ... والقائلون لمن دار نخليها ...

وقال آخر

لا يبعدن قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر ...
النازلين بكل معترك ... والطيبون معاقد الازر ...

وهذا على معنى اذكر الناذلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى تقول جاءني قومك المطعمين
وهم المعينون والقول الثاني ان المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع والمقيمين
الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما انزل اليك ومما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة
وهم الانبيآء لانه لم يخل شرع احد منهم من اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملايكة لانهم يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح الطبري القول الثاني
واختاره والله اعلم وقوله تعالى والمؤتون الزكوة عطف على والمومنون لانه من صفتهم ۝
والمومنون بالله واليوم الآخر يعني والمصدقون بوحدانيه الله تعالى وبالبعث بعد الموت
وبالثواب والعقاب اولئك يعني من هذه الاوصاف صفته سنؤتيهم اجرا عظيما يعني سنعطيهم على
ما كان منهم من طاعة الله عز وجل واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة قوله عز وجل
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده قال المفسرون هذا متصل بقوله
تعالى يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما فاعلم الله تعالى ان امر نبيه نسد يا محمد صلى
الله عليه وسلم كامر من يقدمه من الانبيآء وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الاية نزلت
في قوم من اليهود منهم سكين وعدي بن زيد قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لما سمعوا هذه الاية
يا محمد ما نعلم ان الله انزل على بشر من شئ ولا اوحى الى احد بعد موسى فاكذبهم الله عز وجل وانزل
هولآء الايات وقيل هذا جواب لاهل الكتاب عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل

عليهم كتابا من السما جملة واحدة • فاجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الآية فقال انا
اوحينا اليك يا محمد كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده • والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون
بنبوة نوح وجميع الانبيا المذكورين في هذه الاية وهم اثنا عشر نبيا • والمعنى ان الله تعالى
اوحى الى هولا الانبيا وانتم يا معشر اليهود معترفون بذلك • وما انزل الله على احد من هولا
المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما انزل على موسى • فلما لم يكن عدم انزال كتاب جملة
واحدة على احد هولا الانبيا قادحا في نبوته فكذلك لم يكن انزال القران على سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته • بل قد انزل عليه كما انزل عليهم • قال المفسرون
وانما بدا الله سبحانه بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي بعث بشريعة • واول نذير على الشرك •
وقال بعضهم لانه اول من ينشق عنه الارض يوم القيامة بعد سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه
وسلم • وقيل لان مقامه مقام الشكر • وانزل الله عليه عشر صحائف • وكان اول من عذبت
امته لردهم دعوته • واهلك اهل الارض بدعائه • وكان عليه السلام ابا البشر بعد آدم عليه السلام •
وكان طول الانبيا عمرا عاش الف سنة لم ينقص قوته ولم يشب ولم يسقط له سن • وصبر
على اذى قومه طول عمره • وقال بعضهم انما قدم الله نوحا لانه اول نبي شرعت على لسانه
الشرايع • وروى هشام بن محمد عن ابيه قال اول نبي بعثه الله تعالى نوح بن لمك بن متوشلخ
ابن اخنوخ • وقد كان سام بن نوح نبيا • ثم انقطعت الرسل الى ان بعث الله ابرهيم عليه السلام
واتخذه خليلا • وهو ابرهيم بن تارح واسم تارح آزر • ثم بعث اسمعيل بن ابرهيم ومات بمكة
ثم اسحق بن ابرهيم ومات بالشام ثم لوط بن هاران وهاران هو اخو ابرهيم ثم صالح بن اسف
ثم موسى وهرون ابنا عمران ثم ايوب ثم الخضر واسمه حضرون ثم داود بن ايشا ثم سليمان
ابن داود ثم يونس بن متى ثم الياس بن يشير ثم ذو الكفل واسمه عزيدنا وهو من سبط
يهوذا ابن يعقوب • قال وبين موسى بن عمران ومريم بنت عمران ام عيسى الف سنة وسبعماية
سنة الى ان انتهب النبوة الى سيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم اجمعين • قال الزجاج بن بكار كل نبي ذكر
في القران فهو من ولد ابرهيم الاخمسة ادريس ونوح ولوط وهود وصالح عليهم السلام •
ولم يكن من العرب انبيا الا خمسة هود وصالح واسمعيل وشعيب وسيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم

اجمعين • وانما سموا عربا لانه لم يتكلم بالعربية غيرهم • ثم ان الله تعالى ذكر الانبياء من بعد نوح جملة بقوله والنبيين من بعده • ثم خص سبحانه جماعة من الانبياء بالذكر لفضلهم وشرفهم فقال تعالى واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر ولدا وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا يعني وانشا داود كتابا مزبورا يعني مكتوبا • وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي انزل على داود عليه السلام • وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام • بل كلها تسبيح وتقديس وتمجيد وثنا على الله عز وجل وحكم ومواعظ • وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرا الزبور • ويقوم على بني اسرايل خلفه • ويقوم الناس خلف العلماء • ويقوم الجن خلف الناس • والشياطين خلف الجن • وتجيء الوحوش والدواب التي في الجبال فتقف بين يديه • وترفرف الطير على رؤس الناس يستمعون لقراءة داود فيعجبون منها • فلما قارف الذنب زال عنه ذلك • وقيل له كانت ذلك انس الطاعة وهذا ذل المعصية • وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رايتني البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير آل داود • قال الحميدي زاد البرقاني فلت والله يا رسول الله لو علمت انك تستمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيرا • التحبير تحسين الصوت بالقراءة • قال بعض العلماء انما لم يذكر الله تعالى موسى في هذه الاية لانه انزل عليه التوراة جملة واحدة • وكان المقصود بذكر من ذكر من الانبياء في الآية انهم ينزل على احد منهم كتابا جملة واحدة • فلهذا لم يذكر موسى عليه السلام • وقراءة الجمهور وانشا داود زبورا بفتح الزاي • وقرا حمزة زبورا بضم الزاي جمع زبر كقفل وقفول • وزبر بمعنى المزبور • كما يقال هذا الدرهم ضرب الامير بلفظ المصدر • والاصل في الكلمة التوثق • ويقال بير مزبورة اي مطوية بالحجارة • ويسمى الكتاب زبورا لقوة الوثيقة به • وكان داود عليه السلام حسن الصوت كما قدمنا • فاذا شرع في قراءة الزبور اجتمع اليه الانس والجن والطير والوحش لحسن صوته • وكان عليه السلام متواضعا ولا ياكل الا من عمل يده • وروى ابو بكر بن ابي شيبة قال حدثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه • قال ان داود عليه السلام كان يخطب الناس وفي يده

القُفّة من الخوص. فاذا فرغ ناولها الى بعض من الى جنبه ببيعها. وكان يصنع الدروع. على ما سنذكره ان شاء الله. وفى الحديث الزرقة فى العين يُمن. وكان داود عليه السلام ازرق العين. قوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل قال العلما لما نزلت هذه الاية قالت اليهود ما لموسى لم يذكر. فانزل الله عز وجل هذه الاية وفيها ذكر موسى عليه السلام. والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل. يعنى سميناهم فى القران وعرفناك اخبارهم والى من بعثوا وما رُد عليهم قومهم ورسلا لم نقصصهم عليك اى لم نسمهم لك ولم نعرفك اخبارهم. قال اهل المعانى الذين نوه الله بذكرهم من الانبيآ يدل على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسمّ وكلم الله موسى تكليما يعنى خاطبه مخاطبة من غير واسطة. لان تاكيد كَلَّمَ بالمصدر يدل على تحقق الكلام. وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك. لان افعال المجاز لا تؤكد بالمصادر. فلا يقال اراد الحايط يسقط ارادةً. وهذا قولُ من ردّ هم يقول ان الله تعالى خلق كلاما فى محل فسمع موسى ذلك الكلام. وقال بعض اهل اللغة اجمع النحويون على انك اذا اكدت الفعل بالمصدر لم يكن مجازا. وانه لا يجوز فى قول الشاعر امتلا الحوض وقال قطنى ان يقول قال قولا. فكذلك لما قال تعالى تكليما وجب ان يكون كلاما على الحقيقة من الكلام الذى يفعل. وقال الفرا ايضا العرب تسمى كل ما يوصل الى الانسان كلاما باى طريق وصل. لكنى لا تحققه بالمصدر. فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام. فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة. وروى الطبرى بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار. قال لما كلم الله عز وجل موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه. يعنى كلام موسى بلسانه. فجعل موسى يقول يا رب لا افهم حتى كلمه بلسانه آخر الالسنة. فقال يا رب هكذا كلامك. قال تعالى يا موسى لو سمعت كلامى. يعنى على وجهه لم تك شيا. قال موسى يا رب هل فى خلقك شى يشبه كلامك. قال فلا. واقرب خلقى شبها بكلامى اشد ما يسمع الناس من الصواعق. قال بعض العلما كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا فى نبوة غيره من الانبيا. فكذلك انزال التورية عليه جملة واحدة لم يكن قادحا فى نبوة من انزل عليه كتابه متفرقا من الانبيا.

وقال وهب بن منبه ان موسى عليه السلام قال يارب لم اتخذ نبيا كليما فقال الله تعالى اتذكر اذ
ندمت على غنمك جدى فاتبعته اكثر النهار وانعبك ثم اخذته وقبلته وضممته الى صدرك
وقلت له انعبتنى وانعبت نفسك ولم يغضب علىه من اجل ذلك اتخذتك كليما قوله
تعالى رسلا مبشرين ومنذرين يعنى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
ومن اولئك النبيين رسلا الى خلقى مبشرين من اطاعنى واتبع امرى وصدق رسلى بالثواب الجزيل
فى الجنة ومنذرين من عصانى وخالف امرى وكذب رسلى بالعذاب الاليم فى النار وقيل هو
جواب عن سوال اليهود انزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسل هو ارشاد
الخلق الى معرفة الله تعالى وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من خالف ذلك
وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا
اولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم يكن تعرف شيا من العبادات
ولم تالفها فاذا نزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل فى بعض نفوس
العباد نفور من تلك التكاليف وثقل عليهم كما اخبر عن قوم موسى بقوله تعالى وادنقنا
الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم
يقبلوا احكام التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال الكتاب نجوما متفرقة اولى
والله اعلم وروى عن كعب الاحبار رضى الله عنه انه قال كان الانبيا عليهم السلام الفا الف
الف وقال مقاتل كان الانبيا الف الف واربع مائة الف واربعا وعشرين الفا وروى
انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت على اثر ثمانية الاف من
الانبيا منهم اربعة الاف من بنى اسرائيل رواه السمرقندى فى تفسيره ثم اسند عن سعيد
عن ابى اسحق عن الحارث الاعور عن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه قال قلت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يا رسول الله كم الانبيا وكم المرسلون قال كانت الانبيا مائة الف نبى واربع وعشرون
الف نبى وكان المرسلون بلاثمائة وبلاثة عشر وهذا اصح ما روى فى ذلك خرجه الاجرى
وابو حاتم البستى فى المسند الصحيح له والله اعلم وقوله تعالى ليلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل يعنى بعد ارسال الرسل وانزال الكتب والمعنى ليلا يحتج الناس على الله فى ترك التوحيد

مطلب ٥ د ٢

قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا
منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الايات ثم انظر
انى يؤفكون وقال عزير ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم
بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون وقال عزير ابن الله وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل
قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون وقالت طائفة من العلماء ان النصارى يقولون
ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس
وانه ظهر ويظهر باقنوم الاب واقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة
فيه فلذلك صاروا عندهم الاها ثلاثة وقد قال الله تعالى في كتابه ثم انتم هؤلاء
تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان
يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب
وما الله بغافل عما تعملون فاخبر ان الذي يفعل ذلك يستحق الخزي في الدنيا
ليعلم بذلك وسائر الامة صورة التوبة ان شاء الله تعالى وقال بعض المفسرين يحتمل
ان يكون المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فاخبر غلوا في امر عيسى عليه السلام
اليهود فكفروا به وغلوا في السقوط في امه حتى قذفوها من اجل ذلك بما برأها الله
منه وغلت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فعاب الله امرهم
ردا عليهم جميعا ما اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم واصل الغلو مجاوزة الحد وهو من الدين
حرام ومنه ايضا غلاء السعر يغلو غلاء وقال غلا الجرح الامر غلوا وعن ابن عباس
بذلك غلو اليهود والنصارى في عيسى كما قدمناه ولذلك قال معروف بن عبد الله الحسنة بين السيئتين
وقال الشاعر

واوف ولا تشتوف حقك كله ۞ وصافح فلم يستوف قط كريم ۞
ولا تغل في شئ من الامر واقتصد ۞ كلا طرفي قصد الامور ذميم ۞

وقال آخر

علیک باوساط الامور فانها ٭ نجاۃ ولا ترکب ذلولا ولا صعبا ٭

وفی صحیح البخاری عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم انہ قال لا تطرونی کما اطرت النصاری عیسی قولوا عبد اللہ ورسولہ ٭ فذلک قولہ تعالی یا اھل الکتاب لا تغلوا فی دینکم ولا تقولوا علی اللہ الا الحق یعنی لا تقولوا ان لہ شریکا وولدا ٭ وقیل معناہ لا تضفوھا الحلول والاتحاد فی بدن الانسان ٭ وتنزھوا اللہ عن ذلک ٭ ولما منعھم اللہ من الغلو فی دینھم ارشدھم الی طریق الحق فی امر عیسی علیہ اللام ٭ فقال تعالی انما المسیح عیسی بن مریم رسول اللہ تقول تعالی انما المسیح ھو عیسی بن مریم لیس لہ نسب غیر ھذا ٭ وانہ رسول اللہ فمن زعم غیر ھذا فقد کفر واشرک وکلمتہ قال العلماء ھی قولہ تعالی کن فکان بشرا من غیر اب ولا واسطۃ القاھا الی مریم یعنی اوصلھا الی مریم ٭ قال العلماء ان اللہ تعالی لم یذکر امراۃ وسماھا باسمھا فی کتابہ العزیز الا مریم ابنۃ عمران فانہ تعالی ذکرھا فی نحو من ثلاثین موضعا ٭ لحکمۃ ذکرھا بعض الاشیاخ ٭ وذلک لان الملوک والاشراف لا یذکرون حرائرھم فی ملا ولا یبتذلون اسماھن ٭ بل یکنون عن الزوجۃ بالعرس والاھل والعیال ونحو ذلک ٭ واذا ذکروا الاماء لم یکنوا عنھن ٭ ولم یصونوا اسماھن عن الذکر والتصریح بھا ٭ فلما قالت النصاری فی مریم ما قالت وفی ابنھا صرح اللہ تعالی باسمھا ولم یکن عنھا الا مرۃ واحدۃ ٭ واجری الکلام علی عادۃ العرب فی ذکر امائھا ٭ واللہ اعلم ٭ قال العلماء واعتقاد ان عیسی علیہ السلام لا اب لہ واجب ٭ فاذا تکرر ذکرہ منسوبا للام استشعرت القلوب ما یجب علیھا اعتقادہ من نفی الاب عنہ وتنزیہ الام الطاھرۃ عن مقالۃ الیھود لعنھم اللہ ٭ وقولہ تعالی وروح منہ یعنی انہ کسایر الارواح التی خلقھا اللہ ٭ وانما اضافہ الی نفسہ علی سبیل التشریف والتکریم ٭ کما تقال بیت اللہ وناقۃ اللہ ٭ وھذہ نعمۃ من اللہ تعالی یعنی انہ ھو تفضل بھا ٭ وقیل الروح ھو الذی نفخ جبریل علیہ السلام فی جیب درع مریم فحملت باذن اللہ ٭ قال بعضھم وسمی النفخ روحا لانہ ریح یخرج من الروح ٭ وقال السدی وروح منہ ای مخلوق منہ ای من عندہ ٭ وقیل وروح منہ ای رحمۃ منہ ٭ وقال ابو عبیدہ معناہ انہ کان انسانا باحیاء اللہ ایاہ ٭ وعنا بالروح الوحی اوحی الی مریم بالبشارۃ ٭ واوحی الی جبریل

بالنفخ • واوحي الى عيسى ان كن فكان • وقيل الروح الذى يحيا به الجسد • وانما اضافه الى نفسه
بقوله منه لانه وجد بامر الله • وقال بعض المفسرين ان الله تعالى لما خلق ارواح البشر جعلها
فى صلب ادم عليه السلام • وامسك عنده روح عيسى • فلما اراد ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل
الى مريم فنفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام • وقيل ان الروح والريح متقاربان
فى كلام العرب • فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام • وقوله منه يعنى ان ذلك النفخ كان
بامره واذنه • وقيل ادخل النكرة فى قوله وروح على سبيل التعظيم • والمعنى روح واى
روح من الارواح الشريفة القدسية العلية المطهرة • وقوله منه اضافة لتلك الروح
الى نفسه لاجل الشرف والكرم • وخرج البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق ادخله والنار
الله الجنة على ما كان من العمل • وقوله تعالى فآمنوا بالله ورسله يعنى فصدقوا يا اهل
الكتاب بوحدانيه الله تعالى وانه لا ولد له • وصدقوا رسله فيما جاءكم به من عند الله • وصدقوا
بان عيسى عليه السلام من رسل الله فامنوا به ولا تجعلوه الها • وهو قوله تعالى ولا تقولوا
ثلاثة يعنى ولا تقولوا الاله ثلاثة • وذلك ان النصارى يقولون اب • وابن • وروح القدس •
وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة اقانيم • وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفا بصفات
ثلاثة • بدليل انهم يخبرون على تلك الذات الحلول فى عيسى وفى مريم • فاثبتوا ذواتا متعددة
ثلاثة • وهذا هو محض الكفر • فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة • قال العلماء والنصارى
مع فرقهم مجمعون على التثليث • ويقولون ان الله تعالى جوهر واحد • وله ثلاثة اقانيم • فيجعلون
كل اقنوم الها • ويعنون بالاقانيم الوجود • والحياة • والعلم • كما قدمنا اولا • وربما يعبرون
عن الاقانيم بالاب والابن وروح القدس • فيعنون بالاب الوجود • وبالروح الحياة •
وبالابن المسيح • ولهم فيه تخبيط بيانه فى اصول الدين • ومحصول كلامهم يرجع الى التمسك
بان عيسى اله • وذلك بما كان الله تعالى يجريه على يديه من خوارق العادات على حسب دعاويه
وارادته • وقالوا قد علمنا خروج هذه الامور عن مقدور البشر فينبغى ان يكون المقتدر

والنار ه

عليها موصوفا بالالهية. فنقال لهم لو كان ذلك من مقدوراته وكان مستقلا به لكان
تخليص نفسه من اعدايه ودفع شرهم عنه من مقدوراته وليس كذلك. فان اعترفت
النصارى بذلك فقد سقط قولهم ودعواهم ان عيسى كان يفعلها مستقلا بنفسه. وان
لم يسلموا ذلك فلا حجة لهم ايضا لانهم معارضون بموسى عليه السلام. وما كان يجرى على
يديه من الامور العظام. مثل قلب العصا ثعبانا. وفلق البحر. واليد البيضا. والمن والسلوى.
وغير ذلك. وكذلك ما جرى على ايدى الانبيا عليهم السلام من المعجزات وخوارق العادات.
فان انكروا ذلك فنذكر ما يدعونه ايضا من ظهوره على يد عيسى عليه السلام. فلا يمكنهم
اثبات شى من ذلك لعيسى. فان طريق اثباته عندنا نصوص القران. وهم ينكرون القران
ويكذبون من اتى به. فلا يمكنهم اثبات ذلك باخبار التواتر ٥ وقد قيل ان
النصارى كانوا على دين الاسلام احدى وثمانين سنة بعد ما رفع عيسى الى السما يصلون
الى القبلة ويصومون شهر رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب. وكان فى اليهود
رجل شجاع يقال له بولس فقتل جماعة من اصحاب عيسى عليه السلام. فقال ان كان الحق
مع عيسى فقد كفرنا وجحدنا ومصيرنا النار. ونحن نعتقد ان دخلوا الجنة ودخلنا
النار. وانى احتال فيهم فاضلهم فيدخلوا النار. وكان له فرس يقال له العقاب. فجا
الى النصارى واظهر لهم الندامة. ووضع التراب على راسه. وقال لهم انا بولس عدوكم.
وقد تودت من السما ان لست لكم توبة الا ان تنصروا. قالوا فادخلوه فى بيت فى الكنيسة.
فاقام فيه سنة لا يخرج ليلا ولا نهارا حتى تعلم الانجيل. ثم خرج عليهم بعد السنة وقال
لهم انى تودت من السما ان الله قد قبل توبتك. فصدقوه بذلك. واحبوه محبة شديدة.
ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليه نسطور. واعلمه ان عيسى بن مريم هو الاله. ثم يوجه
الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت. وقال لم يكن عيسى بانس قياس ولا جسم فيجسم
ولكنه ابن الله. وعلم ذلك لرجل يقال له يعقوب. ثم دعا رجلا اخر يقال له الملك. وقال
له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى. فلما استمكن منهم دعاهم الى الاله واحدا واحدا. وقال
له انت خالصتى. ولقد رايت المسيح فى النور ورضى عنى. وقال لكل واحد منهم انى غدا

اذبح نفسی واتقرب بها فادع الناس الی نحلتک ثم دخل المذبح فذبح نفسه فلما کان
یوم بالشه دعا کل واحد منهم الناس الی نحلته فتبع کل واحد منهم طائفة فاقتتلوا
واختلفوا الی یومنا هذا فجمیع النصاری من الفرق الثلاث فهذا کان سبب شرکهم
فیما یقال والله اعلم وقد روت هذه القصة فی تفسیر قول الله تعالی والقینا بینهم العداوة
والبغضاء الی یوم القیامة وسیأتی بیانها ان شاء الله تعالی ثم قال عز وجل انتهوا خیرا لکم
یعنی یکن الانتهاء عن هذا القول خیرا لکم من القول بالتثلیث ثم نزه الله تعالی نفسه عن الولد
فقول النصاری بالتثلیث فقال تعالی انما الله اله واحد ثم نزه نفسه عن الولد
فقال سبحانه انی یکون له ولد یعنی لا ینبغی ان یکون له ولد لان الولد جزء من الاب ویتعالی
الله عن التجزیة وعن صفات الحدوث له ما فی السموات وما فی الارض یعنی انه تعالی له ملک
السموات والارض وما فیهما عبیده وملکه وعیسی ومریم من جملة من فیهما فهما عبیده
وملکه واذا کانا عبدین له فکیف یعقل مع هذا ان له ولدا او زوجة تعالی الله عن ذلک
علوا کبیرا وهذا بیان لتنزیهه عما نسب الیه من الولد والمعنی ان جمیع ما فی السموات
والارض خلقه وملکه فکیف یکون بعض ملکه جزءا منه لان التجزیة انما تقع فی الاجسام
والله تعالی متعال منزه عن صفات الاجسام والاعراض وکفی بالله وکیلا یعنی انه تعالی کاف
فی تدبیر جمیع خلقه فلا حاجة له الی غیره وکل الخلق محتاجون الیه وفقراء الیه وهو غنی
عنهم قوله تعالی لن یستنکف المسیح ان یکون عبدا لله قال العلماء وذلک ان وفد نجران
قالوا للنبی صلی الله علیه وسلم یا محمد انک تعیب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبی صلی الله
علیه وسلم انه لیس بعار علی عیسی ان یکون عبد الله فنزلت لن یستنکف المسیح یعنی لن یأنف
ولن یستعظم ان یکون عبد الله والاستنکاف الاستکبار مع الانفة یقال نکفت من کذا
واستنکفت منه ای انفت منه واصله من نکفت الشی اذا نحیته باصبعک من خدک
ومنه الحدیث ما نکف العرق عن جبینه ای ما سقط ومنه ایضا الحدیث الاخر جاء جیش
لا نکف آخره ای لا سقط آخره وقیل هو من النکف وهو العیب یقال ما علی فلان
فی هذا الامر نکف ای عیب والمعنی لن یمتنع المسیح ولن یتنزه من العبودیه ولن ینقطع عنها

ولا وکف

ولا عیسی

ولن يعيبها **ولا الملائكة المقربون** يعنى ولن يستنكف الملائكه المقربون وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل الملايكه مثل جبريل ومنكائيل واسرافيل وعزرائيل ان يكونوا عبيدا لله لانهم فى ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى فى عيسى انه ابن الله وذلك لما رأوا منه خوارق العادات من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهة التى وقعت للنصارى بان عيسى مع شرف قدره وكرامته لن يستنكف ان يكون عبدا لله وكذلك الملائكه المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيدا لله وقد يستدل بهذه الاية من يقول بتفضيل الملائكه على البشر ووجه الدليل ان الله تعالى ارتقى من ذكر عيسى الى ذكر الملائكه ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة لهم فيه والجواب عنه ان الله تعالى لم ينقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قاله ردا على من يقول ان الملائكه بنات الله او انهم الهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح ابن الله وقاله ايضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكه يعنى كما ان المسيح عبد الله فكذلك الملائكه عبيد الله وقوله تعالى **ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر** يعنى ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل له والخضوع بالطاعة من جميع خلقه **فسيحشرهم اليه جميعا** يعنى فسيبعثهم يوم القيامة لموعدهم الذى وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيأ **فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم** يعنى يوفيهم جزاء اعمالهم الصالحة **ويزيدهم من فضله** يعنى ويزيدهم على ما اعطاهم من الثواب على اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **واما الذين استنكفوا واستكبروا** يعنى الذين انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى **فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله** يعنى من سوى الله لانفسهم **وليا** يعنى يحميهم من عذابه **ولا نصيرا** يعنى ولا ناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته بقى فى الاية سؤال وهو ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين امنوا فيوفيهم اجورهم واما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر والجواب

انه لا اشكال فيه • فهو كقولك جمع الامام الخوارج • فمن لم يخرج عليه كساه وحمله
ومن خرج عليه نكل به • وصحة ذلك من وجهين • احدهما انما حذف ذكر احد
الفريقين لدلالة التفصيل عليه • لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني • والوجه الثاني
ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم • فكان داخلا في جملة السكيل بهم • فكانه قال ومن
سيكف عن عبادته ويستكبر فسنعذبهم بالحسرة والغم اذا راوا اجر المطيعين العاملين
لله تعالى • قوله عز وجل يا ايها الناس هذا خطاب للكافة قد جاءكم برهان من ربكم
يعني سيد يا محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه عز وجل • وانما سماه
برهانا لما معه من المعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه • ولان البرهان دليل على اقامة
الحق وابطال الباطل • والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك • ولان الله تعالى جعله حجة قاطعة
قطع به عذر جميع الخلائق وانزلنا اليكم نورا مبينا يعني القرآن العظيم • وانما سماه نورا
لان به تبين الاحكام كما تبين الاشياء بالنور بعد الظلام • وانه سبب لوقوع نور الايمان في
القلب فسماه نورا لهذا المعنى فاما الذين امنوا بالله يعني صدقوا بوحدانيته الله وبما ارسل
من رسول وانزل من كتاب واعتصموا به يعني بالله تعالى في ان تثبتهم على الايمان • وتصونهم عن
نزغ الشيطان • وقيل في معنى واعتصموا به اي وتمسكوا بالنور • وهو القرآن الذي انزله على
سيد يا محمد صلى الله عليه وسلم • ويدل على ذلك ما روى عن ابي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اليس تشهدون ان لا اله الا الله وانني رسول الله • قالوا بلى
قال ان هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده
ابدا • وعن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
مرعوب فقال اطعموني مما كتب بين اظهركم • وعليكم بكتاب الله احلوا حلاله وحرموا حرامه ٥
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ان هذا القرآن شافع مشفع • من اتبعه قاده الى الجنة
ومن تركه او اعرض عنه او كلمة نحوها زج في قفاه الى النار ٥ وقوله تعالى فسيدخلهم
في رحمة منه وفضل يعني فسيدخلهم في رحمته التي يحييهم بها من اليم عذابه • قال ابن عباس
رضي الله عنه الرحمة هي الجنة • والفضل ما تفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رات

ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويهديهم اليه صراطا مستقيما يعني ويوفقهم لاصابة
الذي تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته ويرشدهم لدينه
الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم
في الكلالة الآخر قال البراء بن عازب رضي الله عنه هذه آخر آية نزلت من القرآن هكذا
رواه مسلم وفي ذلك خلاف قدم في النساء وسنذكره ايضا وقيل ان هذه الآية نزلت والنبي
صلى الله عليه وسلم بمنى بحجة الوداع ونزلت في جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما
قال مسلم في الصحيح وروى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال مرضت فاتاني رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر يعودانني ماشيين فاغمي علي فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم
وصب علي من وضوئه فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت كيف اصنع
في مالي كيف اقضي في مالي فلم يرد علي شيئا حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم
في الكلالة وفي رواية فقلت يا رسول الله انما يرثني كلالة فنزلت آية الميراث قال
شعبة فقلت لمحمد فالكلالة قال ان يفتيكم في الكلالة قال هكذا انزلت
وفي رواية الترمذي وكان لي تسع اخوات حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم
في الكلالة ولابي داود قال اشتكيت وعندي سبع اخوات فدخل علي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنضح في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصي لاخواتي بالثلث قال
احسن قلت بالشطر قال احسن ثم خرج وتركني فقال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا
وان الله تعالى قد انزل فبين الذي لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر رضي الله عنه
يقول انزلت هذه الآية فيَّ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وروى البيهقي عن
قتادة قال اصحاب رضي الله عنهم اعلمهم شأن الكلالة فسألوا عنها ابني الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل هذه الآية وروى عن ابن سيرين قال قولت يستفتونك قل الله يفتيكم
في الكلالة طلق رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره والى جنبه حذيفة بن اليمان فمكث ما شاء
الله عليه وسلم حذيفة وبكى فقال حذيفة عمر بن الخطاب وهو سير خلفه فلما استخلف
عمر سأل حذيفة عنها ورجا ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك

لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملني ان احدثك فيما لم احدثك يومئذ قال عمر لم
أرد هذا رحمك الله. واما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعني يسألونك ويستخبرونك
عن معنى الكلالة يا محمد. قل الله يفتيكم في الكلالة. يعني ان الله تعالى هو يخبركم عما سألتم عنه من
امر الكلالة. وقد تقدم في اول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره.
وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث. فان وقع على الوارث فهو من لا ولد له
والولد. وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه احد الا بنوة ولا احد الا ولاده.
وقوله تعالى ان امرؤ هلك يعني مات. سمي سبحانه الموت هلاكا لانه اعدام في الحقيقة
ليس له ولد يعني ولا والد. فاكتفى بذكر احدهما من الاخر. ويدل على هذا ان السؤال
عن الفتيا انما كان في الكلالة. وقد تقدم ان الكلالة من لا ولد له ولا والد. وله
وله اخت يعني ولذلك الهالك اخت. واراد سبحانه بالاخت من ابيه وامه او من ابيه
نصف ما ترك يعني فللاخت المنفردة بالميت عند تركته وهو فرض الاخت المنفردة. وفي هذه الاية
الدال اقام بكل واحد منهما مقام الاب عند زيد بن ثابت وبه قال الامام الشافعي.
وقال الامام ابو حنيفة واهل العراق يرد الباقي على الاخت فتكون المال. قال فان اجتمعت
بنت واخت فللبنت النصف بالفرض وتاخذ الاخت الباقي بالتعصيب لان الفرض للاناث
للاخوات مع البنات عصبة. وحجة الاول قوله تعالى وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يعني ان الاخت
انما ترث ما ترك اخاها من الاب والام او من الاب اذا لم يخلف جميع ميراثه اذا انفرد
ولم يكن للاخت ولد. وهذا الحال جميع المال بالتعصيب واستغرق فرضها جميع المال فلما
الحق من الام فانه صاحب فرض فلا استغرق جميع المال وقد قدم ساقه وحوله قال
كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك. اراد اختين فصاعدا وهو اذا ترك اختين
اخوات فلهن الثلثان من ما ترك الميت. وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ
الانثيين يعني وان كان المتروكون من الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم مثل نصيب انثيين
من اخواته لان الاناث يبين الله لكم ان تضلوا يعني يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لئلا
تضلوا. وقيل معناه كراهية ان تضلوا. وقيل يبين الله لكم الضلالة لتجتنبوها والله بكل شيء عليم

على من مصالح عباده التى حكم بها من قسمة المواريث وسائر الاحكام وغير ذلك • لان علمه
محيط بكل شئ • روى البخارى ومسلم عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال ان اخر سورة نزلت
تامة سورة التوبة • وان اخرها نزلت اية الكلالة • وفى رواية لمسلم قال آخر آية نزلت
يستفتونك • وروى عن ابن عباس ان آخرها نزلت اية الربا • وآخر سوره نزلت اذا جاء نصر الله
والفتح • وروى عنه ان آخرها نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله • وروى ان النبى
صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة • ونزلت بعدها سورة براءة • وهى آخر
سورة نزلت كاملة • فعاش بعدها ستة اشهر هكذا ذكره البغوى • وفيه نظر لانه قد
ثبت فى الصحيحين من حديث ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
فى الحجة التى امره عليها قبل حجة الوداع فى رهط يوذن فى الناس يوم النحر الا لا يحج
بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان • ثم ارد فه النبى صلى الله عليه وسلم بعلى يرأى
طالب فامره ان يوذن ببراءة • قال ابو هريرة فاذن معنا فى اهل منى ببراءة الا لا يحج بعد
العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان • وكانت حجة ابى بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع
سنة • قال البغوى ثم نزلت فى طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فسمت
آية الصيف • ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم • فعاش بعدها احدا وثمانين
يوما • ثم نزلت اية الربا • ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله • وعاش النبى صلى الله عليه
وسلم بعدها احدا وعشرين يوما • هذا آخر تفسير سورة النساء • والله اعلم بمراده
واسرار كتابه العزيز •

تفسير سورة المائدة مدنية

قال المفسرون سورة المائدة نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتى فانها نزلت بعرفة فى حجة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها
النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته • وقال ايها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا •
فاحلوا حلالها وحرموا حرامها • فان قيل لم خص النبى صلى الله عليه وسلم هذه السورة من
بين سور القرآن بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرامها • وكل سور القرآن يجب ان يحل حلالها
ان يحرم حرامها • قيل له هو كذلك • وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتناء بها • فهو كقوله

المائدة

تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم • فلا تظلموا فيهن انفسكم • ذاكر
سبحانه اجتناب الظلم فى هذه الاربعة اشهر وان كان لا يجوز الظلم فى شئ من جميع شهور السنة
وانما افرد الاربعة الاشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها • وقيل انما خص النبى صلى الله عليه
وسلم هذه السورة بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرامها لان فيها ثمانية عشر حكما لم تنزل فى
غيرها من سور القران • وهى قوله تعالى والمنخنقة • والموقوذة • والمتردية والنطيحة •
وما اكل السبع • وما ذبح على النصب • وان تستقسموا بالازلام • وما علمتم من الجوارح مكلبين •
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم • والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم • وتمام سبعة
الطهر فى قوله اذا قمتم الى الصلاة • والسارق والسارقة • ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم • ما
جعل الله من بحيرة ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام • وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت •
قال بعضهم وفريضة تاسعة عشر • وهى قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة • قال وليس
للاذان ذكر فى القران الا فى هذه السورة • لكنه جاء فى سورة الجمعة مخصوص بالجمعة • وهو فى
هذه السورة عام لجميع الصلوات فاعلم ذلك • وروى عن جبير بن نفير انه قال دخلت على عائشة
رضى الله عنها فقالت هل تقرا سورة المايدة فقلت نعم • قالت فانها من آخر ما انزل الله فما
وجدتم فيها من حلال فاحلوه • وما وجدتم فيها من حرام فحرموه • وقال الشعبى لم ينسخ
من هذه السورة غير قوله تعالى ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلايد الى اخرها • ٥
وقال بعضهم نسخ من هذه السورة قوله تعالى اذا اخران من غيركم • والله اعلم • وهى مائة
وعشرون اية • والفان وثمان مائة واربع كلمات • واحد عشر الفا وثمانية وثلثون
حرفا فصل فى فضلها عن ابى بن كعب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة المايدة اعطى من الاجر بعدد كل يهودى ونصرانى فى دار الدنيا عشر حسنات
ورفع له عشر درجات • وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال انزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم سورة المايدة وهو على راحلته فلم نستطع ان نحمله حتى ننزل عنها •

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود
الى قوله ان الله يحكم ما يريد • قال علقمه كل ما فى القران يا ايها الذين امنوا فهو مدنى • ويا ايها
الناس مكى • وهذه الاية مما تلوح فصاحتها وكثره معانيها مع قله الفاظها لكل ذى بصر
بالكلام فانها تضمنت خمسة احكام • الاول الوفا بالعقود • الثانى تحليل بهيمه الانعام •
الثالث استثنا ما يتلى بعد ذلك • الرابع استباحه الاحرام فيما يصاد • الخامس ما تقتضيه
الاية من اباحة الصيد لمن ليس بمحرم • وحكى النقاش ان اصحاب الكندى قالوا له ايها
الحكيم اعمل لنا مثل هذا القران • فقال نعم اعمل لكم مثل بعضه • فاحتجب عنهم اياما كثيرة
ثم خرج عليهم • وقال لهم والله ما اقدر • ولا يطيق هذا احد • انى فتحت المصحف فخرج سورة
المايده فنطق • فاذا هو قد نطق بالوفا • ونهى عن النكث • وحلل تحليلا عاما • ثم استثنى استثنا
بعد استثنا • ثم اخبر عن قدرته وحكمته • كل ذلك فى سطرين • ولا يقدر احد ان ياتى بمثل
الا فى مجلدات • وقوله تعالى اوفوا • يقال وفى وأوفى لغتان • قال الله تعالى وابراهيم الذى
وفى • وقال الشاعر

اما ابن طوق فقد اوفى بذمته • كما وفى بقلاص النجم حاديها •

فجمع فى هذا البيت بين اللغتين وفى واوفى • وقوله تعالى بالعقود • قال الزجاج هى اوكد
العهود • واختلف العلما فى المراد بهذه العقود التى امر الله بوفائها • فقال ابن جريج هذا خطاب
لاهل الكتاب • والمعنى يا ايها الذين امنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التى عهدتها اليكم فى شان
نبيى محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به • وقيل هو خطاب للمومنين امرهم بالوفا بالعقود •
قال ابن عباس رضى الله عنه هى عهود الايمان • وما اخذه على عباده فى القران فما احل وحرم •

وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصرة والموازرة على من
حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتاده
ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بحلف الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في
الاسلام وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم وما يعقده الانسان على نفسه
من بيع او شرا واجارة وكرا ومناكحة وطلاق ومواعدة ومصالحة وملك وتخيير
وعتق وتدبير وغير ذلك من الامور وكذلك ما عقده الانسان على نفسه لله من الطاعات
كالحج والصيام والاعتكاف والصمام والنذر وما اشبه ذلك من طاعة مله الاسلام ٥
وقال بعضهم العقود خمس عقدة اليمين وعقدة النكاح وعقدة العهد وعقدة البيع
وعقدة الشركة زاد بعضهم وعقدة الحلف قال الطبري واولى الاقوال بالصواب ما قاله
ابن عباس رضي الله عنه ان معناه اوفوا ايها المؤمنون بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها
فيما احل وحرم عليكم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده قال وانما قلنا ان هذا القول اولى
بالصواب لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى احلت لكم
بهيمة الانعام وهذا خطاب للمؤمنين خاصة وقال بعضهم لكل من التزم الايمان على وجهه
وكماله وكانت للعرب سنن في الانعام من البحيرة والسايبة والوصيلة والحام ناتي بيانها
ان شاء الله وانزل الله تعالى هذه الاية رافعة لتلك الاوهام الخاليه والاراء الفاسده الباطله
قال العلما والبهيمة اسم لكل ذي اربع من الحيوان لكن خص في التعارف لما عدا السباع والضواري
من الوحوش وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتميز قال الزجاج كل حي
لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها الحافر
في قول جميع اهل اهل اللغة واختلفوا في معنى الاية فقال الحسن وقتادة بهيمة
الانعام الابل والبقر والغنم والمعز وعلى هذا القول انما اضاف البهيمة الى الانعام على
جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش
وعلى هذا انما اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما احل منها لانه لو افردها
فقال البهيمة لدخل فيه ما يحل وحرم من البهايم فلهذا قال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام

وقال ابن عباس رضى الله عنه هى الاجنة التى توجد ميتة فى بطون امهاتها اذا ذكت او
نحرت ذهب جماعة من العلما الى تحليله وهو مذهب الامام الشافعى ويدل عليه ما
روى عن ابى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى الجنين ذكاته ذكاة
امه رواه الترمذى وابن ماجة وفى رواية لابى داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقه
ونذبح البقرة والشاة ونجد فى بطنها الجنين أنلقيه امرنا كله قال كلوه قال كلوه ان
شئتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبرى عن ابن عمر رضى الله عنه فى قوله احلت لكم بهيمه
الانعام قال ما فى بطنها قال عطية العوفى قلت ان خرج ميتا آكله قال نعم هو منزلة
ريتها وكبدها وعن ابن عباس رضى الله عنه قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ايضا
ان بقرة نحرت فوجد فى بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة
الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق وقال ابن عمر رضى الله عنه ذكاة ما فى بطنها
ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب وقال الامام ابو حنيفة
لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام واستدل على ذلك باحاديث رواها بعض الائمه
وقال الامام مالك ذكاة الذبحة ذكاة لجنينها اذا لم يدرك حيا فيذكى وان بادر الى
تذكيته ففات نفسه فقيل هو ذكى وقيل ليس بذكى وسائى لهذا مزيد بيان ان شاء الله
وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم يعنى فى القران تحريمه واراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميته
الى آخر الاية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنا الله عز وجل من بهيمة الانعام وقال
بعضهم الا ما يتلى عليكم اى يقرا عليكم فى القران والسنة اما القران فقوله تعالى حرمت عليكم
الميتة الى اخرها واما السنة فقول النبى صلى الله عليه وسلم لا يحل اكل كل ذى ناب من السباع
فان قيل الذى يتلى علينا الكتاب دون السنة قيل له ان كل سنة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فهى من كتاب الله والدليل عليه امران احدهما حديث العسيف وفيه لاقضين
بينكما بكتاب الله الى اخر الحديث والرجم ليس منصوصا فى كتاب الله الامر الثانى حديث ابن
مسعود رضى الله عنه وما لى لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله عز وجل
الى اخر الحديث وسائى فى سورة الحشر ان شاء الله وقوله تعالى غير محلى الصيد وانتم حرم

يعنى احللت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من الظبآ والبقر والحمر غير محل صيدها
وانتم محرمون فى حال الاحرام • فلا يجوز للمحرم ان يقتل صيدا فى حال احرامه ان الله يحكم
ما يريد يعنى ان الله تعالى لا يقضى فى خلقه ما شآ من تحليل ما اراد تحليله وتحريم ما اراد
تحريمه وفرض ما شآ ان يفرضه عليهم من احكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده •
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعآير الله قال المفسرون انزل الله عز وجل هذه
الاية فى الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة البكرى • وذلك انه اتى المدينة الشريفة
وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له الى ما
تدعوا الناس يا محمد • فقال الى شهادة ان لا اله الا الله • واقام الصلاه وايتآ الزكوه • فقال
حسن الا ان لى امرا لا اقطع امرا دونهم • ولعلى اسلم واتى بهم • وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لاصحابه يدخل عليكم رجل من ربيعة تكلم بلسان شيطان • ثم خرج شريح
من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم • فلما خرج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد دخل
بوجه كافر • وخرج بقفا غادر • وما الرجل بمسلم • فمر بسرح من سرح المدينة فاستاقه
وانطلق به • وهو يرتجز ويقول

قد لفها الليل سواق حطم • ليس براعى ابل ولا غنم •
ولا بجزار على ظهر وضم • باتوا نيام وابن هند لم ينم •
بات يقاسيها غلام كالزلم • خدلج الساقين ممسوح القدم •

فتبعه المسلمون فلم يدركوه • فلما كان العام القابل خرج شريح حاجا فى حجاج بكر بن وايل
من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدى • فقال المسلمون يا رسول الله هذا الحطم
قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد قلد الهدى
فقالوا يا رسول الله هذا شى كنا نفعله فى الجاهلية • فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم
فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعآير الله الى اخرها • وهذا خطاب للمومنين
ومعناه لا تتعدوا حدود الله فى امر من الامور • والشعآير جمع شعيرة • على وزن فعيلة
وقال ابن قتيبة ويقال للواحدة شعارة • وهو احسن • وقال ابن عباس ومجاهد الشعاير هى

المناسك وكان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر الهدايا المشعرة واشعارها ان تطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة انها هدي وهي سنة في الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت فتلت قلائد بدن النبي صلى الله عليه وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعث بها الى البيت فما حرم عليه شيء كان له حلالا رواه البخاري ومسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ثم دعا ناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البيداء اهل بالحج وقال ابن عباس في معنى الاية لا تحلوا شعائر الله هي ان تصيد وانت محرم وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيئا من فرائضه التي افترض عليكم واجتناب نواهيه التي نهاكم عنها واختلف العلماء في اي جهة تشعر الدابة المهداة فقال الامام الشافعي والامام احمد وابو ثور يكون الاشعار في الجانب الايمن وهذا القول مروي عن ابن عمر وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم اشعر ناقته في صفحة سنامها الايمن رواه مسلم وغيره وروي ايضا انه صلى الله عليه وسلم اشعر بدنة من الجانب الايسر وقالت طائفة يكون في الجانب الايسر وبه قال الامام مالك وقال ايضا لا باس به في الجانب الايمن وقال مجاهد من اي الجانبين شاء فعل وبه قال الامام احمد في احد قوليه وكره ذلك الامام ابو حنيفة وقال انه تعذيب للحيوان وهذا القول مخالف للحديث والذي نص عليه علماء الحنفية ان الاشعار مكروه في قول الامام ابي حنيفة وقال ابو يوسف ومحمد ان الحسن ليس بمكروه ولا سنة بل هو مباح وذلك لان الاشعار لما كان اعلاما كان سنة بمنزلة التقليد ومن حيث انه جرح ومثلة كان حراما فكان مشتملا على السنة والبدعة فيجعل مباحا وقول الامام ابي حنيفة ان الاشعار مثلة وانه حرام من حيث انه تعذيب للحيوان فكان مكروها وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من الاشعار فانما كان في ابتداء الاسلام حين كانت العرب تنتهب كل مال الا ما جعل هديا وكانوا لا يعرفون الهدى الا بالاشعار ثم زال ذلك لزوال العذر هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنه وحكي عن الشيخ

ابی منصور الماتریدی رحمه الله انه قال انما کره الامام ابو حنیفه اشعار اهل زمانه فانهم
کانوا سالغون فی البضع بالسکین علی وجه یخاف منه سرایة الالم فعودی الی الملاف فاما
اذا لم یجاوز الحد وفعل کما کان یفعل فی عهد رسول الله صلی الله علیه وسلم فذلک حسن وهکذا
ذکره ایضا ابو جعفر الطحاوی فهذا اعتذار علما الحنفیه للامام ابی حنیفه عن الحدیث الذی
ورد فی الاشعار فقد سمعوه ووصل الیهم وعلموه والله تعالی اعلم وقوله تعالی ولا الشهر
الحرام یعنی ولا تحلوا ایضا الشهر الحرام بالقتال فیه والشهر الحرام هو الذی کانت العرب
تعظمه وتحرم القتال فیه فی الجاهلیه فلما جاء الاسلام لم ینقض هذا الحکم بل اکده والمراد
بالشهر الحرام هنا ذو القعده وقیل رجب ذکرهما ابن جریر وقیل المراد ما حلال الشهر
الحرام السابق فی سورة برآءة وهو قوله تعالی انما النسیء زیادة فی الکفر وذلک انهم کانوا یحلونه
عاما ویحرمونه عاما وقوله تعالی ولا الهدی ولا القلائد قال العلماء الهدی ما یهدی
الی بیت الله تعالی من بعیر او بقرة او شاة او غیر ذلک مما یتقرب به الی الله تعالی والهدی
والهدی لغتان فصیحتان مشهورتان باسکان الدال مع تخفیف الیاء والواحدة هدیه وتقال
فی جمع الهدی اهدا وقری حتی بلغ الهدی محله بالتخفیف والتشدید قال الفراء واهل الحجاز
وبنو اسد یخففون الهدی وتمیم وبعض قیس یثقلون قال الشاعر

حلفت برب مکة والمصلی ... واعناق الهدی مقلدات

والقلائد جمع قلادة وهی التی تشد فی عنق البعیر وغیره والمعنی ولا تحلوا الهدی ذوات
القلائد فعلی هذا القول انما عطف القلائد علی الهدی مبالغة فی التوصیة بها لانها من اشرف
البدن المهداة والمعنی ولا تستحلوا الهدی وخصوصا المقلدات منها وقیل اراد اصحاب
القلائد وذلک ان العرب فی الجاهلیة کانوا اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم من
لحاء شجر الحرم فکانوا بامنون بذلک فلا یتعرض لهم احد فنهی الله المومنین عن ذلک الفعل
ونهاهم عن استحلال نزع شی من شجر الحرم وقوله ولا آمین البیت الحرام یعنی ولا تستحلوا
القاصدین الی البیت الحرام وهو الکعبة شرفها الله وعظمها یبتغون فضلا من ربهم یعنی
یطلبون الرزق والارباح فی التجارة ورضوانا یعنی ویطلبون رضی الله عنهم بزعمهم لان الکافر

لاحظ له فى الرضوان لكن نظرا ان فعله ذلك طلبا للرضوان فيجوز ان يوصف به بناء على ظنه
وقيل ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وان كانوا لا ينالونه فلا
يبعد ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على انفسهم وقيل كان المشركون
يتجرون فى حجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم فيها وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين
والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك انهم كانوا يحجون جميعا
فصل اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الاية فقال قوم هذه الاية منسوخة الى هنا
لان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضى حرمة القتال فى الشهر الحرام وفى
الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين
البيت الحرام يقتضى حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله تعالى فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يؤمن بالهدى والقلائد كافر وهذا
قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر المفسرين قال الشعبى لم ينسخ من سورة
المائدة الا هذه الآية وقيل المنسوخ منها قوله تعالى ولا آمين البيت الحرام نسختها آية
براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
قال ابن عباس رضى الله عنه كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعا فنهى الله المؤمنين ان
يمنعوا احدا ان يحج البيت او يتعرضوا له من مومن او كافر ثم انزل الله بعد هذا انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شئ سوى
القلائد التى كانت فى الجاهلية يقلد وتمامن لحاء الحرم قال الواحدى وذهب
جماعة الى انه لا منسوخ فى هذه السورة وان هذه الآية محكمة وقال ما نهى بها ان يخيف
من تقصده من اهل شركنا فى الشهر الحرام ولا فى غيره وقيل حرمة الشهر الحرام
من غيره ما لذكر تعظيما وتفضيلا وحرم علينا اخذ الهدى من الكافر وصرفه عن بلوغ
محله وحرم علينا القلائد التى كانوا يحلونها فى الجاهلية وهذا غير مقبول فالظاهر
ما عليه جمهور العلماء من نسخ هذه الاية لاجماع العلماء على ان الله عز وجل قد احل قتال اهل
الشرك فى الاشهر الحرم وغيرها وكذلك اجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وقاده جميع

لحا الشجر لم يكن ذلك امانا له من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عقد ذمة او امان. وكذلك
اجمعوا على ان المشرك وكذلك اجمعوا على منع من قصد الست بحج او عمرة من المشركين
لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا. والله اعلم. قال
ابن عطية وهذه الاية استيلاف من الله تعالى للعرب ولطف بهم لتنبسط النفوس ويتداخل الناس
ويردون الموسم فيسمعون القران وتدخل الايمان في قلوبهم وتقوم عندهم الحجة كالذي كان
وهذه الآية نزلت عام الفتح ونسخ الله ذلك كله بعد عام سنة تسع اذ حج ابو بكر الصديق
ونودي الناس بسورة براءة. والله اعلم وقوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا يعني اذا حللتم
من احرامكم فاصطادوا. وهذا امر اباحة. لان الله تعالى حرم الصيد على المحرم حاله احرامه بقوله
غير محلي الصيد وانتم حرم. واباحه له اذا حل من احرامه بقوله واذا حللتم فاصطادوا.
وانما قلنا انه امر اباحة لانه ليس واجبا على المحرم اذا حل من احرامه ان يصطاد. ومثله
قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض. معناه انه قد ابيح لكم ذلك بعد الفراغ
من الصلاة ولا يجرمنكم قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم ولا يدعونكم شنآن
قوم يعني بغض قوم وعداوتهم ان صدوكم يعني لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة
والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت
بعد قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم ان تعتدوا يعني بالقتل واخذ المال وتعاونوا
على البر والتقوى يعني ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر والتقوى. قال ابن عباس رضي الله عنه
البر متابعة السنة. وقال الاخفش هذا مقطوع من اول الكلام. وهو امر لجميع الخلق بالتعاون
ومعناه ليعن بعضكم بعضا. وتحابوا على امر الله. واعملوا به. وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا
منه. وهذا موافق لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدال على الخير كفاعله. وقد
قيل الاية على الشرك كما تقدم. ثم قيل البر والتقوى لفظان بمعنى واحد. وكرر لاختلاف
اللفظ تاكيدا ومبالغة اذ كل بر تقوى. وكل تقوى بر. قال ابن عطية وفي هذا نسامح ما
والعرف في دلالة هذين اللفظين ان البر يتناول الواجب والمندوب اليه. والتقوى رعاية
الواجب. فان جعل احدهما بدلا الاخر يجوز. وقال الماوردي رحمه الله تعالى ندب

الى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى لهُ لان فى التقوى رضى الله وفى البر رضى الناس ومن جمع
بين رضى الله تعالى ورضى الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته وقال بعضهم التعاون
على البر والتقوى يكون بوجوه فواجب على العالم ان يعين الناس بعلمه فيعلمهم ويعينهم
وواجب على الغنى ان يعينهم بماله وواجب على الشجاع ان يعينهم بشجاعته فى سبيل الله وان
يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة المؤمنون سكافادماوهم ويسعى بذمتهم ادناهم
وهم يد على من سواهم ويجب الاعراض عن المتعدى على الغير وترك النصرة له ورده عن ما
هو عليه ثم نهى سبحانه بقوله ولا تعاونوا على الاثم والعدوان يعنى ولا يعن بعضكم
بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان والظلم وقيل الاثم المعاصى والعدوان
البدعة دليل ما روى مسلم عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت ان يطلع
عليه الناس وعن وابصة معبد رضى الله عنه قال جئت الى النبى صلى الله عليه وسلم اساله
عن البر والاثم فقال جئت تسال عن البر والاثم فقلت والذى بعثك بالحق ما جئت اسالك عن
غيره فقال البر ما انشرح له صدرك والاثم ما حاك فى صدرك وان افتاك عنه الناس
وقوله تعالى واتقوا الله اى واحذروا اسخطه ان تعتدوا ما امركم به او تجاوزوا الى ما
نهاكم عنه ان الله شديد العقاب يعنى لمن خالف امره ففيه وعيد وتهديد عظيم ○
قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الى آخرها قال المفسرون لما
بين الله تعالى فى اول السورة ما احل للناس من بهيمة الانعام بقوله احلت لكم بهيمة الانعام
ثم انه تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم
الميتة فكل ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة
ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان جف فلهذا احتبس ذلك الدم وبقى فى العروق ويفسد
ويحصل منه ضرر عظيم واما الدم المذكور فى الاية فهو المسفوح الجارى وكانت العرب
فى الجاهلية تجعل الدم فى المصارين وتشويه وتاكله فحرم الله ذلك كله وقوله ولحم
الخنزير واراد به جميع اجزائه واعضائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود بالاكل ○

وقد تقدم فی سورة البقرة احکام هذه البلاة اشبا وما اسسا الشارع من المنع والدم
وهو السمک والجراد والکبد والطحال وذکرنا الدلیل علی اباحة ذلک واختلاف العلما فی ذلک
وقوله تعالی وما اهل لغیر الله به یعنی ما ذکر علی ذبحه غیر اسم الله وذلک ان العرب فی
الجاهلیه کانوا یذکرون اسما اصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلک بهذه الایة وبقوله ولا تاکلوا
مما لم یذکر اسم الله علیه وقوله والمنخنقة ای وحرمت علیکم ایضا المنخنقة وهی التی تموت
خنقا وهو حبس النفس سوا فعل بها ذلک ادمی او انفلها ذلک فی حبل او بین عمودین ونحو
ذلک قال ابن عباس وقتادة کان اهل الجاهلیه یخنقون الشاة حتی اذا ماتت اکلوها فحرم
الله ذلک والمنخنقة من جنس المیتة لانها لما ماتت لم یحل منها والفرق بینها وبین المیتة
تموت بلا سبب احد والمنخنقة تموت بسبب الخنق وقوله والموقوذة ای وحرمت
علیکم الموقوذة قال ابن عباس رضی الله عنه والحسن وقتادة والضحاک الموقوذة هی التی ترمی
او تضرب بحجر او عصی حتی تموت من غیر تذکیة وقال بعضهم انما الموقوذة هی المقتولة بالخشب
وکانت العرب فی الجاهلیه یضربون الشاة بالعصا حتی تموت ویاکلونها فحرم الله ذلک قال
اهل اللغة ومنه یقال وقذه یقذه وقذا فهو وقید والوقذ شدة الضرب ویقال
ایضا فلان وقید ای مخبل ضربا وقال الضحاک کان اهل الجاهلیة یضربون الانعام بالخشب
لا یمتهم حتی یقتلوها فیاکلوها ومنه ایضا المقتولة بالبندق وفی صحیح مسلم عن عدی بن حاتم رضی الله عنه قال قلت یا رسول الله انی ارمی بالمعراض الصید فاصیب قال اذا رمیت بالمعراض فخزق فکله واذا اصاب بعرضه فلا تاکله فانه وقید واختلف العلما
فی المعراض فخزق فکله واذا اصاب بعرضه فلا تاکله فانه وقید واختلف العلما
قدیما وحدیثا فی الصید بالبندق والحجر والمعراض فمن ذهب الی انه وقید لم یجز منه الا
ما ادرک ذکاته علی ما روی عن ابن عمر رضی الله عنه وهو قول الامام مالک والامام ابی حنیفة
واصحابه وسفین الثوری والامام الشافعی وخالفهم الشامیون فی ذلک قال الاوزاعی
فی صید المعراض کله خزق اولم یخزق وکان ابو الدرداء وفضاله بن عبید وعبد الله بن عمر
ومکحول لا یرون بذلک باسا قال ابن عبد البر هکذا ذکر الاوزاعی عن عبد الله بن عمر والمعروف
عن عبد الله ما رواه الامام مالک عن نافع عنه والذی علیه العمل فی هذا الباب وهو الحجة

نقوس ص

ابن عمر البر

لمن

لمن لجا اليه حديث عدى بن حاتم وفيه وما اصاب بعرضه فلا ناكل فانما هو وقذ والله اعلم
وقوله تعالى والمتردية يعنى التى تتردى من مكان عال فتموت او فى بير فتموت وسواء
تردت بنفسها او ردا ها غيرها والتردى هو السقوط من سطح او من جبل ونحوه وهذه
المتردية تلحق بالميتة فيحرم اكلها ويدخل فى هذا الحكم اذا رمى سهمه صيدا فتردى ذلك
الصيد من جبل او من مكان عال فمات فانه يحرم اكله لانه لا يعلم هل مات بالتردى او بالسهم
ومنه الحديث وان وجدته غريقا فى الماء فلا تاكل فانك لا تدرى الماء قتله او سهمك
رواه مسلم وكان اهل الجاهلية ياكلون المتردى ولم يكونوا يعتقدون ميتة الا ما مات بالوجع
ونحوه دون سبب يعرف فاما هذه الاسباب فكانت عندهم كالذكاة فحصر الشرع الذكاة
الى صفة مخصوصة سنبينها ان شاء الله وبقى ما عداها كله ميتة وهذا كله من الحكم المتفق
عليه وقوله تعالى والنطيحة يعنى التى ينطحها شاة اخرى حتى تموت وكانت العرب فى الجاهلية
تاكل النطيحة ايضا فحرمها الله عز وجل لانها فى حكم الميتة فاما الهاء فى هذه الكلمات التى
تقدمت اعنى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فانما دخلت لانها صفات لموصوف
مونث وهو الشاة كانه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة
وخصت الشاة لانها من اعظم ما ياكله الناس والكلام انما خرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به
غيره فان قيل لم اثبتت الهاء فى النطيحة مع انها فى الاصل منطوحة فعدلوا بها الى
النطيحة وفى مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل بمعنى
كف مخضوبة وعين مكحولة قيل له انما تحذف الهاء من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف
تقدمها فاذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة وصفتها موضع الموصوف تقول رايت
قتيله بنى فلان بالهاء لانك لو لم تدخل الهاء لم تعرف ارجل هو ام امراة فعلى هذا انما
دخلت الهاء فى النطيحة لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت
قد تاتى فعيلة بالهاء وهى فى تاويل مفعول بها تخرج مخرج الاسماء ولا يذهب بها مذهب
النعوت نحو النطيحة والذبيحة والفريسة واكيلة السبع ومررت ببنى قتيلة بنى فلان ورايت
قتيل بنى فلان وقرا ابو ميسرة والمنطوحة والله اعلم وقوله تعالى وما اكل السبع

قال العلماء رتد سبحانه كل ما افترسه ذو ناب واظفار من الحيوان كالاسد والنمر والذئب
والثعلب والضبع ونحوها وهذه كلها سباع ومنه يقال سبع فلان فلانا اى عضه سبعة
ويقال ايضا سبع فلان فلانا اذا عابه ووقع فيه وفى الكلام اضمار تقديره وما اكل
السبع منه لان ما اكله السبع قد تلف فلا حكم له وانما الحكم للباقى منه ومن العرب
من يوقف اسم السبع على الاسد وكانت العرب اذا اخذ السبع شاة ثم خلصت منه اكلوها
وهى ميتة وكذلك ان اكل بعضها وهذا قول قتاده وغيره وقرا الحسن وابو حيوة وما
اكل السبع بسكون الباء وهى لغة لاهل نجد وانشد حسان بن ثابت فى عتبة بن ابى لهب
من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع
وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان قد دعى عليه فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله
الاسد وروى الحافظ ابو نعيم سنده الى الاسود بن هبار قال تجهز ابو لهب وابنه عتبة
نحو الشام فخرجت معهما فنزلنا الشراة فرسا من صومعة راهب فقال الراهب ما انزلكم
هاهنا هنا سباع فقال ابو لهب انتم عرفتم سنى وحقى فلنا اجل قال ان محمدا دعا على ابنى
فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة ثم افرشوا لابنى عليه وناموا حوله ففعلنا ذلك
وجمعنا المتاع حتى ارتفع ودرنا حوله وبات عتبة فوق المتاع فجا الاسد فشم وجوهنا
ثم وثب فاذا هو فوق المتاع فقطع راسه فقال سيفى ما كلت فلم يقدر على ذلك وفى رواية
فوثب الاسد فضربه سده ضربة واحده فخدشه فقال قتلنى فمات لساعته وطلب الاسد
فلم يجده وانما سمى النبى صلى الله عليه وسلم الاسد كلبا لانه شبهه به فى دفع رجله عند البول
وللاسد اسما كثيره قال ابن خالويه للاسد خمسمائة اسم وصفة وقال على بن القاسم بن
جعفر اللغوى للاسد مائة وثلاثون اسما فمن اشهرها اسامة والبيهس والتاداج والخدب
والحارث وحيدره والدولس والديبال وزفر والسبع والصعب والضرغام والضيغم
والطيبار والعنبس والغضنفر والفرافصة والقسورة وكهمس والليث والمنانس
والنهاب والهرماس والورد ومن كناه ابو الابطال وابو حفص وابو الاحياس
وابو الزعفران وابو شبل وابو العباس وابو الحارث ٥ وهو من اشرف الحيوانات المتوحشة

على كثرة اسمائه

اذ منزلته منها منزلة الملك المهاب لقوته وشجاعته وقساوته وشهامته وجهامته
وشراسة خلقه • ولذلك يضرب به المثل فى القوة والنجدة والبساله • وفى شده الاقدام
والصوله • ومن ذلك قتل لحمزة بن عبد المطلب اسد الله • وقال اصحاب الكلام فى طبايع
الحيوان ان الانثى من الاسد لا تضع الا جروا واحدا • وتضعه قطعة لحم ليس فيه حس
ولا حركه • فتحرسه على تلك الحال ثلاثة ايام • ثم يأتى بعد ذلك ابوه فينفخ فيه المرة بعد المرة
حتى يتحرك وتنفس وتنفرج اعضاوه وتتشكل صورته • ثم يأتى امه فترضعه • ولا يفتح عينيه
الا بعد سبعة ايام من تخلقه • فاذا مضت عليه بعد ذلك ستة اشهر كلف الاكتساب لنفسه
بالتعليم والتدريب • وقالوا ايضا ان الاسد له صبر على الجوع وقله الحاجة الى الماء لا
يصبر عليه غيره من السباع • ولا ياكل من فريسة غيره ابدا • واذا شبع من فريسته تركها ولم
يعد اليها • واذا جاع ساءت اخلاقه • واذا امتلا بالطعام ارتاض • ولا يبرد من سآ ولغ فيه
كلب ابدا • واشار الى ذلك الشاعر بقوله

وأترك حبها من غير بغض ... ولكن كثرة الشركاء فيه

اذا وقع الذباب على طعام ... رفعت يدى ونفسى تشتهيه

وتجتنب الاسود ورود ماء ... اذا كان الكلاب يلغن فيه

وقالوا ايضا ان الاسد ينهش ويبتلع ولا يمضغ • لان ريقه قليل جدا • ولذلك يوصف
بالفخر ويوصف بالشجاعة والجبن اى الخوف • فمن جبنه انه يفرق من صوت الديك ومن
نقر الطست النحاس ومن السنور • ومن تحير عند رويه النار • وهو شديد البطش • ولا يالف
الى شئ من السباع ابدا • لانه لا يرى منها ما يكافيه • ومتى وضع جلده على شئ من جلودها
تساقطت شعورها • ولا يدنو من المراة الحايض ابدا • ولو جاع غاية الجوع وبلغ الجهد
ولا يزال محموما • ويعيش عمرا طويلا • وعلامة كبره سقوط اسنانه • وروى عن عبد الله
ابن عمر رضى الله عنه انه خرج فى بعض اسفاره فبينما هو يسير اذا هو بقوم وقوفا فقال
ما لهؤلاء القوم • قالوا اسد على الطريق وقد اخافهم • فنزل عن دابته ثم مشى اليه حتى اخذ
باذنه ونحاه عن الطريق • ثم قال له ما كذب عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله انما

تسلط على ابن ادم من مخافته غير الله • ولو ان ابن ادم لم يخف الا الله لم تسلط عليه • ولم
يرج الا الله لما وكله الله الى غيره • وروى ابو داود فى سننه عن ابى هريرة رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم عليه السلام الى الارض كان راسه يقطر وان
لم يصبه بلل • وانه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال • ويقع الامن فى الارض حتى ترعى
الاسد مع الابل • والنمر مع البقر • والذياب مع الغنم • ويلعب الصبيان بالحيات لا يضر
بعضهم بعضا ثم يبقى فى الارض اربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه • ٥
واما قصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاسد فمشهورة رواها البزار
والطبرانى وعبد الرزاق والحاكم وغيرهم • وروى البخارى فى تاريخه انه بقى الى زمن الحجاج •
وروى محمد بن المنكدر عن سفينة رضى الله عنه انه قال ركبت سفينة فى البحر فانكسرت فركبت
لوحا فاخرجنى الى اجمة فيها اسد • فاقبل الى • فقلت انا سفينة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخطا الجيش بارض الروم فانطلق هاربا يلتمس الجيش فاذا هو بالاسد • فقال له
يا ابا الحارث انا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من امرى كيت وكيت • فاقبل الاسد
يبصبصه حتى قام الى جانبه كلما سمع صوتا اهوى اليه • ثم اقبل حتى الى جانبه فلم يزل كذلك
حتى بلغ الجيش ثم رجع الاسد • واختلف العلماء فى اسم سفينة • فقال بعضهم اسمه رومان وقيل
اسمه مهران وقيل عمير والله اعلم • وقد جاء فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لامراة
اكلك الاسد • فاكلها • وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتدرون ما تقول الاسد فى زئيره • قالوا الله ورسوله اعلم • قال انه يقول اللهم لا تسلطنى على
احد من اهل المعروف • رواه الطبرانى وغيره • وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال
اذا كنت بواد تخاف فيه الاسد فقل اعوذ بدانيال وما احببت من شر الاسد • رواه
ابن السنى • واشار على رضى الله عنه بذلك الى ما رواه البيهقى فى شعب الايمان ان دانيال
عليه السلام طرح فى جب والقى عليه السباع • فجعلت السباع تلحسه وتتصبص اليه •
فاتاه ملك فقال دانيال من انت • فقال انا رسول ربك اليك ارسلنى اليك بطعام • فقال
دانيال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره • وروى ابن ابى الدنيا ان بخت نصر ضرى اسدين

زئيره

والقاهما فى جب وجآ بدانيال عليه السلام فالقاه عليهما فمكث ماشآ الله ثم انه اشتهى
الطعام والشراب فاوحى الله تعالى الى ارميا عليه السلام وهو بالشام ان يذهب الى دانيال
بطعام وشراب وهو بارض العراق فذهب به اليه حتى وقف على راس الجب وقال دانال دانيال
فقال من هذا فقال ارميا عليه السلام فعاز ما جآبك قال ارسلنى اليك ربك فقال دانيال
عليه السلام الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره والحمد لله الذى لا يخيب من رجاه والحمد لله الذى
من وثق به لم يكله الى غيره والحمد لله الذى يجزى بالاحسان احسانا والحمد لله الذى يجزى
بالصبر نجاة وغفرانا والحمد لله الذى يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذى هو يقيننا
حين يسوء ظننا باعمالنا والحمد لله الذى هو رجآ ونا حين ينقطع الحبل عنا ٥ ثم روى
ابن ابى الدنيا ايضا من وجه آخر ان الملك الذى كان دانيال فى سلطانه جآه المنجمون واصحاب
العلم فقالوا انه يولد فى ليلة كذا وكذا غلام يفسد ملكك فامر بقتل كل من يولد فى تلك
الليلة فلما ولد دانيال عليه السلام القته امه فى اجمة اسد فبات الاسد ولبوته يحسانه
فنجاه الله تعالى بذلك حتى بلغ ما بلغ وكان من امره ما قدره العزيز العليم ثم روى ابن ابى
الدنيا ايضا باسناده عن عبد الرحمن بن ابى الزناد عن ابيه انه قال رايت فى يد ابى بردة بن ابى
موسى الاشعرى رضى الله عنه خاتما نقش فصه اسدان بينهما رجل وهما يلحسان ذلك الرجل فقال
ابو بردة هذا خاتم دانيال عليه السلام اخذه ابو موسى حين وجده يوم دفنه فسأل ابو موسى
عالما تلك البلدة فقالوا ان دانيال عليه السلام نقش صورته وصورة الاسدين وهما يلحسانه
فى فص خاتم ليلا ينسى نعمة الله عليه فى ذلك وروى الدينورى عن معاذ بن رفاعة انه قال
مر يحيى بن زكريا بقبر دانيال النبى عليه السلام فسمع صوتا من القبر يقول سبحان من تعزز بالقدرة
وقهر العباد بالموت ثم مضى فاذا هو بصوت من السما انا الذى تعززت بالقدرة وقهرت
العباد بالموت من قالهن استغفر له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ٥ وكان
دانيال عليه السلام قد اتاه الله النبوة والحكمة وكان فى ايام بخت نصر قال اهل التاريخ
ان دانيال عليه السلام قد اتاه الله النبوة اسره بخت نصر مع من اسره من بنى اسرآيل وحبسهم
ثم راى بخت نصر رؤيا افزعته وعجز الناس عن تعبيرها ففسرها دانيال عليه السلام فاعجبه

مقتل دانيال

واكرمه • قال وقبره بنهر السوس • ووجده ابو موسى رضى الله عنه فاخرجه وكفنه وصلى عليه ثم قبره فى النهر المذكور واجرى عليه الماء • وقال عبد الجبار بن كليب كنا مع ابرهم ابن ادهم فى سفر فعرض لنا الاسد • فقال ابرهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام • واحفظنا بركنك الذى لا يرام • وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وانت رجآنا • يا آله • يا آله • يا آله • قال فولى الاسد عنا • قال وانا ادعو به عند كل مخوف فلم ار الا خيرا • وذكر بعض المحققين فايدة • وهى مما جرب لازهاب الخوف والوهم والغم • وهو ان يكتب ايتين من كتاب الله عز وجل ويحملا • فان الله تعالى يبارك لحاملهما فى جميع احواله • وينصره على اعدايه • وهما شفاء للامراض الباطنه • ولكل الم يحدث فى بدن الانسان • وكل اية منهما تجمع الحروف المعجمة باسرها • ويكتبان ايضا فى اناء نظيف ويمسحان بدهن ورد او زيت طيب او شيرج ويطلى به الالم • كالدمل والطلوع والريح والحزاز والثآليل والنفخ والقروح باسرها فانه يزول ويبرا فى الغالب كما جرب من رواهما من الاسرار المخزونه • الاية الاولى من سوره ال عمران وهى قوله تعالى ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا • الى قوله وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور • والاية الثانية من سورة الفتح وهى قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السوره • والله اعلم • وحكى بعض اهل التاريخ ان ملكا من الملوك خرج يدور ويسير فى مملكته • فخرج الى قرية عظيمة • فانفرد عن عسكره واخذه العطش • فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امراة جميله ببدها كوز من الماء فناولته اياه • فلما نظر اليها افتتن بها • فراودها عن نفسها • وكانت المراة عارفة • فعلمت انها لا تقدر على الامتناع منه • فدخلت واخرجت له كتابا وقالت انظر فى هذا الى ان اصلح من امرى ما يجب واعود • فاخذ الملك الكتاب ونظر فيه • واذا فيه الزجر عن الزنا وما اعد الله فيه من العذاب الاليم • فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح بالمراة وناولها الكتاب ومر ذاهبا • وكان زوج المراة غايبا • فلما حضر اخبرته الخبر • فتحير فى نفسه وخاف ان يكون عرض للملك موقع فيها • فلم يتجاسر على وطيها بعد ذلك • ومكث على ذلك مدة • فعلمت المراة اقاربها بحالها مع زوجها • فرفعوه الى الملك • فلما مثل بين يديه قال اقارب المراة

مطلب

فايدة انزل عليكم وبشر به آخر الفتح

مطلب حكاية غريبة

اعز الله مولانا الملك ان هذا الرجل قد استاجر منا ارضا للزراعة فزرعها مدة ثم
عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها نوجرها لمن يزرعها وقد حصل الضرر للارض ونخاف
فسادها بسبب التعطيل لان الارض اذا لم تزرع فسدت فقال الملك لزوج المراة ما
يمنعك من زرع ارضك فقال اعز الله مولانا الملك انه قد بلغني ان الاسد قد دخل ١
ارضي وقد هبته فلم اقدر على الدنو منها لعلمي ان لا طاقة لي بالاسد فتفهم الملك القصة
وقال له ما هذا ان ارضك ارض طيبة صالحة للزرع فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد
لن يعود اليها ابدا ثم امر له ولزوجته بصلة حسنة واصرفه وروي صاحب روضة
العلما ان نوحا عليه السلام لما غرس الكرمة جا ابليس لعنه الله ونفخ فيها فيبست فلما
راها نوح عليه السلام كذلك اغتم وجلس مفكرا في امره فجاه ابليس وساله عن فكره فاخبره
فقال ما شي الله ان اردت ان تخضر الكرمة فدعني اذبح عليها سبعة اشيا فقال افعل
فذبح ابليس عليها اسدا ودبا ونمرا وابن آوى وكلبا وثعلبا وديكا وصب دماهم
في اصل الكرمة فاخضرت من ساعتها وحملت سبعة الوان من العنب وكانت قبل ذلك تحمل
لونا واحدا فمن اجل ذلك يصير شارب الخمر شجاعا كالاسد وقويا كالدب وغضبانا
كالنمر ومحدثا كابن اوى ومقاتلا كالكلب ومتملقا كالثعلب ومصوتا كالديك
ثم حرمت الخمر على قوم نوح ونوح اسمه عبد الجبار وقيل غير ذلك وانما سمي نوحا
لنوحه على ذنوب امته كذا ذكره بعضهم واما اكل الاسد فحرام لما روى مسلم في صحيحه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ذي ناب من السباع فاكله حرام وقال الامام مالك يكره
اكل كل ذي ناب من السباع ولا يحرم قال اصحاب الامام الشافعي المراد بذي الناب ما تقوى
بنابه ويصطاد وقال الامام الشافعي انه ما قوت انيابه فعدى بها على الحيوان طالبا
غير مطلوب فكان عداوة انيابه علة تحريمه وقال الامام ابو حنيفة هو ما افترس
بانيابه وان لم يقصد بالعدوى وان عاش بغير انيابه فهذه ثلاث علل اعمها علة الامام
ابي حنيفة واوسطها علة الامام الشافعي واخصها علة المروزي واما بيع الاسد
فانه لا يصح لانه لا ينتفع به وحرم الله تعالى اكل فريسته في هذه الاية الى نحن في تفسيرها

واما ضرب الامثال بالاسد وغيره من السباع والبهايم فكثيره. قال بعضهم لما كانت
اكثر امثال العرب مضروبة بالبهايم فلا تكاد تذمون ولا تمدحون الا بذلك لانهم جعلوا
مساكنهم بين السباع والاجناس والحشرات واستعملوا التمثل بها. ولذلك روى الامام احمد
باسناد حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انه قال حفظت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم الف مثل. ولاجل ذلك سمى العسكرى فى كتابه الامثال الف حديث مشتمل على الف
مثل من كلام النبى صلى الله عليه وسلم. فمما خص الاسد من ذلك انهم قالوا اكرم من الاسد.
وانجد من الاسد. واكبر من الاسد واسجح. وضربوا ايضا المثل بالخوف من الاسد. قال
مجنون ليلى. واسمه عامر بن قيس على خلاف فيه ٥

يقولون لى يوما وقد جيت حيتهم ❊ وفى باطنى نار يشب لهيبها ❊
أما تختشى من اسدنا فاجبتهم ❊ هوى كل نفس اين حل حبيبها ❊

وضرب العرب ايضا المثل باسد السرا. وهى طريق سلمى كثرة الاسد ٥
وانشد الفرزدق يقول ٥

وان الذى يسعى ليفسد زوجتى ❊ كساع الى اسد السرا يستبيلها ❊

قيل معنى يستبيلها اى ياخذ اولادها ٥

وينسب الى الفرزدق تكرمة يرجى له بها الجنة. وذلك انه لما حج ولد الخليفة هشام بن
عبد الملك فى ايام ابيه طاف بالبيت وجهد ان يصل الى الحجر الاسود ليستلمه فلم يقدر على
ذلك لكثرة الزحام. فنصب له كرسى تجاه الكعبة وجلس عليه ينظر الى الناس. وقعد جماعة
من اعيان اهل الشام. فبينما هو كذلك اذ اقبل زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما.
وكان من اجمل الناس وجها. واطيبهم ارجا. فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر تنحى له الناس
حتى استلم الحجر. فقال له رجل من اهل الشام من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبه. فقال لم
ما اعرفه مخافة ان يرغب فيه اهل الشام. وكان الفرزدق حاضرا. فقال انا اعرفه.
فقال الشامى من هو يا ابا فراس. فانشد الفرزدق يقول ٥

هذا ابن خير عباد الله كلهم ❊ هذا التقى النقى الطاهر العلم ❊

هذا الذي تعرف البطحآ وطاته ۞ هذا التقي النقي الطاهر العلم ۞
اذا رآته قريش قال قايلها ۞ الى مكارم هذا ينتهي الكرم ۞
ينمى الى ذروة العز التي قصرت ۞ عن نيلها عرب الاسلام والعجم ۞
مشتقة من رسول الله منعته ۞ طابت عناصره والخيم والشيم ۞
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ۞ بجده لنبيآ الله قد ختموا ۞
فالله شرفه قدما وعظمه ۞ جرى بذلك له في لوحه القلم ۞
وليس قولك من هذا بضايره ۞ العرب تعرف من انكرت والعجم ۞
كلتا يديه غياث عم فضلهما ۞ يستوكفان ولا يعروهما عدم ۞
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ۞ يغضي حياء ويغضى من مهابته ۞ فما يكلم الا حين يبتسم ۞
في خلقه الهدي من نور غرته ۞ كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم ۞
مشتقة من رسول الله منعته ۞ طابت عناصره والخيم والشيم ۞
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ۞ بجده لنبيآ الله قد ختموا ۞
فالله شرفه قدما وعظمه ۞ جرى بذلك له في لوحه القلم ۞
وليس قولك من هذا بضايره ۞ العرب تعرف من انكرت والعجم ۞
كلتا يديه غياث عم فضلهما ۞ يستوكفان ولا يعروهما عدم ۞
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ۞ يغضي حياء ويغضى من مهابته ۞ فما يكلم الا حين يبتسم ۞
في خلقه الهدي من نور غرته ۞ كالشمس تنجاب عن اشراقها الظلم ۞
حمآل اثقال اقوام اذا فزعوا ۞ طلق الشمايل تحلو عنده نعم ۞
ما قال لا قط الا في تشهده ۞ لولا التشهد كانت لآه نعم ۞
بم البرية بالاحسان ما انتشقت ۞ حبا العناية والاخلاف والعدم ۞
من معشر حبهم دين وبغضهم ۞ كفر وقربهم منجا ومعتصم ۞
ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم ۞ او قيل من خير اهل الارض قيل هم ۞
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ۞ ولا يدانيهم قوم وان كرموا ۞
هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت ۞ والاسد اسد الشرى والبأس محترم ۞
لا ينقص العسر بسطا من اكفهم ۞ سيان ذلك ان اثروا وان عدموا ۞
يستدفع السوء والبلوى بحبهم ۞ ويستعان بهم في كل مبدء ومختتم ۞
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ۞ في كل بدء ومختوم به الكلم ۞
يأبى فيغضي هشام على الفرزدق وا ۞ فارسل له زين العابدين بمائتي مثقال

الى الفرزدق

فردها وقال انما مدحت الله تعالى لا لاجل العطا. فارسل اليه زين العابدين يقول انا اهل
بيت اذا وهبنا شيا لا نستعيده. والله يعلم نيتك وشيبك عليها. وشكر الله لك سعيك ٥
فلما بلغته الرسالة قبلها ٥ واسم الفرزدق همام بن غالب. والفرزدق لقب غلب عليه
والله اعلم. واما خواص الاسد وكثيره. قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي قال حدثنا عبد الله
ابن صالح قال حدثنا الليث قال حدثني هشام بن سعد عن زيد بن اسلم عن ابيه رضي الله عنهما ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لما حمل نوح في السفينة من كل زوجين اثنين قال اصابه نطس او نطس الوحش
ومعنا الاسد. فسلط الله عليه الحمى. فكانت اول حمى نزلت الارض. فهو لا يزال محموما.
ثم شكوا الفارة. فقالوا الفوسقه تفسد علينا طعامنا ومتاعنا. فاوحى الله تعالى الى الاسد
فعطس فخرجت الهرة منه. فتحبات الفارة منها. وهذا حديث مرسل. وفي كتاب الكليه
في ترجمة وهب بن منبه انه قال لما امر نوح عليه السلام ان يحمل من كل زوجين اثنين قال يا
رب كيف اصنع بالاسد والبقرة. وكيف اصنع بالعناق والذيب. وكيف اصنع بالحمام والهرة.
فاوحى الله اليه يقول من القى بينهم العداوة. قال فافأ لف بينهم فلا يتضرر
وقال عبد الملك بن حبيب صاحب الخواص الجربة من الجسد نه بشحم الاسد هربت منه السباع
ولم ينله شيء مكروه. وصوت الاسد يقتل التماسيح اذا سمعته. واذا احرق شعره في موضع
هربت منه سائر السباع. واذا طبخ لحمه واكله من به الفالج نفعه. واذا وضعت قطعة
من جلده في عند وقمح شاب لم يصبها السوس ولا الارضة. وسنه اذا استعط بها انسان
سكن عنه من وجع الاسنان. وقال بعضهم ان الجلوس على جلد الاسد يذهب البواسير
والنقرس. والاكتحال بمرارته يحد البصر. ومرارته اذا سقي منها وزن دانق لمن به
اليرقان ينفعه نفعا بينا. وشحمه اذا مرخ به ينفع نفعا بينا. وحضيضه اذا ملحت بورقا احمر
ومصطكا وجففت وسحقت وخلطت بسويق وشربت نفعت من جميع الاوجاع التي
تكون من مثل المغص والقولنج والبواسير والدبير. وزبله اذا جفف وخلط مع الدلوك
الذي تدلك به نفع من البهق الظاهر. ومن سقي من زبله انسانا لا يصبر عن الخمر وهو لا
يعلم به وزن دانق بغض الخمر حتى لا يشربه ولا يشتهي براه ابدا. ومرارته اذا خلط مع

مطلب حكاية غريبة وكيفية

مطلب خواص ومنافع

العسل وجعل على الخنازير اباها ماذن الله • رجحنا الى التفسير • قال الله عز وجل
ومما اكل السبع الا ما ذكيتم يعنى الا ما ادركتموه وقد بقت فيه حياة مستقرة من هذه
الاشيا المذكورة • والظاهر ان هذا الاستثنا يرجع الى جميع المحرمات المذكورة فى الآية
من قوله تعالى والمنخنقة الى قوله وما اكل السبع • وهذا قول على بن ابى طالب • وابن عباس •
والحسن وقتادة • قال ابن عباس رضى الله عنه يقول الله تعالى ما ادركتم من هذا كله وفيه
روح فاذبح فهو حلال • وقال الكلبى هذا الاستثنا مما اكل السبع خاصة • والقول هو
الاول • واما كيفية ادراكها • فقال اكثر اهل العلم من المفسرين ان ادركت ذكاته بان
يوجد له عين تطرف او ذنب يتحرك فاكله جايز • قال ابن عباس اذا طرفت بعينها او ركضت
برجلها او تحركت فاذبح فهو حلال • وذهب بعض اهل العلم الى ان السبع اذا جرح فاخرج
الحشوة او قطع الجوف قطعا يوبس منه الحياة فلا ذكاة لذلك وان كان به حركة ورمق •
لانه قد صار الى حالة لا يؤثر فى حياته الذبح • وهو مذهب الامام مالك • واختار الزجاج •
وابن الانبارى • لان معنى التذكية ان يلحقها وفيها بقيه تشخب معها الاوداج وتضطرب
اضطراب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة • وروى عن ابى طلحة الاسدى
انه قال سالت ابن عباس عن ذيب عدا على شاة فشق بطنها حتى انتثر قصبها فادركت
ذكاتها فذكيتها • فقال كل • وما انتثر من قصبها فلا تاكل • قال اسحق بن راهويه السنة
فى الشاة على ما وصف ابن عباس • لانه ان خرجت مصارينها فانها تحيا بعد • وموضع الذكاة
منها سالم • وانما ينظر الذابح احية هى ام ميتة • ولا ينظر هل يعيش مثلها ام لا • وكذلك المريضة •
قال اسحق ومن خالف هذا فقد خالف السنة من جمهور العلما وعامة الصحابة • والى هذا
القول ذهب ابن حبيب • وذكره عن الامام مالك • وهو قول ابن وهب • والمشهور من مذهب الامام اصحاب م
الشافعى • قال المزنى واحفظ للامام الشافعى قولا آخر انها لا تؤكل اذا بلغ منها السبع
والتردى ما لا حياة معه • وهو قول المدنيين • والمشهور من مذهب الامام مالك • ويكون الاستثنا
على هذا القول منقطعا • تقديره حرمت عليكم هذه الاشيا لكن ما ذكيتم فهو الذى لم يحرم • ٥
وقال ابن عبد البر قد اجمعوا فى المريضة التى لا يرجى حياتها ان ذبحها ذكاة لها اذا كانت

فيها الحياة من حين ذبحها وعلم ذلك منها بما ذكروا من حركة يدها او رجلها او ذنبها او نحو ذلك. واجمعوا انها اذا صارت في حال النزع ولم تحرك يدا ولا رجلا انه لا ذكاة فيها. وكذلك ينبغي في القياس ان يكون حكم المتردية وما ذكر بعثا في الاية. والله اعلم. وذلك قوله تعالى الا ما ذكيتم. واصل الذكا في اللغة تمام الشيء. فالمراد من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم. ويدل عليه ما روى عن رافع بن خديج رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه. ليس السن والظفر. وساحدثكم عن ذلك. اما السن فعظم. واما الظفر فمدى الحبشة. رواه البخاري ومسلم. ومعنى قوله تعالى ذكيتم. اي ادركتم ذكاته على التمام. وتقول ذكيت الذبيحة اذكيها. وهي مشتقة من التطيب. تقال رائحة ذكية. فالحيوان اذا اسيل دمه فقد طيب. لانه تسارع اليه التجفيف. وفي حديث محمد بن علي رضي الله عنهما ذكاة الارض يبسها. يريد طهارتها من النجاسة. فالذكاة في الذبيحة تظهر لها واباحة لاكلها. فجعل يبس الارض بعد النجاسة تطهيرا لها واباحة الصلاة فيها بمنزلة الذكاة للذبيحة. وهو قول اهل العراق. اذا تقرر هذا فاعلم ان الذكاة في الشرع عبارة عن انهار الدم وفري الاوداج في المذبوح. والنحر في المنحور. والعقر في غير المقدور. مقرونا بنيه القصد لله تعالى وذكره. علة على ما ياتي بيانه ان شا الله. واختلف العلما فيما تقع به الذكاة. فالذي عليه الجمهور ان كل ما فرى الاوداج وانهر الدم فهو من الات الذكاة. ما خلا السن والظفر. على هذا تواترت الاثار. وقال به فقها الامصار. والسن والظفر المنهي عنهما في التذكية هما غير المنزوعين. لان ذلك يصير خنقا. وكذلك قال ابن عباس ذلك الخنق. فاما المنزوعين اذا فريا الاوداج فجايز الذكاة بهما عندهم. وقد كره قوم السن والظفر والعظم على كل حال. منزوعة وغير منزوعة. منهم ابرهيم والحسن واللث بن سعد. وهو مروي عن الامام الشافعي. واحتجوا بظاهر حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله انا لاقوا العدو غدا وليست معنا مدى. في رواية فندكي باللبيط. وورد الامام مالك في الموطا عن نافع عن رجل من الانصار عن معاذ بن سعد او سعد بن معاذ ان جارية لكعب بن مالك كانت ترعى له غنما بسلع فاصيبت شاة منها فادركتها فذكتها بحجر

فصل

سئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لا باس بها كلوها • وفى مصنف ابى داود
فتذبح بالمروة وشعبة العصا • فقال اعجل • او ارنى • ما انهر الدم وذكر اسم الله فكل •
ليس السن والظفر • وساحدثك • اما السن فعظم • واما الظفر فمدى الحبشه • وروى
عن سعيد بن المسيب انه قال ما ذبح بالليطه والشصير والظرر فحل ذكى • الليطة
قلقة القصبه • ويمكن بها الذبح والنحر • والشصير قلقة العود • وقد يمكن بها الذبح لان
لها جانبا رقيقا • والظرر قلقة الحجر يمكن الذكاة بها • ولا يمكن بها النحر • وعكسه الشظاظ
ينحر به لانه كطرف السنان • ولا يمكن به الذبح • والله اعلم • واختلفوا فى الذى يقطع فى
الذبح فقال الامام مالك وجماعة من العلما لا تصح الذكاة الا بقطع الحلقوم والودجين •
وقال الامام الشافعى تصح بقطع الحلقوم والمرى • ولا تحتاج الى الودجين لانهما مجرى
الطعام والشراب الذين لا تكون معهما حياة • وهو الغرض من الموت • والامام مالك وغيره
اعتبروا الموت على وجه يطيب معه اللحم وتفترق فيه الحلال وهو اللحم من الحرام الذى
يخرج بقطع الاوداج • وهو مذهب الامام ابى حنيفة • وعليه يدل حديث رافع بن خديج
فى قوله ما انهر الدم • وحكى البغداديون عن الامام مالك انه اشترط قطع اربع الحلقوم
والودجين والمرى • وهو قول ابى ثور • والقول المقدم هو المشهور • وهو قول اللذين بعده
ثم اختلف اصحابه فى قطع احد الودجين والحلقوم هل هو ذكاة ام لا على قولين • واجمع
العلما على ان الذبح مهما كان تحت الغلصمة فقد تمت الذكاة • واختلف فى الغلصمه
اذا ذبح فوقها وحازها الى البدن هل ذلك ذكاة ام لا على قولين • وقد روى عن الامام
مالك انها لا تؤكل • وكذلك لو ذبحها من القفا واستوفى القطع وانهر الدم وقطع الحلقوم
والودجين انها لا تؤكل • وقال الامام الشافعى تؤكل لان المقصود قد حصل • وهذا
يبنى على اصل • وهو ان الذكاة وان كان المقصود منها انهار الدم ففيها ضرب من التعبد
وقد ذبح النبى صلى الله عليه وسلم فى الحلق وذبح فى اللبة • وقال انما الذكاة فى الحلق
واللبة • فبين صلى الله عليه وسلم محلها وعين موضعها • وقال مبينا لفايدتها ما انهر
الدم وذكر اسم الله فكل • فاذا اهمل ذلك ولم يقع بنية ولا بشرط ولا بصفه مخصوصة

زال منها حظ التعبد فلم يوكل لذلك والله اعلم واختلفوا فيمن رفع يده قبل تمام
الذكاة ثم رجع في الفور واكمل الذكاة فقال بعضهم يجزيه وقال بعضهم لا يجزيه والاصح
الاول لانه اخرجها ثم ذكاها بعد وحياتها مستجمعة فيها والله اعلم قال العلماء ويستحب
ان لا يذبح الا من ترضى حاله وكل من اطاقه واتى به على سنته سواء كان ذكرا او انثى
بالغا او غير بالغ جاز ذبحه اذا كان مسلما او كتابيا وذبح المسلم افضل من ذبح الكتابي
ولا يذبح النسك الا المسلم فان ذبحه كتابي فقد اختلف فيه والله اعلم وما استوحش
من الانسي لم يجز في ذكاته الا ما يجوز في ذكاة الانسي في قول الامام مالك واصحابه وربيعة
والليث بن سعد وكذلك المتردي في البير لا تكون الذكاة فيه الا فيما بين الحلق واللبة
على سنة الذكاة وقد خالف في هاتين المسالتين بعض اهل المدينة وغيرهم وفي الباب
حديث رافع بن خديج وقد تقدم وتمامه بعد قوله فمدى الجشة قال واصبنا نهب
ابل وغنم فند منها بعير فرماه رجل بسهم فحبسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
لهذه الابل اوابد كاوابد الوحش فاذا غلبكم منها شيء فافعلوا به هكذا وفي رواية وكلوه
وبه قال الامام ابو حنيفة والامام الشافعي قال الامام الشافعي تسليط النبي صلى
الله عليه وسلم على هذا الفعل دليل على انه ذكاة واحتج بما رواه ابو داود والترمذي عن ابي
العشراء عن ابيه قال قلت يا رسول الله اما تكون الذكاة الا في الحلق واللبة قال لو طعنت
في فخذها لاجزاء عنك قال يزيد بن هرون وهو حديث صحيح اعجب الامام احمد بن حنبل ورواه
عن ابي داود واشار على من دخل عليه من الحفاظ ان يكتبه قال ابو داود ولا يصلح هذا
الا في المتردية والمستوحش وحمل بعضهم هذا الحديث على ما سقط في مهواة فلا يوصل
الى ذكاته الا بالطعن في غير موضع الذكاة قال ابن عبد البر قول الامام الشافعي اظهر
في اهل العلم وانه يوكل مما يوكل منه الوحشي لحديث رافع بن خديج وهو قول ابن عباس
وابن مسعود ومن جهة القياس ان الوحشي اذا قدر عليه لم يحل الا بما يحل به الانسي
لانه صار مقدورا عليه فكذلك ينبغي في القياس اذا توحش او صار في معنى الوحشي من
الامتناع ان يحل بما يحل به الوحشي والله اعلم ومن تمام هذا الباب قول النبي صلى الله

رجل ج

علیه وسلم ان اللہ کتب الاحسان علی کل شیٔ فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا
الذبح ولیحد احدکم شفرته ولیرح ذبیحته رواه مسلم عن شداد بن اوس رضی اللہ عنه
وعن ابن عباس رضی اللہ عنهما قال مر رسول اللہ صلی اللہ علیه وسلم علی رجل واضع رجله علی
صفحة شاة وهو یحد شفرته وهی تلحظ الیه ببصرها فقال صلی اللہ علیه وسلم افلا قبل هذا
اتریدان تمیتها موتتان رواه الطبرانی والحاکم الا انه قال اتریدان تمیتها موتات هلا
حددت شفرتک قبل ان تضجعها وعن ابن عمر رضی اللہ عنهما قال امر رسول اللہ صلی اللہ علیه
وسلم ان تحد الشفار وان تواری عن البهایم وقال اذا ذبح احدکم فلیجهز رواه ابن ماجة
الشفار جمع شفرة وهی السکین وقوله فلیجهز ای فلیسرع ذبحها ولیتمه وعن ابن عمر ایضا
ان رسول اللہ صلی اللہ علیه وسلم قال ما من انسان یقتل عصفورا فما فوقها بغیر حقها الا
ساله اللہ عز وجل عنها قیل یا رسول اللہ وما حقها قال یذبحها فیاکلها ولا یقطع راسها
ویرمی بها رواه النسای والحاکم وعن الشرید رضی اللہ عنه قال سمعت رسول اللہ صلی اللہ علیه
وسلم یقول من قتل عصفورا عبثا عج الی اللہ یوم القیامة یقول یا رب ان فلانا قتلنی عبثا
ولم یقتلنی منفعة رواه النسای وابن حبان فی صحیحه وروی عن ابن سیرین ان عمر بن
الخطاب رضی اللہ عنه رای رجلا یسحب شاة برجلها لیذبحها فقال له ویلک قدها الی الموت
قودا جمیلا رواه عبد الرزاق موقوفا ورواه ایضا مرفوعا عن محمد بن راشد عن
الوضین بن عطا قال ان جزارا فتح بابا علی شاة لیذبحها فانفلتت منه حتی جاءت رسول
اللہ صلی اللہ علیه وسلم فاتبعها فاخذ برجلها یسحبها فقال لها رسول اللہ صلی اللہ علیه
وسلم اصبری لامر اللہ وانت یا جزار فسقها سوقا رفیقا وعن ابی صالح الخنفی عن رجل
من اصحاب النبی صلی اللہ علیه وسلم اراه ابن عمر رضی اللہ عنهما قال سمعت رسول اللہ صلی اللہ
علیه وسلم قال من مثل بذی روح ثم لم یتب مثل اللہ به یوم القیامة رواه الامام احمد
ورجاله ثقات وعن مالک بن نضله رضی اللہ عنه قال اتت النبی صلی اللہ علیه وسلم فقال
هل تنتج ابل قومک صحاحا فتعمد الی الموسی فتقطع اذانها وتشق جلودها وتقول هذا صرم
فتحرمها علیک وعلی اهلک قلت نعم قال فکل مما آتاک اللہ لک حل ساعد اللہ اشد من

ساعدك • وموسى الله احد من موساك • رواه ابن حبان فى صحيحه • وعن جرير رضى الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لا يرحم من فى الارض لا يرحمه من فى السما • رواه
الطبرانى • وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الراحمون يرحمهم الرحمن • ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السما • وعن ابى هريرة رضى الله عنه
قال سمعت الصادق المصدوق صاحب هذه الحجره ابا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول لا تنزع
الرحمة الا من شقى • رواه ابو داود • وعن معونة بن قرة عن ابيه رضى الله عنهما ان رجلا قال قلب ص
يا رسول الله انى لارحم الشاة ان اذبحها • فقال ان رحمتها رحمك الله • رواه الحاكم والاصبهانى •
ولفظه قال يا رسول الله انى آخذ شاة واريد ان اذبحها فارحمها • قال والشاة ان رحمتها
رحمك الله • وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا او دجاجة يرمونها
وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطية من نبلهم • فلما راوا ابن عمر تفرقوا • فقال ابن عمر من فعل
هذا لعن الله من فعل هذا • ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيا فيه الروح غرضا •
رواه البخارى ومسلم • الغرض بفتح الغين المعجمة والرا هو ما تنصبه الرماة تقصدون اصابته
من قرطاس وغيره • وعن ابى مسعود رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر
فانطلق لحاجته فرايينا حمره معها فرخان • فاخذنا فرخيها • فجاءت الحمرة فجعلت تعرش •
فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من فجع هذه فى ولدها • ردوا ولدها اليها • ورأى
صلى الله عليه وسلم قرية نمل قد حرقناها • فقال من حرق هذه • قلنا نحن يا رسول الله • قال انه
لا ينبغى ان يعذب بالنار الا رب النار • رواه ابو داود • وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما
قال اردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم فاسر الى حديثا لا احدث به احدا
من الناس • وكان احب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدفا او حايش
نخل • فدخل حايطا لرجل من الانصار • فاذا فيه جمل • فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حن ودرفت عيناه • فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت • فقال من رب
هذا الجمل لمن هذا الجمل • فجاء فتى من الانصار فقال لى يا رسول الله • قال افلا تتقى الله فى هذه
البهيمة التى ملكك الله اياها • فانه شكى الى انك تجيعه وتدئبه • رواه الامام احمد

ابو داود 2

وابو داود

ابو داود • وروى الامام احمد ايضا فى حديث طويل عن يعلى بن مرة • قال فيه وكنت معه
يعنى مع النبى صلى الله عليه وسلم جالسا ذات يوم اذ جاءه جمل يحك حتى ضرب بجرانه بين يديه
• ثم دار فقعينا • فقال وبحك انظر لمن هذا الجمل • ان له لشانا • قال فخرجت التمس صاحبه
• فوجدته لرجل من الانصار • فدعوته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال ما شان جملك
هذا • فقال وما شانه • لا ادرى والله ما شانه • عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية
فاتيمونا البارحة ان ننحره ونقسم لحمه • قال صلى الله عليه وسلم فلا تفعل هبه لى او بعنيه
• قال هو لك يا رسول الله • قال فوسمه بميسم الصدقة ثم بعث به • وفى رواية له نحوه
• الا انه قال فيه انه قال لصاحب البعير ما بعيرك تشكوك • زعم انك سنانه حتى كبر توبد
ان تنحره • قال صدقت والذى بعثك بالحق • قال لا افعل • وفى رواية اخرى له ايضا
• قال يعلى فرمرة رضى الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ مر بنا بعير
يبكى عليه • فلما رآه البعير جرجر ووضع جرانه • فوقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اين صاحب هذا البعير • فجاء • فقال النبى صلى الله عليه وسلم بعنيه • قال لا بل اهبه لك
• انه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره • فقال اما اذ ذكرت ذلك من امره • فانه شكى كثرة العمل
وقلة العلف • فاحسنوا اليه • وروى ابن ماجة عن تميم الدارى رضى الله عنه • قال كنا جلوسا
عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ اقبل بعير يعدو حتى وقف على حاسة رسول الله صلى الله عليه
وسلم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها البعير اسكن • فان تك صادقا فلك صدقك
وان تك كاذبا فعليك كذبك • مع ان الله تعالى قد امن عاديتنا • وليس بخايب لا يدنا
فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير • فقال هذا بعير حرم اهله بنحره واكل لحمه فهرب
منهم واستغاث بنبيكم صلى الله عليه وسلم • فبينا نحن كذلك اذ اقبل صاحبه • او قال اصحابه
يتعادون • فلما نظر اليهم البعير عاد الى حاسة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذ بها • فقالوا
يا رسول الله هذا بعيرنا حرب منذ ثلاثة ايام فلم نلقه الا بين يديك • فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما انه يشكوا الى فبيست الشكاية • فقالوا يا رسول الله ما يقول • قال
يقول انه رعى فى امنكم احوالا • وكنتم تحلون عليه فى الصيف الى موضع الكلا • فاذا كان الشتا

على حاشية الجمل

دخلتم الى موضع الدفا فلما كبر استعجلتم فرزقكم الله منه ابلا سائمة فلما ادركته هذه
السنة اخصبه هممتم بذبحه واكل لحمه فقالوا والله كان ذلك يا رسول الله فقال صلى الله
عليه وسلم ما هذا جزا المملوك الصالح من مواليه قالوا يا رسول الله فانا لا نبيعه ولا ننحره
قال كذبتم قد استغاث بكم فلم تغيثوه وانا اولى بالرحمة منكم فان الله نزع الرحمة من قلوب
المنافقين واسكنها فى قلوب المومنين فاشتراه صلى الله عليه وسلم منهم بمائة درهم وقال
يا ايها البعير انطلق فانت حر لوجه الله تعالى فرغا على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم آمين ثم رغا فقال امين ثم رغا فقال امين ثم رغا الرابعة فبكى
صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير قال فانه قال جزاك الله ايها النبى عنى
الاسلام والقرآن خيرا فقلت امين ثم قال سكن الله رعبة امتك يوم القيامة كما سكنت
رعبى فقلت امين ثم قال حفظ الله ما اعطيتك من اعدايها كما حفظت دينى فقلت امين
ثم قال لا جعل الله باس امتك بينها فهكيت فان هذه الخصال صارت دينى فاعطانيها
ومنعنى هذه واخبرنى جبريل عليه السلام بالسيف جرى القلم بما هو كائن وعن ابن
عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت امراة النار فى هرة ربطتها فلم
تطعمها ولم تدعها تاكل من خشاش الارض وفى رواية عذبت امراة فى هرة سجنتها حتى
ماتت لا هى اطعمتها وسقتها اذ حبستها ولا هى تركتها تاكل من خشاش الارض رواه البخارى وغيره
ورواه الامام احمد من حديث جابر وزاد فى آخره فوجب لها النار بذلك وعن سهل بن
الحنظلية رضى الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعير قد لصق ظهره ببطنه
فقال اتقوا الله فى هذه البهايم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة رواه ابو داود
وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال دخلت الجنة فرايت
اكثر اهلها الفقرا واطلعت فى النار فرايت اكثر اهلها النسا ورايت فيها ملاه يعذبون
امراة من حمير طوالة ربطت هرة لها لم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تاكل من خشاش
الارض فهى تنهش فخذها وهو بوها ورايت فيها اخا بنى دعدع الذى كان يسوق الحجيج
فاذا فطن له قال انما تعلق بحجنى والذى بعث محمدا نبيا رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه

ابن حبان فی صحیحه وفی روایة له ذکر فیها الکسوف قال صلی الله علیه وسلم وعرضت علی النار
فلولا انی دفعتها عنکم لغشیتکم ورایت فیها ملانة یعذبون امراة حمیریة سوداء طویلة
تعذب فی هرة لها اوثقتها فلم تدعها ناکل من خشاش الارض ولم تطعمها حتی ماتت
فمی اذا اقبلت تنهشها واذا ادبرت تنهشها الحدیث وعن اسما بنت ابی بکر رضی الله عنها
ان النبی صلی الله علیه وسلم صلی صلاة الکسوف فقال دنت منی النار حتی قلت ای رب وانا معهم
فاذا امراة حسبت انه قال تخدشها هرة قال ما شان هذه قالوا حبستها حتی ماتت جوعا
رواه البخاری وعن ابی هریرة رضی الله عنه عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال درا رجل الی بیر
فنزل فشرب منها وعلی البیر کلب یلهث فرحمه فنزع احد خفیه فسقاه فشکر الله له
فادخله الجنة رواه ابن حبان فی صحیحه ورواه البخاری ومسلم وابو داود وغیرهم بالطول
من هذا وعن ابن عباس رضی الله عنهما قال نهی رسول الله صلی الله علیه وسلم عن التخویش بین البهائم
رواه ابو داود والترمذی رحمهما الله والاحادیث فی رحمة البهائم کثیرة وانما اوردنا هذا
القدر منها لیرغب الناس فی الاحسان الیها والرفق بها ولیعلموا ان الله تعالی ربها ولیس هو
بغافل عمن قصر فی حقوقها وانه تعالی سیقتص له منها او یعفو سبحانه قال العلماء ومعنی قول
النبی صلی الله علیه وسلم ان الله کتب الاحسان علی کل شی فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة واذا ذبحتم
فاحسنوا الذبح الی اخره ان احسان الذبح فی البهایم الرفق بها فلا یضرعها بعنف ولا
یجرها من موضع الی موضع واحداد السکین واحضار نیة الاباحة والقربة وتوجیهها
الی القبلة والاسراع وقطع الودجین والحلقوم وارتاحتها وترکها الی ان تبرد والاطف
به تعالی بالمنة والشکر له بالنعمة بان سخر لنا ما لو شاء لسلطه علینا واباح لنا ما لو شاء
لحرمه علینا وقال ربعة رضی الله عنه من احسان الذبح ان لا تذبح بهیمة واخری تنظر
والمراد حسن القتلة فعام فی کل شی من التذکیة والقصاص والحدود وغیرها وقد
روی ابو داود عن ابن عباس وابی هریرة رضی الله عنهما قالا نهی رسول الله صلی الله علیه وسلم
عن شریطة الشیطان زاد ابن عیسی فی حدیثه وهی التی تذبح فتقطع ولا تفری الاوداج
ثم یترک فتموت والله تعالی اعلم وقوله تعالی وما ذبح علی النصب یعنی وحرمت ما ذبح

على النصب والنصب يحتمل ان يكون جمعا واحده نصاب وان يكون واحدا وجمعه انصاب
وهو الشئ المنصوب قال مجاهد وقتادة وابن جريج كان حول البيت ثلاثمائة وستون حجرا كان
اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليس هذه الحجارة باصنام انما
الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة والمعنى وما ذبح على اسم النصب
وقرا طلحة وما ذبح على النُصُب بضم النون وجزم الصاد وقرا ابن عمر وما ذبح على النَّصْب
بفتح النون وجزم الصاد وقرا الحدري وما ذبح على النَّصَب بفتح النون والصاد جعله اسما
يوحد كالجبل والجمل والجمع انصاب كالاجبال والاجمال قال ابن جريج كانت العرب تذبح
بمكة وتنضح بالدم ما اقبل من الكعبة وتشرحون اللحم وتضعونه على الحجارة فلما جاء الاسلام
قال المسلمون للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله نحن احق ان نعظم هذا البيت بهذه الافعال
فكانه صلى الله عليه وسلم لم يكره ذلك فانزل الله عز وجل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن
هذه الاية وما ذبح على النصب معناه والنية فيها بعظم النصب لانه الذبح عليها غير جائز
قال الاعشى ٥

ولا النصب المنصوب لا تنسكنه لعاقبة والله ربك فاعبدا

وقيل ان على في قوله على النصب بمعنى اللام اي لاجل النصب وقال ابن زيد ما ذبح على النصب
هو ما اهل به لغير الله لكن خص الذكر بعد جنسه لشهرة الامر وشرف الموضع وتعظيم
النفوس له والله اعلم وقوله وان تستقسموا بالازلام معطوف على ما قبله بمعنى
وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهي القداح اي السهام
الذي لا ريش لها ولا نصل واحدها زلم مثل قلم وكان استقسامهم بالازلام على ما
ذكره المفسرون ان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا
او اختلفوا في نسب او امر قتيل او نحل عقل او غير ذلك من الامور العظام ضرب بالقداح
وكانت قداحا مكتوبا على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي فان خرج الآمر مضى
لامره وان خرج الناهي امسك وروى محمد بن اسحق قال كان هبل اعظم اصنام قريش بمكة
وكان على بئر في جوف الكعبة وكانت تلك البئر التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة وكان عند هبل

قداح سبع كل قدح منها فيه كتابة. فقدح فيه العقل. اذا اختلفوا فى العقل من يحمله
منهم ضربوا بالقداح السبعة فعلى من خرج العقل حمله. وقدح فيه نعم. للامر اذا
ارادوا ان يضربوا به. فان خرج قدح نعم عملوا به. وقدح فيه لا. اذا ارادوا امر اضربوه.
فان خرج قدح لا لم يفعلوا ذلك الامر. وقدح فيه منكم. وقدح فيه ملصق. وقدح فيه
من غيركم. وقدح فيه المياه. اذا ارادوا ان يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح
فحيث ما خرج عملوا به. وكانوا اذا ارادوا ان يختنوا غلاما او ينكحوا منكحا او يدفنوا ميتا
او شكوا فى نسب احدهم ذهبوا به الى هبل وبمائة درهم وجزور فاعطوها صاحب القداح الذى
يضربها. ثم قربوا صاحبهم الذى يريدون به ما يريدون. فقالوا يا الهنا هذا فلان بن فلان
قد اردنا به كذا وكذا. فاخرج الحق. ثم يقولون لصاحب القداح اضرب. فان خرج عليه
منكم كان وسطا فيهم. وان خرج عليه من غيركم كان حليفا فيهم. وان خرج عليه ملصق كان
على منزلته فيهم. لا نسب له ولا حلف. وان خرج فيه شى مما سوى هذا مما يعملون به فان خرج
نعم عملوا به. وان خرج لا اخروه عامه ذلك حتى يأتوه مرة اخرى. ينتهون فى امورهم الى ذلك
مما اخرجت به القداح. قال الله تعالى ذلكم فسق. فنهاهم سبحانه عن ذلك وسماه فسقا. وقال
محمد بن كعب الازلام هى كعاب فارس والروم التى كانوا يتقامرون بها. وقتل كانت الكعاب
للعجم والازلام للعرب. وكعاب العجم هى النرد. وكلها حرام لا يجوز اللعب بشى منها. وقتل
هى الشطرنج. قال سفيان وكيع الاستقسام بهذا كله هو طلب القسم والنصيب. وهو من
اكل المال بالباطل وهو حرام. وكل مقامرة بحمام او بنرد او شطرنج او غير ذلك من هذه
الالعاب فهو استقسام. كما هو فى معنى الازلام حرام كله. وهو ضرب من التكهن. وتعرض
لدعوى علم الغيب. وقال بعضهم انما نهى الله عنها فيما يتعلق بامور الغيب. فانه لا تدرى
نفس ماذا تصيبه غدا. فليس للازلام فى تعريف المغيبات اثر فاستقسم بعلم. وليس من هذا
الباب طلب الفال. وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يسمع يا راشد يا نجيح. اخرجه
الترمذى وقال حديث صحيح غريب. قال العلماء وانما كان النبى صلى الله عليه وسلم يعجبه الفال لان
النفس تنشرح له. وتستبشر بقضاء الحاجة وبلوغ الامل. فيحسن الظن بالله عز وجل. وقد قال

تعالى انا عند ظن عبدى بى • وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره الطيرة • لانها من اعمال اهل
الشرك • ولانها تجلب ظن السوء بالله عز وجل • وقال الخطابى الفرق بين الفال والطيرة ان
الفال انما هو من طريق حسن الظن بالله عز وجل • والطيرة انما هى من طريق الاتكال على شئ
سواه • وقال الاصمعى سالت ابن عون عن الفال • فقال هو ان يكون مريضا فيسمع يا سالم •
او يكون ناعسا فيقول يا واجد • وهذا هو معنى حديث الترمذى • وفى صحيح مسلم عن ابى هريره غايبا
رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا طيرة • وخيرها الفال • قيل
يا رسول الله وما الفال • قال الكلمة الصالحة يسمعها احدكم • وروى ابو داود عن ابى الدرداء
رضى الله عنه قال انما العلم بالتعلم • والحلم بالتحلم • ومن يتحر الخير يعطه • ومن يتوق الشر يوقه •
وثلاثة لا ينالون الدرجات العلى • من يكهن • او استقسم • او رجع من سفر من طيرة • وعن
عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيرة شرك • الطيرة شرك •
الطيرة شرك • وما منا الا • ولكن الله تعالى يذهبه بالتوكل • رواه ابو داود والترمذى ٥
وفى الحديث اضمار • والتقدير ما منا الا وقد وقع فى قلبه شئ من ذلك • يعنى قلوب امته • ولكن
الله يذهب ذلك عن قلب كل مومن يتوكل على الله • هكذا ذكره الاصبهانى • والصحيح ما ذكره البخارى
وغيره ان قوله وما منا الى اخره من كلام ابن مسعود مدرج غير مرفوع • وعن قطن بن
قبيصه عن ابيه رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة
والطرق من الجبت • رواه ابو داود والنسائى • قال ابو داود الطرق الزجر • والعيافه الخط •
وقيل العيافه زجر الطير • والطرق الضرب بالحصى • والجبت كل ما عبد من دون الله • وقيل
الجبت الكاهن • وقوله تعالى ذلكم فسق يعنى ما ذكره سبحانه من هذه المحرمات فى هذه الاية ٥
لان المعنى حرم عليكم تناول كذا وكذا فانه فسق • والفسق ما خرج من الحلال الى الحرام • وقيل
ان الاشارة عايده على الاستقسام بالازلام • والاول اصح • والله اعلم • قوله تعالى اليوم
يئس الذين كفروا من دينكم يعنى يئسوا ان ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا • وذلك ان كفار مكة
كانوا يطمعون فى ان يعود المسلمون الى دينهم • فلما قوى الاسلام ايسوا من ذلك • وذلك هو اليوم
الذى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع • فعند ذلك يئس الكفار من بطلان
دخل؛

دين الاسلام • قال الضحاك نزلت هذه الاية حين فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة • وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحها لثمان بقين من رمضان سنة ثمع • وقتل سنة نفر •
ودخلها ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله فهو امن • ومن وضع
السلاح فهو امن • ومن اغلق بابه فهو امن • وقال ان ذلك يوم عرفة • فنزلت هذه الاية
والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة • وقيل لم يرد يوما بعينه • وانما المعنى الآن يئس الذين
كفروا من دينكم • فهو كما تقول اليوم قد كبرت • تريد الان قد كبرت • وتقول فلانا كان
يزورنا • وهو اليوم يجفونا • لم ترد يوما بعينه • يعنى وهو الان يجفونا • ولم تقصد يوما اليوم •
قال الشاعر ○

فيوم علينا ويوم لنا • ويوم نساء ويوم نسر •

اراد فزمان علينا وزمان لنا • ولم يقصد ليوم واحد معين • والله اعلم فلا تخشوهم اى فلا
تخافوا الكفار ايها المومنون ان يظهروا على دينكم • فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم واخشون
اى وخافوا مخالفة امرى • واخلصوا الخشية لى • وقيل لا تخافوهم وخافونى • فانى انا
القادر على نصركم • قوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم الى اخرها قال العلماء وذلك
ان النبى صلى الله عليه وسلم حين كان بمكة لم يكن الا فريضة الصلاة وحدها • فلما قدم المدينة
انزل الله الحلال والحرام والحدود والاحكام الى ان حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع • فلما
حج وحمل الدين انزل الله هذه الاية اليوم اكملت لكم دينكم الى اخرها على ما بينه ان شاء الله ○
ونزلت هذه الاية فى يوم الجمعة بعد العصر فى يوم عرفة • والنبى صلى الله عليه وسلم واقف
بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحى • وذلك
فى حجة الوداع سنة عشر من الهجرة • وروى البخارى ومسلم عن طارق بن شهاب قال
جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه • فقال يا امير المومنين اية فى كتابكم تقرونها
لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا • قال فاى اية • قال اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا • فقال عمر انى لاعلم ذلك اليوم الذى
انزلت فيه • والمكان الذى نزلت فيه • نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات فى يوم

مطلب اليوم الاكمل

الجمعة • اشار عمر رضى الله عنه الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا • وعن ابن عباس رضى الله عنهما
انه قرا اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودى
فقال لو انزلت هذه الاية علينا لاتخذنا ها عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت فى يوم عيدين
فى يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب • قال ابن عباس
كان فى ذلك اليوم خمسة اعياد • يوم الجمعة ويوم عرفة • وعيد لليهود وعيد للنصارى
وعيد للمجوس ولم يجتمع اعياد لاهل الملل فى يوم واحد قبله ولا بعده • وروى انه لما نزلت
هذه الاية بكى عمر رضى الله عنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكانى
انا كنا فى زيادة من ديننا فاما اذ كمل فانه لم يكمل شئ الا نقص • قال صدقت • فكانت هذه
الاية نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وعاش يوما ومات صلى الله عليه
وسلم يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول • وقبل لاثنى عشرة ليله وهو الاصح سنه احدى
عشرة من الهجره • واما تفسير الاية فقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يعنى بالفرائض
والسنن والحدود والاحكام والحلال والحرام • فلم ينزل بعد هذه الاية حلال ولا حرام ولا
شئ من الفرائض • هذا معنى قول ابن عباس • وقال سعيد بن جبير وقتاده معنى اكملت لكم دينكم
حيث لم يحج معكم مشرك • وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين • وقيل معناه
اى اظهرت دينكم على الاديان وامتكم من عدوكم ما ان كفيتكم ما كنتم تخافونه • وقيل اكمال الدين
لهذه الآية • انه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتهم باقية الى يوم القيامة • وقيل اكمال الدين
لهذه الامة انهم آمنوا بكل نبى وكل كتاب • ولم يكن هذا لغير هذه الامه • وقال ابن الانبارى
اليوم اكملت شرائع الاسلام على غير نقصان كان قبل هذا الوقت • وذلك ان الله عز وجل
كان يتعبد خلقه بالشئ فى وقت ثم يزيد عليه فى وقت آخر فكون الوقت الاول تاما فى
وقته • وكذلك الوقت الثانى تاما فى وقته • فهو كما يقول العامل عندى عشرة كاملة
ومعلوم ان العشرين اكمل منها • والشرايع التى يعبد الله عز وجل بها عباده فى الاوقات
المختلفة مختلفة • وكل شريعة منها كاملة فى وقت التعبد بها • فكمل الله عز وجل الشرايع
فى اليوم الذى ذكره وهو يوم عرفة • ولم يوجب ذلك ان الدين كان ناقصا فى وقت من الاوقات •

ونقل الامام فخر الدين الرازى عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا كانت الشرايع النازلة من عند الله كافية فى ذلك الوقت الا انه تعالى كان يعلم فى اول وقت البعثة بان ما هو كامل فى هذا اليوم ليس بكامل فى الغد ولا يصالح فيه لا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان تنزيل بعد التحتم واما فى اخر زمان البعثة فانزل شريعة كاملة وحكم بقائها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الا ان الاول كمال الى يوم زمان مخصوص والثانى اكمال الى يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم اكملت لكم دينكم وقيل هو ان الله تعالى جمع لهذه الامة جميع ابواب الولاية واسبابها قال ذو النون المصرى رحمة الله عليه تعلمنا من سياسة الملوك اربعة اشياء الكتاب والرسول والخلعة والولاية فالكتاب جعله اشرف الكتب واكثرها يسرا واخفها اصرا واغزرها علما واوفرها حكما والرسول جعله اعظم الرسل وافضلهم والخلعة جعلها اعطا ولم يجعلها عارية والولاية جعلها دائمة الى نفخ الصور وقوله تعالى واتممت عليكم نعمتى يعنى باكمال الدين والشريعة لانه لا نعمة اتم من الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه انه تعالى انجز لهم ما وعدهم فى قوله ولاتم نعمتى عليكم فكان من تمام النعمة ان دخلوا مكة امنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم احد من المشركين وقال الشعبى نزلت هذه الاية بعرفات حيث هدم منار الجاهلية ومناسكهم واضمحل الشرك ولم يحج معهم فى ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان وقوله ورضيت لكم الاسلام دينا يعنى واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه ورضيت لكم الاستسلام لامرى والانقياد لطاعتى فيما شرعت لكم من الفرايض والاحكام والحدود ومعالم الدين الذى اكملته لكم قال العلما وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل نزول هذه الاية لانه تعالى لم يزل يتصرف نبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المومنين من حال الى حال وينقلهم من مرتبة الى مرتبة اعلا منها حتى اكمل لهم شرايع الدين ومعالمه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم انزل عليهم هذه الاية ورضيت لكم الاسلام دينا يعنى بالصفة التى هو اليوم بها وهى نهاية الكمال

وانتم الا ز عليه فالزموه ولا تفارقوه • وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسى
ولن يصلحه الا السخا وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه • وروى الطبرى عن قتادة
قال ذكر لنا انه يمثل لاهل كل دين دينهم يوم القيامة • فاما الاسلام فيبشر اصحابه
واهله ويعدهم فى الخير حتى يجى الاسلام فيقول ما رب انت السلام وانا الاسلام • فيقول الله
اياك اليوم اقبل • وبك اليوم اجزى • وقوله تعالى فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم
قال المفسرون هذه الاية من تمام ما تقدم ذكره فى المطاعم التى حرمها الله تعالى • ومتصله
بها • والمعنى ان هذه المحرمات وان كانت محرمة الا انها قد تحل فى حالة الاضطرار اليها • ومن
قوله تعالى ذلكم فسق الى هنا اعتراض • وقع بين الكلامين • والغرض منه تاكيد ما تقدم ذكره
من معنى التحريم • لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل • والنعمة التامة • والاسلام
الذى هو المرضى عند الله • ومعنى الاية فمن اضطر اى اجهد واصيب بالضر الذى لا يمكنه
معه الامتناع من اكل الميتة • وهو قوله تعالى فى مخمصة • يعنى فى مجاعة • والمخمصة خلو
البطن من الغذاء عند الجوع • ويقال رجل خميص البطن اذا كان ظاويا خاويا • وامراة خميصة
وخمصانة • ومنه اخمص القدم • ويستعمل كثيرا فى الجوع والغرث • وانشد الاعشى ٥

تبيتون فى المشتا ملاءة بطونكم ٥ وجاراتكم غرثى يبتن خمايصا ٥

اى مطويات على الجوع قد اضمر بطونهن • وانشد النابغة فى خمص البطن ٥

والبطن ذو عكن خميص لين ٥ والنحر تنفخه بثدى مبعد ٥

وفى الحديث خماص البطون خفاف الظهور • والخماص جمع خميص • وهو الضامر البطن • اخبر
انهم اعفاء عن اموال الناس • ومنه الحديث ان الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ٥
والخميصة ثوب له اعلام • وكذلك الخمايص ثياب خز او صوف معلمة • وهى سود كانت من
مما تلبسه السلف • وقد تقدم معنى الاضطرار فى سورة البقرة • وقوله غير متجانف لاثم ٥
يعنى غير مائل الى اثم او منحرف اليه • والمعنى فمن اضطر الى اكل الميتة او غيرها فى المجاعة
فلما كل غير متجانف لاثم • وهو ان ياكل فوق الشبع • وهذا قول فقهاء العراق • وقيل

وفي كل معناه غير متعرض لمعصية في مقصده. وهذا قول فقهاء الحجاز. وقال بعضهم ايضا
الجنف هو الميل. والاثم هو الحرام. ومنه قول عمر رضي الله عنه. ما تجانفنا فيه لاثم. اى
ما مِلنا ولا تعمدناه ونحن نعلمه. وكل ما آيل فهو متجانف وجنف. وقرأ النخعي ويحيى
ابن وثاب والسلمي غير متجنف لاثم. دون الف. وهو ابلغ في المعنى. لان شد العين من الفعل
تقتضي مبالغة وتوغلا في المعنى وثبوتا للحكمة. وتفاعل انما هو في محاداة الشيء والقرب
منه الا ترى انك اذا قلت تمايل الغصن فان ذلك يقتضي تاوّدا ومقاربة ميلٍ.
واذا قلت تميل الغصن فقد تشبه حكم الميل. وكذلك تصاون الرجل وتصوّن. وحافل
وتحمل. واما علم. ومعنى الاية غير متعمد لمعصية في مقصده كما تقدم. وهو قول قتادة
والامام الشافعي. وقوله فان الله غفور رحيم فيه اضمار تقديره فاكل فان الله غفور
له رحيم به. وانظر سيبويه

قد اصبحت ام الخيار تدعي ... علي ذنبا كله لم اصنع

اراد لم اصنعه فحذف. وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم المخمصة. وهو ما روي
ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا بارض يصيبنا فيها — فقلت يا رسول الله م
مخمصة فمتى تحل لنا الميتة فقال صلى الله عليه وسلم اذا لم تصطبحوا ولم
تغتبقوا فشأنكم بها. قوله تعالى يسألونك ماذا احل لهم. روى الطبري بسنده
عن ابي رافع رضي الله عنه قال اتى جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يستاذن
عليه فاذن له فلم يدخل. فقال اني لا ادخل بيتا فيه كلب. قال ابو رافع فخرجت فقتلت
كلبا بنجا كان لنا. ثم اتيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته. وروي
بقتله. فرجعت الى الكلب فقتلته. فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول
الله ما يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فانزل الله عز وجل يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين.
وروي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع في قتل الكلاب. فقتل حتى بلغ

العوالى فدخل عاصم وسعد بن خيثمة وعويم بن ساعدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا ماذا احل لنا فنزلت يسالونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من
الجوارح مكلبين واخرج حديث ابى رافع الحاكم فى المستدرك ولما نزلت هذه الاية
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقتنا الكلاب التى ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا ينتفع فيه منها
وروى البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امسك
كلبا فانه ينقص من عمله كل يوم قيراط الا كلب حرث او ماشية ولمسلم انا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه ينقص من اجره
قيراطان كل يوم وعن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال ان من كان يرخص فى اصلاح الشجرة
عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب فقال لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت
بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم ومامن اهل بيت تربى كلبا الا نقص من عملهم كل يوم
قيراط الا كلب صيد او كلب حرث او كلب غنم رواه الترمذى وقال حسن وعن
عائشة رضى الله عنها قالت واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فى ساعة ان ياتيه فجاء
فلك الساعة ولم ياته قالت وكان بيده عصا فخرج فرماها من يده وقال ما اخلفنى
ولا رسله ثم التفت فاذا جرو كلب تحت سريره فقال متى دخل هذا الكلب فقلت والله
ما دريت فامر به فاخرج فجاء جبريل عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدتنى
فجلست لك ولم تات فقال منعنى الكلب الذى كان فى بيتك انا لا ندخل بيتا فيه صورة رواه مسلم وعن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الملائكة
لا تدخل بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب وفى رواية لا تصحبنا رفقة فيها كلب ولا اناء
صلى الله عليه وسلم لا يحل اقتناء الكلب ولا اتخاذه الا لصيد او لزرع الخ وفى رواية نهى عن اقتناء كلب
واسماكها وامر بقتل الاسود البهيم وفى رواية امر بقتل الكلاب واخبر ان على اثر كل كلب
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب جاء نبى فقال يا رسول الله ما حل لنا من هذه
الامة التى امرت بقتلها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية
فلما تولت اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقتنا الكلاب التى ينتفع بها ونهى عن امساك

ما لا نفع فيه منها وامر بقتل الكلب الكلب والعقور وما يضر ورفع القتل عما سواها
مما لا ضرر فيه فاما بعض العلماء الحكمة في قول النبي صلى الله عليه وسلم من اقتنى كلبا ليس بكلب
صيد ولا ماشية ولا ارض فانه ينقص من اجره قيراط كل يوم ما روى انه قيل لعبد
الله بن المبارك ما تقول في قول المصطفى صلى الله عليه وسلم من اقتنى كلبا الى آخره فقال
حدثني ابو بلال قال قال منصور لعمرو بن عبيد ما بلغك في الكلب قال بلغني ان من اتخذ
كلبا الطير زرع ولا ماشية نقص من اجره كل يوم قيراط فقال له ولا زرعك قال هكذا جاء
في الحديث قال فخذ ما سقط اذا كل لانه ينبح على الضيف ويروع السائل وكانت
العرب تبغض الكلاب لهذا المعنى وتذم من ربطها بفنائه
وانشد بعض الشعراء وقد نزل بخيل وتلصق لكلابه فباتا
نزلنا بواد فاشتكى كلابه علينا فكدنا بين تيتيه نوكل
فقلت لاصحابي اسرجوا اليهم اذا اليوم ادهى القنا المتحول
قال العلماء واما جعل النقص في اجر من اقتنى الكلاب على غير الشروط المذكورة في الحديث
اما لترويع المسلمين وشغلهم عليهم بنباحها كما قيل في الشعر المتقدم واما
لمنع دخول الملائكة البيت واما لانها تشغل على ما يراه الامام الشافعي واما لاقتحام النجاسة عن
اتخاذ ما لا منفعة فيه والله اعلم وذهب في رواية نقص من اجره قيراطان وفي اخرى قيراط
وكل يحتمل ان يكون في نوعين من الكلاب احدهما اشد اذى من الاخر لا سود الذي
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ولم يختلف في الاستثناء حين نهى عن قتلها فقال عليكم بالاسود
البهيم ذي النقطتين فانه شيطان ويحتمل ان يكون ذلك لاختلاف المواضع فمكروه امساكه
بالمدينة ادون غيرها فقد اذن وغيرها فقد اباح واما الذي يباح
اتخاذه من غير نقصان اجر كلب الماشية والحائط ونحو ذلك ويجوز بيعه وشراؤه والله اعلم
قال بعض العلماء في هذه الاحاديث دليل على ان العالم اذا كان من العشيرة او اهل البيت
الكلب اذا علم يكون له فضيلة على سائر الكلاب فالانسان اذا كان له علم فهو اولى ان يكون
له فضل على سائر الناس لا سيما اذا كان يعمل بعلمه وهذا كما روي عن علي كرم الله وجهه

انه قال لكل شئ قيمة وقيمة المرء ما يحسنه اى ما يدريه ويحفظه من العلم والله تعالى اعلم
وقال سعيد بن جبير فى هذه الاية انها نزلت فى عدى بن حاتم رضى الله عنه وفى زيد الخيل
الطائيين وهو زيد الخيل الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وذلك انهما اتيا
النبى صلى الله عليه وسلم فقالا له يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة فما ذا يحل لنا
فانزل الله عز وجل يسالونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات الاية والمعنى يسالك اصحابك
يا محمد ما الذى احل لهم اكله من المطاعم والمآكل كانه قيل لما تلى عليهم من خبائث المآكل ما
تلى سألوا عما احل لهم وفى رواية اخرى ان عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائى قالا
للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة وما كلاب آل ذبيح وآل
ابى جويه فما ترى فيه البتر والحمر والذئاب فنجد فيه ما ندرك ذكاته ومنه ما تقتله
فلا ندرك ذكاته وقد حرم الله الميتة فما يحل لنا منها فانزل الله عز وجل يسالونك ماذا
احل لهم قل احل لكم الطيبات يعنى قل لهم يا محمد احل لكم الطيبات يعنى ما ذبح على اسم الله وجل
وغير الطيبات كل ما تستخبثه العرب وتستقذره من خنزير وقرد وبغث كل ذى ناب
او مخلب من السباع والحشرات والهوام فان العرب كانت تستخبث هذه الاشياء وتستقذرها
فحرمها الله تعالى على هذه الامة بهذه الاية ولقوله
الله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فان الذى عرف عن استقذاب
هذه الاشياء لكونها محللة ويحرم عليهم الخبائث فان الذى عرف عن استقذاب
ومنها الجوارح مكلبين يعنى واحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح
فى الاسلام لان الجاهلية لم يكن عندهم علم بالصيد بها فعلى هذا القول وما علمتم من الجوارح
اى من الكلاب خص هذا النوع بالذكر لان اكثر ما يصاد بالكلاب والجوارح
والجوارح جمع جارحة وهى الكواسب من السباع والطير كالاسد والنمر والكلب والباز
والصقر والعقاب والشاهين والباشق والعلم بها قبل التعليم وهيئة جوارح من
الجرح لانها تجرح الصيد عند اصطياده وقيل هى من الجرح لانها تكسب والجوارح
الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب ومنه قوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات

يعنى اكسبوا • وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار اى اكتسبتم • وتقال فلان جارحة اهله اى
كاسبهم • ولا جارحة لفلان اذا لم يكن له كاسب • وقوله تعالى مكلبين • وهذا حال • اى
فى حال مصيركم اصحاب كلاب • والتكليب اغرا السبع • ويجوز ان يكون من قولهم اكلب الرجل
اذا كثرت كلابه • وذكر سبحانه الكلاب لانها اعم واكثر • والمراد به جميع جوارح الصيد •
وقال بعضهم ايضا مكلبين يعنى معلمين • والمكلب هو الذى يغرى الكلاب على الصيد • وقيل
هو مودب الجوارح ومعلمها • وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب • لانها اكثر احتاجا الى التعليم
من غيرها من الجوارح • وقوله تعالى تعلمونهن يعنى تعلمون الجوارح الاصطياد مما
علمكم الله يعنى من العلم الذى علمكم الله • ففى الآية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة •
وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحته الصيد • وذلك بان يوجد فيها امور منها
انها اذا اشليت على الصيد اشتليت • واذا زجرت انزجرت • واذا اخذت الصيد امسكت ولم
ياكل منه شا • ومنها ان لا تنفر منه اذا اراد • وان يجيبه اذا دعاه • وقال بعضهم
مما علمكم الله من العلم الذى علمكم الله • وهو ان لا يجثمن • ولا يقصعن • ولا يقتلن • ولا ياكلن •
فهذا هو تعليم جميع الجوارح • فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة • واقلها ثلاث مرات •
فانه يحل قتيلها اذا جرحت ارسال صاحبها • ويدل على ذلك ما روى البخارى ومسلم عن عدى
ابن حاتم رضى الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد بهذه الكلاب •
فقال اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل مما امسك عليك • الا ان ياكل الكلب فلا تاكل •
فانى اخاف ان يكون انما امسك على نفسه • وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسك وقتلن
فلا تاكل • فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره • وفى رواية فانك لا تدرى ايها قتل • والله اعلم •
وكان لعدى بن حاتم رضى الله عنه كلاب خمسة • قد سماها باسما الاعلام • واسماؤها شلهب •
وغلاب • والمختلس • والمتناعس • قال السهيلى والخامس اسمه احظب • وقيل وثاب •
واجمعت الامة على ان الكلب اذا لم يكن اسود وعلمه مسلم فينشلى اذا اشلى ويجيب اذا دعى
وينزجر بعد ظفره بالصيد اذا زجر • وان لا ياكل من صيده الذى صاده • وان ترفه جرح او تثبيب
وصاد به مسلم وذكر اسم الله عند ارساله • ان صيده صحيح يوكل بلا خلاف • وان اخرم شرط

من هذه الشروط دخل الخلاف • فان كان الذى يصاد به غير كلب كالفهد وما اشبهه وكالبازى والصقر والشاهين ونحو ذلك من الطيور فجمهور الامة على ان كل ما صاد بعد التعليم فهو جارح اى كاسب • وقال بعضهم انما يصاد به من البزاة وغيرها من الطير فما ادركت ذكاته فذكه فهو لك حلال والا فلا تطعمه • قال ابن المنذر وسيل ابو جعفر الطبرى عن البازى هل يحل صيده قال لا الا ان تدرك ذكاته • وقال الضحاك والسدى فى قوله تعالى وما علمتم من الجوارح مكلبين هى الكلاب خاصة • فان كان الكلب اسود بهيما فقد كره الحسن وقتادة والنخعى صيده • والبهيم هو الذى ليس فيه بياض اصلا • وقال الامام احمد مما اعرف احدا يرخص فيه اذا كان بهيما وبه قال اسحق بن راهويه • واما عامة اهل العلم بالمدينة والكوفة فانهم يرون جواز صيد كل كلب معلم • واما الذين منعوا من صيد الكلب الاسود فاستدلوا بقول النبى صلى الله عليه وسلم الكلب الاسود شيطان رواه مسلم • واحتج الجمهور بعموم الآية ○ واحتجوا ايضا فى جواز صيد البازى بما ذكر من سبب النزول • وبما خرجه الترمذى عن عدى ابن حاتم رضى الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيد البازى • فقال ما امسك عليك فكل ○ قال العلما ولفظ البازى مشتق من البزوان وهو الوثب • وكنية البازى ابو الاشعث وابو البهلول وابو لاحق • وهو من اشد الحيوان تكبرا واضيقها خلقا • قال القزوينى فى عجايب المخلوقات ان البازى لا يكون الا انثى • وذكرها من نوع آخر كالحداة والشواهين • ولهذا اختلفت اشكالها ○ وروى ان عبد الله بن المبارك كان يتجر وسفر على الفقرا • ويقول لولا خمسة ما اتجرت السفيانان يعنى سفين الثورى وسفين بن عيينه والفضيل وابن السماك وابن عليه وقوله لولاهم ما اتجرت لاجل ان يصلهم بالاحسان • فقدم عبد الله بن المبارك سفنه من تجارة فقيل له قد ولى ابن علية القضا • فغضب عليه غضبا شديدا ولم يصله بشى • فاتى اليه ابن علية ليسلم عليه فلم يرفع راسه اليه • ثم كتب اليه ابن المبارك ابياتا يقول فيها ○

يا جاعل العلم له بازيا • يصطاد اموال المساكين

احتلت للدنيا ولذاتها • بحيلة تذهب بالدين

فصرت مجنونا بها بعدما • كنت دواء للمجانين

ابن روایاتک فی سردها ۞ لترک ابواب السلاطین ۞
ابن روایاتک فیما مضی ۞ عن ابن عون وابن سیرین ۞
ان قلت اکرهت فذا باطل ۞ زل حمار العلم فی الطین ۞

قال فلما وقف ابن علیة علی هذه الابیات ذهب الی هرون الرشید ولم یزل به الی ان استعفاه من القضا فاعفاه. قال اهل التاریخ وعبد الله بن المبارک هذا امام جلیل زاهد عابد جمع بین العلم والعمل. وذکر ابن خلکان فی ترجمته قال عطس رجل عند عبد الله بن المبارک فلم یحمد الله عز وجل. فقال له ابن المبارک ای شی یقول العاطس اذا عطس. فقال الحمد لله. فقال ان المبارک یرحمک الله. فعجب الحاضرون من حسن ادبه. وحکی ایضا ان عبد الله بن المبارک قدم الرقة فاحتفل الناس خلف عبد الله بن المبارک وتقطعت البغال. وارتفعت العیرة فاشرفت ام ولد الرشید من قصرها. فلما رات الناس قالت من هذا. قالوا عالم من اهل خراسان یقال له عبد الله بن المبارک. فقالت هذا والله الملک. لا ملک هرون الذی لا یجمع الناس الا شرطة واعوان. وذکر بعضهم ان عبد الله بن المبارک استعار قلما من الشام. وانه عرض له سفر فسافر نحو انطاکیة. وکان قد نسی القلم معه. فذکره بانطاکیة. فرجع من انطاکیة الی الشام ماشیا حتی رد القلم الی صاحبه ورجع الی مکانه بانطاکیه. ویروی ان عند ذکره تنزل الرحمة. توفی سنه احدی وثمانین ومایه رحمة الله علیه. والجوارح خمسة اصناف البازی والزرق والباشق والباذق والصقر. فالبازی احدها مزاجا. لانه قلیل الصبر علی العطش. ومأواه مساقط الشجر الغادیة الملتفة والظل الظلیل. وهو خفیف الجناح سریع الطیران. واناثه اجری علی عظام الطیر من ذکوره. وهذا الصنف تصیبه الامراض واختلاط اللحم والهزال. واحسن انواعه ما قل ریشه واحمرت عیناه مع حدة فیهما. قال الشاعر

لو استضا المر فی ادلاجه ۞ بعینه کفته عن سراجه ۞

ودونه الازرق الاحمر العینین. والاصفر دونهما. ومن صفاته المحمودة ان یکون طویل العنق عریض الصدر بعید ما بین المنکبین شدید الاخراط الی ذنبه. وان یکون فخذاه طویلین مسدولین برش. وذراعاه غلیظین قصیرین. وفرخ البازی یسمی عظریفا. ویضرب

به المثل فى نهاية الشرف ٭ كما قال الشاعر

اذا ما اعتز ذو علم بعلم ٭ فعلم الفقه اشرفها اعتزارا ٭

وكم طيب يفوح ولا كمسك ٭ وكم طير يطير ولا كبازا ٭

واما الباشق فاسم اعجمى معرب ٭ وكنيته ابو الاخذ ٭ وهو ضاحل المزاج ٭ تغلب عليه القلق والزعارة ٭ يانس وقتا ٭ ويستوحش وقتا ٭ وهو قوى النفس ٭ فاذا بلغ منه الضجر بلغ صاحبه منه المراد ٭ وهو خفيف المحمل ظريف الشمايل ٭ يليق بالملوك ان تخدمه ٭ لانه يصيد افخر ما يصيده البازى ٭ ومن صيده الدراج والحمام والوشاق ونحو ذلك ٭ وهو قوى الشبق ٭ واذا قوى عليه صيده لا تتركه الا ان تتلف احدهما ٭ واحمد اوصافه ان يكون صغيرا فى المنظر ثقيلا فى الميزان طويل الساقين ٭ قصير الفخذين ٭ واما خواصه فدماغه ينفع من الخفقان ٭ العارض من السودا اذا سقى منه درهم بما ورد ٭ ومرارته تنفع من ظلمة العين الكحالا ٭ ٥

واما البيدق فلا يصيد الا العصافير ٭ وهو قليل الغبن ٭ وقريب فى الطبايع من العفصى ٥

وانشد بعضهم يقول ٥

حسبى من البازات والزوارق ٭ بيدق يصيد صيد الباشق ٭

مؤدب مدرب الخلائق ٭ اصيد من معشوقة لعاشق ٭

سبق فى السرعة كل سابق ٭ ليس له فى صيده من عايق ٭

ربيته وكنت غير واثق ٭ ان الفرازن من البيادق ٭

واما العفصى فهو اصغر الجوارح نفسا ٭ واضعفها حيلة ٭ واشدها ذعرا ٭ وايبسها مزاجا ٭ يصيد العصفور فى بعض الاحايين ٭ وربما هرب منه ٭ وهو شبيه الباشق فى الشكل الا انه اصغر منه ٭ واما حكم البازى فانه يحرم اكله بجميع انواعه لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذى ناب من السباع ٭ وكل ذى مخلب من الطير ٭ وبهذا قال اكثر اهل العلم ٭ وقال الامام مالك والليث بن سعد والاوزاعى ويحيى بن سعيد لا يحرم من الصيد شئ ٭ واحتجوا بعموم الاية المبيحة ٭ ولم يثبت عند الامام مالك حديث النهى عن اكل كل ذى ناب من السباع ٭ فكان على الاباحة ٥

قال الابهرى ليس فى ذى المخلب عن النبى صلى الله عليه وسلم نهى صحيح ٭ وقال غيره لم يثبت حديث

النهى

النهى عن اكل كل ذى مخلب من الطير • لان ميمون بن مهران رواه عن ابن عباس وسقط سنهما
سعيد بن جبير • فصار هذا علة لحطه عن رتبة الصحيح • وقال الامام الشافعى يكره للمحرم
استصحاب البازى وكل صايد من كلب وغيره لانه سفر الصيد • وربما انفلت فقتل صيدا •
والله اعلم • ويصح بيع البازى واجارته بلا خلاف • لانه طاهر منتفع به • رجعنا الى ما كنا
بصدده من ذكر احكام الايه • قال بعض العلما رضى الله عنهم والمعلم من الجوارح الذى يحل صيده
هو ان يكون اذا ارسله صاحبه واشلاه استشلى • واذا اخذ امسك ولم ياكل • واذا دعاه اجابه •
واذا اراده لم ينفر منه • فاذا فعل ذلك مرات فهو معلم • فمتى كان بهذا الوصف واصطاد جاز اكله •
فاذا امسك الصيد فقتله ولم ياكل منه جاز اكله • وكان حلالا • فان اكل منه فللامام الشافعى
فيه قولان • احدهما لا يحل ولا يوكل • وهو الاشهر • لان الله تعالى قال فكلوا مما امسكن عليكم •
وهو لم يمسك علينا • وانما امسك على نفسه • وهذا قول ابن عباس وطاوس والشعبى وعطا •
قال ابن عباس رضى الله عنه اذا ارسلت كلبك فاكل من صيده فهو ميتة لا يحل اكله • لانه امسك
على نفسه ولم يمسك عليك • ولم يتعلم فاضربه ولا تاكل من صيده • ويدل عليه ما روى عن
عدى بن حاتم رضى الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصيد • فقال اذا ارسلت كلبك
فاذكر اسم الله • فان ادركته ولم تقتل فاذبح واذكر اسم الله • وان ادركته وقد قتل ولم ياكل
فكل • فقد امسك عليك • وان وجدته وقد اكل منه فلا تطعم منه شيا فانما امسك على نفسه •
واذا خالط كلبك كلابا فقتلن ولم ياكلن فلا تاكل منه • فانك لا تدرى ايها قتل • واذا رميت
سهمك فاذكر اسم الله • فان ادركته فكل • الا ان تجده قد وقع فى ما فمات • فانك لا تدرى
الما قتله او سهمك • فان وجدته بعد ليلة او ليلتين فلم ترفيه اثر سهمك فشيت ان
تاكل منه فكل • والقول الثانى انه يحل واذا اكل • وهذا قول سلمان الفارسى •
وسعد بن ابى وقاص • وابن عمر وابى هريرة رضى الله عنهم • قال حميد بن عبد الله قلت لسعد بن
ابى وقاص لنا كلاب ضوار يا كلن ويبقين • فقال كل وان لم يبق الا نصفه • وقال ابن عمر
رضى الله عنه اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل مما امسك عليك اكل ام لم ياكل •
وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه اذا ارسلت كلبك او بازك وسميت فاكل نصفه او ثلثيه

فكل بقيته • وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم • ولا فرق فيما ذكرناه بين الطير والمعلمة
والسباع المعلمة • وعن ابي ثعلبة الخشني رضي الله عنه انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اي ارضنا ارض صيد فارسل سهمي واذكر اسم الله • وارسل كلبي المعلم واذكر
اسم الله • وارسل كلبي الذي ليس بمعلم • فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما حبس عليك سهمك وذكرت
اسم الله عليه فكل • وما حبس عليك كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل • وما حبس عليك كلبك المعلم
وذكرت اسم الله عليه فكل • وان لم تدرك ذكاته فلا تاكل ٥ واما حكم التسمية • فاعلم انه
لابد للصائد ان يقصد عند ارسال الجارح التذكية والاباحة • وهذا لا يختلف فيه •
لقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل • وهذا يقتضي انه والتسمية ٥
فلو قصد مع ذلك اللهو فقد كرهه الامام مالك • واجازه ابن عبد الحكم • وهو ظاهر قول الليث
ما رايت حقا اشبه بباطل منه • يعني الصيد ٥ واما اذا فعل ذلك بغير نيه التذكية فهو
حرام • لانه من باب الفساد • واتلاف حيوان لغير منفعة • وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قتل الحيوان الا لماكلة • وذهب جمهور العلماء الى ان التسمية لابد منها والقول عند
الارسال • لقول الله تعالى واذكروا اسم الله • فلو لم يوجد على اي وجه كان لم يوكل الصيد • وهذا
مذهب اهل الظاهر • وجماعة اهل الحديث • وذهب جماعة من العلماء الى انه يجوز اكل ما صاده
المسلم وذبحه وان ترك التسمية عمدا • وحملوا الامر بالتسمية على الندب • وهو قول الامام مالك ٥
وذهب في المشهور عنه الى الفرق بين ترك التسمية عمدا او سهوا • بانها لا توكل مع العمد •
وتوكل مع السهو • وهو قول فقهاء الامصار • واحد قولي الامام الشافعي • وستاتي هذه المسالة
في سورة الانعام ان شاء الله تعالى ٥ وقالوا ايضا لابد ان يكون انبعاث الكلب بارسال من يد
الصائد بحيث يكون زمامه بيده فاطلقه مغريا له على احد القولين • فاما لو انبعث الجارح
من تلقاء نفسه من غير ارسال ولا اغراء فلا يجوز صيده ولا يحل اكله عند الامام ابي حنيفه
والامام مالك والامام الشافعي وابي ثور وجمهور العلماء • لانه انما صاد لنفسه وامسك عليها •
ولا صنع للصائد فيه • فلا ينسب اليه ارساله • لانه لا يصدق عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم
اذا ارسلت كلبك المعلم • وقال عطاء ابن ابي رباح والاوزاعي يوكل صيده اذا اخرجه للصيد ٥

غير المقدور عليه • فلو اخذه ثم مات قبل ان يخرج السكين او تناول احد وسعه جاز اكله •
وان لم تكن السكين معه فتشاغل بطلبها حتى مات لم يحل • وقال الامام الشافعي والسيد
اذا نالته الجوارح ولم تدمه قولان احدهما انه لا يحل ما لم يخرق لقوله تعالى من
الجوارح • وهو قول ابن القاسم من اصحاب الامام مالك • القول الثاني انه حلال • وهو قول السلف
وقال اشهب اذا مات الصيد من صدمة الكلب اكل • وقوله في الحديث فان غاب عنك يوما
فلم تجد فيه الا اثر سهمك فكل • ومثله ايضا في حديث ابي ثعلبة الذي رواه ابو داود
غير انه زاد فكل وان بات ثلاث ما لم ينتن • يعضد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كل ما اصميت
ودع ما انميت • والاظهر ما قدمناه وانت تراه • والامكان ترى الصيد فيغيب عنك
فيموت وانت لا تراه • وقال ابن حبيب الرمية فيه تتبع اذا غابت ثلاثا • واختلف
اصحاب الامام مالك وجماعة من العلماء في اكل الصيد الغائب على ثلاثة اقوال • الاول انه يؤكل
سواء قتله الكلب او السهم الثاني لا يؤكل شيء من ذلك اذا غاب لقوله صلى الله عليه وسلم كل ما
اصميت ودع ما انميت • والعلم يؤكل مخافة ان يكون قد اعان على قتله غير السهم من السلاح
القول الثالث ان كان صيد سهم فانه يؤكل وان كان صيد كلب لا يؤكل •
والوجه فيه ان السهم يقتل من جهة واحدة فلا يكون فيه اشكال • واما الكلب فانه يقتل
من جهات متعددة فيحصل الاشكال والله اعلم • وقال الامام مالك في غير الموطأ اذا بات الصيد
ثم اصابه ميتا ولم ينفذ الكلب والبازي او السهم مقاتله اكله • وقال ابن عبد البر هذا
يدل على انه اذا بلغ مقاتله كان حلالا عند اكله وان بانت عنه • الا انه يكره اذا بات
لما جاء في ذلك عن ابن عباس • وقوله وان غاب عنك ليلة فلا تأكل • وروي نحوه عن سعد بن
الشوذب • وقال اذا غاب عنه يوما كرهت اكله • وقال الامام الشافعي القياس انه لا يأكله اذا
غاب عنه مصرعه • وقال الاوزاعي اذا وجده من الغد ميتا وجد فيه سهمه او اثره من
كلبه فليأكله • وهذا قال اشهب وعبد الملك واصبغ • قالوا يجوز اكل الصيد وان بات اذا
ادركت مقاتله • وقوله في الحديث ما لم ينتن تعليل • وذلك لانه اذا انتن لحق
بالمستخبثات التي تجتنبها الطباع فكره اكلها • ولو اكلها جاز • كما اكل النبي صلى الله عليه
وسلم الاقط السخة • وهي المنتنة • وقيل هو معلل بما يخاف منه من الضرر على آكله •

وكذا سلم وقرأ الجمهور وما علمتم من الجوارح بفتح العين واللام وقرأ ابن عباس ومحمد
ابن الحنفية وما عُلِّمتم بضم العين وكسر اللام ومعنى ما عُلِّمتم من امر الجوارح والصيد
بها وقد رضنا ان الجوارح الكواسب وتسمى اعضاء الانسان جوارح لانها تكسب وتتصرف
وقرأ الحسن وما علمتم من الجوارح مُكَلِّبين بسكون الكاف وتخفيف اللام يعني اصحاب كلاب
والاول هو قراءة الجمهور ومنه يقال اهتى الرجل اذا كثرت ماشيته واكلب اذا كثرت كلابه
قال العلماء قوله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم خلت من قوله ما للتبعيض
لان الذي يحل اكل بعض الصيد دون الفرث والدم وقيل من ذا بيانية فهو كقوله
تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان قال العلماء والامساك على صاحبه ان لا ياكل منه فان اكل منه لم
يؤكل اذا كان صيد كلب وكذلك من سباع الدواب فاما صيد البازي ونحوه من سباع الطير
فيأكل لانه يرد على ما عرف في موضعه وقال بعضهم معناه ان الجارحة اذا جرحت وارسال
صاحبها فقتل الصيد كان حلالا اذا كانت معلمة وقد تقدم بيان صفة المعلمة والله اعلم
واجمعوا من العلماء على ان الجارح اذا شرب من دم الصيد ان الصيد يؤكل قال عطاء ليس شرب
الدم بأكل وكره الشعبي وسفيان الثوري فان وجد الصائد مع كلبه كلبا آخر فهو محمول
على انه غير مرسل من صاحب آخر وانما ابحث في طلب الصيد لحاجته ونفسه ولا
يختلف في هذا القول الذي صلى الله عليه وسلم وان خالطها كلاب من غيرها فلا ما كل وهو دليل
فانها مسكت على كلبك ولم تسم على غيره فانما اذا ارسل صائدا آخر فاشترك الكلبان فيه
فانه لا يدري لعل كلبك هو الذي قتله وكذلك لو كان ما يدري بسهم فتردى من جبل او
غرق في الماء لهذا القول الذي صلى الله عليه وسلم انما امسك عليك فاذكر اسم الله فان غاب
عنك يوما فلم تجد فيه الا اثر سهمك فكل وان وجدته غريقا في الماء فلا ما كل فانك لا
تدري لعل الماء قتله او سهمك وهذا لفظ الله اعلم واما رمات الصيد في الهواء الكلب من غير
جرح لم يؤكل لانه مات حتف انفه فاشبه الذي مات بسكين كالة صدمة في الذبح قبل
ان يجري حلقه ولو امكنه اخذ من الجوارح وذبحه فلم يفعل حتى مات لم يؤكل وكان بمنزلة
في الذكاة لانه قد صار مقدورا على ذبحه وذكاة المقدور عليه تخالف ذكاة

وعلى هذا التفصيل يكره اكله محرما ان كان الخوف محققا والا علم واختلف العلماء
من هذا الباب في الصيد بكلب المجوسي والنصراني اذا كان معلما فكرهه الحسن البصري
وابن سيرين كلب المجوسي وباز ونحوه فكره الصيد بما جارح من عبدة الاصنام والحسن وعطاء وجابر
والنخعي والثوري واصحابه واجازه الامام ابو حنيفة والامام مالك والامام الشافعي اذا
كان الصايد بها مسلما واصلا اذا كان الصايد بها كتابيا لجمهور الامة على جواز اكل ما
مالك فانه فرق بين صيد وذبح وتلا قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من
الصيد تناله ايديكم ورماحكم فالظاهر ذكر صيد فيدخل في هذا الآية الصيد والذكاة وقال
ابن وهب واشهب صيد المجوسي والنصراني حلال كذبيحته واتفقوا في صيد الصابئين
وذبحهم فمنع بعضهم لا يجوز وجوزه بعضهم والصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى لا دين
لهم واختلفوا اذا اكل الصيد جزء من سبع هل يحل صيده ام لا فمنع من ذلك الامام
ابو حنيفة والامام مالك والامام الشافعي واصحابهم وجمهور العلماء وقال ابو ثور عنه
قولا شاذا جدا كقول هؤلاء الثلاثة ان البحر من اهل الكتاب وان صيدهم جايز واما
السكران اذا اصطاد او ذبح فانه لا يؤكل صيده ولا ذبيحته وذلك لان الذكاة تحتاج الى قصد
والسكران لا قصد له والله اعلم وقوله تعالى واذكروا اسم الله عليه قال ابن عباس
رضي الله عنهما يعني اذا ارسلت جارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومثله قول النبي صلى
الله عليه وسلم لعدي اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الامر
في عليه عايدا الى ما علم من الجوارح اي ستوا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير عايد
الى ما امسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا اردتم ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الضمير
عايدا الى الاكل يعني واذكروا اسم الله عند الاكل وعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال
الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل وقال بعضهم المراد بالتسمية هنا التسمية عند
الاكل فقط وهو الاظهر وروى في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن ابي سلمة
يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك وروى عن عايشة رضي الله عنها انها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل طعاما له في عنده من اصحابه فجاء اعرابي فاكله في لقمتين فقال

نوح كلبا وكان يعمل بالنهار وينام بالليل فاذا جآء قومه ليفسدوا بالليل ينبحهم الكلب
فينتبه نوح عليه السلام فيأخذ الهراوة ويثب لهم فينهزمون منه • فالتئام له ما اراد
من عمل السفينة • واما قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا
صورة • فقال العلما رضي الله عنهم سبب امتناعهم من بيت فيه صوره كونها معصية فاحشة •
وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى • وبعضها في صورة ما يعبدون من دون الله • وسبب
امتناعهم من بيت فيه كلب لكثرة اكلهم النجاسات • ولان بعضها يسمى شيطانا • كما جآء في الحديث •
والملائكة ضد الشياطين • ولقبح رائحة الكلب • والملائكة تكره الرائحة القبيحة • ولانها منهي
عن اتخاذها فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاتها فيه واستغفارها
له وتنزلها عليه • واما هو لا الملائكة الذين لا يدخلون بيتا فيه كلب ولا صورة فهم
ملائكة يطوفون بالرحمة والتبرك والاستغفار • واما الحفظة فيدخلون في كل بيت • ولا
يفارقون بني ادم في كل حال • لانهم مامورون باحصا اعمالهم وكتبها • قال الخطابي وانما
لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة مما حرم اقتناوه من الكلاب والصور • فاما
ما ليس بحرام من كلب الصيد والزرع والماشية والصورة التي تمتهن في البساط والوسادة
وغيرهما فلا تمنع دخول الملائكة بسببه • واشار القاضي الى ما قال الخطابي • قال بعضهم
والاظهر انه عام في كل كلب وكل صورة • وانهم ممتنعون من الجميع لاطلاق الاحاديث • ولان
الجرو الذي كان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت السرير كان له فيه عذر ظاهر • فانه
لم يعلم به • ومع هذا امتنع جبريل عليه السلام من دخول البيت وعلله بالجرو • وروي ان
جماعة من الصحابة ذهبوا الى بيت رجل من الانصار ليعودوه من مرض فهرّت في وجوههم
كلاب من دار الانصاري • فقالت الصحابة رضي الله عنهم لا يبقى هو لا من اجر فلان شيا • كل كلب
من هو لا ينقص من اجره كل يوم قيراطا • فدل هذا على ان القراط يتعدد بتعدد الكلاب •
وقد سيل الشيخ تقي الدين العبدري عن ذلك • فاجاب بانه لا يتعدد • كما لو ولغت الكلاب في
اناء • فان الاصح عدم تعدد الغسلات • والله اعلم • واما الكلب السلوقي ممن طباعه انه اذا
عاين الظبي قربا منه او بعدا عرف المقبل من المدبر ومشى الذكر من مشى الانثى • ويعرف ايضا

الميت والمتماوت من الناس حتى ان الروم كانت لا تدفن ميتا حتى تعرضه على الكلاب فيظهر
لها من شمه اياه علامة تستدل بها على حياته او موته • وتقال ان هذا لا يوجد الا في
نوع منها يقال له القلطي • وهو صغير الجرم • قصير القوايم جدا • ويسمى الصيني • واناث
السلوقي اسرع تعلما من الذكور • والفهد بالعكس • ذكوره اسرع تعلما من الاناث • والسود
من الكلاب اقل صيدا من غيرها • وروى الترمذي الحكيم وغيره ان الله تعالى لما اهبط ادم
عليه السلام خلا ابليس الى السباع فاشلاها على ادم ليؤذوه • وكان اشدها عليه الكلب •
فجاه جبريل عليه السلام وامره ان يضع يده على راسه فاطمان اليه والفه • فصار ممن حرسه
وكرس بنيه • والله اعلم • رجعنا الى التفسير قوله تعالى واتقوا الله يعني واحذروا
مخالفة الله فيما احل لكم وحرم عليكم واعلموا ان الله سريع الحساب يعني اذا حاسب عباده
يوم القيامة • ففيه تخويف لمن خالف امره وفعل ما نهاه عنه • وقال بعضهم سرعة الحساب
هي من حيث كونه تعالى قد احاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا • فلا تحتاج الى محاولة عد
ولا عقد كما تفعله الحساب • ولهذا قال تعالى وكفى بنا حاسبين • فهو سبحانه يحاسب الخلائق
دفعة واحدة • ويحتمل ان يكون وعيدا يوم القيامة • كانه قال ان حساب الله لكم سريع اتيانه
اذ يوم القيامة قريب • ويحتمل ان يريد بالحساب المجازاة • فكانه تعالى يوعدهم في الدنيا
بمجازاة سريعة قريبة ان لم يتقوا • والله اعلم بمراده • قوله عز وجل اليوم احل لكم الطيبات
قال المفسرون انما كرر احلال الطيبات للتاكيد • كانه قال اليوم احل لكم الطيبات التي سالتم عنها •
ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذي انزلت فيه هذه الاية • او اليوم الذي تقدم ذكره في قوله
اليوم يئس الذين كفروا من دينكم • او اليوم الذي اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فبين انه
كما اكمل الدين واتم النعمة فكذلك اتم النعمة باحلال الطيبات • وقيل ليس المراد باليوم يوم معين •
وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الاية المتقدمة • وقوله تعالى
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يعني وذبايح اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ومن دخل
في دينهم من سائر الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم • فاما من دخل في دينهم بعد مبعث
النبي صلى الله عليه وسلم وهم من تنصر من العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته • وروى عن علي بن

ابی طالب رضی الله عنه قال لا تاکلوا من ذبایح نصاری العرب بنی تغلب فانهم لم یتمسکوا بشیء
من النصرانیة الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود وهو مذهب الامام الشافعی انه من دخل
فی دین اهل الکتاب بعد نزول القرآن فانه لا تحل ذبیحته وعلی هذا فلیس نهی عن ذبایح
المحققین منهم وقال جمهور الامة ان ذبیحة کل نصرانی حلال سواء کان من بنی تغلب او
غیرهم وکذلک الیهود وسیل ابن عباس رضی الله عنه عن ذبایح نصاری العرب فقال لا باس
به ثم قرا ومن یتولهم منکم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن ابی رباح والشعبی وعکرمة
وقتادة والزهری والحکم وحماد وهو مذهب الامام ابی حنیفة والامام مالک واحدی
الروایتین عن الامام احمد والروایة الاخری مثل مذهب الامام الشافعی واجمعوا علی
تحریم ذبایح المجوس وسایر اهل الشرک من مشرکی العرب وعبدة الاوثان ومن لا کتاب له
واجمعوا علی ان المراد بطعام الذین اوتوا الکتاب ذبایحهم خاصة لان ماسوی الذبایح
فهی محللة قبل ان کانت لاهل الکتاب وبعد ان صارت لهم فلا بقی لتخصیصها باهل الکتاب
فایدة ولان ما قبل هذه الایة فی سیاق حکم الصید والذبایح فحمل هذه الایة علیه اولی
ولان سایر الطعام لا تختلف من تولاه من کتابی او غیره انما تختلف الذکاة فلما
خص سبحانه اهل الکتاب بالذکر دل علی ان المراد بطعامهم ذبایحهم واختلفوا فیما اذا ذبح
یهودی او نصرانی علی غیر اسم الله فقال ابن عمر رضی الله عنه لا تحل ذلک وهو قول ربیعة
وذهب اکثر اهل العلم الی انه تحل سیل الشعبی وعطاء عن النصرانی یذبح باسم المسیح
فقال لا تحل لان الله تعالی قد احل ذبایحهم وهو یعلم ما یقولون وقال الحسن اذا ذبح
الیهودی والنصرانی وذکر غیر اسم الله وانت تسمع فلا تاکل واذا غاب عنک فکل فان الله قد
احله لک وقد زعم قوم ان هذه الآیة اقتضت اباحة ذبایح اهل الکتاب مطلقا وان ذکروا
غیر اسم الله فتکون هذه ناسخة لقوله تعالی ولا تاکلوا مما لم یذکر اسم الله علیه فتکون هذه
ناسخة لقوله تعالی ولا تاکلوا مما لم یذکر اسم الله علیه ولیس الامر کذلک ولا نسخ لان الاصل
انهم یذکرون الله عند الذبح فیحمل امرهم علی هذا فان تیقنا انهم ذبحوا علی غیر اسم الله لم تاکله
ولا وجه للنسخ والله اعلم وقوله تعالی وطعامکم حل لهم یعنی ان ذبایحنا لهم حلال

وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا. وقال الزجاج معناه وحل لكم ان تطعموهم من طعامكم. فجعل الخطاب للمومنين على معنى ان التحليل يعود الى طعامنا اياهم لا اليهم. لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى ان نطعمهم من ذبائحنا. وقيل ان الفائدة في ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين. واباحة الذبايح كانت حاصلة في الجانبين لا جرم ذكر الله ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين. وقال بعضهم ايضا قوله تعالى وطعامكم حل لهم دليل على انهم مخاطبون بفاصيل شريعتنا. اى اذا اشتروا منا اللحم تحل لهم اللحم ويحل لنا الثمن الماخوذ منهم. قال العلما ولا باس بالاكل والشرب والطبخ في اية الكفار كلهم ما لم يكن ذهبا او فضة او جلد خنزير. وذلك بعد ان تغسل وتغلى لانهم لا يتوقون النجاسات. ويا كلون الميتات. فاذا طبخوا في تلك القدور تنجست. وربما شربت النجاسات في اجزا القدور والفخار. فاذا طبخ فيها بعد ذلك توقع مخالطة تلك الاجزا النجسة للمطبوخ في القدر بانية. فاقتضى الورع الكف عنها. وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ان كان الاناء من نحاس او حديد غسل. وان كان من فخار على فيه الما ثم غسل. هذا اذا احتيج اليه. ولذا قال الامام مالك. فاما ما يستعملونه لغير الطبخ فلا باس باستعماله من غير غسل لما روى الدار قطني ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه توضا من بيت نصرانية في حق نصرانيه. وهو حديث صحيح سياتي بكماله في سورة الفرقان ان شا الله. وفي صحيح مسلم من حديث ابى ثعلبة الخشني رضى الله عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انا بارض قوم اهل كتاب ناكل في انيتهم وارض صيد اصيد بقوسي واصيد بكلبي المعلم او بكلبي الذي ليس بمعلم فاخبرني ما الذي يحل لنا من ذلك. قال اما ما ذكرت انكم بارض قوم اهل كتاب تاكلون في انيتهم فان وجدتم غير انيتهم فلا تاكلوا فيها. وان لم تجدوا فاغسلوها ثم كلوا فيها. وذكر الحديث والله اعلم. وذكر بعض المفسرين عبارة اخرى في احكام هذه الاية. فقال قوله تعالى وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الاية ان الطعام اسم لما يوكل والذبايح منه. وهو هنا خاص بالذبايح عند كثير من اهل العلم بالتاويل. واما ما حرم علينا من طعامهم فليس بداخل تحت عموم الخطاب. قال ابن عباس رضى الله عنه قال الله عز وجل ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه. ثم استثنى فقال وطعام

الذين اوتوا الكتاب حل لكم يعني ذبيحة اليهودي والنصراني وان كان يقول النصراني عند الذبح
باسم المسيح واليهودي باسم عزير لانهم يذبحون على الملة وقال عطا كل من ذبيحة النصراني
وان قال باسم المسيح لان الله عز وجل قد اباح ذبايحهم وقد علم ما يقولون وقال القاسم بن
مخيمرة كل من ذبيحته وان قال باسم سرجس وسرجس اسم كنيسة لهم وهو ايضا قول
الزهري ورسعة والشعبي ومكحول وهو مروي عن صحابيين ابي الدرداء وعبادة بن الصامت
رضي الله عنهما وقالت طائفة اذا سمعت الكتابي يذكر غير اسم الله فلا تاكل وبهذا قال من
الصحابة علي بن ابي طالب وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم وهو قول طاوس والحسن متمسكين
بقول الله عز وجل ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وقال الامام مالك اكره
ذلك ولم يحرمه والله اعلم ولا خلاف بين العلما في ان ما لا يحتاج الى ذكاة كالطعام الذي
لا محاولة فيه كالحب والفاكهة وما اشبه ذلك انه اكله جايز لانه لا يضر فيه تملك احد
والطعام الذي تقع فيه محاولة على ضربين احدهما ما فيه محاولة صنعة لا تخلو الدين
بها كخبز الدقيق وعصير الزيت والسمسم ونحوه فهذا اذا اجتنب من الذمي فعلى وجه
التقرب والضرب الثاني هي التذكية التي ذكرنا انها تحتاج الى الدين والنية ولما
كان القياس ان لا تجوز ذبايحهم كما قلنا انهم لا صلوة لهم ولا عبادة موثوله لاجرم رخص
الله في ذبايحهم بهذه الاية واخرجها النص عن القياس على ما ذكرناه من قول ابن عباس والله اعلم
واختلف العلما ايضا فيما ذكوه هل تعمل الذكاة فيما حرم عليهم ام لا على قولين الاول وهو
الذي عليه الجمهور انها عاملة في كل ذبيحة ما حل منها وما حرم عليهم لانه مذكى والثاني
وهو قول جماعة من العلما انما احل لنا من ذبيحتهم ما حل لهم لان ما يحل لهم لا تعمل فيه
تذكيتهم فمنعت هذه الطايفة الطريف والشحوم المحضة من ذبايح اهل الكتاب وقصرت لفظ
الطعام على البعض وحمله الجمهور على العموم في جميع ما يوكل وهذا الخلاف موجود في
مذهب الامام مالك قال ابن عبد البر كره الامام مالك شحوم اليهود واكل ما خرو من الابل
واكثر اهل العلم لا يرون بذلك باسا وسياتي في سورة الانعام ان شا الله وكان الامام مالك ايضا
يكره ما ذبحوه اذا وجد ما ذبحه المسلم وكره ايضا ان يكون لهم اسواق يبيعون فيها ما يذبحون

وهذا منه تنزيه رحمه الله • واما المجوس والعلما مجمعون الا من شذ منهم على ان ذبايحهم
لا تؤكل • ولا يتزوج فيهم • لانهم ليسوا اهل كتاب على المشهور عند العلما • ولا باس باكل طعام من
لا كتاب له كالمشركين وعبدة الاوثان ما لم يكن من ذبايحهم • ولم يحتج الى ذكاة الا الجبن • لما فيه
من انفحة الميتة • واذا كان الصبى مجوسيا وامه كتابية فحكمه حكم ابيه عند الامام مالك •
وعند غيره لا توكل ذبيحة الصبى اذا كان احد ابويه ممن لا تجوز ذبيحته • واما نصارى بنى
تغلب وذباح كل دخيل فى اليهودية والنصرانية فلا تحل • وكان على بن ابى طالب رضى الله عنه ينهى عن
ذبايح بنى تغلب • ويقول انهم لم يتمسكوا شيء من النصرانية الا بشرب الخمر • وهو قول الامام الشافعى
ومن وافقه • والله اعلم • رجعنا الى التفسير وقوله تعالى والمحصنات من المومنات قال
مجاهد هن الحرائر • فعلى هذا القول لا تدخل الامة المومنة فى هذا التحليل عند جماعة من العلما •
ومن اجاز نكاحهن اجازه بشرطين خوف العنت • وعدم طول الحرة • وقال ابن عباس المحصنات
العفائف • فعلى هذا القول لا تحل نكاح الزانية • لانها لم تدخل فى هذا التحليل • واباح العلما
نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها • وروى طارق بن شهاب ان رجلا اراد ان يزوج اخته فقالت
انى اخشى انا فضحك انى قد بغيت • فاتى عمر فذكر له ذلك منها • فقال اليس قد تابت • قال بلى •
قال فزوجها • وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن العفائف ليحث المومنين على خير النسا
ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين • والله اعلم وقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
يعنى واحل لكم المحصنات من اهل الكتاب اليهود والنصارى • قال ابن عباس رضى الله عنه يعنى الحرائر
من اهل الكتاب فعلى قول ابن عباس وقال الحسن والشعبى والنخعى والضحاك يريد العفائف من
اهل الكتاب • فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية • وهو مذهب الامام الشافعى قال
لانه اجتمع فى حقها نوعان من النقصان الكفر والرق • وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزوج
بالامة الكتابية • وهو مذهب الامام ابى حنيفة لعموم هذه الاية • واختلف العلما فى حكم
هذه المسالة • فذهب جمهور الفقها الى جواز التزوج بالذميات من اليهود والنصارى • وروى ان
عثمان بن عفان رضى الله عنه تزوج نائلة بنت الفرافصة على نسايه • وهى نصرانية • وكذلك طلحة
ابن عبيد الله تزوج يهودية • وروى عن ابن عمر كراهية ذلك • واحتج بقول الله تعالى ولا تنكحوا المشركات

حتى يؤمن وكان يقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان عيسى ربها • واجاب الجمهور عن قوله
تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بانه علم خص بهذه الآية • فاباح الله تعالى المحصنات من اهل
الكتاب وحرم من سواهن من اهل الشرك • وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزوج بالذميات
والحربيات من اهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ٥
واجاب الجمهور بانه ذكر مخصوص الذميات دون الحربيات من اهل الكتاب • قال ابن عباس
من نساء اهل الكتاب من تحل لنا ومنهم من لا تحل لنا • وقرأ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا
باليوم الآخر الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ٥ والمراد بهم اهل الموادعة دون
اهل الحرب من اهل الكتاب • والله اعلم • وقوله تعالى اذا آتيتموهن اجورهن يعني مهورهن وهو
العوض الذي يبذله الزوج للمرأة محصنين غير مسافحين يعني متعففين بالتزوج غير زانين
ولا متخذي اخدان يعني لا منفردين بخيمة واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها
لنفسه صديقة يضربها وحدها • حرم الله سبحانه الجماع في حالة السفاح وهو الزنا واتخاذ
الصديق وهو الاخدان • واحل على جهة الاحصان وهو التزوج بعقد صحيح ومن يكفر
بالايمان يعني ومن يجحد ما امر الله به من توحيده ونبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما
جاء به من عند الله فقد حبط عمله يعني فقد بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا
وخاب وخسر في الدنيا والآخرة • وقيل في معنى الآية ومن يكفر شرائع الايمان وتكالبه
فقد خاب وخسر • وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج فنحارم
يعني نساء اهل الكتاب وهم على غير ديننا • فانزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو
في الآخرة من الخاسرين • وقيل لما اباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما بيننا لولا ان
الله قد رضي اعمالنا لم يبح للمؤمنين تزوجنا • فانزل الله عز وجل هذه الآية • والمعنى ان يزوج
المسلمون ايا من ابين الذي يخرج من الكفر • وقيل ان اهل الكتاب وان حصلت لهم في
الدنيا فضيلة باباحة ذبايحهم ونكاح نسايهم • الا ان ذلك غير حاصل لهم في الآخرة • لان
كل من كفر بالله او جحد نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الآخرة
من الخاسرين ٥ وقيل ان من احل ما حرم الله او حرم ما احل الله او جحد شيئا مما انزل الله فقد

كفر بالله وحبط عمله المتقدم وهو في الآخرة من الخاسرين اذا مات على ذلك وهذا الشرط
لا بد منه لانه اذا تاب وآمن قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه والله تعالى هو الهادي الى
الرشاد فقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الى آخرها اختلف العلماء
امر الله سبحانه بالوضوء عند القيام الى الصلاة ومعنى اذا قمتم اذا اردتم القيام الى الصلاة
ومثله قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اي اذا اردت قراءة القرآن فاستعذ
بابه ومثله من الكلام اذا انجرت فانجر في البز اي اذا اردت التجارة وعلى هذا القول
يقتضي وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية وهو مذهب داود الظاهري وذهب جمهور
العلماء من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجزي عدة صلوات بوضوء واحد واجيب عن ظاهر الآية
بان المعنى اذا قمتم الى الصلاة وانتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا احد اختصارات
القرآن وهو كثير جدا ولان النبي صلى الله عليه وسلم صنع يوم الخندق صلى اربع صلوات بوضوء واحد
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل الله صلاة احدكم اذا
احدث حتى يتوضأ رواه البخاري ومسلم وقيل في معنى الآية اذا قمتم من النوم وقيل
هو امر ندب لمن قام الى الصلاة ان يجدد لها الطهارة وان كان على طهر ويدل عليه
ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب له به
عشر حسنات رواه الترمذي وقيل هذا اعلام من الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان الوضوء
عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها من الاعمال ويدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يريد حاجة من الخلاء فقدم اليه طعام فقالوا الا نأتيك بوضوء
فقال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة رواه مسلم والقول الاول هو المختار في معنى الآية والله اعلم
وذكر بعض المفسرين عبارة اخرى فيها زيادة معنى قال اختلف العلماء في المعنى المراد بقوله
تعالى اذا قمتم الى الصلاة على اقوال فقالت طائفة هذا لفظ عام في كل قيام الى الصلاة سواء كان
القائم متطهرا او محدثا فانه ينبغي له اذا قام الى الصلاة ان يتوضأ قالوا وكان علي رضي الله عنه
يفعله ويتلو هذه الآية رواه الدارمي في مسنده وروى نحوه عن عكرمة وقال ابن سيرين كان
الخلفاء رضي الله عنهم يتوضؤن لكل صلاة فالآية على هذا محكمة لا نسخ فيها كذا ذكر بعضهم وقالت

طائفة الخطاب خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم. قال ابو عبد الله بن حنظلة بن ابي عامر الغسيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء عند كل صلاة فشق ذلك عليه فامر بالسواك ورفع
عنه الوضوء الا من حدث. وروى علقمة بن ابي الفغواء عن ابيه وكان من الصحابة وكان دليل
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك ان هذه الاية نزلت رخصة للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه كان لا يقوم عملا الا وضوء على وضوء ولا يكلم احدا ولا يرد سلاما الا على وضوء فلما علمه
الله تعالى بهذه الاية ان الوضوء انما هو عند القيام الى الصلاة فقط دون سائر الاعمال.
وقالت طائفة المراد بالاية الوضوء لكل صلاة طلبا للفضل وحملوا الامر على الندب.
وكان كثير من الصحابة منهم ابن عمر يتوضؤون لكل صلاة طلبا للفضل وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يفعل ذلك الى ان جمع يوم الفتح بين الصلوات الخمس بوضوء واحد ارادة البيان لامته.
قال بعضهم فظاهر هذا القول ان الوضوء لكل صلاة قبل ورود الناسخ كان مستحبا لا ايجابا.
وليس كذلك لان الامر اذا ورد يكون مقتضاه الوجوب لا سيما عند الصحابة رضي الله عنهم
على ما هو معروف من سيرتهم. وقال آخرون ان الفرض في الوضوء كان لكل صلاة ثم نسخ
في فتح مكة وهذا القول غلط لحديث انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتوضأ لكل صلاة وان امته كانت على خلاف ذلك وسيأتي ذكر ذلك ان شاء الله وحديث سعيد
ابن النعمان انما ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى وهو بالصهباء العصر والمغرب بوضوء واحد
وذلك في غزوة خيبر وكانت في سنة ست وقتل في سنة سبع وكان فتح مكة في سنة ثمان
وهو حديث صحيح رواه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ فظهر بهذين الحديثين ان الفرض لم يكن
قبل الفتح لم يكن لكل صلاة والله اعلم. وروى الترمذي عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يتوضأ لكل صلاة طاهرا وغير طاهر. قال حميد قلت لانس وكيف كنتم تصنعون
انتم. قال كنا نتوضأ وضوءا واحدا. قال حديث حسن صحيح. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الوضوء على الوضوء نور على نور. فكان صلى الله عليه وسلم يتوضأ مجددا لكل صلاة. وروى
ان رجلا سلم عليه وهو يبول فلم يرد عليه حتى تيمم ثم رد السلام. وقال اني كرهت ان اذكر الله
الا على طهر. رواه الدارقطني. وقال السدي وزيد بن اسلم معنى الاية اذا قمتم الى الصلاة

يعني اذا قمتم من المضاجع يعني النوم والمقصود من هذا التاويل ان يعم الاحداث بالذكر
ولا سيما النوم الذي هو مختلف فيه هل هو حدث في نفسه ام لا فعلى هذا التاويل يكون
في الاية تقديم وتاخير تقديره يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة من النوم او جاء احد منكم
من الغائط او لامستم النساء يعني الملامسة الصغرى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى اخرها
فتتناول حكم الحدث حدثا اصغر ثم قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فذا حكم نوع آخر
ثم قال للنوعين جميعا وان كنتم مرضى او على سفر الى قوله فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا
وبعد التاويل قال محمد بن مسلمة من اصحاب الامام مالك وقال جمهور اهل العلم معنى
الآية اذا قمتم الى الصلاة وانتم محدثون فعلى هذا لا يكون في الاية تقديم ولا تاخير بل ترتب
في الاية حكم واحد الى قوله وان كنتم جنبا فاطهروا ودخلت الملامسة الصغرى في قوله
وانتم محدثون ثم عين بعد قوله وان كنتم جنبا فاطهروا حكم حادث المآء من النوعين جميعا
ولو كانت الملامسة هي الجماع فلا بد وان يذكر الجنب الحادث المآء فاذكر الواجد وهذا
تاويل الامام الشافعي وغيره وعليه تجري اقوال الصحابة كسعد بن ابي وقاص وابن عباس وابي
موسى الاشعري وغيرهم رضي الله عنهم وهذان التاويلان احسن ما قيل في الاية والله اعلم
(واعلم ان فروض الوضوء المذكورة في الاية اربعة الفرض الاول غسل الوجه
وهو قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم قال جمهور العلماء ان الوضوء لا بد فيه من نية وهو قول
الامام الشافعي واستدل على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الاية والحجة فيه ان الوضوء
مامور به وكل ما هو مامور به يجب ان يكون منويا ولما روي في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والوضوء
من الاعمال فيجب ان يكون منويا وانما قالوا ان الوضوء مامور به وانه من اعمال الدين لقوله
تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والاخلاص عبارة عن النية الخالصة
ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان اصل النية في جميع الاعمال التي يتقرب بها الى الله تعالى
معتبرا واستدل الامام ابو حنيفة ومن وافقه لعدم وجوب النية في الوضوء بهذه
الآية قالوا ان النية ليست شرطا لصحة الوضوء لان الله تعالى اوجب غسل الاعضاء الاربعة في هذه

الآية • قال ان النية ليست شرطا لصحة الوضوء لان الله تعالى اوجب غسل الاعضاء الاربعة
في هذه الآية • ولم يوجب النية فيها فايجاب النية زيادة على النص • والزيادة على النص نسخ •
ونسخ القران بخبر الواحد وبالقياس غير جايز • والله اعلم • والوجه في اللغة ما خوذ من
المواجهة • وهو عضو مشتمل على اعضاء وله طول وعرض • فحده في الطول من منابت شعر
الراس الى منتهى الذقن • ومن الاذن الى الاذن في العرض • لانه ما خوذ من المواجهة • فيجب
غسل جميع الوجه في الوضوء • ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين • واهداب العينين • والعذارين •
والشارب • والعنفقة وان كانت كثة • واما اللحية فان كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها
لا يجب غسل ما تحتها • ويجب غسل ما تحت اللحية الخفيفة • وهل يجب امرار الماء على ظاهر ما
نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان للامام الشافعي احدهما وبه قال الامام ابو حنيفة •
لا يجب • لان الشعر النازل عن حد الراس لا يكون حكمه حكم الراس في المسح • فكذلك حكم الشعر
النازل عن حد الوجه • والقول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره • لان الوجه ما خوذ من
المواجهة • فقد دخل جميع اللحية في حكم الوجه • وقال الامام مالك تخليل اللحية في الوضوء ليس
من امر الناس • وعاب ذلك على من فعله • وذكر ابن القاسم عنه ان المتوضي يحرك ظاهر لحيته من
غير ان يدخل يده فيها • قال وهي مثل اصابع الرجلين • وقال ابن عبد الحكم تخليل اللحية واجب في
الوضوء والغسل • قال ابن عبد البر والاحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خلل
لحيته كلها ضعيفة • وقال ايضا من جعل غسل اللحية كلها واجبا جعلها وجها لان الوجه
ما خوذ من المواجهة • والله تعالى قد امر بغسل الوجه امرا مطلقا لم يخص صاحب لحية من امرد •
فوجب غسلها بظاهر القران لانها بدل من البشرة • واختار هذا القول ابن العربي والقرطبي
لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يغسل لحيته • رواه الترمذي وغيره • وحكى ابن المنذر
عن اسحق ان من ترك تخليل اللحية عامدا اعاد • وروى الترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته • وقال حديث حسن صحيح • قال ابن عبد البر ومن لم
يوجب غسل ما استدل من اللحية ذهب الى ان الاصل المامور بغسله هو البشرة • فوجب غسل
ما ظهر فوقها • واما ما استدل من اللحية فليس تحته ما يلزم غسله فيكون غسل اللحية بدلا منه •

واختلفوا ايضا في غسل ما وراء العذار الى الاذن فروى ابن وهب عن الامام مالك انه قال
ليس ما خلف الصدغ الذي من وراء شعر اللحية الى الذفن من الوجه قال ابن عبد البر لا اعلم
احدا من فقهاء الامصار قال بما رواه ابن وهب عن مالك وقال الامام ابو حنيفه واصحابه
البياض الذي بين العذار والاذن من الوجه وغسله واجب وبه قال الامام الشافعي والامام
احمد وقيل ان غسل العذار مستحب وقال ابن العربي الصحيح عندي انه لا يلزم غسله لا
للامرد ولا للمعذر واختار هذا القول عبد الوهاب وسبب الخلاف هل تقع به المواجهة
ام لا والله اعلم وسبب هذا الاختلاف اختلفوا هل تتناول الامر المضمضة والاستنشاق
ام لا فذهب الامام احمد بن حنبل واسحق وغيرهما الى ان الوجوب تتناولهما في الوضو والغسل
الا ان الامام احمد قال يعيد من ترك الاستنشاق في الوضو ولا يعيد من ترك المضمضة ○
وقال عامة العلما المضمضه والاستنشاق سنتان في الوضو والغسل وذلك لان الامر
انما تناول الظاهر دون الباطن ولان العرب لا تسمي وجها الا ما وقعت به المواجهة وايضا
ان الله تعالى لم يذكرهما في كتابه ولا اوجبهما المسلمون ولا اتفق عليه الجميع والفرايض لا
تثبت الا من هذه الوجوه وقد مضى هذا المعنى في سورة النسا والله اعلم واما العينان والعلما
كلهم مجمعون على انه لا يلزم غسل داخلهما الا ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه انه كان ينضح
الما في عينيه وانما اسقط غسلهما للتاذي والحرج وروي ايضا ان عبد الله بن عمر كان يكلف ادخال
الما في عينيه حتى عمي وكان ايضا بعد ما عمي يغسل داخلهما اذ كان لا يتاذى بذلك والله اعلم
الفرض الثاني من فرايض الوضو قوله تعالى وايديكم الى المرافق يعني واغسلوا ايديكم الى
المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان اعلا الذراع واسفل العضد وذهب جمهور العلما
الى وجوب ادخال المرفقين في الغسل ونقل عن الامام مالك والشعبي وزفر وابي بكر بن داود
الظاهري انه لا يجب ادخال المرفقين في الغسل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن الامام
مالك وقد سيل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق فقال الذي امر
به ان يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وحجة اصحاب هذا القول ان كلمة الى لانتهاء
الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل

ولان الحد لا يدخل في المحدود فوجب ان لا يجب غسل المرفقين في الوضوء وحجة
الجمهور ان حرف الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اى مع اموالكم
ويعضده من السنة ما صح من حديث ابى هريرة رضى الله عنه انه توضا فغسل وجهه فاسبغ
الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى اشرع في العضد ثم قال
هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضا والجواب عن الحجة المتقدمة ان
الحد اذا كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه الاية لان المرفق من جنس اليد واذا لم يكن
من جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لان النهار من غير
جنس الليل فلا يدخل فيه والله اعلم الفرض الثالث من فرائض الوضوء قوله تعالى
وامسحوا برؤسكم اختلف العلماء رضى الله عنهم في القدر الذي يجب مسحه من الراس على احد
عشر قولا ملاتة للامام ابى حنيفة وقولان للامام الشافعي وستة للامام مالك اصح هذه
الستة عند الامام مالك قول واحد وهو تعميم الراس بالمسح واجمع العلماء على ان من مسح راسه
كله فقد احسن وفعل ما يلزمه قال الامام مالك يجب مسح جميع الراس وهي احدى الروايتين
عن الامام احمد والرواية الاخرى عنه انه يجب مسح اكثره وقال الامام ابو حنيفة يجب مسح
ربعه وفي رواية اخرى عنه يجب مسح قدر ثلاثة اصابع منه وقال الامام الشافعي الواجب
مسح ما ينطلق عليه اسم المسح والمراد الصاق المسح بالراس وما مسح بعضه ومسنوعبه بالمسح
كلاهما ملصق للمسح بالراس فاخذ الامام مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب واخذ
الامام الشافعي باليقين فاوجب مسح ما يقع عليه اسم المسح واخذ الامام ابو حنيفه ببيان
السنة وهو ما روى عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا فمسح
بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية بربع الراس والله اعلم ٥
واختلفوا من اين يبدا بمسح الراس فقال الامام مالك يبدا بمقدم راسه ثم يذهب سره
الى موخره ثم يردهما على موخره وهذا على حديث عبد الله بن زيد الذي اخرجه مسلم وبه
قال الامام الشافعي والامام احمد وقال بعضهم يبدا بموخر الراس على حديث الربيع بنت معوذ
وهو حديث مختلف في الفاظه وهو يدور على عبد الله بن محمد بن عقيل وليس بالحافظ عندهم

اخرجه ابو داود من رواية بشر بن المفضل عن عبد الله عن الربيع • وروى ابن عجلان عنه
عن الربيع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا عندنا فمسح الراس كله من قرن الشعر
كل ناحية منصب الشعر لا تحرك الشعر عن هيئته • ورويت هذه القصة عن ابن عمر وانه
كان يبدا من وسط راسه • واصح ما في هذا الباب حديث عبد الله بن زيد • وكل من اجاز بعض
الراس فانما يرى ذلك البعض في مقدم الراس • وروى عن ابرهيم النخعي والشعبي انهما قالا
اي نواحي راسك مسحت اجزا عنك • وروى عن ابن عمر انه مسح الياقوخ فقط • والاجماع
منعقد على استحباب المسح بالبدن معا • واختلف فيمن مسح باصبع واحدة حتى عمم ما يرى
انه يجزيه من الراس • فالمشهور من مذهب الامام مالك انه يجزى • وهو قول سفين الثوري •
قال سفين ان مسح راسه باصبع واحدة اجزاه • وقال بعضهم لا يجزيه لانه خروج عن سنة
المسح الا ان يكون ذلك عن ضرورة مرض • وقال الامام ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد بن الحسن
لا يجزى مسح الراس باقل من ثلاثة اصابع • واختلف العلما ايضا في رد البدن على شعر الراس هل
هو فرض ام سنة • بعد الاجماع على ان المسحة الاولى فرض بنص القران • فالجمهور على ان ذلك
سنة • وقيل هو فرض • والله اعلم • واما الاذنان فهما من الراس عند الامام ابي حنيفة
وسفين الثوري والامام مالك وغيرهم • ثم اختلفوا هل يمسح الاذنين مع الراس او ياخذ لهما
ماء جديدا • فقال الامام مالك والامام احمد يستانف لهما ماء جديدا سوى الماء الذي مسح به
الراس كما فعل عبد الله بن عمر رضي الله عنه • وهكذا قال الامام الشافعي في تجديد الماء لهما قال
لانهما سنة على حيالهما لا من الوجه ولا من الراس • وهكذا قال ابو ثور ايضا • وقال الامام
ابو حنيفة وسفين الثوري يمسح الاذنين مع الراس بماء واحد • وروى مثل هذا القول عن
جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين • وقال داود ان مسح اذنه فحسن والا
فلا شيء عليه • قال لانهما ليستا مذكورتين في القران • قيل له ان اسم الراس تضمنهما
كما بيناه • وقد جاءت احاديث صحيحة رواها النسائي وابو داود وغيرهما ان النبي صلى الله عليه
وسلم مسح ظاهرهما وباطنهما • وادخل اصبعيه في صماخيه • قال العلما وانما يدل عدم ذكرهما
من الكتاب على انهما ليستا بفرض كغسل الوجه واليدين • وانما ثبت سنة مسحهما بالسنة • واهل

العلم بكراهة للمتوضى ترك مسح اذنيه ويجعلونه تاركا سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا يوجبون عليه اعادة الا اسحق فانه قال ان ترك مسح اذنيه لم يجزه وقال الامام
احمد ان تركهما عمدا احببت ان يعيد واحتج من قال الاذنان من الوجه بما روى عن النبى صلى
الله عليه وسلم انه كان يقول فى سجوده سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره
فاضاف السمع الى الوجه فثبت ان يكون لهما حكم الوجه وفى مصنف ابى داود من حديث عثمان
فغسل بطونهما وظهورهما مرة واحدة ثم غسل رجليه ثم قال ان السائلون عن الوضوء هكذا
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضاه واحتج من قال يغسل ظاهرهما مع الوجه ومسح
باطنهما مع الراس بان الله عز وجل قد امر بغسل الوجه وامر بمسح الراس فما واجهك من
الاذنين وجب غسله لانه من الوجه ومالم يواجهك وجب مسحه لانه من الراس وهذا
القول ترده الاثار التى وردت فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمسح ظاهر اذنيه وباطنهما روى
ذلك من حديث على وابن عثمان وابن عباس والربيع وغيرهم رضى الله عنهم واحتج من قال انهما
من الراس بقول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الصنابحى فاذا مسح راسه خرجت الخطايا من
راسه حتى من اذنيه رواه الامام مالك بتمامه والله تعالى اعلم القول الرابع من فرائض الوضوء
قوله تعالى وارجلكم الى الكعبين اختلف العلماء رضى الله عنهم فى هذا الحكم وهل فرض
الرجلين المسح او الغسل فروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال الوضوء غسلتان ومسحتان
ويروى ذلك عن قتادة ايضا وروى ان الحجاج خطب بالاهواز فذكر الوضوء فقال اغسلوا
وجوهكم وايديكم وامسحوا برؤسكم وارجلكم فانه ليس شئ اكرم من خبثه من قدميه فاغسلوا
بطونهما وظهورهما وعراقيبهما فسمع ذلك انس بن مالك رضى الله عنه فقال صدق الله وكذب الحجاج
قال الله تعالى وامسحوا برؤسكم وارجلكم قال وكان اذا مسح رجليه بلهما وروى ايضا عن انس
انه قال نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس على الرجلين غسل انما
نزل فيهما المسح وعن الشعبى انه قال انما هو المسح على الرجلين الا ترى انه ما كان عليه الغسل
جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح اهمل وهذا هو مذهب الامامية من الشيعة ان
الواجب فى الرجلين المسح وذهب ابن جرير الطبرى الى ان فرضهما التخيير بين الغسل والمسح

من بنى ادم م

وجعل القرائين كالروايتين. قال بعضهم ومن احسن ما قيل فيه ان الغسل والمسح واجبان
جميعا. فالمسح واجب على قراءة من قرا وارجلكم بالخفض. والغسل واجب على قراءة من قرا
وارجلكم بالنصب. والقرائن بمنزلة ايتين. وذهب جمهور العلماء من الصحابة والتابعين
فمن بعدهم والائمة الاربعة واصحابهم الى ان فرض الرجلين هو الغسل. وسبب اختلاف
القرا في هذا الحرف. فقرا نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم وارجلكم بفتح اللام عطفا
على الغسل. فيكون من الموخر الذي معناه التقديم. ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم. وقال اصحاب هذه القراءة انما امر الله تعالى
عباده بغسل الارجل دون مسحها. ويدل عليه ايضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة
والتابعين فمن بعدهم. وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم راى قوما يتوضون واعقابهم تلوح.
فنادى باعلا صوته ويل للاعقاب من النار. اسبغوا الوضوء. وقال ابن العربي رحمه الله
اتفقت الامة على وجوب غسلهما. وما علمت من رد ذلك الا الطبري من فقهاء المسلمين والرافضة
من غيرهم. وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وارجلكم بكسر اللام عطفا
على المسح. اما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر. لانه عطف على المغسول. لوجوب غسل الرجلين
على مذهب الجمهور. ولا تقدح فيه قول من خالف. واما قراءة الكسر فقد اختلفوا في معناه
والجواب عنه. فقال ابو حاتم وابن الانباري وابو علي الفارسي الكسر عطف على الممسوح.
غير ان المراد بالمسح هنا الارجل الغسل. وقال ابو زيد المسح خفيف الغسل. تقول العرب مسحت
للصلاة بمعنى توضات لها. وتقول ايضا هات ما امسح به للصلاة بمعنى اتوضا. وقال ابو
حاتم وذلك ان المتوضي لا يرضى نصب الماء على اعضائه حتى يمسحها مع الغسل. فسمي الغسل مسحا
بهذا الاعتبار. فعلى هذا الراس والرجل ممسوحتان. الا ان مسح الراس اخف. والذي
يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكر التحديد. وهو قوله تعالى الى الكعبين. لان
التحديد انما جا في المغسول. ولم يجي في الممسوح. فلما وقع التحديد مع المسح علم انه
في حكم الغسل. وقالت جماعة من العلماء ان الارجل معطوفة على الروس في الظاهر.
والمراد فيها الغسل. لانه قد ينسب الشي على غيره والحكم فيها مختلف. كما قال الشاعر

هذا الاختلاف في القرا في هذا الحرف

مسئلة وارجلكم

بذكر النار

والصحيح جواز العلامة وروى ابو داود عن علي رضي الله عنه قال لو كان الدين بالرأي لكان
وكذا روي عن انس وابن عباس انهما مسحا اعلى الخفين وقد قال ابن خزيمة
الخفين في الرجلين اذا جامعهما الساتر ولكن اذا رأى على ظاهرهما اخضرار وتلقيا هذا الخبر
من النبي صلى الله عليه وسلم انه امر بمسح عليهما وسلم ابو داود عن المغيرة بن شعبة
فيه صلى الله عليه وسلم بغسل الرجل التي غسل فيها الرجل والحال التي مسح فيها
قول حسن فان قيل ان قد قال ان المسح على الخفين منسوخ بسورة المائدة وعن ابن عباس قد
رد ابو هريرة المسح وكذلك عائشة وانكره الامام مالك قلنا الجواب ان من نفى شيئا
واثبته غيره فالحجة للمثبت وقد اثبت المسح على الخفين عشرون صحابيا كما في الهداية وغيرها
وقد قال الحسن حدثني سبعون رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انه مسح على الخفين
وقد ثبت بالنقل الصحيح عن جرير انه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ومسح على خفيه
قال ابو عمر النخعي كان يعجبهم هذا الحديث لان اسلام جرير رضي الله عنه كان بعد نزول
المائدة وهذا نقيض ما ذكره وما احتجوا به من رواية الواقدي عن عبد الحميد
ابن جعفر عن ابيه ان جريرا اسلم في سنة عشر في شهر رمضان وان المائدة نزلت في ذي الحجة
يوم عرفات فنسخ حديث لا يثبت لوجوده وانما نزل من المائدة يوم عرفة اليوم اكملت
لكم دينكم على ما تقدم وقال الامام احمد بن حنبل انا استحسن حديث جرير في المسح على الخفين
لان اسلامه كان بعد نزول المائدة واما ما روي عن ابي هريرة وعائشة فلا يصح اما
ان عائشة لم يكن عندها بذلك علم ولذلك ردت الفضل الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
واحالته عليه فقالت سله فانه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اما الخبر
واما الامام مالك فما روي عنه من الانكار به فهو منكر لا يصح والصحيح ما قال عند
موته لابن نافع قال له الا اني كنت آخذ في خاصة نفسي بالطهور ولا ارى من مسح
على الخفين مقصرا فما يجب عليه وعلى هذا حمل الامام احمد بن حنبل ما رواه ابن وهب عنه
انه قال لا امسح في حضر ولا سفر قال الامام احمد هذا كما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه
امرهم ان يمسحوا خفافهم وخلع هو وتوضأ وقال حبب الي الوضوء ونحوه عن ابي ايوب

نهر فحرك رجليه انه لا يجزيه حتى يغسلهما بيديه ورُوِي عنه ايضا انه اذا غسل
احداهما ثم الاخرى اجزاه وقال بعضهم الصحيح انه لا يجزئ منها الا غسل ما تحتهما كسائر
الرجل لان ذلك من الرجل كما ان ما بين اصابع اليد من اليد ولا اعتبار بانفراج اصابع
اليدين وانضمام اصابع الرجلين فان الانسان مامور بغسل جميعها كما هو مامور بغسل
يديه جميعها وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا توضا يدلك اصابع رجليه
بخنصره مع ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يغسل رجليه وهذا يقتضي العموم وقد كان
الامام مالك في آخر عمره يدلك اصابع رجليه بخنصره او بعض اصابعه لحديث حدثه به
ابن وهب عن ابن لهيعة والليث بن سعد عن يزيد بن عمرو المعافري عن ابي عبد الرحمن الحبلي
عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا فيخلل
بخنصره بين اصابع رجليه قال ابن وهب فقال لي مالك ان هذا لحسن وما سمعته قط الا
الساعة قال ابن وهب وسمعته يسال بعد ذلك عن تخليل الاصابع في الوضوء فامر به
وقد روى حذيفة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خللوا بين الاصابع لا تخللها
النار وهذا نص في الوعيد على ترك التخليل فثبت ما قلناه والله هو الموفق واعلم
ان الفاظ الآية تقتضي الموالاة بين غسل الاعضاء وهي اتباع المتوضي الفعل الفعل الى
آخره من غير تراخ بين بعاضه ولا بفعل ليس منه واختلف العلماء في ذلك فقال بعضهم
هو من فروض الوضوء في حالة الذكر والنسيان فمن فرق بين اعضاء وضوءه متعمدا او ناسيا
لم يجزه وقال بعضهم يجزيه سواء كان متعمدا او ناسيا وقال الامام مالك في المدونة
وكتاب محمد ان التوالي ساقط وبه قال الامام الشافعي وقال الامام مالك وابن القاسم
ان فرقه عامدا لم يجزه وان كان ناسيا اجزاه وقال الامام مالك ايضا في رواية ابن
حبيب يجزيه في المغسول ولا يجزيه في الممسوح فهذه خمسة اقوال ابنيت على اصلين الاول
ان الله تعالى امر امرا مطلقا فان شئت قل ان شئت فرق انما المقصود وجود الغسل
في جميع الاعضاء عند القيام الى الصلاة الثاني انها عبادات لها اركان مختلفة فوجب فيها
التوالي كالصلاة وهذا اصح والله اعلم وتضمن الفاظ الآية ايضا الترتيب في الوضوء وهو

ان تغسل الاعضا فى الوضو على الولا كما ذكر الله فى هذه الاية فنغسل اولا وجهه ثم يديه ثم
نمسح راسه ثم نغسل رجليه • وذلك فرض عند الامام الشافعى • فيضاف الى الفروض الاربعة
مع النية فتصير فروض الوضو عنده ستة • وقال الابهرى من اصحاب الامام مالك الترتيب سنة •
قال وظاهر المذهب ان التنكيس للناسى يجزى • واختلف فى العامد • فقيل يجزى ويرتب فى المستقبل •
وقال بعضهم لا يجزيه لانه عابث • والى هذا ذهب الامام الشافعى واصحابه • وبه نقول الامام
احمد بن حنبل • وابو عبيد القاسم بن سلام • واسحق • وابو ثور • واليه ذهب ابو مصعب صاحب
الامام مالك • وحكاه عن اهل المدينة والامام مالك معهم ان من قدم فى الوضو يديه على وجهه
ولم يتوضا على ترتيب الاية فعليه الاعادة لما صلى بذلك الوضو • وذهب الامام مالك فى
اكثر الروايات عنه واشهرها ان الموالاة توجب التعقيب ولا تعطى رتبة • وبذلك قال اصحابه •
وهو قول الامام ابى حنيفة واصحابه • وسفين الثورى • والاوزاعى • والليث بن سعد • والمزنى •
وداود بن على رحمهم الله فصل فى اسرار الطهارة قال النبى صلى الله عليه وسلم بنى الدين على النظافة • وقال
صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاة الطهور • وقال الله تعالى رجال يحبون ان يتطهروا • والله يحب
المطهرين • وقال النبى صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان • وقال الله عز وجل ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم • فتفطن اصحاب البصاير بهذه النصوص ان اهم الامور تطهير
السراير • وقالوا بعيد ان يكون المراد بقول النبى صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان عمارة
ظاهر البدن بالتنظيف بافاضة الماء وتخريب الباطن وابقاوه مشحونا بالاخباث والاقذار
هيهات والله فالطهارة لها مراتب • قال الامام السمرقندى رحمه الله الطهارة على سته اوجه •
اولها ان يطهر الانسان نفسه مما دون الله من الكونين • الثانى ان يطهر قلبه من الغل والغش
والحقد والحسد • الثالث ان يطهر لسانه من الكذب والفحش والغيبة والنميمة والبهتان •
الرابع ان يطهر باطنه من اكل الحرام • الخامس ان يطهر ظاهره من لبس الحرام • السادس الطهارة
الشرعية • وهو ان تتطهر بطلين من الماء حتى يصيرا هلا للعبودية • وقال الامام الغزالى رحمه الله
الطهارة لها اربع مراتب • الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات • الثانية
تطهير الجوارح عن الجرايم والاثام • الثالثة تطهير القلوب عن الاخلاق المذمومة والرذايل

سطلب اسرار الطهارة

المقوته • والرابعة تطهير السر عما سوى الله • وهذه هي طهارة الانبيا والصدقين •
والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها • فان الغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف
له جلال الله وعظمته • ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر ما لم يرتحل عما سوى الله •
ولذلك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم • لانهما لا يجتمعان في قلب واحد ابدا • وما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه • واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالاخلاق المحمودة •
والعقايد المشروعة • ولن تنصف بها ما لم تنصف عن نقايضها من العقايد الفاسدة والرذايل
المذمومة • فتطهيره احد الشطرين • وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني • فكان الطهور
شطر الايمان بهذا المعنى • وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين • وعمارتها
بالطاعات هي الشطر الثاني • وهذه مقامات الايمان • ولكل مقام طبقة • ولن ينال العبد
الطبقة العليا الا ان يجاوز الطبقة السالفة • فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة
وعمارته بالمحمودة من لم يفرغ عن طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود •
ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات • وكل
ما عز المطلب وشرف صعب مسلكه • وطال طريقه • وكثرت عقباته • فلا تظنن ان هذا
الامر يدرك بالمنى • وينال بالهوينا • نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات
لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب
المطلوب • فصار يحزن فيها • ويستقصي في مجاريها • ويستوعب جميع اوقاته في الاستنجا وغسل
الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل
ان الطهارة المطلوبة المشروعة هي هذه فقط • وجهلا بسيرة السلف الاولين • واستغراقهم
جميع الهم والتاكد في تطهير القلوب • وتساهلهم في امر الظاهر • حتى ان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه على علو منصبه توصاى من بيت نصرانيه من مزادة في جرة لها • وحتى انهم يعني الصحابة رضي الله عنهم
كانوا لا يغسلون ايديهم عن الدسومات والاطعمة • وانما كانوا يمسحون اصابعهم في اخمص
اقدامهم • وكانوا يعدون الغسل بالاشنان من البدع المحدثة • ولقد كانوا رضي الله عنهم يصلون
على الارض في المساجد • ويمشون حفاة في الطرقات • ومن كان منهم لا يجعل بينه وبين التراب

المشروعة

الى هيآتهم وبياتهم مع التكبر والخيلآء وعصى الله واياهم لاساع السنة فريضة محمد صلى

جاجزا في مرقده كان من اكابرهم • وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجآء دون الماء ويكتفون
بها • قال ابو هريرة وغيره من اهل الصفة رضي الله عنهم كنا نأكل الشوآء فتقام الصلاة فندخل
اصابعنا في البطحآء ثم نفركها بالتراب ونكبر ونصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم • وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كنا نعرف الاشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم • وانما
كانت مناديلنا بواطن ارجلنا • كنا اذا اكلنا الغمر مسحنا بها • وتقال اول ما ظهر من البدع
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة • المناخل • والاشنان • والموايد • والشبع ٥
وكانت عنايتهم كلها في نظافة الباطن حتى قال بعضهم ان الصلاة في النعلين افضل • لما روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع نعله في الصلاة اذ اخبر به جبريل عليه السلام ان عليها
نجاسة وخلع الناس نعالهم • قال لهم صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم ٥ وقال النخعي في الذين
يخلعون نعالهم • وددت لو ان محتاجا جآء واخذها • وهذا انكار منه لخلع النعال في الصلاة ٥
وهكذا كان تساهلهم رضي الله عنهم في هذه الامور • بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون
عليها • ويصلون في المساجد على الارض • ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب
وتبول عليه ٥ وكانوا لا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات • ولم
ينقل قط عن واحد منهم سوال في دقائق النجاسات • بل هكذا كان تساهلهم فيها رضي الله عنهم ٥
قال رحمه الله وقد اشتهت النوبة الآن يعني في هذه الازمان الى طائفة سموا الرعونة
نظافة • ويقولون هي مبنى الدين • فاكثر اوقاتهم انما هو في تزين الظواهر كفعل الماشطة بعروسها •
يعني لما يلبسون من المصقول والشاشات ورفيع اللباس وغير ذلك من انواع الزين • والبواطن خراب
مشحونة بخبايث الكبر والعجب والفخر والخيلآء والجهل والرياء والنفاق والتعاظم • ولا
يستنكرون ذلك • ولا يعجبون منه • حتى لو اقتصر مقتصر من الناس على الاستنجا بالحجر دون
الماء او مشا على الارض حافيا او صلى على الارض او على بواري المسجد من غير سجادة او مشى على الفرش
من غير باسومة او غلاف لرجليه او توضا من انية عجوز او رجل غير متقشف اقاموا
فيه القيامة وشددوا عليه النكير • ولقبوه بالقذر • واخرجوه من زمرتهم • واستنكفوا من
مخالطته ومواكلته • فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة • وسموا الرعونة التي هم فيها

نظافة • فانظر كيف صار المنكر معروفا • والمعروف منكرا • وكيف اندرس من الدين رسمه كما
اندرس تحقيقه وعلمه • فانا لله وانا اليه راجعون مما حل بالناس في هذه الازمان ۞
فصل في اداب قضاء الحاجة قال العلماء ينبغي لمن اراد قضاء الحاجة ان يبعد عن اعين الناس
في الصحراء • وان يستتر بشيء ان وجده • وان لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وان
لا يستقبل الشمس والقمر • وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان في بناء • والعدول
عنها في البناء ايضا احب • وان استتر في الصحراء براحلته جاز • وكذا بثيابه • وان يتقي الجلوس
في مجاري الناس • وان لا يبول في الماء الراكد • ولا في الجحرة • وان يتقي الموضع الصلب ومهب
الرياح في البول استنزاها من رشاشه • وان يتكيء في جلوسه على رجله اليسرى • وان كان في
بنيان فيقدم رجله اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج • وان لا يبول قائما لما روي عن
عائشة رضي الله عنها انها قالت من حدثكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا
تصدقوه • ولما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابول
قائما فقال يا عمر لا تبل قائما • وفي البول قائما رخصة • وهو ما روي حذيفة رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم بال قائما • قال فاتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه • ولا يبول في
المغتسل • لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عامة الوسواس منه • وقال ابن المبارك ان كان
الماء جاريا فلا باس • ولا يستصحب شيئا عليه اسم الله ورسوله • ولا يدخل بيت الماء كاشف الرأس
وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الخبث المخبث الشيطان الرجيم • وعند الخروج
الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني • وابقى علي ما ينفعني • وان لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة •
وان يستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا • وامرار اليد على القضيب • وان لا يكثر التفكر
في الاستبراء فيتوسوس ويشوش عليه الامر • وما يحس به من بلل فليقدر انه بقية الماء •
فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس •
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك يعني رش الماء • وقد كان السلف اخفهم استبراء افقههم •
فتدل الوسوسة في ذلك على قلة الفقه • وفي حديث سلمان رضي الله عنه علمنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة • وامرنا ان لا نستنجي بعظم ولا روث • ونهانا ان نستقبل

القبلة لغايط اوبول • وروى ان رجلا قال لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لاطنك
تحسن الخراءة • فقال بلى وابيك انى بها لحاذق • ابعد الاثر • واعد المدر • واستقبل الشيح •
واستدبر الريح • واقعى اقعاء الظبى • واجفل اجفال النعام • الشيح نبت طيب الرائحة يكون
بالبادية • والاقعاء هنا ان يستوفز على صدور قدميه • والاجفال ان يرفع عجزه • ومن
الرخصة ان يبول الانسان قريبا من صاحبه متستترا عنه • فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع شدة حيائه ليبين للناس **فصل في كيفية الاستنجاء** السنة ان يستنجى لمقعدته ثلاثة احجار •
فان انقا كفا • والا استعمل رابعا • فان لم ينق استعمل خامسا • لان الايتار مستحب • وقال النبى صلى الله
عليه وسلم من استجمر فليوتر • ويأخذ الحجر يساره • ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع
النجاسة • ويمره بالمسح والادارة الى المؤخر • ويأخذ الثانى ويضعه على المؤخرة كذلك • ثم
ماخذ حجرا كبيرا بيمينه • وماخذ القضيب بيساره • ويمسح الحجر بقضيبه • ويحرك اليسار فيمسح بلا ما
فى بلانة مواضع • او فى بلانة مواضع من جدار • الى ان لا يرى الرطوبة فى محل
المسح • فان حصل ذلك بمرتين اتى بالثالثة • ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الاحجار • وان
حصل بالرابعة استحبت الخامسة للاشار • ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجى بالما •
بان يفيضه بيده اليمنى على محل النجو • ويدلك باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس
ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن • فان ذلك منبع الوسواس • وليعلم ان كل ما لا يصل اليه الما
فهو باطن • ولا شيء حكم النجاسات للفضلات الباطنة ما لم تبرز • وكل ما هو ظاهر وشبه له
حكم النجاسة فحد ظهوره ان يصل الما اليه فيزيله • فلا معنى للوسواس • ويقول عند الفراغ
من الاستنجاء اللهم طهر قلبى من النفاق • وحصن فرجى من الفواحش • ويدلك يده بحايط او الارض
ازالة لرائحة ان بقيت • والجمع بين الما والحجر مستحب • فقد روى انه لما نزل قوله تعالى فيه
رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا ما هذه
الطهارة التى اثنى الله بها عليكم • قالوا يا رسول الله انا نجمع بين الما والحجر **فصل في كيفية**
الوضوء اعلم انه اذا فرغ من الاستنجاء فانه يشتغل بالوضوء لما روى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم ير قط خارجا من الغايط الا توضا • ويتسوك بالسواك لقول النبى صلى الله عليه وسلم ان

افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك • وينبغي ان ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة
الفاتحة وذكر الله في الصلاة • وقال النبي صلى الله عليه وسلم صلاة على اثر السواك افضل من
خمس وسبعين صلاة بغير سواك • وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك
عند كل صلاة • وقال صلى الله عليه وسلم مالي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا • ومعنى قوله
قلحا يعني صفر الاسنان • وكان صلى الله عليه وسلم يستاك في الليلة مرارا • وعن ابن عباس
رضي الله عنه انه قال لم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه
فيه شيء • وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب • وقال علي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه السواك يزيد في الحفظ • ويذهب البلغم • وكان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوحون بالسواك على الظفر • وقال صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي
لامرتهم بالسواك مع كل وضوء • وفي رواية لولا ان اشق على امتي لفرضت عليهم السواك عند
كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء • وقال صلى الله عليه وسلم اربع من سنن المرسلين الحناء
والتعطر والسواك والنكاح • رواه الترمذي • وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
كان يخرج من بيته لشيء من الصلوات حتى يستاك • وقال صلى الله عليه وسلم تسوكوا • فان السواك
مطهرة للفم مرضاة للرب • ما جاني جبريل عليه السلام الا اوصاني بالسواك حتى لقد خشيت
ان افرض علي وعلى امتي • ولولا اني اخاف ان اشق على امتي لفرضته عليهم • واني لاستاك
حتى خشيت ان احفي مقادم فمي • وفي رواية ما زال جبريل يوصيني بالسواك حتى خفت
على اضراسي • وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه امر بالسواك • وقال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان العبد اذا استاك ثم قام فصلى قام الملك خلفه فاستمع لقراءته فيدنو منه
او كلمة نحوها حتى يضع فاه على فمه • فما يخرج من فمه شيء من القرآن الا صار في جوف
الملك • فطهروا افواهكم للقرآن • وكيفية السواك ان يستاك بخشب الاراك وغيره من
قضبان الاشجار مما يخشن وينزل القلح • ويستاك عرضا وطولا • واذا قصر فعرضا •
ويستحب السواك عند كل صلاة وكل وضوء • واذا لم يصل عقيبه • وعند تغير النكهة بالنوم •
او طول الازم • او اكل ما تكره رائحته • فاذا فرغ من السواك يجلس للوضوء • ويقول

بسم الله الرحمن الرحيم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يسم الله عليه اي لا وضوء
كاملا ويقول عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون ثم
يغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلها الاناء ويقول اللهم اني اسالك اليمن والبركة واعوذ بك
من الشوم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث او استباحة الصلاة ويستديم النية الى غسل
الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجزه عند الامام الشافعي ويجزيه عند الامام ابي حنيفة
ثم ياخذ غرفة لفمه فيتمضمض بها ثلاثا ويبالغ ان يرد الماء الى الطاعمة الا ان يكون
صائما فيرفق ويقول اللهم اعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم ياخذ غرفة لانفه
ويستنشق بها ثلاثا ويعيد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستثير ما فيه ويقول في الاستنشاق
اللهم اوجدني رائحة الجنة وانت عني راض وفي الاستنثار اللهم اني اعوذ بك من روائح
النار ومن بئس المستقر لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغترف غرفة لوجهه
ويغسله من مبتدا سطح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن
في العرض ويصل الماء الى منابت الشعور الرابعة اي الحاجبان والشاربان والاصداب والعذاران
لانها خفيفة في الخالب والعذاران ما حاذى الاذنين من مبتدا اللحية ويجب
ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعني ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا وحكم
العنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا ويفيض الماء على ظهر المرفق
من اللحية ويدخل الاصبع في محاجر العينين ومواضع الرمص ويحتفي الكحل وشقيهما
فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ويامل عند ذلك خروج الخلال من عينيه
وكذلك عند كل عضو ويقول عند غسل وجهه اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك
ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه اعدائك ويخلل اللحية عند غسل الوجه فيقول
مستحب ثم يغسل يديه الى مرفقيه بلاما ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء الى اعلى
العضد فانهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من اثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال
النبي صلى الله عليه وسلم من استطاع ان يطيل غرته فليفعل وروي ان الحلية تبلغ مواضع الوضوء
ويبدا باليمين ويقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال

اللهم اني خ

اللهم

مطلب آداب وضوء

اللهم انی اعوذ بک ان تعطینی کتابی بشمالی او من وراء ظهری ثم یستوعب راسه بالمسح بان
یبل یدیه ویلصق رؤس اصابع الیمنی بالیسری ویضعهما علی مقدم الراس ویمرهما الی القفا
ثم یردهما الی المقدم ویقول اللهم اظلنی برحمتک وانزل علی من برکاتک واظلنی تحت عرشک
یوم لا ظل الا ظلک ثم یمسح اذنیه ظاهرا وباطنا بان یدخل مسبحتیه فی صماخی اذنیه
ویدیر ابهامیه علی اعراف اذنیه ویقول اللهم اجعلنی من الذین یستمعون القول فیتبعون
احسنه اللهم اسمعنی منادی الجنة مع الابرار ثم یمسح رقبته لقول النبی صلی الله علیه وسلم
مسح الرقبة امان من الغل یوم القیامة ویقول اللهم فک رقبتی من النار واعوذ بک من
السلاسل والاغلال ثم یغسل رجله الیمنی ثلاثا ویخلل بالید الیسری من اسفل اصابع الرجل
الیمنی ویبدا بالمخنصر من الرجل الیمنی ویختم المخنصر من الیسری ویقول اللهم ثبت قدمی
علی الصراط یوم تزل الاقدام فی النار ویقول عند غسل الیسری اللهم انی اعوذ بک ان تزل
قدمی علی الصراط یوم تزل اقدام المنافقین ورفع الماء الی اعالی الساقین فاذا فرغ رفع
راسه الی السماء وقال اشهد ان لا الٰه الا الله وحده لا شریک له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله سبحانک وبحمدک لا الٰه الا انت عملت سوءا وظلمت نفسی استغفرک واتوب الیک
فاغفر لی وتب علی انک انت التواب الرحیم اللهم اجعلنی من التوابین واجعلنی من المتطهرین
واجعلنی من عبادک الصالحین واجعلنی شکورا واجعلنی ذکرک کثیرا واسبحک بکرة واصیلا
ثم قال اشهد ان محمدا عبده ورسوله ختم علی وجهه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم یزل یسبح
الله تعالی ذلک الیوم وکتب له ثواب ذلک الی یوم القیامة ویکره فی الوضوء صب
الماء علی الوجه علی الاثر وان یسرف فی الماء لقول رسول الله صلی الله علیه وسلم توضا هکذا
وقال من زاد علی هذا او نقص فقد اساء وظلم وقال صلی الله علیه وسلم سیکون قوم من
امتی یعتدون فی الدعاء والطهور وتقال من وهن علم الرجل ولوعه بالماء فی
الطهور وقال ابراهیم النخعی اول ما یبدا الوسواس من قبل الطهور وقال
الحسن ان شیطانا یقال له الولهان ویکره ان ینفض یده فی الوضوء ان یتکلم فی اثناء وضوئه وان یلطم وجهه بالماء لطما ویکره قوم التنشف وقالوا الوضوء وزن

مطلب اسراف فی الوضوء

ولكن روى معاذ رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم يجب وجهه بطرف ثوبه كذا ذكره
سعيد بن المسيب والزهري ويكره ان يتوضأ من اناء صفر وان يتوضأ الا في الشمس وذلك
من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم اجازته الا اناء الصفر وقال بعضهم اجازته
لشبهة ما في اناء صفر فابى ان يتوضأ منه ونقل كراهة ذلك عن ابن عمر فاذا فرغ
من وضوئه واقبل على صلاته ينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو مطرح نظر الخلق
فينبغي ان يستحيي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب وليتحقق
ان طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق الذميمة فان من اقتصر على طهارة الظاهر
كمن راى ان يزيل وسخ ثيابه وترك بدنه مشحونا بالنجاسات واشتغل بتحسين ظاهر
الباب البراني من الدار وما اجدر ذلك الرجل للتعرض للمقت والبوار واعلم قال
بعض العلماء ان اسرار الله تعالى العبد بطاعته اما الوضوء فهو احد الاوساخ التي تتعلق
بها الاعضاء كثيرا والصلاة خدمة لله تعالى والقيام بين يديه متطهرا من الاوساخ
اقرب الى التعظيم فكان اكمل في الخدمة كما في اشاعة اذا اراد ان يقوم بين يدي الملك
ولهذا قيل ان الاولى ان يصلي الرجل في احسن ثيابه وان الصلاة متعتها اخفاء
الصلوة مشكوة فدل على ان ذلك ابلغ في التعظيم وقال الثعلبي في تفسيره روى ابو
ادريس عن ابي ذر عن علي رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ملا من
المهاجرين اذ اقبل اليه عشرة من احبار اليهود فقالوا يا محمد انا نشاك في انك نبي انا
لا نتبعك الا من كان نبيا موسى او ملكا مقربا فقال صلى الله عليه وسلم سلوني عما
ولا تسألوني تعنتا فقالوا يا محمد اخبرنا بامور ان عملنا بها اتبعناك وهي اثنتا عشرة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام لما نظر الى الشجرة قصد اليها بوجهه
ثم مشى اليها بقدمه وهي اول قدم مشت الى المعصية ثم تناول بيده وشمها فاكل منها
فطار عنه الحلي والحلل فوضع يده على راسه فامر الله بغسل الوجه لان نظر الى الشجرة
وقصدها وامر بغسل الساعدين لما تناول بيده واكل منها وامر بمسح الراس لما وضع
يده على راسه وامر بغسل الرجلين لما مشى الى الشجرة فلما فعل ذلك اذهم كفر عنه

وضوء مواضع مطلب اسرار غسل

الخطية فافترضهن الله على امتى لتكفر ذنوبهم من الوضو الى الوضو فقالوا صدقت
واسلموا كلهم فصل فيما ورد من الاحاديث والاثار فى فضل الوضو اعلم ان الوضو اصل
فى الدين وطهارة المسلمين وخصوصا لهذه الامة فى العالمين روى عقبة بن عامر رضى الله
عنه قال كانت علينا رعاية الابل فجاءت نوبتى ارعاها فروحتها بعشى فادركت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قائما يحدث الناس فادركت من قوله ما من مسلم يتوضا فيحسن وضوه
ثم يقوم فيصلى ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذا
فاذا قائل بين يدى يقول التى قبلها اجود فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال انى قد
راتك حين اقبلت آنفا قال ما منكم من احد يتوضا فيبلغ الوضوا ويسبغ الوضو ثم يقول اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة
الثمانية يدخل من ايها شاء رواه مسلم وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا توضا العبد المسلم او المومن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطية نظر
اليها بعينيه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيه بطشتها
يداه مع الماء او مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرجت كل خطية مشتها رجلاه مع
الماء او مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب رواه مسلم وعن نعيم بن عبد الله
المجمر عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان امتى يدعون يوم القيامة
غرا محجلين من آثار الوضو فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل وفى رواية قال
غرا محجلين من آثار الوضو فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل رايت ابا هريرة يتوضا فغسل وجهه فاسبغ الوضو ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع فى العضد
ثم غسل يده اليسرى حتى اشرع فى العضد ثم مسح راسه ثم غسل رجله اليمنى حتى اشرع فى
الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى اشرع فى الساق ثم قال لى هكذا رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتوضا وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم الغر المحجلون يوم القيامة
من اسباغ الوضو فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفى رواية قال سمعت
خليلى صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المومن حيث يبلغ الوضو رواهم البخارى ومسلم
وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا على طهر كتب له به

عشر حسنات • رواه الترمذی • وعن ابی هریرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه
وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له • ولا وضوء لمن لم یذکر الله علیه • رواه ابو داود وابن ماجه •
وعن ابی الدرداء رضی الله قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم أنا اول من یؤذن له بالسجود
یوم القیامة • وانا اول من یرفع راسه فانظر بین یدی فاعرف امتی من بین سایر الامم •
ومن خلفی مثل ذلک • وعن یمینی مثل ذلک • وعن شمالی مثل ذلک • فقال رجل کیف تعرف
امتک یا رسول الله من بین الامم فیما بین نوح الی امتک • قال هم غر محجلون من اثر الوضوء •
لیس لاحد ذلک غیرهم • واعرفهم انهم یوتون کتبهم بایمانهم • واعرفهم یسعی بین ایدیهم
ذریتهم • رواه الامام احمد • وعن عثمان بن عفان رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی
الله علیه وسلم من توضا فاحسن الوضوء خرجت خطایاه من جسده حتی تخرج من تحت اظفاره •
وفی روایة ان عثمان رضی الله عنه توضا ثم قال رایت رسول الله صلی الله علیه وسلم یوضا
مثل وضوئی هذا • ثم قال من توضا هکذا غفر الله له ما تقدم من ذنبه • وکانت صلاته
ومشیه الی المسجد نافلة • رواه مسلم والنسای مختصرا • ولفظه قال سمعت رسول
الله صلی الله علیه وسلم یقول ما من امری یتوضا فیحسن وضوءه الا غفر الله له ما
بینه وبین الصلاة الاخری حتی یصلیها • ورواه ابن ماجه ایضا باختصار • وزاد فی اخره
وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم ولا یغتر احد • وعنه صلی الله علیه وسلم انه اتی توضا
فاحسن الوضوء • ثم قال من توضا مثل وضوئی هذا ثم اتی المسجد فرکع رکعتین ثم جلس غفر
له ما تقدم من ذنبه • قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم لا تغتروا • رواه البخاری
وغیره • وعن عمرو بن عبسة السلمی رضی الله عنه قال کنت وانا فی الجاهلیة اظن ان
الناس علی ضلالة وانهم لیسوا علی شی وهم یعبدون الاوثان فسمعت برجل فی مکة
یخبر اخبارا • فقعدت علی راحلتی فقدمت علیه فاذا رسول الله صلی الله علیه وسلم
فذکر الحدیث الی ان قال قلت یا نبی الله فالوضوء حدثنی عنه • قال ما منکم رجل یقرب
وضوءه فیمضمض ویستنشق فینتثر الا خرجت خطایا وجهه من فیه وخیاشیمه
فاذا غسل وجهه کما امره الله الا خرجت خطایا وجهه من اطراف لحیته مع الماء ثم یغسل

يديه الى المرفقين الا خرجت خطايا يديه من انامله مع الماء ثم مسح راسه الا خرجت
خطايا راسه من اطراف شعره مع الماء ثم غسل رجليه الى الكعبين الا خرجت خطايا رجليه
مع الماء فاذا هو قام فصلى فحمد الله واثنى عليه ومجده بالذى هو له اهل وفرغ قلبه لله تعر
الا انصرف من خطيئته كيوم ولدته امه رواه مسلم وعن ابى امامة رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل قام الى وضوء يريد الصلاة ثم غسل كفيه نزلت خطيئته
من اول كفه مع اول قطره فاذا مضمض واستنشق واستنثر نزلت خطيئته من لسانه
وشفتيه مع اول قطرة فاذا غسل وجهه نزلت كل خطية من سمعه وبصره مع اول قطرة
فاذا غسل يديه الى المرفقين ورجليه الى الكعبين سلم من كل ذنب كهيئته يوم ولدته امه
قال فاذا قام الى الصلاة رفع الله درجته فان قعد قعد سالما رواه الامام احمد وغيره
وفى رواية له ايضا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضا فاسبغ الوضوء
غسل يديه ووجهه ومسح على راسه واذنيه ثم قام الى صلاة مفروضة غفر له فى ذلك اليوم
ما مشت اليه رجلاه وقبضت عليه يداه وسمعت اليه اذناه ونظرت اليه عيناه وحدث
به نفسه من سوء قال والله لقد سمعته من نبى الله صلى الله عليه وسلم ما لا احصيه وفى
رواية اخرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضا الرجل المسلم خرجت ذنوبه من
سمعه وبصره ويديه ورجليه فان قعد قعد مغفورا له وعن ابى مالك الاشعرى
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان
وسبحان الله والحمد لله تملآن او تملا ما بين السما والارض والصلاة نور والصدقة برهان
والصبر ضيا والقران حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها
رواه مسلم وغيره وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما
من مسلم يتوضا فيسبغ الوضوء ثم يقوم فى صلاته فيعلم ما يقول الا انفتل كيوم ولدته
امه رواه ابو داود وغيره وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اسباغ الوضوء على المكاره واعمال الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة
يغسل الخطايا غسلا رواه ابو يعلى وغيره وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال الا ادلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله
قال اسباغ الوضو على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم
الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط رواه مسلم والترمذى وغيرها وعن على بن ابى طالب رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اسبغ الوضو فى البرد الشديد كان له كفلان من
الاجر رواه الطبرانى وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتانى الليلة آت من ربى فقال يا محمد اتدرى فيم يختصم الملا الاعلا قلت لا اعلم فوضع
يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى او قال فى نحرى فعلمت ما فى السموات وما
فى الارض او قال ما بين المشرق والمغرب قال يا محمد اتدرى فيم يختصم الملا الاعلا قلت
نعم فى الدرجات والكفارات ونقل الاقدام للجماعات واسباغ الوضو فى السبرات وانتظار
الصلاة بعد الصلاة ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته
امه رواه الترمذى وعن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من توضا كما امر وصلى كما امر غفر له ما قدم من عمل رواه النسائى وغيره
قوله صلى الله عليه وسلم ان امتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من اثار الوضو الى اخره
قال العلما المراد بها النور الكائن فى وجوه امته يعنى انهم اذا دعوا على رؤس الاشهاد
نودوا بهذا الوصف او كانوا على هذه الصفة والمراد بالتحجيل اضاءتها النور فى ارجلهم
واستدل الحليمى رحمه الله بهذا الحديث على ان الوضو من خصايص هذه الامة قال بعض
المحققين وفيه نظر لانه ثبت فى صحيح البخارى فى قصة سارة عليها السلام مع الملك الذى
اعطاها هاجر ان سارة لما هم الملك بالدنو منها قامت تصلى وتتوضا وفى قصة جريج
الراهب ايضا انه قام فتوضا وصلى ثم كلمه الغلام والله اعلم وقيل ان الذى اختصت به
هذه الامة هو الغرة والتحجيل لا اصل الوضو وقد صرح بذلك فى رواية مسلم عن ابى هريرة
ايضا مرفوعا قال لكم سيما لستم لاحد غيركم وللطحاوى لا ياتى احد من الامم كذلك
وقوله لكم سيما اى علامة قال ابن عبد البر وقد يجوز ان الانبيا عليهم السلام يتوضون
فيكتسون بذلك الغرة والتحجيل ولا يتوضا اتباعهم كما جا عن موسى عليه السلام انه قال

يارب اجد امة كلهم كالانبيآ فاجعلهم امتى • فقال تلك امة احمد يا موسى • وعن كعب
الاحبار رضى الله عنه انه سمع رجلا يحدث انه راى رويا فى المنام ان الناس جمعوا للحساب
وانه دُعى الانبيآ مع كل نبى امته • وانه رآى لكل نبى نورين يمشى بهما • ولمن اتبعه نور واحد
يمشى به • حتى دعى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم • فاذا شعر راسه ووجهه نور كله يراه كل
من نظر اليه • واذا لمن اتبعه من امته نوران كنور الانبيآ • فقال كعب وهو لا يشعر أنها
رويا من حدثك بهذا وما علمك به • فاخبره انها رويا • فناشده كعب الله الذى لا اله الا
هو لقد رايت ما تقول فى منامك • فقال نعم والله لقد رايت ذلك • فقال كعب والذى نفسى
بيده او قال والذى بعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ان هذه لصفة احمد وامته وصفة
الانبيا فى كتاب الله • وما تقوله كان فى التوراه • اسنده فى كتاب التمهيد • قال ابن عبد
البر وقد قيل ان سايرالامم كانوا يتوضون • والله اعلم • قال بعضهم وهذا القول لا يعرف من
وجه صحيح • وقال النبى صلى الله عليه وسلم من توضا فاسبغ الوضو وصلى ركعتين لم يحدث فيهما
نفسه بشى من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه • وفى لفظ اخر غفر له ما تقدم من
ذنبه • قال بعض المحققين ظاهر هذا الحديث يعم الكبايروالصغايرو • لكن العلما خصصوه
بالصغايرلوروده مقيدا باستثنا الكبايرفى غير هذه الرواية • وهو فى حق من له كبايرو
وصغايرو • فمن ليس له الا صغايرو كفرت عنه • ومن ليس له الا كبايرخفف عنه منها بمقدار
ما لصاحب الصغايرو • ومن ليس له صغايرو ولا كبايرزاد فى حسناته بنظير ذلك • ووقع فى
صحيح البخارى قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تغتروا • اى فتستكثروا من الاعمال السيئة
بنا على ان الصلاة تكفرها • فان الصلاة التى يكفربها الخطايا هى التى يقبلها الله تعالى •
وانى للعبد بالاطلاع على ذلك • والله اعلم • وقال النبى صلى الله عليه وسلم من توضا فاحسن الوضو
ثم رفع طرفه الى السما فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده
ورسوله فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شا • وقال مجاهد من استطاع ان لا يبيت
الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل • فان الارواح تبعث على ما قبضت عليه • وقال النبى
صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا • واعلموا ان خيرا عمالكم الصلاه • ولن يحافظ على الوضو

الامومن ومعنى قوله ولن تحصواه اى لا تقدروا على ذلك الا بالجهد والتوفيق اومعناه لا تقدرون ان تفعلوا ثواب من استقام على الايمان والطاعة ومعنى قوله لا يحافظ على الوضوء الامومن يعنى ان الدوام على الوضوء من اخلاق المومنين فينبغى للمومن ان يكون النهار كله على الوضوء وينام بالليل على الوضوء فانه اذا فعل ذلك يحبه الله ويحبه حفظته ويكون فى امان الله عزوجل حيث ما توجه وقال السمرقندى رحمه الله ينبغى للذى يتوضا ان يكون وضوءه مع التعظيم ويعلم انه يريد به زيارة ربه عزوجل وينبغى ان يتوب من جميع ذنوبه لان الله تعالى جعل الغسل بالماء علامة لغسله من الذنوب فينبغى ان يبدا بذكر الله بعد واذا تمضمض واستنشق يغسل فمه من الغيبة والكذب كما غسله بالماء واذا غسل وجهه يغسله عن النظر الى الحرام وكذلك فى سايرالاعضاء فاذا فرغ من الوضوء يدعوا الله تعالى ويسبحه ۞ وقال النبى صلى الله عليه وسلم لبلال عند صلاة الغداة حدثنى يا بلال بارجى عمل عملته فى الاسلام فانى سمعت الليلة خشف نعليك فى الجنة فقال بلال يارسول الله ما عملت فى الاسلام عملا ارجى عندى من انى لم اتطهر طهورا فى ساعة من ليل او نهار الا صليت ما كتب لى ۞ وعن ابى عثمان النهدى رضى الله عنه قال كنت مع سلمان رضى الله عنه فاخذ غصنا من شجرة يابسة فحتة ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضا فاحسن الوضوء تحاتت عنه خطاياه كما تحات هذا الورق وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن ثمان سنين فكان اول ما علمنى ان قال يا انس يا بنى احسن وضوءك لصلاتك تحبك حفظتك وتزاد فى عمرك وعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مسجد المدينة فقال لقد رايت البارحة عجبا رايت رجلا من امتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاه وضوءه فاستنقذه من ذلك ۞ والاحاديث والاثار فى فضل الوضوء كثيرة وفيما ذكرنا منها كفاية والله تعالى هو الموفق لصالح الاعمال رجعنا الى التفسير قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا اى اغتسلوا امر الله تعالى بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل والمراة باحد شيئين اما بخروج المنى على اثر صفة كان من احتلام او غيره او بالتقا الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب

ماذن من البخار واسكنا شبه على كرسي من نحاس اصفر يتبعه

كابر

كابر فاعترض القول والبرا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال يا
رسول الله ان بيننا وبين الرجال حبالا ونحن قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت ان نحن فعلنا
ذلك ثم اظهرك الله تعالى ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال بل الدم الدم والهدم الهدم انا منكم وانتم مني احارب من حاربتم واسالم من سالمتم قال
كعب رضي الله عنه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا يكونون
على قومهم بما فيهم فاخرجوا منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس من
الخزرج ابو امامة اسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك
ابن العجلان والبراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت وسعد بن
عبادة والمنذر بن عمرو ومن الاوس اسيد بن حضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد
المنذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنقبا انتم على قومكم بما فيهم كفلا ككفالة
الحواريين لعيسى بن مريم وانا كفيل على قومي قالوا نعم وحدث عاصم بن عمر بن قتادة ان
القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة اخو
بني سالم بن عوف يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال
انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم
مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الان فهو والله ان فعلتم خزي الدنيا والاخرة
وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فهو والله
خير الدنيا والاخرة قالوا فانا ناخذه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك
يا رسول الله ان نحن وفينا قال صلى الله عليه وسلم الجنة اي لكم على ذلك الجنة قالوا ابسط
يدك فبسط صلى الله عليه وسلم يده فبايعوه رضي الله عنهم وقد قدمنا ذكر هذه البيعة
الاول من هذا فما قدمناه من التفسير وسياتي ذكر بعة الشجرة في موضعها ان شاء الله
وقد انصل قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم ومشاقه الذي واثقكم به بقوله يا ايها الذين
امنوا اوفوا بالعقود فوفوا رضي الله عنهم بما قالوا فجزاهم الله عن نبيهم وعن الاسلام خيرا ۝

ثم قال عز وجل واتقوا الله يعني فيما احذره عليكم من المشاق فلا ينقضوه ان الله عليم
بذات الصدور يعني انه تعالى عالم بما في قلوب عباده من خير او شر قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله تقدم معناها في سورة النساء قال ابن عباس يريد انهم
يقوموا لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوم لله بالحق في كل ما يلزمه القيام به من العمل بطاعته
واجتناب نواهيه شهدا بالقسط يعني ويشهدون بالعدل كانه يقول لا تحابي في شهادتك
اهل ودك وقرابتك ولا تمنع شهادتك اهل بغضك واعدائك بل اقم شهادتك لهم وعليهم
بالصدق والعدل ولا يجرمنكم شنان قوم اي ولا يحملنكم بغض قوم على ان لا تعدلوا اي على
ترك العدل فيهم لعدا وتمم اعدلوا امر الله تعالى بالعدل في كل احد القريب والبعيد والصديق
والعدو هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى لان تتقوا الله وقيل لا تتقوا النار
قال العلما في هذه الاية دليل على نفوذ حكم العدو على عدوه في الله تعالى ونفوذ شهادته عليه
لانه امر بالعدل وان ابغضه ولو كان حكمه عليه وشهادته لا تجوز فيه مع البغض له لما
كان لامره بالعدل فيه وجه ودلت الاية ايضا على ان كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه
وان نقتصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق وان المثلة بهم غير جايزة وان قتلوا
نسانا واطفالنا وغمونا بذلك فليس لنا ان نقتلهم بمثله قصدا لايصال الغم والحزن
اليهم والبه اشار عبد الله بن رواحة بقوله في القصة المفسرة والله اعلم ثم قال عز وجل
واتقوا الله اي خافوا الله ان تخالفوا امره ان الله خبير بما تعملون يعني انه تعالى خبير بجميع
اعمالكم مطلع عليها وخبير بمن عدل ومن لم يعدل قوله تعالى وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات يعني عملوا بما واثقهم الله به واوفوا بالعهود التي عاهدهم عليها لهم
مغفرة واجر عظيم قال العلما هذا بيان للوعد كانه لما قدم ذكر الوعد فقيل اي شي هذا
الوعد فقال لهم مغفرة واجر عظيم واذا وعدهم اخبر لهم الوعد فانه تعالى لا يخلف الميعاد
ومعنى لهم مغفرة واجر عظيم اي لا يعرف كنههما افهام الخلق كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم من قرة اعين واذا قال الله اجر عظيم واجر كريم واجر كبير فمن ذا الذي يقدر قدره
ولما كان الوعد من قبيل القول حسن ادخال اللام في قوله لهم مغفرة وهو في موضع نصب لانه

وقع موقع الموعود له على معنى وعدهم ان لهم مغفرة ٥ ووعدهم مغفرة الآن الجملة
وقعت موقع المفرد ٥ كما قال الشاعر
وجدنا الصالحين لهم جزاء ٥ وجناتٍ وعينًا سلسبيلا ٥
وموضع الجملة نصب ٥ ولذلك عطف عليها بالنصب فى قوله وجناتٍ وعينًا ٥ وقيل هو فى
موضع رفع ٥ على ان يكون الموعود به محذوفا على تقدير لهم مغفره واجر عظيم فيما وعدهم به ٥
وهذا القول مروى عن الحسن ٥ والله اعلم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا يعنى والذين جحدوا
وحدانيه الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده اولئك يعنى
ممن هذه صفته اصحاب الجحيم قال العلماء هذه الاية نص قاطع فى ان الخلود فى النار ليس الا
للكفار ٥ لان المصاحبة تقتضى الملازمة ٥ كما يقال فلان صاحب فلان ٥ يعنى الملازم له ٥
ومعنى قوله اصحاب الجحيم اى لا يفارقونها ابدا ٥ والله تعالى اعلم بمراده واسرار كلامه العظيم ٥
هذا آخر الجزو السادس من كتاب فتح المنان ٥ فى تفسير القرآن ٥ للعلامى ٥
رحمه الله وعفا عنه ٥ ويتلوه فى اول الجزو السابع تفسير قول الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم الاية ٥

والحمد لله اولا وآخرا

وصلى الله على من لا نبى بعده

سيدنا ومولانا

محمد واله وصحبه

وسلم

و

وحسبنا الله ونعم الوكيل ٥



